

ذخائر العرب

٢٥

الموازنه

بين شعرا بى تمام والبُحترى

لأبى الفاسم الحسن بن بشر الأمدى

٣٧٠ هـ

تحقيق

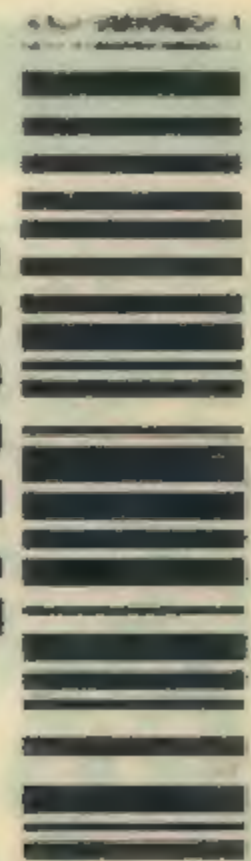
السيد أحمد صقر

الطبعة الخامسة

٢



دار المعارف



0202545

Bibliotheca Alexandrina

الموازنة

سُخَاثِرُ الْعَرَبِ

٢٥

الموازنة

بين شعر أبي تمام والبُحْثَرِي

لأبي الفاسم الحسن بن بشر الأمدى

٣٧٠ هـ

تحقيق

السيد أحمد صقر

الطبعة الخامسة

٢



دار المغارف

ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين

وأفتح ذلك بما جاء عنهما من الابتدآت في هذه المعاني . وأبوها أبواباً ،
لتصح الموازنة بينهما .

ماقالاه في البكاء على الظاعنين

قال أبو تمام :

يا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إِذْ بَعُدُوا هِيَ الصَّبَابَةُ طُولَ الدَّهْرِ وَالْكَمَدُ^(١)
هذا أجودُ ابتدآته في هذا المعنى : وأبلغها .

وأجود منه وأحلى قول البحتري :

قَلْبٌ مَشُوقٌ عَنَّا الْبَثُ وَالْكَمَدُ وَمُقْلَةٌ تَبْدُلُ الدَّمْعَ الَّذِي تَجِدُ^(٢)

قوله : « تبذل الدمع الذي تجد » معنى ما لحسنه نهاية ، ولفظ . في
غاية البراعة والحلاوة .

وقال أبو تمام :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مَاجِدٍ فَعَدَا إِذَا بَئَتْ كُلُّ دَمْعٍ جَافِدٍ^(٣)

وهذا ابتداء جيد .

(١) ديوان أبي تمام ٩٦ وشرح التبريزي ١٠ / ٢ وفيما « إن بعدوا . . . الدهر والسهد »

(٢) ديوان البحتري ٥٩١ ، ١٠ / ١٤٩٥ دار المعارف

(٣) ديوان أبي تمام ٨٦ وشرح التبريزي ١ / ٤٠٦

وقال البحرى :

رَحَلُوا فَأَيُّ عِبْرَةٍ لَمْ تُسَكَّبِ أَسْفَا ، وَأَيُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ^(١)
هذا أيضاً ابتداء جيد حسن .

وقال أيضاً :

أَكُنْتَ مُعْنَفِي يَوْمَ الرَّحِيلِ وَقَدْ لَجْتَ دُعْوِي فِي الْهُمُولِ^(٢)

وقال أيضاً :

إِنَّ سَيْرَ الْخَلِيطِ يَوْمَ اسْتَقْلَا كَانَ عَوْنًا لِلدَّعِ حِينَ تَوَلَّى^(٣)

وقال أيضاً :

لَمْ تَبْلُغِ الْحَقَّ ، وَلَمْ تُنْصِفِ عَيْنٌ رَأَتْ بَيْنًا فَلَمْ تَذْرِفِ^(٤)

وهذه كلها ابتدآت جيدة ، عذبة ، شهية .

وقال أيضاً :

دَغْ دُعْوِي فِي ذَلِكَ الْأَشْتِيَاقِ تَتَنَاجَى بِذِكْرِ يَوْمِ الْفِرَاقِ^(٥)

وهذا بيت ردى . قد عابه «ابن المعتز» ، وقال : ما أقبح قوله : «في

ذلك الاشتياق» . وهى - لعمري - قبيحة ، ولا أعرف له مثلها .

(١) ديوان البحرى ٦٠٠ ، ١ / ٣٧٨ / ١٧٣٦ ، وفى م «قالى»

(٢) ديوانه ٤٨

(٣) ديوانه ١٥٥ «الدمع لما استهلا» وكذلك فى طبعة بيروت ١٦٩ / ٢ ، ١٦٥٥ / ٣

(٤) ديوانه ٢٣٣ ، ٣ / ١٣٦٠

(٥) ديوانه ٤٣٨ ، ٣ / ١٤٦١ «بفعل يوم»

مالأبي تمام في البكاء على النساء المفارقات

* * *

قال أبو تمام :

سَرَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ^(١)

قوله : « سرت » يريد أنها سهرت فكأنها قطعت الليل بالسهر ، مُسْتَجِيرَةٌ بالدمع ، تبكى ليلها أجمع . ولم يرد أنها سارت ليلا : فجعل سهرها سُبْرَى ، وفسر ذلك بقوله : « وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ » .

وهذا ابتداء ليس من جيد الابتدآت ، ولا من رديئها .

وقال أيضاً :

بُدِّلَتْ عَبْرَةٌ مِنْ الْإِيْمَاضِ يَوْمَ شَدُّوا الرِّحَالَ بِالْأَغْرَاضِ^(٢)

« الْإِيْمَاضِ » أراد تبسمها وبريق^(٣) ثغرها ، جعله مِثْلَ وَمِيزِ البرق . يريد أنها بُدِّلَتْ من الضحك البكاء لما استعدوا للرحيل .

وهذا ابتداء جيد .

وقد عابه « ابن عمار » ، وغيره لقوله : « الْأَغْرَاضِ » ؛ وَلَحْنُهُ ، وقالوا :

الْأَغْرَاضِ : جمع غَرَضٍ ، وفَعْلٌ لَا يَجْمَعُ عَلَى أَفْعَالٍ .

أَفْعَمًا^(٤) سمعوا بقولهم : فَرَخٌ وَأَفْرَاحٌ ، وَفَرْدٌ وَأَفْرَادٌ . وَشَكْلٌ وَأَشْكَالٌ ،

وَجَفَنٌ وَأَجْفَانٌ ، وَعَصْرٌ وَأَعْصَارٌ ، وَزَنْدٌ وَأَزْنَادٌ ؟ !

(١) ديوان أبي تمام ١٠٠ شرح التبريزي ٢٢/٢

(٢) ديوانه ١٨٧ شرح التبريزي ٢/٣٠٨ وفي م « الْأَغْرَاضِ »

(٣) م « الْإِيْمَاضِ » . . . وبوبق ثغرة « والتصويب من ق

(٤) م « إِيْمَا »

وقول الأعشى :

* وزندك أثقب أزنادها^(١) *

وقولهم أيضاً : شَرَطُ وأشراط، وقول الله تعالى : «فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا»^(٢)

فقد نطقت العرب بهذا الجمع بعينه . قال الراجز في وصف الإبل :

حَتَّى إِذَا مَا قَلِقَتْ أَغْرَاضُهَا وَنَضَحَتْ بِمَائِهَا أَغْرَاضُهَا

وقال غيلان بن حريث الربيعي . . .

يَكُلُّ سَامٍ فِي الزَّمَامِ نَهَاضٌ خَيْسَهُ بِالذُّلِّ رَوْضُ الرُّوَاضِ^(٣)

فِي قُلُوصٍ تَمْطُو سَفِيفَ الْأَغْرَاضِ^(٤)

سَفِيفٌ : نَسِيجٌ ، وَالْأَغْرَاضُ : جَمْعُ غَرَضٍ ، وَهُوَ لِلْبَعِيرِ مِثْلُ الْحَزَامِ

لِلْفَرَسِ .

وَأَنشَدَنَا الْأَخْفَشُ لِرَجُلٍ مِنْ طَيْئٍ :

إِذَا الْعَيْسُ أَضْحَتْ بِالْفَلَاةِ كَأَنَّهَا وَقَدْ قَلِقَتْ أَغْرَاضُهُنَّ جُفُونُ

ومثله في الشعر - إذا تتبعته - كثير .

* * *

وقال أبو تمام :

بَسَطَتْ إِلَيْكَ بِنَانَةً أُسْرُوعًا تَصِفُ الْفِرَاقَ ، وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا^(٥)

وهذا ابتداء ليس بالجيد . ولا بالردى .

وَالْأُسْرُوعُ : ثَوْبِيَّةٌ نَاعِمَةٌ تَكُونُ فِي الرُّوْلِ تَشْبَهُ بِهَا أَصَابِعُ النِّسَاءِ .

(١) ديوان الأعشى ٤ د صدره : « وجدت إذا اصطلحوا خيرهم »

(٢) سورة محمد ١٨

(٣) م ، ق « حبه » والتخير : انتزاع ، كما في اللسان ٢٧٦ / ٧

(٤) تَمْطُو : تَمْدُ

(٥) ديوان أبي تمام ٤٩٨ وشرح التبريزي ٢ / ٣٩٠ « إلى بِنَانَةٍ » . والبِنَانَةُ : واحدة البِنَانِ وهي الأصابع

وقال أيضاً :

نَثَرْتُ فَرِيدَ مَلَامِعٍ لَمْ تُنْظَمْ وَالذَّمْعُ يَخِيلُ بَعْضَ ثِقَلِ الْمُغْرَمِ^(١)

وقال أيضاً :

أَظُنُّ دُمُوعَهَا سَنَنْ الْفَرِيدِ وَهِيَ سِلْكَاهُ مِنْ نَحْرِ وَجِيدِ^(٢)

وهذان ابتداءً آن جيدان .

* * *

وقال :

ذَرِينِي مِنْكَ سَافِحَةً الْمَآقِي وَمِنْ سَرَعَانِ عِبْرَتِكَ الْمُرَاقِي^(٣)

وهذا قول فيه جفاء .

ووجدت الناس يستحسنون قوله :

تُخَذِي عِبْرَاتِ عَيْنِكَ عَنْ زَمَاعِي وَصُونِي مَا أَزَلَّتِ مِنَ الْقِنَاعِ^(٤)

زَمَاعُهُ : إِزْمَاعُهُ الرِّحِيلُ . يقال : أَزْمَعَ يُزْمِعُ .

وقوله : « وَصُونِي مَا أَزَلَّتِ مِنَ الْقِنَاعِ » لأنها برزت عند الفراق جزءاً ،

وكشفت القناع .

(١) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٢٤٨ يروي « بعض شجو »

(٢) ديوانه ١٠٤ وفي شرح التبريزي ٣٢ / ٢ : « السَّن : التسابق . والفريد : الدر ، وأراد بسن الفريد : ما يسقط منه ، أخذ من قولهم : سن الماء يمنة سنا : إذا صبه صبا سهلا . أي أظن دموع هذه المرأة مستنة استنان الفريد »

(٣) ديوانه ٢١٤ وشرح التبريزي ٢ / ٢٢٢

(٤) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزي ٢ / ٣٢٦

ومن ابتداء آتتهما من باب الفراق في معان شتى

* * *

١- قال أبو تمام :

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادِ فَهَى طَوْخِ الْإِتِّهَامِ وَالْإِنِّجَادِ^(١)

٢- وقال أيضاً :

أَلَا صَنَعَ الْبَيْنُ الَّذِي هُوَ صَانِعُ فَإِنْ تَكُ مِجْزَاعاً فَمَا الْبَيْنُ جَارِعٌ^(٢)

وهذا ابتداء صالح .

وقال أيضاً :

أَصْنَى إِلَى الْبَيْنِ مُعْتَرَاً فَلَا جَرَمَا أَنَّ النَّوَى أَسَارَتْ فِي عَقْلِهِ لَمَمًا^(٣)

قوله : أصنى إلى البين . أى سمع^(٤) ما أخبروه به من ذكر الفرقة ،
فغير ذلك من عقله . ويريد باللمم : الجنون .

وقد أوضح هذا المعنى في البيت التالى ، وهو قوله :

أَصْنَى سِرُّهُمْ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ هَلْ كُنْتَ تَعْرِفُ سِرًّا يُورِثُ الصَّمَمَا

أى صرت لا أفهم شيئاً بعد ذلك السر الذى دلَّهْنِي ، وأطار^(٥) عقلى ،
فكأنى أصم عن كل قيل .

(١) ديوان أبى تمام ٧٥ وشرح التبريزى ١ / ٣٥٨

(٢) ديوانه ٤٧٧ . وشرح التبريزى ٣ / ٥٨٠ وفيه : « يقول : صنع البين بك ما كنت تحذره ، فإن شئت فاصبر وإن شئت فاجزع ، فإن البين لا يبالى »

(٣) ديوانه ٣٠١ وشرح التبريزى ٣ / ١٦٥ وأسارت : أبقت

(٤) م « أسمع »

(٥) م « وأطال »

وهذا المعنى ليس من اختراعاته . وقد ذكرته في سرقاته ، وما جاء في معناه لغير واحد من الشعراء .

وقال :

أَهْلُوكِ أَضْحَوْا رَاحِلًا وَمُقَوَّضًا وَمُزْمَمًا يَصِفُ النَّوَى وَمُغَرَّضًا^(١)
 الْمُقَوَّضُ : الذى يُقَوَّضُ البيوت ، ويقتلعها للرحيل^(٢) . وَمُزْمَمًا يَصِفُ
 النَّوَى : الذى يزعم الإبل والأزمة . [والمغرض]^(٣) يشدها بالغرض .
 وهو كالحزام للفرس .

وهذا ابتداء صالح .

وقال أيضاً :

تَحْمَلُ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحْمَلُوا وَعَادَتْ صَبَاهُ فِي الصَّبَا وَهِيَ شَمَالُ^(٤)
 قال ذلك لأن الصَّبَا : ريح تُحبُّها العرب محبتها للجنوب ؛ لأنها
 ريح لينة عذبة ، وقد تجلب المطر في بعض أقطار الأرض كما تجلبه
 الجنوب . قال امرؤ القيس :

رَاحَ تَمْرِهِ الصَّبَا ثُمَّ أَنْتَحَى مِنْهُ شُوْبُوبُ جَنْوِبٍ مُنْفَجِرِهِ^(٥)

فأراد أن صباه - أى ريحه في الصبا التى كانت تُولف له ما يهواه
 ويحبه مع من يحبه - عادت شمالا ؛ لأن الشمال فى أكثر نواحي الأرض
 لا تُولف السحاب ؛ بل تَمَحَقُّه وتُشِينه كما قال :

(١) ديوان أبى تمام ١٨٥ وشرح التبريزى ٢/ ٣٠١

(٢) م ، ق « للرجل »

(٣) الزيادة من م

(٤) ديوانه ٢٤٤ وشرح التبريزى ٣/ ٧٢

(٥) ديوان امرؤ القيس ٩٠

لعمري لئن رِيحُ المودَّةِ أَضْبَحَتْ شمالاً لَقَدْماً كُنْتُ وهى جَنْسُوبُ
وقال أبو تمام :

تَصَدَّتْ وَحَبْلُ الْبَيْنِ مُسْتَحْصِدٌ شَرُّ وقد سَهَّلَ التَّوْدِيْعَ ما وَعَرَ الْهَجْرُ^(١)
تصدت : أى بدت . وظهرت . ومُسْتَحْصِدٌ : شديد القتل . والشَّرُّ^(٢) :
القتل إلى فوق . واليَسْرُ : القتل إلى أسفل .
وقوله : « وقد سَهَّلَ التَّوْدِيْعَ ما وَعَرَ الْهَجْرُ » - يريد أنها كانت هاجرة
فبرزت عند التوديع .

وقال أيضاً :

مَالِي بِعَادِيَةِ الْأَيَّامِ مِنْ قَبْلِ لَمْ يَثْنِ كَيْدَ النَّوَى كَيْدِي وَلَا حِيَلِي^(٣)
وهذا من جيد ابتدآت هذا الباب .

وقال البحتري :

رَاجَعَ الْقَلْبَ بَثُّهُ وَخَبَالُهُ لِيَخْلِيْطَ . زُمْتُ لِبَيْنٍ جِمَالُهُ^(٤)
وقال أيضاً :

لَهُ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بِطَاءٍ أَوَّخِرُهُ وَوَشَكِّ نَوَى حَيٍّ تَزَمُّ أَبَاعِرُهُ^(٥)
وقال أيضاً :

شَطَّ مِنْ سَاكِنِ الْغَوَيْرِ مَسْرَارُهُ وَطَوْتُهُ الْبِلَادُ فَاللَّهُ جَارُهُ^(٦)

(١) ديوان أبي تمام ٤٧٤ « ما أوعز الهجر » ، وشرح التبريزي ٥٦٧/٣

(٢) اللسان ٧٢/٦

(٣) ديوانه ٢٤٩ وشرح التبريزي ٨٨/٣

(٤) ديوان البحتري ٧٩٦ ، ١٨٣١ « عاود القلب »

(٥) ديوانه ٢٥٠ ، ٨٧٦/٢

(٦) ديوانه ٥٣٤ ، ٩١٧/٢

وقال أيضاً :

إِذَا عَرَضْتَ أَحْدَاجُ سَلَمَى فَنَادِيهَا سَقْنِكِ رَوَايَا الْمَزْنِ صَوَّبَ عِيَادِيهَا^(١)

وقال أيضاً :

تَظُنُّ شُجُونِي لَمْ تَعْتَلِجْ وَقَدْ خَلَجَ الْبَيْنُ مَنْ قَدْ خَلَجَ^(٢)

وقال أيضاً :

بِمِثْلِ لِقَائِهَا شَفِيَّ الْغَلِيلِ غَدَاةَ تَزَايَلَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ^(٣)

وقال :

قَوَادُ بِذِكْرِ الظَّاعِنِينَ مُوَكَّلٌ وَمَنْزِلٌ حَيٌّ فِيهِ لِلشُّوقِ مَنْزِلُ^(٤)

وقال أيضاً :

لِمَا وَصَلْتَ أَسَاءَ مِنْ حَبْلِنَا شُكْرٌ وَإِنْ حُمٌّ بِالْبَيْنِ الَّذِي لَمْ تُرِدْ قَدْرُ^(٥)

وقال أيضاً :

عَلَى الْحَيِّ سِرْنَا عَنْهُمْ وَأَقَامُوا سَلَامٌ ، وَهَلْ يُدْزِي الْبَعِيدَ سَلَامٌ؟^(٦)

وقال أيضاً :

لَأَوْشَكَ شَعْبُ الْحَيِّ أَنْ يَتَفَرَّقَا فَيُدْزِي الْجَوَى ، أَوْ يَرْجِعَ الْحَبُّ أَوْلَقَا^(٧)

(١) في ديوان البحري ١٠٩ «أحداج ليل» والأحداج : جمع حلاج ، وهو من مراكب النساء ، يشبه المحفة ، كما في اللسان ٥٣ / ٣ . وهو في ٦٧٤ / ٢ دار المعارف

(٢) ديوانه ٥٥١ ، ٤١٩ / ١ ويقال : اعتلج الموج : التطم ، واعتلج الم في صدره ، كذلك على المثل . وخلج : جذب وانتزع

(٣) ديوانه ٣٠٠ ، ١٨٢٢

(٤) ديوانه ٥٨٥ ، ١٧٩٢ ، وفي م : «قواد مذكر» !

(٥) ديوانه ٢٤١ ، ٨٧٠ / ٢

(٦) ديوانه ٣٦٣

(٧) ديوانه ٢٦٢ ، ١٨١٠ «فيدى» ، ق : «أورج»

أَيَّ يَصِيرُ الْحُبُّ جُنُونًا . وَهَذَا كَقَوْلِ أَبِي تَمَامَ :
 * أَسَارَتْ فِي عَقْلِهِ لِحَمَا * (١)

وقال :

عَادَ لِلصَّبِّ شَجْوَهُ وَاكْتِثَابُهُ بِبِعَادِ الذِي يُرَادُّ اقْتِرَابُهُ (٢)

وقال أيضاً :

أَصْدُوْدٌ غَلَا بِهَا أَمَّ دَلَالٌ يَوْمَ زُمْتُ بِرَامَةِ الْأَجْمَالِ (٣)

وهذه كلها ابتدآت جياد ، حسان ، مختارة المعاني .

وقال أبو تمام :

يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا لَمْ تُبْقِ لِي جَلْدًا : وَلَا مَعْقُولًا (٤)

فجعل يوم الفراق طويلا .

* * *

وقال البحتري كأنه يرُدُّ هذا المعنى (٥) على أبي تمام ، وينسبُ يوم

الفراق إلى القصر ، وذكر العلة في ذلك فقال :

وَلَقَدْ تَأَمَّلْتُ الْفِرَاقَ فَلَمْ أَجِدْ يَوْمَ الْفِرَاقِ عَلَى أَمْرِي بِطَوِيلٍ (٦)
 قَصُرْتُ مَسَافَتُهُ عَلَى مُتَزَوِّدٍ مِنْهُ لِذَهْرِ صَبَابَةٍ وَعَوِيلٍ

وهذه إنما هي حال من كان محبوبه محجوباً منه ، ورؤيته متعذرة عليه

قبل يوم الفراق .

(١) ديوان أبي تمام ٣٠١ وشرح التبريزي ١٦٥ / ٣ . وانظر ص ١٠

(٢) ديوانه ١٤٩٥ / ١١٥

(٣) ديوانه ١٤٨١ / ١١٥

(٤) ديوانه ٢٤٢ وشرح التبريزي ٦٦ / ٣ . والمعقول : اسم مفعول بمعنى المصدر

(٥) « كأنه يريد بهذا »

(٦) ديوان البحتري ٦١٠ ، ١٦٦٣ « لا تؤدى » .

وقد بين هذا المعنى بقوله :

إِنَّ لِلْبَيْنِ مَنَّةً لَنْ تُودَى وَيَدًا فِي تَمَاضِيرِ بَيْضَاءِ^(١)
حَجَبُهَا حَتَّى بَدَتْ لِفِرَاقٍ كَانَ دَاءً لِعَاشِقٍ وَدَوَاءً
أَضْحَكَ الْبَيْنُ يَوْمَ ذَاكَ وَأَبْكَى كُلَّ ذِي صَبَوَةٍ ، وَسَرَّ وَسَاءً
فَجَعَلْنَا الْوَدَاعَ فِيهِ سَلَامًا وَجَعَلْنَا الْفِرَاقَ فِيهِ لِقَاءً^(٢)

وهذا مذهب صحيح ، ومعنى واضح .

وقال البحتري في نحوه أيضاً :

وَيَوْمَ تَلَاقٍ فِي فِرَاقٍ شَهِدْتُهُ بِعَيْنٍ إِذَا نَهْنَهَتْهَا دَمَعَتْ دُمَا^(٣)

فكيف يكون يوم تلاق طويلاً ؟

وقال في نحوه أيضاً :

إِنَّ الْفِرَاقَ جَلَا لَنَا عَنْ غَادَةٍ بَيْضَاءَ تَجَلُّو عَنْ شَتِيَّتِ أَشْنَبِ^(٤)
أَلَوْتُ بِمَوْعِدِهَا الْقَدِيمِ وَأَيَّاسْتُ مِنْهُ بِلَى بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبِ^(٥)

وقال أيضاً فيما يؤكد هذا المعنى ، ويزيده صحة :

مِنْ وَرَاءِ الْعُيُونِ كُتُبَانُ رَمَلٍ تَتَشَنَّى أَفْنَانُهُنَّ فُنُونًا^(٦)
وَبُودُ الْقُلُوبِ يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ ظُغُنُّ الْحَيِّ أَنْ تَكُونَ عُيُونًا^(٧)

(١) ديوان البحتري ٧١٢ ، ١ / ١٤ دار المعارف

(٢) م « فيه لفتاً ا »

(٣) كذا في م ، ق ، وفي الديوان ٢٠٨٧ / ٤ وفيه ١٢٧ بيروت « قطرت »

(٤) يقال ثغر شتيت : مفرق مفلج . وجاء في اللسان ١ / ٤٨٨ « اختلفوا في الشنب ، فقالت

طائفة : هو تحزير أطراف الأسنان . وقيل : صفاؤها وتقاؤها . وقيل : هو تفليجها . وقيل : هو طيب

نكهتها . وقال الأصمعي : الشنب : البرودة والعذوبة في الفم » وهما في ١ / ٢٨٢

(٥) في الديوان : « وآيست منه »

(٦) ديوانه ٢٤٥ ، ٤ / ٢١٦١ « من وراء السجوف »

(٧) في الديوان : « لو تكون »

وقد قال بعض الأعراب . أنشدناه الأخفش عن المبرد :

جزى الله يومَ البينِ خيراً ؛ فإنه أَرَانَا - على علائِها - أمّ ثابتٍ
تُبَاهِي بها الأرضُ السماءَ إذا مَشَتْ عَلَيْهَا وتُخَيِّ غَشِيَةَ المَتمَاوِتِ^(١)

وقال بعض الظرفاء :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الفِرَاقَ فَإِنِّي أَشْتَبِهُ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ^(٢)
إِنْ فِيهِ أَعْتِنَاقَةٌ لِدَوَاعٍ وَانْتَظَارَ أَعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ

* * *

وقال البحتري :

مَا كَفَى مَوْقِفُ التَّفَرُّقِ حَتَّى عَادَ بِالبَثِّ مَوْقِفُ الإِجْتِمَاعِ^(٣)
أَعْنَاقُ اللِّقَاءِ أَثْلَمُ فِي الأَخْ شَاءَ وَالْقَلْبِ ، أَمْ عِنَاقُ الدَّوَاعِ ؟

وقال أيضاً :

لَمْ يَكُنْ يَوْمُنَا طَوِيلًا بِنِعْمًا نَ وَلَكِنْ كَانَ البُكَاءُ طَوِيلًا^(٤)

ولما ذهب أبو تمام في معنى طول يوم الفراق إلى ما يعهده الناس ، ويتعارفونه من أن وقت البؤس ، وزمان المحنة أبداً - طويل . ولعله ما كان مهجوراً قبل يوم الفراق . ولا كانت حاله حال التي وصفها البحتري .

وعلى أن البحتري قد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه أبو تمام فقال :

يَا ابْنَةَ العَامِرِيِّ عَمَّا قَلِيلٍ يَا ذُنَّ الحَيِّ - فَأَعْلَمِي - بِالرَّحِيلِ
قَدْ سَمِعْتُ الغُرَابَ يَذْكُرُ بَيْنَا وَأَنْصِرَامًا لِحَبْلِكَ المَوْضِلِ^(٥)

(١) م « غشية المماوت » والتصويب من ق

(٢) هما من غير نسبة ، في أمالي المرتضى ٢ / ٢٥٧

(٣) ديوان البحتري ١٣١ ، ٢ / ١٢٤٣

(٤) ديوانه ٦٨٧ ، ١٧٦٧

(٥) ديوانه ١٦٧٧ ، « بوعدينا »

كَيْفَ لِي بِالسُّلُوِّ لَا كَيْفَ وَالْبَيْتُ نُنْ نَازِلُ بِخَطْبِ جَلِيلِ
إِنَّ يَوْمَ النَّوَى لَيَوْمٌ طَوِيلٌ لَيْسَ يَفْنَى ، وَيَوْمٌ حُزْنٌ طَوِيلٌ

وإنما قال البحترى هذا لأن من يهواه كان مُوَاصِلًا له ، وذلك قوله :
« وَأَنْصِرَامًا لِحَبْلِكَ الْمَوْصُولِ » .

ولم يقنع بأن قال : « إِنَّ يَوْمَ النَّوَى لَيَوْمٌ طَوِيلٌ » حتى قال : « لَيْسَ
يَفْنَى ، وَيَوْمٌ حُزْنٌ طَوِيلٌ » .

فلعل أبا تمام كانت هذه حاله أيضاً في مُوَاصَلَةِ مَنْ فَارَقَ ،
واستطال يوم الفراق لذلك .

ومن ردىء ابتدآت أبي تمام في هذا الباب قوله :
هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزَمًا فَقِدَمًا أَذْرَكَ النَّأْيَ طَالِبُهُ^(١)
وإنما جعله رديئاً قوله : « هن » ، قابئداً بالكناية عن النساء ، ولم
يجر لهن ذكر بعد .

ثم قال : « عوادي يوسف » ، ومعناها صَوَارِفُ ، يقال : عداني عنك^(٢)
كذا : أي صرفني . أراد : هُنَّ صَوَارِفُ يُوسُفٍ ، وصواحيبه ، وصوارف ههنا
لفظة ليست قائمة بنفسها ؛ لأنه يحتاج أن يعلم صوارفه عن ماذا . واللفظة^(٣)
القائمة بنفسها أن لو قال : « واتن يوسف » ، أو « شواغف يوسف » ، أو
نحو ذلك . وكأنه أراد صوارف يوسف عن تقاه ، أو عن هداه ، أو عن

(١) ديوان البحترى ٤٣ وشرح التبريزي ١ / ٢٢٣ ويروى : « أدرك الثار » و « أدرك السؤل » .

(٢) م « عته »

(٣) م : « الكلمة بمشاهدة الألفاظ » ؛ والتصويب من ق

صحيح عزمه حتى هم بالمعصية . وإنما يتم معنى الكلمة بمثل هذه الألفاظ
أَلَوْ وَصَلَهَا بِهَا .

ثم ألحق بيوسف التنوين . فجاء بثلاثة ألفاظ متوالية كلها رديئة في
موضعها .

وتسم البيت بعجز لا يليق بصدوره ، وهو أردأ معنى من الصدر . وذلك
قوله : « فَعَزَمًا فَتَعْدِمًا أَذْرَكَ النَّأْيَ طَالِبُهُ »

فتصير جملة معنى البيت : هُنَّ صَوَارِفُ يَوْسُفَ فَأَعَزِمَ ؛ فَتَعْدِمًا أَذْرَكَ
الْبُعْدَ طَالِبُهُ .

وهذا كلام لا يلائم بعضه بعضاً ، ولا يتشابه . وإنما كانت ألفاظه
ومعانيه تتشابه لو قال :

هُنَّ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَاحِبُهُ فَلَا يَعْدُونُكَ مَطْلَبُ أَنْتَ طَالِبُهُ
أَوْ « فَلَا يَعْدُونُكَ الْعَزْمُ فِيمَا تُطَالِبُهُ » . أى لا يتجاوزك .

أَوْ « فَلَا تَعْدِلْنِ عَنْ مَطْلَبِ أَنْتَ طَالِبِهِ » . أى هن صوارف يوسف عن
عزمه ، فلا تنصرف أنت عن عزمك ومطلبك لِعَدْلِهِنَّ ، ومن أجلهن .

وقد عاب أبا تمام بهذا البيت - أبو سعيد الضَّرِير^(١) ، وأبو العَمَيْثَل
الْأَعْرَابِي^(٢) ، وكانا على خزانة الأدب لعبد الله بن طاهر بخراسان وكان
الشاعر إذا قصده ، عرض عليهما شعره ، فإن كان جيداً عرضاه عليه ، أو
دعى به فأنشده . وإن كان رديئاً نبذاه ، ودفع إلى صاحبه البر على غير

(١) اسمه أحمد بن خالد . وترجمته في نكت الهيمان ٩٦

وبغية الوعاة ١٣١ وإنباء الرواة ١ / ٤١ ومعجم الأدباء ٣ / ١٥

(٢) اسمه عبد الله بن خليل ، وترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٨٧ ووفيات الأعيان

٢ / ٢٧٥ وهبة الأيام ١٣٩

الشعر . فلما قدم أبو تمام على عبد الله قصدهما ، ودفع القصيدة إليهما قَضَمَاها إلى أشعار الناس . فلما تصفحا الأشعار مرّت هذه القصيدة على أيديهما . فلما وقفا على هذا الابتداء طرحاها مع الشعر المنبرذ . فأبْطَأَ خَبَرُها على أبي تمام فكتب إلى أبي العَمَيْثَلِ أبياتاً يعاتبه فيها ، ويقول :
وَأَرَى الصُّحُفَةَ قَدْ عَلَتْهَا فِتْرَةٌ فَتَرَتْ لَهَا الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَامِ^(١)
ثم لقيهما فقالا له : لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال : ولم لا تفهمان ما يقال ؟

فاستحسن هذا الجواب من أبي تمام .
والرجلان ما عابا إلا معيياً ، وما أنكرا إلا منكراً . وكانا من أعلم الناس بالشعر وبكلام العرب .

مضت ابتداآتهما بذكر الفراق فلنذكر الآن ما جاء عنهما من ذلك في وسط الكلام .

(١) ديوانه ٣١٦ وشرح التبريزي ٢ / ٢٨١ وأخبار أبي تمام ٢٢٤

البكاء على الظاعنين

قال أبو تمام :

فَارَقَّتْنَا وَلِلْمَدَامِجِ أَنَا سَوَارٍ عَلَى الْخُدُودِ غَوَادٍ^(١)
 كُلُّ يَوْمٍ يَسْفَحْنَ دَمْعاً طَرِيفاً يُمْتَرَى مُزْنُهُ بِشَوْقٍ تَلَادٍ
 واقعاً بالخدود والبرْدُ مِنْهُ واقعٌ بالقلوبِ والأَكْبَادِ^(٢)

وهذا في البكاء مذهب حسن جداً ، في أجود لفظ واضح سيال .

وقال أيضاً فأحسن كل الإحسان :

رَدُّ الْجُمُوحِ الصَّغْبِ أَيْسَرُ مَطْلَباً مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ مَسِيلاً^(٣)

وقال البحتري في ضد هذا المعنى :

وَقَفْنَا وَالْعُيُونُ مُشْغَلَاتٌ يُغَالِبُ دَمْعَهَا نَظْرٌ كَلِيلٌ^(٤)
 نَهْنَهُ رِقْبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَعْلَقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ

والناس لبیت البحتري ، ونحو مذهب فيه - أشد استحساناً ؛ لكثرة ما يشاهد مثله .

(١) ديوان البحتري ٧٥ وشرح التبريزي ١ / ٢٥٨

(٢) ديوان البحتري « والحرم »

(٣) ديوانه ٢٤٢ وشرح التبريزي ٢ / ٦٦

(٤) ديوان البحتري ٣٠٠ ، ١٨٢٢

وقال أبو تمام :

لعمري لقد أفتوت مغانيكم بعدي ومحتت كما محتت وشائع من بُرد^(١)
وأنجذتكم من بعد إتهام داركم فيا دمع أنجذني على ساكني نجد

قوله : « كما محتت وشائع من بُرد » - غلط ؛ لأن الوشائع هي الغزل الملفوف من اللحمة التي تداخل في السدى. فإذا نسج الثوب فليس فيه شيء يسمى « وشيعة » ولا « وشائع » .

وقد ذكرت هذا في باب أغاليطه المجموعة^(٢) .

وقد عاب عليه أيضاً قوم قوله : « فيادمع أنجذني على ساكني نجد » وقالوا : الإنجاذ إنما يكون على المحارب . فأى محاربة أو مجاهدة تكون أعظم من مجاهدة المغرم من يهواه ، ولا سيما إن كان منوعاً ولم يكن مؤاتياً ؟

وقد أفصح البحري بأن المحبوب محارب فقال :
هل كنت لولا بينهم متوهماً أن أمراً يشجيه بين محارب^(٣)
فقول أبي تمام : « أنجذني على ساكني نجد » - من أحسن كلام ، وأحلاه ، وأجوده .

وقال أبو تمام :

وقالوا : أسي عنها ، وقد خصم الأسي جوانح مشتاق إذا خوصمت لد^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٢٧ وشرح التبريزي ٩٢ / ١٠ ويرى : « شهدت لقد »

(٢) راجع ص ١٨٣

(٣) ديوان البحري ٦٩٦ ، ١ / ١٥٩ دار المعارف

(٤) ديوان أبي تمام ١٢٠ وشرح التبريزي ٢ / ٨١

وَعَيْنٌ إِذَا نَهْنَهَتْهَا عَادَتِ الْكَرَى وَدَمْعٌ إِذَا اسْتَنْجَدَتْ أَسْرَابَهُ نَجْدٌ^(١)
 وما خلفَ أَجْفَانِي شُؤْنٌ بِخَيْلَةٍ وَلَا بَيْنَ أَضْلَاعِي لَهَا حَجَرٌ صَلْدٌ^(٢)
 وَكَمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ مِنْ فَتَى مِنْ الْقَوْمِ حُرٌّ دَمْعُهُ لِلْهَوَى عَبْدٌ
 قوله : أَسَى عنها ، أَى تَأْسَى عنها . وقد خصم الأسى جوانح مشتاق :
 أَى غلبت التأسى وأبَت عليه .

وعين إذا نهنتها ، أَى كفتها عن النوم .

وقوله : « تحت أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ » فأرواق إنما هو : جمع رَوْق [وروق] كل شيء : أوله ؛ ولذلك قيل للقرن : رَوْق . يقال : ألقى عليه أَرْوَاقَهُ : أَى ثقله . وواحدتها رَوْق ، ويقال : أَلقت السحابة أَرْوَاقَهَا : إذا دأمت ولم تُقْلِع .

وقال أبو تمام أيضاً :

دَعَا شَوْقُهُ يَا نَاصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِي وَوَابِلُهُ^(٣)
 بِيَوْمِ تُرِيكَ الْمَوْتَ فِي صُورَةِ النَّوَى أَوَاخِرُهُ مِنْ حَسْرَةٍ وَأَوَائِلُهُ
 أراد أن الشوق دعا ناصراً ينصره فلبّاه الدمع . بمعنى أنه يُخَفِّفُ لَأَعِجَ الشوق ، ويطغى حرارته^(٤) . وهذا إنما هو نُصْرَةٌ للمشتاق على الشوق ، والدمع إنما هو حرب للشوق ؛ لأنه يثلمه وَيَتَخَوَّنُهُ ، وَيَكْسِرُ حَدَّهُ . ولو كان ناصراً

(١) في الديوان وشرحه «إذا هيجتها» وعادت : من المعادة . ونجد : قوى يجيب إذا استنجد

(٢) الشئون : مخارج الدموع . والصلد : الصلب . يقول : شئوني ليست ببخيلة على عيني بالدموع ، ولا بين أضلاعي حجر يصبر ، إنما هو قلب يألم ويحز

(٣) ديوان أبي تمام ٢٣٠ وشرح التبريزي ٢٢ / ٣ . وسبق في الجزء الأول ص ٢١٠ ، ٢٢٤ ،

له لكان يقويه ، ويزيد فيه . ألا ترى أنك تقول : قد ذبحني الشوق إليك .
فالشوق عدو المشتاق وحربه ، والدَّمْعُ سِلْمُهُ ؛ لتخفيفه عنه ، وهو حرب
للشوق . وليس بهذا الخطأ خفاءً على أحد . وقد ذكرته في أغاليظه^(١) .

وأحسن منه قول البحتري :

إِنَّ الدَّمُوعَ هِيَ الصَّبَابَةُ فَأَطْرَحَ بَعْضَ الصَّبَابَةِ تَسْتَرِخُ بِهِمُولِهَا^(٢)

لأن الصبابة - وهي رقة الشوق - تَنَحَلُ مع الدمع ، وتمضي بِمُضِيِّهِ ،
فلذلك جعل الدموع هي الصبابة على السعة . وإنما هي عدو الصبابة
كالنار التي هي عَدُوٌّ لما تحرقه ، وهي مع ذلك تنفذ بنفاده ، وتمضي بِمُضِيِّهِ ،
وكالريح إذا بددت الغيمَ وَمَحَقَّتْهُ ، فإنها تذهب بذهابه . وقد قال الشاعر :
أَشْجَاكَ مِنْ لَيْلَتِكَ الطُّولُ فالدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْكَ مَهْمُولٌ ؟
وهو إذا أَنْتَ تَأَمَّلْتَهُ حُزْنٌ عَلَى الْخَدَّيْنِ مَحْلُولٌ^(٣)

لما كان الحزن يَنَحَلُ ويسيل بسيلان الدمع ، جعله حُزْنًا . ولو جعله
ناصرًا للحزن ، أو جعل البحتريُّ الدموعَ ناصرةً للصبابة - لكانا جميعاً
مُخْطِئَيْنِ ؛ لأنَّ النَّاصِرَ لِلشَّيْءِ لَا يَمَحُقُ الشَّيْءَ ، ولا يفنيه ويذهب به .

ولكن البحتري اتبع أبا تمام في خطئه بقوله :

نَصَرْتُ لَهَا الشُّوقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمَعٍ تَلَاخَقْنَ فِي أَعْقَابِ وَضَلِ تَصَرُّمًا^(٤)

(١) راجع ص ٢١٠ ، ٢٢٤ من الجزء الأول

(٢) ديوان البحتري ٣٤٥ ، ١٧٧١/٣ . وقد سبق في الجزء الأول ص ٥٢٩

(٣) للحسن بن وهب ، كما في ديوانه المعاني ١ / ٢٥٨

(٤) ديوان البحتري ٣٥٥ ، ٢ / ٢٠٤٢ وقد سبق في ص ٢١١ ، ٣٢٤ من الجزء الأول

وقال أبو تمام :

تَوَلَّوْا فَوَلَّتْ لَوَعَتِي تَحْشُدُ الْأَسَى عَلَيَّ ، وَجَاءَتْ مَقْلَى وَهَى تَهْمِلُ^(١)
بَذَلْتُ لَهُمْ مَكْنُونٌ دَمْعِي فَإِنْ وَنَى فَشَوْقِي عَلَى أَنْ لَا يَجِفُّ مُوَكَّلُ
وهذا جيد بالغ .

وأجود منه وأحسن قوله :

فَكَادَ شَوْقِي يَتَلَوُّ الدَّمْعَ مُنْسَجِمًا إِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ شَوْقٌ فَانْسَجَمًا^(٢)
ولم يذهب ههنا إلى نحو ما ذهب إليه البحترى في قوله :
إِنَّ الدَّمْعَ هِيَ الصَّبَابَةُ فَاطَّرِحَ بَعْضَ الصَّبَابَةِ تَشْرِخُ بِهِمُولِهَا^(٣)
وإنما ذهب إلى أنه بكى لشدة شوقه وغلبته حتى كاد شوقه يفيض
بفيض الدمع .

وقال في علي بن الجهم^(٤) :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مَا جِدَ فَعَدَا إِذَابَةُ كُلِّ دَمْعٍ جَامِدٍ^(٥)
فَافْزَعُ إِلَى ذُخْرِ الشُّؤْنِ وَعَذِيبِهِ فَالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الْجَاهِدِ
وَإِذَا فَقَدْتَ أَخًا فَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا وَلَا صَبْرًا فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

قوله : « يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الْجَاهِدِ » أي بعض جهد الحزن الجاهد ،
أي جهد الحزن الذي قد جهدك . وهو الجَاهِدُ لك .

ولو كان استقام له أن يقول : بعض جهد المجهود - لكان أحسن وأليق .
وهذا أغرب وأطرف . وقد جاء أيضاً فاعِلٌ بمعنى مَفْعُولٌ : قالوا : عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ

(١) ديوان أبي تمام ٢٤٥ وشرح التبريزي ٣ / ٧٢

(٢) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ٣ / ١٦٨

(٣) ديوان البحترى ٣ / ١٧٧١

(٤) ديوان علي بن الجهم ٣٤٥

(٥) ديوان أبي تمام ٨٦ وشرح التبريزي ١ / ٤٠٦

بمعنى مَرْضِيَّة . وَلَمْحُ بِاصِرٌ ، إِنَّمَا هُوَ مُبْصَرٌ فِيهِ . وَأَشْبَاهُ لِهَذَا مَعْرُوفَةٌ . وَلَكِنْ لَيْسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُقَالُ . وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ نَنْتَهِيَ فِي اللُّغَةِ إِلَى حَيْثُ أَنْتَهَوْا ، وَلَا نَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ ؛ فَإِنَّ اللُّغَةَ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا .

وقوله : « قَلَمَ يَفْقِدُ لَهُ دَمْعاً وَلَا صَبِراً » - من أفحش الخطأ ؛ لِأَنَّ الصَّابِرَ لَا يَكُونُ بَاكِئاً ، وَالْبَاكِ لَا يَكُونُ صَابِراً ، فَقَدْ نَسَقَ^(١) لَفْظَةً عَلَى لَفْظَةٍ ، وَهِيَ نَعْتَانِ مُتَضَادَّانِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَا مُجْتَمِعَيْنِ . وَقَدْ ذَكَرْتُ هَذَا مُشْرُوحاً فِي أَغَالِيطِهِ^(٢) .

وقال البحتري :

قَدْ أَرْتَكَ الدُّمُوعَ يَوْمَ تَوَلَّيْتُ طُعْنُ الْحَيِّ مَا وَرَاءَ الدُّمُوعِ^(٣)
عَبْرَاتُ مِلْءِ الْجُفُونِ مَرَّتْهَا حُرْقُ الْفِرَاقِ مِلْءُ الضُّلُوعِ
وهذا غاية في جودته وبراعته .

وقال أيضاً :

أَضْحَكَ الْبَيْنُ يَوْمَ ذَاكَ وَأَبْكَى كُلُّ ذِي صَبَوَةٍ ، وَسَرٌّ ، وَسَاءَ^(٤)
فَجَعَلْنَا الْوَدَاعَ فِيهِ سَلَاماً وَجَعَلْنَا الْفِرَاقَ فِيهِ لِقَاءً
وَوَشَّتْ بِي إِلَى الْوُشَاةِ دُمُوعُ الْ عَيْنِ حَتَّى حَسِبْتُهَا أَعْدَاءَ
وهذا من إحسان أبي عُبَادَةَ المشهور .

(١) م « قد يشق بلفظه »

(٢) راجع ص ١٥

(٣) ديوانه ٤٢١ ، ٢ / ١٢٧٩

(٤) ديوانه ٧١٢ وانظر ص ١٥

وقال أيضاً :

هَيْنُ مَا يَقُولُ فَيْكَ الْلَاحِي بَعْدَ إِطْفَاءِ غُلَّتِي وَالتِّيَاحِي^(١)
كُنْتُ أَشْكُو شَكْوَى الْمُعْرِضِ فَالَا نَ أَلَا فِي النَّوَى يَدْمَعُ صُرَاحِ^(٢)

وهذا أيضاً غايةً في حسنه وجودته .

وقال أبو تمام :

صِيرْتُ لِي مِنْ تَبَارِي عَبْرَتِي سَكْنًا مَذْ صِيرْتُ فَرْدًا بِلَا إِلْفٍ وَلَا سَكْنِ^(٣)
حَلَبْتُ صَرْفَ النَّوَى صَرْفَ الْأَسَى وَحَدًا بِالْبَثِّ فِي دَوْلَةِ الْإِغْرَامِ وَالْدَدَنِ^(٤)
فَدَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَخْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ دَمْعٍ عَلَى وَطَنِ لِي فِي سَوَى وَطَنِي^(٥)
مَنْ ذَا يُعْظَمُ مِقْدَارَ السُّرُورِ بِمَنْ يَهْوَى إِذَا لَمْ يُعْظَمُ مَوْقِعَ الْحَزَنِ^(٦)

قوله : حَدَا بِالْبَثِّ : أى ساقه ، وأظهره ، وأشاعه في دولة الإغرام
والدَدَنِ . والإغرام : جمع غُرْم مثل : بُرْجٌ وَأَبْرَاجٌ ، وَخُرْجٌ وَأَخْرَاجٌ . والغُرْم
والغَرَام بمعنى واحد . والدَدَنِ : اللَّعِبُ .

يقول : ساق صَرْفُ النَّوَى الْبَثُّ - وهو أشد الحزن - وأظهره في دولة
غرامى ولعبى . يقول : إنه قاسى الأسفار والهموم في أيام شبابه ولعبه .
ولله در الذى يقول ، وأنشدناه الأنخفش ، وأنشده إسحق الموصلى أيضاً :

(١) ديوان البحرى ٢٨١ ، ٤٥٧/١ والالتياح : العطش

(٢) م « كيف أشكو » وفي الديوان « شكوى المصرح »

(٣) ديوان أبى تمام ٣٢٣

(٤) في الديوان وشرحه « وحدا » وفي م « رجدا »

(٥) فيهما « أرقد من »

(٦) في الشرح : « موضع الحزن »

ولما أرادَ الحيُّ بيناً ولم يكنْ دَرَى أَحَدٌ مَنْ بَيْنُ ظُمِيَاءِ فَاجِعِ
أَبَى الدَّمْعُ أَعْيَانَ الصُّحَا حَ وَيَّيَّنَتْ مَكَانَ ذَوَى الشُّجُو الْعُيُونُ الدَّوَامِعُ^(١)

وأنشد إسحق أيضاً ، وأنشده الأَخْفَشُ عن المُبَرِّدِ :

ولما رَأَتْ أَنْ لَا سَبِيلَ وَأَنَّه هُوَ الْبَيْنُ مَحْنُوٌّ عَلَيْهِ الْأَضَالِعُ^(٢)
نَهَتْكَ عَنْ أَشْتَارِ قَلْبٍ وَأَسْبَلَتْ مَدَامِعُ عَيْنٍ بَيْنَهَا السُّرُ ضَائِعُ^(٣)

وأنشد أيضاً :

تَكْفَكَ دَمْعُهَا كَفُّ خَضِيبُ لِتُخْفِيَهُ ، وَهَلْ يَخْفَى الْمُرِيبُ ؟
وهذا أيضاً حسن .

(١) في الأصل : « فكان ذوى »

(٢) الزهرة ٣١٩ - « ولما رأى أن لا سبيل » « مقصوداً عليه »

(٣) في الزهره : « عن أسرار قلب » « وأسجعت مدامع »

بكاء النساء المفارقات

قال أبو تمام :

بُدِّلَتْ . عِبْرَةٌ مِنْ الْإِيمَاضِ يَوْمَ شَدُّوا الرُّحَالَ بِالْأَغْرَاضِ^(١)
 أَغْرَضْتُ بُرْهَةً فَلَمَّا أَحَسْتُ بِالنَّوَى أَغْرَضْتُ عَنْ الْإِغْرَاضِ
 غَضَبْتُهَا نَحِييَهَا عَزَمَاتُ غَضَبْتَنِي تَبِيَّتِي وَأَغْتَمَاضِي^(٢)
 نَظَرْتُ فَالْتَفَتُ مِنْهَا إِلَى أَحَدٍ لِي سَوَادٍ رَأَيْتُهُ فِي بَيَاضِ
 يَوْمٍ وَلْتُ مَرِيضَةَ اللَّحْظِ وَالْجَفْدِ نِ وَلَيْسَتْ دُمُوعُهَا بِمِرَاضِ

قوله : « أَغْرَضْتُ عَنْ الْإِغْرَاضِ » - ليس باللفظ الجيد ، وهو من

توليدات المتأخرين . ومثله قولُ البحترى :

شُغِلَ الرَّقِيبُ وَأَسْعَدَتْنَا خَلْوَةٌ فِي هَجَرٍ هَجَرٍ واجْتَنَابٍ تَجَنُّبٍ^(٣)

قوله : « غَضَبْتُهَا نَحِييَهَا » - يريد أن عزماتي استخرجت نحييها وأظهرته ،

وقد كانت تَحْزُنُهُ ، فكأنها اغتصبتها إياه لما أظهرته .

وقوله « غَضَبْتَنِي تَبِيَّتِي » أى تَلَبَّيْتُ ، أى منعني عزماتي من التَّلَوُّمِ
 والتَّلَبُّثِ ، ومن النوم ؛ فكأنها غصبتني ذلك ، أى أخذته مني ، وأزعجتني
 للرحلة .

وقال :

بَسَطْتَ إِلَيْكَ بَنَانَةً أُسْرُوعًا تَصِفُ الْفِرَاقَ ، وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٨٧ وشرح التبريزي ٢ / ٣٠٨

(٢) في الديوان « غصبتني تصبري » وهما روايتان

(٣) ديوان البحترى ٦٠١ ، ١ / ٧٨

(٤) سبق ص ٨

كَادَتْ لِعِرْقَانِ النَّوَى الْفَاطُهَا مِنْ رِقَّةِ الشُّكْوَى تَكُونُ دُمُوعًا

وهذا معنى حسن لطيف حلو .

وَالْأَشْرُوعُ : واحد الأساريع ، وهي دُوبَّةٌ بيضاء تكون في الرَّمْلِ ، تشبّه بها الأصابع ، وذلك قولُ امرئ القيس :
وَتَعَطُّوْا بِرَخِصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ رَمَلٍ ، أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْجَلٍ^(١)

وقال أبو تمام أيضاً :

بَكَتُهُ بِمَا أَبَكَّتُهُ أَيَّامَ صَدْرُهَا خَلِيٌّ ، وَمَا يَخْلُو لَهُ مِنْ جَوَى صَدْرُ^(٢)
وَقَالَتْ : أَتَنْسَى الْبَدْرَ ؟ قُلْتُ تَجَلُّدًا : إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ
فَأَذَرْتُ جُمَانًا مِنْ دُمُوعٍ نِظَامُهَا عَلَى النَّحْرِ إِلَّا أَنَّ صَائِغَهَا السَّفَرُ^(٣)
وَمَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزَمْتَنِي وَلَوْ أَنَّهَا سَقَى خَدَّهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَهَا نَهْرٌ

قوله : « إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ » - لم يرد بذلك امرأة أخرى سواها ، وإنما جعل هذا القول احتجاجاً عليها ، ورداً لكلامها ، وليُريها أن عزمه في السفر صحيح ، وأن بكاءها لا يثنيه عن وجهه الذي يريده .
وقد بين هذا المعنى وأفصح بقوله : « تَجَلُّدًا » .

وهذه الأبيات صالحة ، والمذهب فيها غير مُسْتَحْلٍ ، ولا مُشْتَهَى ، وفيها

(١) ديوان امرئ القيس ١٣١ وشرح القصائد العشر ٣٤ « أساريع ظبي » وتعطو : تناول . برخص : أى بيتان رخص . غير شثن : أى غير كز غليظ . ظبي : اسم كتيب . والإسجل : شجر له أغصان ناعمة . شبه أناملها بأساريع أو مساويك لينها

(٢) ديوان أبي تمام ٤٧٤ في م « بما بكته »

(٣) في الديوان : « قابدت جمانا . . . على النحر . . . صائغها الشعر »

معنى غامض فى الاحتجاج عليها يجوز أن يكون أرادته . وقد ذكرته فى « جزء »
أفردته لِغَامِضٍ معانى أبى تمام .

وقوله : « فَأَذَرْتُ جُماناً » فالجُمانُ هو : اللؤلؤ الصغار .

وقوله : « إِلَّا أَنْ صَائِغَهَا الشُّفْرُ » - فالجمان لا يُصاغ ، ولكن قد
يعمل على هَيْئَتِهِ خرز من فضة . وقد سَمَّاهُ هُدْبَةً بن خَشْرَم جُماناً فقال :
عَلَيْهِنَّ مِنْ صَوْغِ الْمَدِينَةِ حَلِيَّةٌ جُمانٌ كَأَجْوَازِ الدِّبَا وَرَفَارِفُ^(١)

وقال أيضاً :

أَظُنُّ دُمُوعَهَا سَنَنَ الْفَرِيدِ وَهِيَ سِلْكَاهُ مِنْ نَحْرِ وَجِيدِ^(٢)
لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ التَّدَامُ يُعِيدُ بِنَفْسِجاً وَرَدَ الْخُدُودِ

والتدام النساء فى النياحة إنما هو : ضرب الصدور ، واللطم هو : ضرب
الخدود . هذا المستعمل المعروف فى كلامهم . فاللطم هو الذى يعيد بنفسجاً
وَرَدَ الْخُدُودِ لا الالتدام ؛ لأن الالتدام : أَنْ تَأْخُذَ الْمَرْأَةُ جِلْدًا أَوْ نَعْلًا فَتَدُقَّ
بِهِ صَدْرَهَا ، وتأخذ النائحة التى هى المساعدة خِرْقًا^(٣) تشير بها فى النوح
إلى صدرها . ويقال لها : المآلى ، وأحدثها مِثْلًا^(٤) . فجعل أبو تمام لطم
الوجه لَدَمًا . ولعل ذلك يسوغ ؛ فَإِنَّ اللَّذَمَ هو : دَقُّ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ .
قال نعيم بن أبى بن مُقْبِل :

(١) م : « كأوساط الجراد »

(٢) ديوان أبى تمام ١٠٤ وشرح التبريزى ٢٢ / ٣٢ وفى م « فى نحر »

(٣) م « حزنا »

(٤) اللسان ١٨ / ٤٦

وَلِلْفُؤَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَنْهَرِهِ لَدَمَ الْغُلَامِ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ^(١)

وقال أبو تمام :

نَشَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِيعٍ لَمْ تَنْظَمْ وَالْدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثَقْلِ الْمُغْرَمِ^(٢)
وَصَلَتْ دُمُوعًا بِالدَّمَاءِ فَخَلَّهَا فِي مِثْلِ حَاشِيَةِ الرَّدَاءِ الْمُغْلَمِ^(٣)
وَلَيْهَتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءٌ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِمٍ^(٤)
وَكَأَنَّ عَبْرَتَهَا عَشِيَّةٌ وَدَّعَتْ مُهْرَاقَةً مِنْ مَاءٍ وَجْهِي أَوْدَى

وَلَيْهَتْ مِنَ الْوَلَهَةِ ، فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا : أَى أَظْلَمَتِ الْأَشْيَاءُ فِي عَيْنِهَا
مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ وَالْوَلَهَةِ ، وَأَضَاءٌ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِمٍ : لِنُورِ وَجْهِهَا وَبَهْجَتِهَا.

وقال أيضاً :

سَرَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ^(٥)
وَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهُ صُدُودٌ فِرَاقٍ لَا صُدُودٌ تَعَمِدُ^(٦)
فَأَذْرَى لَهَا الْإِشْفَاقُ دَمْعًا مُورَدًا مِنْ الدَّمِ يَجْرِي فَوْقَ خَدِّ مُورِدٍ^(٧)
هِيَ الْبَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدٌ وَجْهَهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدِّ^(٨)

(١) ديوان ابن مقبل ٩٩ واللسان ١٦ / ١٢

(٢) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٢٤٨ / ٣

(٣) في الشرح : « بالنجيج » أى أسرفت في البكاء حتى سال الدم من عيناها موصولا بالدمع ، فكان الدم الأحمر في صحن خدما الأبيض ، علم أحمر في حاشية رداء أبيض

(٤) في الديوان وشرحه « وأثار منها »

(٥) ديوانه ١٠٠ وشرح التبريزي ٢٢ / ٢

(٦) في شرح التبريزي عن الصولي : « خفف عنها أن الصدود ليس بقصد ، وإنما هو فراق يستند

(٧) في الديوان وشرحه « فأجرى لها »

(٨) تودد وجهها : حسنه وأن كل أحد يحبه

وهذا من إحسانه المشهور .

وقوله : « دَمْعًا مُورِدًا مِنْ الدَّمِ » - لفظ حسن ، ومعنى ليست له براعة .

والجيد في مثل هذا قول البحتري :

لو ترانا عند الوداعِ وَقَدْ وَرَدَ سَكْبُ الدَّمْعِ وَرَدَ الخدود^(١)

يريد أن الدموع إذا مرت على الخدود [ورَدَتْها] . وهذا معنى صحيح مشاهد .

وأبو تمام لا يقنع إلا بأن يجعل المرأة باكية عليه دماً على عادته

في الاستقصاء الذي لا حلاوة له . فهلاً اقتصر على مثل قول « علقمة بن

عبدَةَ » - وأنشده إسحاق الموصلي ، وأنشده ثعلب - :

تَرَاءَتْ وَأَسْتَارُ مِنْ الْبَيْتِ دُونَهَا إِلَيْنَا وَحَانَتْ غَفْلَةُ الْمُتَفَقِّدِ^(٢)

بِعَيْنِي مَهَاةٍ يَخْدُرُ الشُّوقُ مِنْهُمَا شَرِيحَيْنِ شَتَّى : مِنْ دُمُوعٍ وَإِثْمِ^(٣)

قال ثعلب : فسرقه «ابن ميادة» فقال :

وَمَا أَنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا وَأَذْمُعُهَا يَخْدُرُنَ حَشْوَ الْمَكَاحِلِ^(٤) :

تَمَتَّعَ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ رَهِينٌ بِأَيَّامِ الشُّهُورِ الْأَطَاوِلِ

قال : فسرقه بعض المحدثين فقال :

خُدِي عُدَّةً لِلْبَيْنِ إِنِّي رَاحِلٌ قَرَى أَمَلٍ يُجَدِّدُكَ وَاللَّهُ صَانِعٌ

فَسَحَّتْ بِسِمَطِي لَوْلَوْ خَلَطَ إِثْمُ عَلَى الْخَدِّ إِلَّا مَا تَكُفُّ الْأَصَابِعُ

وقال أبو تمام :

خُدِي عَبْرَاتِ عَيْنِكَ عَنْ زَمَاعِي وَصُورِي مَا أَزَلَّتِ مِنَ الْقِنَاعِ^(٥)

(١) ديوان البحتري ٢ / ٧٦٨ دار المعارف (٢) ديوان علقمة الفحل ٤١ - ٤٢ .

(٣) في ديوانه : « برمين » والبريم : كل شيء فيه لونان . والشريجان : لونان مختلفان من كل شيء .

كما في لسان العرب ٣ / ١٢٠

(٤) الأغاني ٢ / ١٠ وحاسة أبي تمام بشرح المرزوقي ٣ / ١٣٥٥

(٥) ديوان أبي تمام ١٩٢ وشرح التبريزي ٢ / ٣٣٦

أَقْلَى قَدْ أَضَاقَ بُكَاءُ ذَرْعِي وما ضَاقَتْ بِنَازِلَةٍ ذِرَاعِي^(١)
 أَلِفَةً النَّحِيبِ كَمْ أَفْتِرَاقٍ أَظَلُّ فَكَانَ دَاعِيَةً أَجْتِمَاعِ^(٢)
 وَلَيْسَتْ فَرَحَةٌ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِّ الوَدَاعِ^(٣)
 تَعَجَّبُ أَنْ رَأَتْ جِسْمِي نَحِيفًا كَأَنَّ الْمَجْدَ يُدْرِكُ بِالصُّرَاعِ^(٤)

وهذه كلها أبيات جيّادٌ صحيحة الألفاظ والمعاني . وقد عابه ابن «عمار»
 وغيره بهذا البيت الأخير .

وحدثني أبو علي محمد بن العلاء السُّجِسْتَانِي قال : حدثني أبو [محمد]
 عبد الله بن قُتَيْبَةَ المؤلّف ، قال : سمعت علي بن هارون الكاتب النصراني
 يقول : قلت لأبي تمام :

أَنشَدَنِي أَجُودَ شَعْرَ قَلْتِهِ . فَأَنشَدَنِي قَصِيدَتَهُ : «خُذِي عِبْرَاتٍ عَيْنِكَ»
 فلما بلغ إلى قوله : «تَوَجَّعُ أَنْ رَأَتْ» قلت : يخيل إلي أن هذا غلط منك ؛
 لأن الصُّرَاعَ ليس من النُّحَافَةِ والجَسَامَةِ في شيء . ولو قلت : كَأَنَّ المجد
 يدرك بحرف في معنى الجسامة - كنت قد أصبت .

و «علي بن هارون» هذا ، وكل من عاب هذا البيت - عندي غَالِطٌ .
 ولم كان الصُّرَاعُ عنده ليس من النُّحَافَةِ والجَسَامَةِ في شيء ؟ وهل تجد القوة
 أبداً إلا في العَبَالَةِ وَغِلَظِ الْأَلْوَاحِ ؟ وهل الضَّعْفُ أبداً إلا في الدَّقَّةِ والنُّحَافَةِ ؟
 وهذا هو الأعم الأكثر ، وإلا لَمْ صَارَ الْفِيلُ يَحْمِلُ مَا لَا يَحْمِلُ الْجَمَلُ ،
 وَالْجَمَلُ يَحْمِلُ مَا لَا يَحْمِلُ الْبُغْلُ ، وَالْبُغْلُ يَحْمِلُ مَا لَا يَحْمِلُ الْحِمَارُ .

(١) م «بنازك»

(٢) م «فرقة الأوباد» !

(٣) في الديوان وشرحه «توجع أن» وفي م «بالصواع» والبيت في الصناعتين ٣١٢

(٤) م «كان الصواع» من النحافة

فأراد أبو تمام أن المجد لا يدرك بالصراع الذى من كان فيه أغلظ.
وَأَعْبَلْ ، كان أولى بالغبلة . فهذا هو الأعم الأكثر فى هذا الباب .
ولست أنكر أن تكون القوة قد توجد مع الدقة والنحافة كما قال بعضهم :
* إنا على دِقَّتِنَا صِلَابٌ *

وَأَنْ يَكُونَ الْخَوْرُ وَالرَّخَاوَةُ قد يوجدان مع الغِلْظِ والعَبَالَةِ فى بعض
الأشياء . فأمَّا الشَّجَاعَةُ والجُرْأَةُ فقد توجدان فى النحيفِ الجسمِ الضعيفِ ،
وفى العَبِلِ الغليظِ .

وهذا إنما يرجع إلى القلب لا إلى الجسم ؛ ولعل عَامِرَ بنَ الطُّفَيْلِ ،
وعُتَيْبَةَ بنَ الحَارِثِ بنِ شِهَابٍ ، وبِسْطَامَ بنَ قَيْسٍ - ما كان يقدر كل
واحد منهم أن يحمل على كتفه مائة رجل .
فجعل أبو تمام معناه على الوجه الأعم الأكثر . وقد أحسن عندى فيه ،
ولم يُسِئْ .

* * *

وقال البحتري :

رَحَلُوا فَأَيَّةُ عِبْرَةٍ لَمْ تُسْكَبِ	أَسْفَا ، وَأَيُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ ^(١)
قَدْ بَيَّنَّ الْبَيِّنُ الْمَفْرُقُ بَيْنَنَا	عِشْقَ النَّوَى لِرَبِيبِ ذَاكَ الرَّثِيبِ
صَدَقَ الْغُرَابُ لَقَدْ رَأَيْتُ شُمُوسَهُمْ	بِالْأَمْسِ تَغْرُبُ عَنْ جَوَانِبِ غُرْبِ
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا وَمَا صَنَعَ النَّوَى	بِقُلُوبِنَا لَحَسَدَتْ مَنْ لَمْ يُحْبِبِ ^(٢)
شُغْلَ الرَّقِيبِ ، وَأَمْعَلَتْنَا خَلْوَةً	فِي هَجْرِهِ جُرْ ، وَاجْتِنَابِ تَجَنُّبِ

(١) ديوان البحتري ٦٠٠ / ١ ، ٧٨ دار المعارف

(٢) فى الديوان « وما صنع النوى »

فَتَلَجَلَجَتْ عِبْرَاتُهَا ، ثُمَّ أَنْبَرَتْ تَصِفُ النُّوَى بِلِسَانِ دَمْعٍ مُغْرِبٍ^(١)
تَشْكُو الْفِرَاقَ إِلَى قَتِيلٍ صَبَابَةٍ شَرِقِ الْمَدَامِيعِ بِالْفِرَاقِ مُعَذِّبٍ^(٢)

قوله : « قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنَ الْمُفَرَّقُ بَيْنَنَا » . فالبين : الفراق . يريد
قَدْ بَيَّنَّ الْفِرَاقُ الْمَفَرَّقُ بَيْنَنَا .

وبعض أهل اللغة يقول : « الْبَيْنُ » من الأضداد^(٣) يكون الاتصال ، ويكون
الافتراق . وليس الأمر كذلك . بل البين : الحدُّ والقطعُ بين الشيئين ، والذي
يتميز به^(٤) الحِيزَانِ أحدهما عن الآخر . يقال : وصلت بينهما ، وفرقت
بينهما ، وبعدت^(٥) بينهما . فيصلح ذلك كله فيه ؛ لأنه الحدُّ ، والبرزخُ ،
لا أنه الاتصال ، ولا الافتراق . إلا أن الشعراء جعلوه في استعمالهم : الفراق .
فقوله : « قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنُ » - يريد قَدْ بَيَّنَّ الْفِرَاقُ الْمَفَرَّقُ بَيْنَنَا .

والنوى : هي النية في انتقال القوم من موضع إلى آخر . فعشق النية
ليريب الرُّبْرَبَ - استعارة ليست بحسنة . غير أن الشعراء المتأخرين قد
اصطلحوا على أن جعلوا البين ، والفراق ، والنوى كالأشخاص ، وجعلوها
الحائلة بينهم وبين من يهْوُونَهُ ، فهم يستعيدون الأفعال لها . وربما حسنت
الاستعارة لها ، وربما قبحت ، على حسب مواضعها في الإغراق والاقتصاد .

وقوله : « لو كنت شاهدا » من أبياته المشهورة في الحسن والحلاوة .

وقوله : « فِي هَجْرٍ هَجْرٍ ، وَاجْتِنَابٍ تَجَنُّبٍ » - مذهب من مذاهب

(١) وفيه : « تصف النوى »

(٢) م « تشكو الفراق »

(٣) راجع الأضداد لابن الأنباري ٦٢

(٤) م « بها »

(٥) م « ويبذب »

المولدين . وقد قدمت القول في أنه غير حسن ولا جميل .

ولم يعتمد البحري في هذا الباب ذكر بكاء النساء إلا قوله :
« وَقَدْ وَرَدَ سَكَبُ الدَّمُوعِ وَرَدَ الْخُدُودِ » وقوله : « فَتَلَجَلَجَتْ عَبْرَاتُهَا »

ولكنه وصفهن عند التوديع أحسن وصف وأحلاه فقال :

عَجِلْتُ إِلَى فَضْلِ الْخِمَارِ فَأَثَرْتُ عَذَابَاتَهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْبِيلِ^(١)
وَتَبَسَّمتُ عِنْدَ الْوَدَاعِ فَأَشْرَقْتُ إِشْرَاقَةً عَنْ عَارِضٍ مَضْمُولِ
أَخِيْبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَا لِي شَافِعُ وَأَرَدْتُ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رُسُولِي؟

وقال أيضاً :

أَكُنْتُ مُعْتَفِي يَوْمَ الرَّجِيلِ وَقَدْ لَجْتُ دُمُوعِي فِي الْهُمُولِ؟^(٢)
عَشِيَّةَ لَا الْفِرَاقُ أَفَاءَ عَزْمِي إِلَى ، وَلَا الْلِقَاءُ شَفَى غَلِيلِي
كَنْتُ عِنْدَ الْوَدَاعِ لَوْشِكِ بَيْنِ دُنُوِّ الشَّمْسِ تَجَنُّحُ لِلْأَصِيلِ^(٣)

وقال أيضاً :

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى أَصَاحَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ^(٤)
وَيَوْمَ تَثَنَّتْ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمْتُ بَعَيْنَيْنِ مَوْضُولِ بِلَخْظِهِمَا السُّخْرُ
تَوَهَّمْتُهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى كَرَى النَّوْمِ ، أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الْخَمْرُ

(١) ديوان البحري ٦١٠ ، ١٦٦٢ وفي م « إلى أفضل »

(٢) ديوانه ٤٨ ، ١٧٣٦ .

(٣) م « حنت عند » وفي الديوان « لو شك بعد »

(٤) ديوان البحري ٨٦ ، ٢ / ٨٤٤ دار المعارف .

وقال أيضاً .

وَأَنَا الْفِدَاءُ لِمُرْهَفٍ غَضَّ الصَّبَا يُؤْهِيه حَمَلٌ وَشَاحِيهِ وَعُقُودِهِ^(١)
 قَصُرْتُ تَحِيَّتَهُ فَجَادَ بِخَدِّهِ يَوْمَ الْوَدَاعِ لَنَا ، وَضَنُّ بَجِيدِهِ
 وَلَوْ اسْتَطَاعَ لَكَانَ يَوْمَ وَصَالِهِ لِلْمُسْتَهَامِ مَكَانَ يَوْمِ صُدُودِهِ
 أراد أنها لما قصرت تحيتها فلم تقدر^(٢) على السلام - أَعْرَضْتُ فَرَأَى
 خَدَّهَا ، فَكَانَهَا جَادَتْ لِمَا رَأَتْهُ ، وَقَدْ ضُنْتُ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِجِيدِهَا . وهو موضع
 العِناق^(٣) .

وقال أيضاً :

مَا أَرَى الْبَيْنَ مُخْلِيًا مِنْ وَدَاعٍ أَنْفُسَ الْعَاشِقِينَ حَتَّى تَبِينَا^(٤)
 مِنْ وَرَاءِ الْعُيُونِ كُتُبَانُ رَمَلٍ تَتَنَنَّى أَفْسَانُهُنَّ فُنُونًا^(٥)
 وَبُودُ الْقُلُوبِ يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ ظُعْنُ الْحَيِّ لَوْ تَكُونُ عُيُونًا
 فهذا المذهب الذى سلكه البحترى - أوَّلَى بالصواب فى وصف النساء
 الْمُفَارِقَاتِ ، وَأَشْبَهَ بِأَحْوَالِهِنَّ مِنْ مَذْهَبِ «أَبِي تَمَامٍ» فى وصفه إِيَاهُنَّ بِشِدَّةِ
 الْجَزَعِ ، وَالْوَلَهِ ، وَبِكَاءِ الدَّمِ ، وَلَطَمِ الْوَجْهِ ، وَالْإِشْفَاءِ عَلَى الْهَلَكَةِ ،
 وَإِظْهَارِهِ التَّجَلُّدَ ، وَقِلَّةَ الْإِحْتِفَالِ بِهِنَّ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ :
 وَقَالَتْ : أَتَنْسَى الْبَدْرَ؟ قُلْتُ تَجَلَّدًا : إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ^(٦)

(١) ديوان البحترى ٦٥٨ ، ٢ / ٦٩٤ دار المعارف

(٢) م «يقدر»

(٣) م «العنان» !

(٤) ديوان البحترى ٢٤٥ ، ٤ / ٢١٦١

(٥) م «وراء النور» وفى الديوان «من وراء السجوف» وانظر ص ١٥

(٦) ديوان أبي تمام ٤٧٤

وقال أيضاً :

وَمَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزَمْتِي وَلَوْ أَنَّهُ سَقَمَ خَدَّهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَهَا نَهْرٌ^(١)

وقوله :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ التِّدَامُ يُعِيدُ بِنَفْسَجَا وَرَدَ الْخُدُودِ^(٢)

وقوله :

وَصَلَتْ دُمُوعاً بِاللِّدْمَاءِ فَخَدَّهَا فِي مِثْلِ حَاشِيَةِ الرُّدَاءِ الْمُعْلَمِ^(٣)
وَلِهَتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلَمٍ

ولو كان وصف بهذا زوجته . أو ابنته ، لكان معذوراً ، ولكنه إنما وصف حبايبه ؛ لأنه ذكرهن بالجمال والحسن ، والزوجات لا يوصفن بذلك . وما انتهى عمر بن أبي ربيعة - الذي كان مُعَشَّقاً يَنْذِرُ أَشْرَافَ النِّسَاءِ التُّنُورَ فِي رَوْيْتِهِ وَمَجَالِسَتِهِ - مِنْ ذِكْرِ صِبَوَتِهِنَّ بِهِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ ، وَلَا قَرِيبٍ مِنْهَا . وقد عيب عمر بذلك ، واستقبح منه . على أنه قد صدق في أكثر ما قال ، ولم يكذب ، وأتى بالأخبار على وجوها . فلم يقنع أبو تمام إلا بالزيادة عليه ، والتناهي فيما يخرج عن العادة .

وقال أبو تمام :

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَأَنْصَرَمَتْ أَوَاخِرُ الصَّبْرِ إِلَّا كَاطِئاً وَجِئاً^(٤)
رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَرْتِيٍّ . وَأَقْبَحَهُ مُسْتَجْمِعِينَ لِي التَّوْدِيْعِ وَالْعَنَمَا

(١) ديوان أبي تمام ٤٧٤ وشرح التبريزي ٤ / ٥٦٨ « ولو أنها »

(٢) ديوانه ١٠٤ وشرح التبريزي ٢ / ٣٢

(٣) ديوانه ٣١٢ وشرح التبريزي ٣ / ٢٤٨

(٤) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ٣ / ١٦٧

استحسن إصبعها^(١) ، واستقبح إشارتها مُودعة . والغنم : شجر^(٢) له
أغصان لطيفة غضة كأنها بنان جارية . الواحدة عَنَمَة .

وهذا خطأ منه أن يستقبح إشارتها بالوداع إليه . أتراه ما سمع قول جرير :
أَتَنَسَى إِذْ تُودَّعُنَا سُلَيْمَى بِفَرْعٍ بِشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامُ^(٣)

فدعا للبشام بالسقياء ؛ لأنها ودَّعته به فسر بتوديعها .

وأبو تمام إنما استحسن إصبعها ، واستقبح إشارتها . فما ظنك بمن استقبح
إشارة معشوقة إليه عند توديعه . وهذا يدل على أنه ما عرف شيئاً من هذا ،
ولا شاهده ، ولا بُلي به .

وقال في وصف النساء المفارقات أيضاً :

خَفَّتْ دُمُوعُكَ فِي إِثْرِ الْخَلِيطِ لَدُنَّ خَفَّتْ مِنَ الْكُثْبِ الْقُضْبَانُ وَالْكُثْبُ^(٤)
مِنْ كُلِّ مَمْكُورَةٍ ذَابَ النِّعِيمُ لَهَا ذَوْبَ الْغَمَامِ فَمُنْهَلٌ وَمُنْسَكِبٌ
أَطَاعَهَا الْحُسْنُ ، وَأَنْحَطَّ الشَّبَابُ عَلَى فَوَادِهَا ، وَجَرَتْ فِي رُوحِهَا النَّسَبُ^(٥)
لَمْ أَنْسَهَا وَضُرُوفُ الْبَيْنِ تَخْلِجُهَا وَلَا مُعُولٌ إِلَّا الْوَائِكُ السَّرِبُ^(٦)

(١) م « إصبعها » !

(٢) م « أشجار »

(٣) ديوان جرير ٥١٢ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤١ ، ٢٠٦ / ٢

(٤) ديوان أبي تمام ٤٧ وشرح التبريزي ١ / ٢٤٥ ويروى : « فِي إِثْرِ الْحَيْبِ » والكُثْبُ الأول :

جمع كُثْبٍ مِنَ الرَّمْلِ ، والكُثْبُ الثانية : مراد بها أرواق النساء ؛ لأنها تشبه بالكُثْبِ ، فحذف التشبيه.

والقُضْبَانُ : أراد بها القنود ، على ترك آله التشبيه أيضاً

(٥) يروى : « عَلَى قَوَامِهَا » و « فِي وَصْفِهَا »

(٦) فِي الدِّوَانِ وَشَرَحَهُ : « الْبَيْنُ تَقْلَمُهَا »

أَذْنَتْ نِقَاباً عَلَى الْخَدَّيْنِ وَأَنْتَمَسَبَتْ
لِلنَّاظِرِينَ بِقَدِّ لَيْسَ يَنْتَقِبُ^(١)
كَانَتْ لَنَا لَعِباً نَذْهَوُ بِزُخْرَفِهِ
وَقَدْ يَنْفُسُ عَنْ جِدِّ الْفَتَى اللَّعِبُ^(٢)

وهذه أبيات حسان ، جيدة المعاني .

وقوله : « أطاعها الحسن » من أبياته التي يسأل الناس عنها . فقوله : « أطاعها الحسن » من قول^(٣) بشار بن برد :

كَمَا أَشْتَهَتْ خُلِقْتُ حَتَّى إِذَا أَعْتَدَلْتُ
تَمَّتْ تَمَاماً فَلَا طُولُ وَلَا قِصْرُ

وفي نحوه قول أبي نواس :

تَرَكْتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ^(٤)
فَأَنْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَأَسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ^(٥)

قوله : « وانحط الشباب على فؤادها » يريد الذكاء واليقظ .

وقوله : « وجرّت في روحها النسب » ، هو أن يقال : خفيفة الروح ،
وعذبة الروح ؛ ونحو هذا . كذا فسر الشيوخ بعد أن جرى في البيت
خوض طویل .

(١) ويرى « وانتصبت للنّاظرين » يقول : استترت بالنقاب لئلا تعرف فعرفت بقدها ، أي
لما رأوا قدها قيل : هذه فلانة ؛ لأنها معروفة بحسن القوام والجمال .

(٢) م « وأنت لنا » وفي الديوان وشرحه « لنا ملعباً » وكل شيء حسن يسمى زخرفاً

(٣) م « الحسن ونحوه القول »

(٤) ديوان أبي نواس ص ٣٦١ « خلقت »

(٥) في الديوان « فاكست »

ما ذكره من استيلاء النوى على الأحباب المفاقرين

قال أبو تمام :

وفى الكِلَّةِ الصَّفراءِ جُوذُرُ رَمْلَةٍ غَدًا مُسْتَقِيلًا ، والفِرَاقُ مُعَادِلُهُ^(١)
تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْبَيْنَ أَوَّلُ فَاتِكَ به مُذْ رَأَيْتَ الْهَجَرَ وَهُوَ يُغَازِلُهُ

قوله : « الفراق معادله » معنى غير جيد ولا صحيح ؛ لأن الفراق هو مُفَارَقَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْاِثْنَيْنِ صَاحِبِهِ . فإذا جعل الفراق ماضياً مع أحدهما ، وأخلى الآخر منه كان الآخر غير مفارق . وهذا محال . وإنما أوقع أبا تمام فيه أنه جعل الفراق كأنه شخص مُسَلِّطٌ على المحبوب ، استولى عليه فذهب به . وقد يستعمل مثل هذا ولكن ليس على هذا الوجه .

والاستعارة التى هى أقرب إلى الجواز قوله :

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادٍ فمى طَوْعُ الْإِثْهَامِ وَالْإِنْجَادِ^(٢)

وذلك أن النوى إنما هى : نِيَّةُ الْقَوْمِ الْمَفَارِقِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمَقِيمِينَ .

* * *

وقال البحتري :

قَدْ بَيْنَ الْبَيْنِ الْمُفَرَّقُ بَيْنَنَا عِشْقُ النَّوَى لِرَبِيبِ ذَاكَ الرَّبِّ^(٣)

فنسب العشق إلى النوى على سبيل الاستعارة .

وقال البحتري وهو حسن :

نَوَيْنَ النَّوَى ، ثُمَّ اسْتَجَبْنَ لِهَاتِفٍ مِنَ الْبَيْنِ نَادَى بِالْفِرَاقِ فَأَسْمَعَا^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ٢٣٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٣

(٢) ديوانه ٧٥ وشرح التبريزي ١ / ٣٥٨

(٣) سبق ص ٣٤

(٤) ديوان البحتري ٧٠٢ ، ٢ / ١٢٦٢

وَحَاوَلْنَ كَيْمَانَ التَّرْحُلِ بِاللُّجَى فَبَاحَ بِهِنَّ الْمِسْكُ لَمَّا تَضَوَّعَا^(١)
 وأردأ من قول أبي تمام : « والفراق معادله » ، وأقبح وأسخف - قول
 أبي تمام :

أَتَرَى الْفِرَاقَ يَظُنُّ أَنِّي غَافِلٌ عَنْهُ وَقَدْ لَمَسْتُ يَدَاهُ لَمِيسًا^(٢)
 ما زلت أسمع الشيوخ من أصحاب أبي تمام المتعصبين^(٣) له دون من سواهم
 يقولون : أترأه أى شئ أراد أن يصنع بالفراق : يقطع يديه أو رجله ،
 أو يصلبه على جذع ؟

وقال أبو تمام :
 لَا أَظْلِمُ النَّأْيَ قَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهَا مِنْ قَبْلِ وَشِكِّ النَّوَى عِنْدِي نَوَى قُدْفَا^(٤)
 وهذا معنى جيد حسن .
 والقُدْفُ : البعيدة .

وقال أيضاً :
 دَعِ الْفِرَاقَ فَإِنَّ الدَّهْرَ سَاعِدُهُ فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُثْمَانِي^(٥)

وهذا فى جملة أبياته المشهورة التى لهج الناس بها وهى :
 مَا الْيَوْمُ أَوَّلَ تَوْدِيعِي وَلَا الثَّانِي الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي [^(٦)

(١) فى الديوان : « حين تضوعا »

(٢) ديوان أبي تمام ١٥٧ وفى شرح التبريزى ٢ / ٢٦٣ « أى تناولتها يد الفراق . يقول : لا أزال
 أطلب ثأرى عنده حتى أدركه »

(٣) م « المعمين » والتصويب من ق

(٤) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٦١

(٥) ديوانه ٣٢٣ وشرح التبريزى ٣ / ٣٠٨

(٦) الزيادة من ق

خليفة الخضر من يربع على وطني في بلدة فظهور العيسر أوطاني^(١)
 بالشام قومي ، وبغداد الهوى ، وأنا بالرقتين ، وبالفسطاط إخواني^(٢)
 وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تبلغ بي أقصى خراسان^(٣)

قوله : « البين أكثر من شوقي وأحزاني » أي زاد عليها ، وغلبها حتى
 صرت لا أشتاق ، ولا أحزن ؛ لكثرة ما أفارق .

(١) في شرح التبريزي « الوجه أن ترفع خليفة على تقدير : أنا خليفة الخضر ؛ لأن طائفة من المسلمين يزعمون أن الخضر حي لم يموت ، وأنه يطوف البلاد . والمعنى أني أسير في البلاد على ظهور العيسر ، وكأن خليفة الخضر ، أي على سفر طول الدهر »

(٢) يروي : « بالشام أهل »

(٣) يروي : « حتى تلوح بي » و « تسافر بي » و « تشافه بي »

ذكر الأنفاس والحرق والزفرات عند الفراق

قال أبو تمام :

فَلَوْ تَرَانَا وَإِيَّاهُمْ وَمَوْقِفَنَا فِي مَائِمِ الْبَيْنِ لِاسْتِهْلَالِنَا زَجَلُ^(١)
مِنْ حُرْقَةٍ أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ أَسْرَتْ قَلْبًا ، وَمِنْ عَذَلٍ فِي نَحْرِهِ غَزَلُ^(٢)
قوله : « أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ » يعنى أبرزتها وأظهرتها . وإنما قال : « أَطْلَقَتْهَا »
من أجل قوله : « أَسْرَتْ قَلْبًا » ؛ ليطابق بين الإطلاق والإسار .

وقوله : « أَسْرَتْ قَلْبًا » يعنى الفرقة - معنى ردىء ؛ لأن القلب إنما يأسره
ويعملكه شدة الحب لا الفراق . فإن لم يك مأسوراً قبل الفراق فما كان
هناك حباً . فلم يخص التوديع^(٣) ؟ وما كان وجه هذا البكاء والاستهلال
والزجل ، وهذه القصة الفظيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم ؟

وقد ذكرت هذا مشروحاً فى باب أغاليطه^(٤)

وقال أبو تمام :

أَمَرَ التَّجَلَّدَ بِالتَّلْدِ حُرْقَةً أَمَرَتْ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُومِ^(٥)

(١) ديوان أبى تمام ٢٢٧ وشرح التبريزى ٢ / ٦

(٢) ويروى « ومن غزل فى نحره عذل » أى لو رأيتنا ونحن نيكى لاستهلالنا زجل من حرقة أطلقها
فرقة ذهبت بقلبي ، ومن عشق فى نحره لوم يقاتله ويحاربه . ويقال : إنه أراد بنحره : بإزائه .

(٣) م « للتوديع »

(٤) راجع ص ٢١٢ من الجزء الأول

(٥) ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزى ٢ / ١٦١

قوله : « أمر التجلد بالتلد حرقه » . جعل الحرقه آمرة للتجلد بالتلد .
والحرقه التي يكون معها التلد تسقط التجلد ألبته ، وتذهب به . وأما
أن تجعله متلداً فإن هذا من أحق المعاني ، وأولاها بالاستحالة . بلى لو
قال : إن الفرقه أحوالت التجلد إلى التلد ، أو أبدلت من التجلد التلد
لكان ذلك هو الساتع الحسن .

وأى لفظ أسخف أيضاً من أن جعل الحرقه آمرة . وإنما العادة في مثل
هذا أن تكون باعثة ، أو جالبة ، أو نحو هذا . فأما الأمر فليس هذا
موضعه .

وقال أيضاً :

ومن زفرة تُعطى الصبابة حقها وتورى زناد الشوق تحت الحشا الصلداً^(١)

قوله : « من زفرة تُعطى الصبابة حقها » معنى جيد حسن .

ولله در البحتري إذ يقول :

باتوا جميعاً ، ثم فرق شملهم بين كتقويض الجهم المقلع^(٢)
وراءهم صعداء أنفاس إذا ذكر الفراق أقمن عوج الأضلع^(٣)

وقال أيضاً :

عبرات ملء الجفون مرثها حرق للفراق ملء الضلوع^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٢٧ وشرح التبريزي ١١١ / ٢

(٢) ديوان البحتري ٧٢٧ ، ١٢٨٦ / ٢ « كانوا جميعاً » .

(٣) م « إصعاد »

(٤) ديوان البحتري ٤٢١ ، ١٢٧٩ / ٢

ومثل قوله : « كَتَقَوِيضِ الْجَهَامِ الْمُقْلِعِ » - قولُ أبي تمام :
 نَوَى كَانَقِضَاضِ النَّجْمِ كَانَتْ نَتِيجَةُ مِنْ الْهَزْلِ يَوْمًا إِنَّ هَزَلَ الْهَوَى جِدًّا^(١)
 فقولهما : كَتَقَوِيضِ الْجَهَامِ ، وكانقضاضِ النجم - يُريدان السَّرعَةَ .
 والجَهَامُ : السحاب الذى قد أراق ماءه فهو سريع الذهاب .
 فى بيت أبي تمام : لا يليق أوله بآخره ؛ لأنه قال : « كانت نتيجة
 من الهزل » يعنى النوى . أى كان ذكرهم للرحيل قولاً عبثاً فنتج ذلك أن
 حَقَّقُوا الرحيل ، وجدُّوا فيه . وهذا معنى جيد بالغ ؛ ولفظ مستقيم . ولكن
 أفسده بقوله : « إن هزل الهوى جد » ؛ وليس هزل الهوى وجدّه من هذا
 المعنى فى شيء . وإنما كان وجه الكلام أن يقول : ورب جد نتجه الهزل ،
 أو ورب كبير هاجه صغير .

ولولا أَنَّ فى سائر النُّسخ « إن هزل الهوى » لظننته ما قال إلا « هزل النوى »
 لأنهم أبداً ينغمون بالرحيل ولا يعزّمون . فيكون ذلك كالهزل ، ثم يجد
 الجد فيحققون ، ويرتحلون . وقد عرفنا مثل هذا مشاهدةً فى غير شيء .

وقال البحتري :
 وَكَمْ نَافَسُوا مِنْ حُرْقَةٍ إِثْرَ فُرْقَةٍ تعجّب من أنفاسنا وامتدادها^(٢)
 فهذا موضع الحرقه والفرقة .

وأجود من هذا كله ما أنشدناه^(٣) أبو الحسن : موسى بن سليمان الهمداني

(١) ديوان أبي تمام وشرح التبريزي ٢ / ٨١

(٢) ديوان البحتري ١٠٩ ، ٢ / ٢٥٧ دار المعارف

(٣) م « موسى أبو الحسن موسى » وهو خطأ .

عن أبي دُلف : هاشم بن محمد الخُزاعي ، عن ابن الأعرابي ، وحكى عن أبي دُلف قال :

دخلت على ابن الأعرابي ، وعنده البحتري . قال : فتذاكرنا شعر الرجل . فقال ابن الأعرابي : ما استحسنت له شيئاً إلا قوله :

فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ الْمَنَازِلَ بِالْحِمَى وَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَةَ الْمُتَزَوِّدِ
زَقَرْتُ إِلَيْهَا زَفْرَةً لَوْ حَشَوْتُهَا سَرَابِيلَ أَبْدَانِ الْحَدِيدِ الْمُسَرَّدِ
لَذَابَتْ حَوَاشِيهَا وَظَلَّتْ بِحَرِّهَا تَلِينُ كَمَا لَأَنْتَ لِدَاوُدَ بِالْيَدِ

والرجل - العلوي البصري - أشعر من أبي تمام والبحتري في هذا الباب .

زوال الصبر وقلة التجلد

قال أبو تمام :

أَتَظُنُّنِي أَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى الْعِزِّ وَجَدَ الْحِمَامُ إِذَا إِلَى سَبِيلًا^(١)
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلَدُّدًا فِي الْحُبِّ أُخْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا

وهذا معنى حسن .

وقد قال نحوه في مرثية إدريس بن بدر السامى^(٢) .

وقد كَانَ يُدْعَى لِأَبْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ^(٣)

أَخَذَ الْجَمِيعَ مِنْ قَوْلِ الْعُتْبِيِّ :

أَضَحَّتْ بِخَدِّي لِلدُّمُوعِ رُسُومُ أَسْفًا عَلَيْكَ ، وَفِي الْفَوَادِ كُؤُومُ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ^(٤)

وقال أبو تمام :

وَمَا أَحَدٌ طَارَ الْفِرَاقُ بِقَلْبِهِ بِجَلْدٍ وَلَكِنَّ الْفِرَاقَ هُوَ الْجَلْدُ^(٥)

وهذا معنى سخيف جداً .

ولكن قد أحسن ، وألطف ، وأجاد في قوله حين قال :

يُصَبِّرُنِي أَنْ ضِيقْتُ ذُرْعًا بِحُبِّهِ وَيَجْزَعُ أَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ خَلَائِلُهُ^(٦)

(١) ديوان أبي تمام ٢٤٢ وشرح التبريزي ٣ / ٦٦

(٢) م « البيهقي » !

(٣) ديوانه ٣٧٣ وشرح التبريزي ٢ / ٩٤

(٤) الوساطة ٢٩٠

(٥) ديوان أبي تمام ١٢٠ ، وانظر شرح التبريزي ٢ / ٨٢ وهامشه

(٦) ديوانه ٢٣٠ وشرح التبريزي ٣ / ٢٤ « ذرعا بنائه » وروى : « يعنفني أن »

وقال أيضاً :

رَحَلَ الْعَزَاءُ مَعَ الرَّحِيلِ كَأَنَّمَا أَخَذَتْ عُهُودُهُمَا عَلَى مِيعَادٍ^(١)
وَكَاَنَّ أَفْتِدَةَ النَّوَى مَصْدُوعَةً حَتَّى تَصْدَعَ بِالْفِرَاقِ قُوَادِي

و « أفئدة النوى مصدوعة » يشبه قوله :

وَكَمْ أَبْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبْحِ خَلِّهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنٍ الْقَدِّ^(٢)

وما أظن أحداً انتهى في الجهل ، والعي ، واللكنة ، وضيق الحيلة في
الاستعارة إلى أن جعل لـصُرُوفِ النوى قدماً ، وأفئدة مصدوعة - غير أبي تمام .

وقال البحتري :

وَيَأْمُرُنِي بِالصَّبْرِ مَنْ لَيْسَ وَجْدُهُ كَوَجْدِي ، وَلَا إِعْلَانُ حَالِي كَحَالِهِ^(٣)
فَإِنْ أَفْقِدَ الْعَيْشَ الَّذِي فَاتَ بِاللَّوَى فَقَدْماً فَقَدْتُ الظِّلَّ عِنْدَ انْتِقَالِهِ

وهذا ، لعدم الله ، لفظ ومعنى في غاية الحسن والبراعة .

ومثله قول أبي الشَّيْص :

يُعَصِّبُنِي قَوْمٌ بَرَاءٌ مِنَ الْهَوَى وَلِلصَّبْرِ تَارَاتٍ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ

وقال أبو تمام :

تَحْمَلُ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحْمَلُوا وَعَادَتْ صَبَاهُ فِي الصَّبَا وَهِيَ شِمَالُ^(٤)
بِیَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرْضِهِ مِثْلِهِ وَوَجْدِي مِنْ هَذَا وَهَذَا أَطُولُ

(١) ديوان أبي تمام ١٢٢ وشرح التبريزي ١٢٧ / ٢

(٢) ديوانه ١٢٧ وشرح التبريزي ١١٠ / ٢

(٣) ديوان البحتري ١٦٢٣ / ٣

(٤) ديوان أبي تمام ٢٤٤ وشرح التبريزي ٧٢ / ٣

جعل الصَّبَا شَمَالاً ؛ لِأَنَّ الشَّمَالَ تُفَرِّقُ . وقد تقدم ذكر هذا في
الابتدآت^(١) .

ثم انظر إلى هذا السخف : كيف جعل للدهر عرضاً على هذا اللفظ
الذي كأنه به يمسح أرضاً ، أَوْ يَنْزَعُ ثوباً .

وقال أبو تمام أيضاً :

لَمْ يُعْطِ نَازِلَةَ الْهَوَى حَقَّ الْهَوَى دَنِفُ أَطَافَ بِهِ الْهَوَى فَتَجَلَّدَا^(٢)
صَبُّ تَوَاعَدَتِ الْهُمُومُ فُؤَادَهُ إِنَّ أَنْتُمْ أَخْلَفْتُمُوهُ مَوْعِدَا
لِمَ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِرَاقِ تَلْدِي وَبِرَاعَةِ الْمُشْتَاكِ أَنْ يَتَبَلَّدَا^(٣)
وهذا المعنى مأخوذ من قول قيس بن ذريح :

بَلِيغٌ إِذَا يَشْكُو إِلَى غَيْرِهَا الْهَوَى فَإِنَّ هُوَ لَأَقَاهَا فَغَيْرُ بَلِيغٍ

وقال البحتري :

هَلْ أَنْتَ مُضْطَرٌّ عَلَى مَضَضِ الْأَسَى إِذْ كَانَ بَيْنَهُمْ وَرِخْلَتُهُمْ غَدَا^(٤)
لَا تَكْذِبِينَ ، فَمَا أَمَارَاتُ النَّوَى لِلصَّبِّ إِلَّا مِنْ أَمَارَاتِ الرَّدَى
لَوْمْ بَعْنِي أَنْ يُلَايِمَهَا الْكَرَى عَنْ سَلْوَةٍ ، وَبِمَائِهَا أَنْ يَجْمَدَا
قد أتى هذا البيت الأخير على غرض أبي تمام في بيته الأول .

وأبو تمام في أبياته - مع مافيه من السُّرْق^(٥) - أشعر من البحتري في أبياته .

(١) راجع ص ١٨٧ من الجزء الأول

(٢) ديوان أبي تمام ١٢٥ وشرح التبريزي ٢ / ١٠٢

(٣) ق ٢ م وفي الديوان وشرحه « تبلدى »

(٤) هذه الأبيات لا توجد في جميع طبعات ديوان البحتري

(٥) م « الشرق » !

ما قالوا في قتل الفراق للمفارق وسفك دمه

قال أبو تمام :

قَالُوا : الرَّحِيلُ غَدًا لَأَشْكُ قُلْتُ لَهُمْ الْآنَ أَبَيَّنْتُ أَنَّ [أَسْمَ] الْحِمَامِ غَدُ^(١)
كَمْ مِنْ دَمٍ يُعْجِزُ الْجَيْشَ اللَّهُامَ إِذَا بَانُوا سَتَحْكُمُ فِيهِ الْعِرْمُسُ الْأَجْدُ^(٢)
مَا لِأَمْرِي خَاضَ فِي بَحْرِ الْهَوَى عُمُرُ إِلَّا وَلِلْبَيْنِ مِنْهُ السَّهْلُ وَالْجَلْدُ
كَأَنَّمَا الْبَيْنُ فِي إِلْحَاحِهِ أَبَدًا عَلَى النُّفُوسِ أَخٌ لِلْمَوْتِ أَوْ وَلَدُ

اللَّهُامُ : الذي يلتهم كل شيء لكثرتِه . والعِرْمُسُ : الناقة الشديدة . وكذلك
الأجدُ : هي المؤنقة^(٣) الخلق .

ولم يك هذا عندي وجه الكلام ، بل كان وجهه لما قال : الجيش
اللَّهُامُ أن يقول : النَّابُ الضَّعِيفَةُ ، فيهون أمرها ، لا النَّاقَةُ الْأَجْدُ ؛ لِأَنَّ
النَّابَ قَدْ يَقْطَعُ بِهَا الْمَفْرُ الْبَعِيدَ كَمَا قَالَ^(٤) :
* وَقَدْ تَقْطَعُ الدُّوْيَةُ النَّابُ *

وقوله : « مالا مري خاض في بحر الهوى عُمُرُ » قد أساء فيه إساعة ذكرتها
فيما ذكرت من أغاليطه^(٥) .

(١) ديوان أبي تمام ٩٧ وشرح التبريزي ٢ / ١٠

(٢) قال التبريزي : « والمعنى أن الجيش كان يعجز عن قتل هذا المحب ، فقتلته العرمس ، لأنها

حملت محبوبه .

(٣) م « هي الموقفة » وهو تحريف

(٤) م « كما قال : بيت شعر ناب وقد » .

(٥) راجع ص ٢١٤ من الجزء الأول

وقال أبو تمام :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفْسِ سَبِيلًا^(١)
قَالُوا : الرَّحِيلُ فَمَا شَكَّتُ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلًا
إِنِّي تَأَمَّلْتُ التَّوَى فَوَجَدْتُهَا سَيْفًا عَلَى مَعَ الْعِدَا مَسْلُولا

قد عابه ابن عمار وغيره في قوله : « إِنِّي تَأَمَّلْتُ التَّوَى » . وقالوا : مثل هذا الأمر الفظيع الذي مكروهه أبداً مَصْبُوبٌ عَلَى الْخَلْقِ لَا تَعْلَمُ الْبَلِيَّةُ فِيهِ إِلَّا بَعْدَ التَّأَمُّلِ . وهذا إنكار صحيح . وليس هذا كقول البحتري :

وَلَقَدْ تَأَمَّلْتُ الْفِرَاقَ فَلَمْ أَجِدْ يَوْمَ الْفِرَاقِ عَلَى أَمْرٍ بِطَوِيلٍ^(٢)

لأن مثل هذا يوجب التأمل . وقد فسر البحتري ، وذكر علته ، وكأنه رد لقول أبي تمام : « يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خَلَقْتَ طَوِيلًا » .

وقد ذكرت ذلك مشروحاً في باب الابتدآت من هذا الباب^(٣) .

وقال أبو تمام :

أَظَلُّهُ الْبَيْنُ حَتَّى إِنَّهُ رَجُلٌ لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عَلِمَا^(٤)

أخذ المعنى من قول أبي الشَّيْبِ :

فَكَمْ مِنْ مَيَّةٍ قَدِمَتْ فِيهَا وَلَكِنْ كَانَ ذَاكَ وَمَا شَعَرْتُ

(١) ق « لو جاز » وفي الديوان ٢٤٢ وشرح التبريزي ٢ / ٦٦ « النفس دليلاً »

(٢) ديوانه ٦١٠

(٣) راجع ص ١٤

(٤) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ٢ / ١٦٦ « أي حتى لو تزعت روحه من جسده لم يعلم به ،

شغلا منه بأمر البين »

وبيت أبي تمام أجود . وقوله : « وما شعرت » لفظ . سخي .

وقال أبو تمام أيضاً :

طَلَّتْ دِمَاءٌ هُرِيْقَتْ عِنْدَهُنَّ كَمَا طَلَّتْ دِمَاءٌ هَدَايَا مَكَّةَ الْهَمَلُ^(١)
هَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ يَسْفِكُهَا حَتَّى الْمَنَازِلُ ، وَالْأَحْدَاجُ ، وَالْإِبِلُ

الْهَمَلُ : وصف لقوله : « دماء هدايا مكة » من هَمَلَ يَهْمَلُ ، والمصدر هو الْهَمُولُ . والهمل - ساكنة الميم - فحرَّكها .

وقوله :

هَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ يَسْفِكُهَا حَتَّى الْمَنَازِلُ ، وَالْأَحْدَاجُ وَالْإِبِلُ^(٢)
- ردىء جداً ؛ لأنه إذا لم يسفك دماء العاشقين - المنازل إذا خلت من أهلها ، والإبل إذا سارت بهم^(٣) ؛ فأى شيء يسفكها ؟ وهل شيء عند المحبين أعظم من فراق الأحباب حتى يجعل أسباب فراقهم من أهون الأشياء وأقلها فى سفك دماهم ؟

وقد قال البحتري :

وَقَتْلُ الْمُحِبِّينَ الْعَيُونُ وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ الرُّسُومَ الدَّارِسَاتِ قَوَاتِلًا^(٤)
فأحسن ، وأجاد وملح ، ولم يُفصِّح بتخسيس أمر الرسوم .

(١) ديوان أبي تمام ٢٢٧ وشرح التبريزي ٣ / ٨

(٢) ق ، م « والهمل » !

(٣) م « لم »

(٤) ديوان البحتري ٧٠٩ ، ٣ / ١٦٠٣ وسبق فى الجزء الأول ص ٤٨٩ .

وقال أبو تمام :

ضَعُفْتُ جَوَانِحُ مَنْ أَذَاقَتْهُ النَّوَى طَعَمَ الْفِرَاقِ فَذَمُّ طَعَمِ الْعَلَقَمِ^(١)
هِيَ مَيِّتَةٌ إِلَّا سَلَامَةً أَهْلِهَا مِنْ خَلَّتَيْنِ : مِنْ الثَّرَى وَالْمَأْتَمِ^(٢)

قوله : « ضعفت » دعاء عليها ، أى أضعف الله جوانح من أذاقته النوى
طعم الفراق فذم طعم العلقم .

والجَوَانِحُ : هى الأضلاع الصَّغار فى الصدر ، التى تلى الفؤاد . الواحدة
جانحة . فكأنه يدعو عليها بأن تَضَعُفَ عن حمل حرارة التَشْوِيقِ ، وحرق
الفراق^(٣) إن كان صاحبها قد ذاق طعم الفراق ، وعلم مرارته فذم طعم العلقم .
و « ضَعُفْتُ » كلام ضعيف فى هذا الغرض جداً ، « وأضعف الله » لو كان
استوى له أن يقولها - أحسن - ، وأبلغ من ضَعُفْتُ .

وعلى أنه كلام لا يشبه بعضه بعضاً ، و « حواس » ههنا أحسن وأليق ،
وأشبه من « جوانح » ؛ لأنه ذكر الطعم فكانت الحواس مع الطعم لفظاً يُشَبِّهُ
لفظاً ، ومعنى يُشَبِّهُ معنى . أو كان يقول لو استوى نظمه : « ضعفت
جوانح من أحرقت نار الهوى جوانحه فذم حرارة النار ، أو فوجد للنار
حرارة » .

ومنهم من يجعل « ضعفت » خبراً . أى لقد ضعفت جوانح من ذاق

(١) ديوان أبى تمام ٣١٢ وشرح التبريزى ٣ / ٢٤٩ « والمعنى أن الذى يذوق طعم الفراق ثم يذم
طعم العلقم فقد ضعفت جوارحه ؛ لأنه لا يفرق بين الأشياء ، أى أن الفراق أشد مرارة من العلقم . ويقع
فى بعض النسخ " ضعفت جوانح " والصواب " جوارح " والتفسير يدل عليه !
(٢) فى شرح التبريزى « هى ميتة ، يعنى مرارة الفراق ، إلا أن أهلها يسلمون من الدفن الذى
يباشرون فيه الثرى ، ولا يقام عليهم المأتم ، أى على الأموات » .

(٣) م « الفراق » !

طعم الفراق فذم طعم العلقم . وليس بشيء . وأظنه لو استوى له ذكر
« الحواس » في البيت لما عدل عنه .

وليس هذا البيت من الباب الذي نحن فيه ، وإنما أوردته لأصل به
البيت الذي بعده . وكلاهما ردىء .

وقال أبو تمام :

الموتُ عِنْدِي وَالْفِرَا قُ كِلَاهُمَا مَا لَا يُطَاقُ^(١)
يَتَعَاوَنَانِ عَلَى النُّفُوسِ قَدَا الْجِمَامُ ، وَذَا السِّيَاقُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا كَذًا مَا قِيلَ : مَوْتُ أَوْ فِرَاقُ

وهذه أبياته المشهورة المتدالة في الفراق .

ذكر أبو الحسن : علي بن يحيى المنجم « أنه أخذ هذا المعنى من قول
النمرى^(٢) . :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْفِرَاقَ لَوَاحِدٌ أَوْ تَوَآمَانِ تَرَاضَعَا بِلَبَانٍ
وليس هو عندي من دقيق المعاني التي يُتَّهمُ آخرُ أنه أخذها من أول .

ومما غرئ الناس به من شعر أبي تمام في هذا المعنى قوله :

الْبَيْنُ جَرَّعَنِي نَقِيعَ الْحَنْظَلِ الْبَيْنُ أَتَكَلَّنِي وَإِنْ لَمْ أَتَكَلَّ^(٣)
مَا حَسَرَتْنِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي إِنَّمَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ

(١) ديوان أبي تمام ٤٥٣ وشرح التبريزي ٢٤٠/٤

(٢) ق « قول البحري » !!

(٣) ديوان أبي تمام ٤٥٧ « حشرات قلبي » وفي شرح التبريزي ٢٥٣/٤ كما هنا

قوله : « أَثْكَلْنِي » أى أَثْكَلَنِي مِنْ هَوِيَّتْ ، بِمَفَارِقَتِهِ إِتْيَايَ ، وَإِنْ لَمْ أَثْكَلْ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِمَوْتِهِ . وَيَكُونُ أَثْكَلْنِي أَيْ أَثْكَلَنِي أَهْلِي ، أَيْ جَعَلَنِي قَدْ ثَكَلُونِي وَإِنْ لَمْ أَثْكَلْ عَلَى الْحَقِيقَةِ [وَهَذَا سَائِغٌ] ^(١) ، لِأَنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ الْحُبِّ الَّذِي لَيْسَ بِإِتْيَانٍ عَلَى النَّفْسِ .

وقوله : « مَا حَسَرَتْنِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي » . أَيْ أَهْلَكَ ، وَأَتْلَفَ ، « وَإِنَّمَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ » ، أَيْ لَمْ أَقْضِ وَأَتْلَفَ . وَهَذَا لَفْظٌ وَمَعْنَى فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالِاخْتِلَالِ وَالرَّدَاءَةِ ^(٢) .

ثم وصل هذا القول بالمعنى الذى كان يَفْتَحِرُ بِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :
نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ ^(٣)
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

وكان أبو تمام يقول : أنا ابن قولى : نقل . . . ويذكر البيت ^(٤) ،
كما كان أبو نواس يقول : أنا ابن ^(٥) قولى :
إِذَا أَمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ ^(٦)

وكما كان مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ يقول : أنا ابن قولى :
تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ ^(٧)

(١) الزيادة من ق

(٢) كذلك في ق وفي م « والرذالة »

(٣) ديوان أبي تمام ٤٥٧ وشرح التبريزي ٢٥٣/٤

(٤) راجع الخبر في أخبار أبي تمام ٢٦٣ والأغاني ١٧ / ١٤٦ .

(٥) م « أنا ان » ا

(٦) ديوان أبي نواس ١٩٢

(٧) ديوان مسلم بن الوليد ١٣٢

وكما كان دِعْبِل يقول : أنا ابن قولي :

لا تَعْجِبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى^(١)

وقال البحتري :

أَمَا وَفُتُورٍ لَحْظِكَ يَوْمَ أَبْقَى تَقَلُّبُهُ فُتُورًا فِي عِظَامِي^(٢)
لَقَدْ كَلَّفَتْنِي كَلْفًا أَعْنَى بِهِ وَشَغَلَتْنِي عَمَّا أَمَامِي
سَيَقْتُلُ فِي الْمَسِيرِ إِذَا رَحَلْنَا عَلِيلٌ كَانَ يَمْرُضُ فِي الْمَقَامِ
وحسبك بهذا حلاوة وحسناً .

ومما أبر^(٣) فيه على إحسان كلِّ مُحْسِنٍ قَوْلُهُ :

أَيَا سَكَنًا فَاتَ الْفِرَاقُ بِأَنْسِهِ وَحَالَ التَّعَادِي دُونَهُ وَالتَّزِيلُ^(٤)
بِكُرْهِ رِضَا الْعُدَالِ عَنِّي وَإِنَّهُ مَضَى زَمَنٌ كُنْتُ فِيهِ أَعْدَلُ^(٥)
فَلَا تَعْجَبَا إِنْ لَمْ يَغْلُ جِسْمِي الضَّنَى وَلَمْ يَخْتَرِمِ نَفْسِي الْجِمَامُ الْمُعْجَلُ
فَمِنْ قَبْلُ بَانَ الْفَتْحُ عَنِّي مُودَعًا وَفَارَقَنِي شَفَعًا لَهُ الْمُتَوَكِّلُ^(٦)

(١) أمال المرتضى ٤٣٧ / ١ وفي الأغاني ١٧ / ١٤٦ أن شمد بن وهيب لما سمع أقوال هؤلاء الشعراء قال : وأنا ابن قولي :

مَا لِمَنْ تَمَتَّ عَاشَهُ أَنْ يَمَادِي طَرَفٍ مِنْ رِمَا
لَكَ أَنْ تَبْدَى لَنَا حَنَا وَلَنَا أَنْ نَعْمَلَ الْحَقَا

(٢) ديوان البحتري ٣٤٩ ، ٢ / ٢٠٣٠ « أبق تصرفه »

(٣) م « آيث » والتصويب من ق

(٤) ديوان البحتري ٥٢٩ ، ٣ / ١٨٩٢ وفي ق « أيا ساكتاً »

(٥) في الديوان « فكرهى » !

(٦) في الديوان « فقبلك بان »

فَمَا بَلَغَ الدَّمْعُ الَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي وَلَا فَعَلَ الْوَجْدُ الَّذِي خِلْتُ يَفْعَلُ
وَمَا كُلُّ نِيرَانِ الْجَوَى تَحْرِقُ الْحَشَا وَلَا كُلُّ أَدْوَاءِ الصَّبَابَةِ تَقْتُلُ

وقد كان قوم من الرواة يقولون : أجود الشعر أكذبه . ولا والله ،
ما أجودُهُ إلا أضدقُهُ ، إذا كان له من يُلَخِّصُهُ هذا التَّلْخِيصُ ، ويُورِدُهُ هذا
الإِيرَادَ على حقيقة الباب^(١).

(١) م « حقيقة لكن ما قاله » ! والتصويب من ق

ما قالاه في الغزل من أوصاف النساء

ونعوتهن ، وشدة الشوق ، والتذكر ، والوجد ، والغرام

* * *

وأفتح هذا الباب بما جاء عنهما من الابتدآت في هذه المعاني ، وأبوها أبواباً ؛ لتصح الموازنة بينهما .

ذكر ابتدآتهما بتشبيه النساء بالظباء والبقر

قال أبو تمام :

نَوَّارٌ فِي صَوَاحِبِهَا نَوَّارٌ كَمَا فَاجَاكَ سِرْبٌ أَوْ صَوَّارٌ^(١)

«نوار» اسم امرأة . «في صواحبها نوار» أي نفور ، أي هي نفور في صواحبها ، أي مع صواحبها ، فجعلهن جميعاً نوافر .

«كما فاجاك سرب أو صوار» . فالسرب : الجماعة من الظباء ههنا ، والصَّوَّارُ : الجماعة من بقر الوحش . أي فيها وفي صواحبها نِفَارٌ كما تفاجئك الظباء والبقر فتراهن نوافر عينك .

وإنما ذكر للظباء والبقر جميعاً لأن النساء يُشَبَّهْنَ بهن في حسن عيونهن

و [في] قد تكون بمعنى مع . قال الجعدي :

وَلَوْحٌ ذِرَاعَيْنِ فِي بَرَكَةٍ إِلَى جُوجُوجٍ رَهْلٍ الْمُنْكَبِ^(٢)

أي مع بركة .

(١) ديوان أبي تمام ١٤٠ وشرح التبريزي ٢ / ١٥٢

(٢) اللوح : العظم العريض . والبركة : البروك . والجُوجُوجُ : الصدر . والرهل : المترخي . وإنما أراد أن جلد صدره واسع غير ضيق ، فنكبه يمحج ويتقلب ، وذلك مستحب في الفرس . راجع أبيات المعاني ١ / ١٣٧ والانتصاب ٤٥٣ ، وديوان الحملي ١٨

وصدر هذا البيت ليس بجيد .

وقال :

مَهَاءُ النَّقَا لَوْلَا الشَّوَى وَالْمَائِضُ وَإِنْ مَحَضَ الْإِعْرَاضُ لِي مِنْكَ مَا حِضُّ^(١)

الشَّوَى : يريد القوائم ، والمَائِضُ : الْأَرْقَاعُ^(٢) ، والمَهَاءُ : البقر .

يقول : أنت مهاة النقا لولا قوائمها فإنها ليست كقوائمك ، وكذلك

المَائِضُ .

وفي البقر أشياء أخر ليست في الناس منها القرون ، والأذنان وسائر

خلقها ، وما هناك من الشبه غير العيون [و] إذا مشى النساءُ شُبُهْنَ بالبقر .

فلم يمكنه أن يقول : مهاة النقا لولا الشَّوَى ، والمَائِضُ ، والأظلاف ،

والقُرُونُ ، والشعر ، والجلد ، وغير ذلك مما ليس في الإنسان .

وإذا اقتصر الإنسان على بعض هذه الأشياء أجزأته ، وإنما أخطَرَ

أبو تمام بِبَالِهِ قولَ الشاعر :

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا ، وَجِيدُكِ جِيدُهَا سِوَى أَنْ عَظَمَ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيقُ^(٣)

فلذلك قال : الشَّوَى .

وقوله : « والمَائِضُ » عِىُّ منه وَلُكْنَةُ ، وأراد القافية .

وقوله : « وَإِنْ مَحَضَ الْإِعْرَاضُ لِي مِنْكَ مَا حِضُّ » . أى أنا أجعلك

كمهاة النقا ، وأشبهك بها وإن أعرضت عني . وهو معنى ضعيف جدًا .

(١) ديوان أبي تمام ١٨٣ وشرح التبريزي ٢ / ٢٩٤

(٢) اللسان ١٠ / ٣١١ وفي م ، ق « الأرقاع »

(٣) اللسان ٧ / ٢٢٣

وقد يجوز أن يكون أراد : لولا^(١) الشوى والمآبض وأن محض الإعراض
لى منك محض - بفتح أن - أى لولا أن محض الإعراض لى منك ما محض ،
يريد أن مهارة النقا لا تقصده بإعراض ، ولا غير إعراض . وهذا أيضاً معنى
ضعيف .

وقال البحترى :

دَنَا السَّرْبُ إِلَّا أَنَّ هَجْرًا يُبَاعِدُهُ وَلَا حَتَّ لَنَا أَفْرَادُهُ وَفَرَائِدُهُ^(٢)

والسرب : القطيع من الظباء ، والنساء ، والقطا . وهو ههنا : النساء .

وقوله : « لَا حَتَّ لَنَا أَفْرَادُهُ » أى أفراده فى الحسن ، جمع فرْد .

وفَرَائِدُهُ : درره ، جمع فريدة ، وهى الدرة . يريد نساء مفردات فى الحسن
ونساء كفرائد الدرر .

وبعضهم جعل الفرائد ههنا : الثغور .

وقال أيضاً :

عَارَضْنَنَا أَصْلًا ، فَقُلْنَا : الرَّبْرَبُ حَتَّى أَضَاءَ الْأَقْحُوَانُ الْأَشْنَبُ^(٣)

الرَّبْرَبُ : القطيع من بقر الوحش . أى فَحَسَبْنَا هُنَّ من البقر ؛ لشبههن
هن من جهة عيونهن .

« حَتَّى أَضَاءَ الْأَقْحُوَانُ الْأَشْنَبُ » يريد تُغَوِّرُهُنَّ ، أى لَمَّا ابْتَسَمْنَ عَلِمْنَا
أَنْ لَسْنَ بِالْبَقَرِ ؛ لِأَنَّ الْبَقَرَ لَا يَبْسُمُ ، وَلَا يَبْدُو لَهُنَّ مِنْ إِلَّا عِنْدَ التَّثَاوُبِ ،
أَوْ الرَّغَى .

(١) م « أراد أولاً بالشوى ! »

(٢) ديوان البحترى ٤٣٣ ، ١ / ٨٢ دار المعارف وفى م « وما السرب »

(٣) ديوان البحترى ٦٨١ ، ١ / ٧١ وفى م « عارضتنا »

وَنَوَّرَ الْأَقْحُوَانَ مِنْ أَشْبَه شَيْءٍ بِالثَّغْرِ . وَالْأَشْنَبُ : الْبَارِد .

وهذا الابتداء أجود من جميع ما مضى .

* * *

وقد تصرف « البحتري » في الابتداءات بهذا المعنى تصرفاً حسناً فقال^(١) :
إِنَّ الطَّبَّاءَ غَدَاةَ سَفْحٍ مُحَجَّرٍ هَيْجَنَ حَرٍّ جَوِّيٍّ ، وَفَرَطَ تَذَكُّرٍ^(٢)

وقال :

هَلْ فِيكُمْ مِنْ وَاقِفٍ مُتَفَرِّسٍ يُعْلِي عَلَى نَظَرِ الطَّبَّاءِ الْأَنْسِ^(٣)

وقال :

يَشُوقُكَ تَخْوِيدُ الْجِمَالِ الْقَنَاعِيسِ بِأَمْثَالِ غِزْلَانِ الصَّرِيمِ الْكَوَانِيسِ^(٤)

وقال :

مَا لَذَا الرِّيمِ لَا يُرَامُ اقْتِنَاصُهُ وَهُوَ لِلْقُرْبِ بَيْنُ إِفْرَاصِهِ^(٥)

وقال :

تَسُوهُمْ لَيْلَى وَأُظْعَانَهَا طِبَّاءُ الصَّرِيمِ وَغِزْلَا نَهَا^(٦)

وقال :

عِنْدَ طِبَّاءِ الرَّمْلِ أَوْعِينِهِ قَلْبُ مَشُوقِ الْقَلْبِ مَحْزُونِهِ^(٧)

(١) م « فقال البحتري » !

(٢) ديوان البحتري ٣١ ، ٢ / ١٠٣٩

(٣) ديوانه ١٥٧ ، ٢ / ١٢٥٠

(٤) ديوانه ١٥ ، ٢ / ١١٢٢ وفيه « توخيد » والتخويد : الإسراع . والقناعس : جمع قنعاس ،

وهو الجمل الضخم العظيم .

(٥) ديوانه ٥١٢ ، ٢ / ١١٨٧ « ما لذا الظبي »

(٦) ديوانه ٣٩٤ ، ٤ / ٢١٧٤

(٧) ديوانه ٢٣٤٠ / ٤

وقال :

رُنُوْ ذَاكَ الْغَزَالِ أَوْ غَيْدُهُ مُوَلِّعُ ذِي الْوَجْدِ بِالنَّدَى يَجِدُهُ^(١)

وهذا كله ، من ذكر الطباء ، غاية في حسنه ، وصحته ، وحلاوته ،
على اختلاف فنونه ومعانيه .

ولست أعرف لأبي تمام غير البيتين الأولين في ذكر البقر .

(١) ديوان البحري ٧٣٥ / ٢ دار المعارف ، م ، ق «دنو ذاك»

ابتدا آتھما بذكر الثغور

قال أبو تمام :

وثنائاك إنها إغريض ولآل ثوم ، وبرق وميض^(١)

وهذا وصف حسن ، وزاد في حسنه وبهجته أنه جعله يمينا حلف بها .

والإغريض : ما تنشق عنه الطلعة ، وهو الضحك أيضاً .

والثوم : حب يعمل من الفضة يشبه باللؤلؤ .

وقد كان يكفيه أن يقول : [ولآل] ^(٢) ولكنه احتاج إلى ثوم .

وقال البحتري :

يضحك عن برد ونور أقاح ويشبن ظلم رضايهم براح^(٣)

وقال أيضاً :

أضوء برق بدا ، أم ضوء مضباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي^(٤)

وقال أيضاً :

بعينيك ضوء الأقحوان المفلج وتفتير عيني فاتر اللحظ أدعج^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٨١ وشرح التبريزي ٢٨٧/٢

(٢) الزيادة من ق

(٣) ديوان البحتري طبع بيروت ١ / ١٢٤ ، ١ / ٤٧٦ دار المعارف وفي م « وعن نور »

(٤) ديوانه ٥٨ ، المع برق سري ، ١ / ٤٤٢

(٥) ديوانه ٦٤٤ ، ١ / ٤١٥ ، والحافظ عيني »

وقال أيضاً :

تَبَسَّمُ عَنْ وَاضِحٍ ذِي أَشْرٍ وَتَنْظُرُ مِنْ فَاتِرٍ ذِي حَوَرٍ^(١)
شبه أبو تمام في بيته الشَّعْرَ بثلاثة أشياء : بالإغريض ، ولؤلؤ التُّوم ،
والبرق .

وشبَّهه البحتري بالبرد ، والأقاحي في صدر البيت . وكلا الصَّنَدَرَيْنِ جَيِّدًا .
ولو كان أبو تمام قال : « وجنى لؤلؤ وبرق وميض » - لفضَّلتُ بيته .
وجنى لؤلؤ : هو^(٢) اللؤلؤ الرُّطْب . ولكن قوله : « وَلَاكِ تُوْم » ليس بالجيد .

فاجعلهما في البيتين متكافئين ، وسائر أبيات البحتري فَضْل .

(١) ديوان البحتري ٩٩ ، ٢ / ٨٤٨ دار المعارف .

(٢) « وجنى هذا اللؤلؤ الرطب » والتصويب من ق .

ابتدآتهما بذكر البكاء والدموع

قال أبو تمام :

لَوْصَحَّ الدَّمْعُ لِي ، أَوْ نَاصَحَ الْكَمَدُ لَقَلَّمَا صَحْبَاكَ الْخَدَّ وَالْكَبِدُ^(١)

وهذا بيت صالح ، وليس بالجيد ، ولم يستو له أن يقول : العين والكبد ؛ لأنهما مؤنثتان فكان يقول : صحبتاك ، فجعل مكان العين الخد ؛ لأنه مذكر ، ولأن كثرة البكاء تؤثر فيه ، وتذهب بلحمه ، وذهب العين بالبكاء أخص من ذهب الخد .

ولو قال : « صحبتاك العين والكبد » لكان ذلك سائغاً وإن كانتا مؤنثتين ؛ لأن هذا يجوز فيما ليس لتأنيثه حقيقة .

ولأبي تمام في باب الفراق والتوديع من الابتدآت بذكر البكاء والدمع - كل شيء جيد نادر ، وقد مضى في بابه .

وقال البحتري :

شَوْقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَذْمَعُ وَجَوَى عَلَيْكَ تَضِيقٌ عَنْهُ الْأَضْلَعُ^(٢)

وهذا من مشهور أبياته في الحسن والجودة .

(١) ديوان أبي تمام ٣٦٦ وشرح البريزي ٧٤/٤ « ما صحبتك الروح والجسد »

(٢) ديوان البحتري ٣٣ ؛ ٢ / ١٣١٠ دار المعارف

وقال أيضاً :

يَكَادُ يُبْدِي لِسْعَتَي غَيْبَ مَا أَجِدُ تَحَلُّرٌ مِنْ دِرَاكِ الدَّمْعِ مُطَرِّدٌ^(١)

وهذا معنى حلو حسن .

وقال أيضاً :

لَأَخِي الْحُبُّ عِبْرَةٌ مَا تَجِفُّ وَغَرَامُ يُدْوِي الْحَشَا ، وَيَشْفُ^(٢)

وقال أيضاً :

تَعُودُ عَوَائِدُ الدَّمْعِ الْمُرَاقِ عَلَى مَا فِي الصُّدُورِ مِنْ أَخْثِرَاقٍ^(٣)

وقال أيضاً :

دُمُوعٌ عَلَيْهَا السُّكْبُ ضَرْبَةٌ لَازِمٌ تُجَدِّدُ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ^(٤)

وقال أيضاً :

أَذْمَعُ قَدْ غَرِينِ بِالْهَمَلَانِ وَفَوَادُ قَدْ لَجَّ فِي الْخَفَقَانِ^(٥)

وقال أيضاً :

بِعَيْنِكَ لَوْعَةُ الْقَلْبِ الرَّهْسِينِ وَفَرَطُ تَتَابُعِ الدَّمْعِ الْهَتُونِ^(٦)

وقال أيضاً :

تَذَكَّرُ مَحْزُونٌ ، وَأَنْتَى لَهُ الذُّكْرَى وَفَاضَتْ بِغَزْرِ الدَّمْعِ مُقْلَنَةُ الْعَبْرَى^(٧)

(١) ديوان البحري ٧٧٣ ، ٦٤٥/٢ دار المعارف

(٢) ديوانه ٣٢٩ ، ١٣٧٥/٣

(٣) ديوانه ٢٠٩ ، ١٥٢٥/٢ « ما في الضلوع »

(٤) ديوانه ٤٤٨ ، ١٩٦٩ / ٣

(٥) ديوانه ٢٧٥ ، ٢١٩٧ / ٤

(٦) ديوانه ١٣٧ ، ٢٢٦٦ / ٤

(٧) ديوانه ٥٨ / ١ دار المعارف

وقال أيضاً :

بِأَيِّ أَسَى تُشْنِي الدَّمُوعُ الْهَوَامِلُ وَيُرْجِي زِيَالٌ مِنْ جَوَى لَا يُزَايِلُ؟^(١)

وهذه كلها ابتداءات جياذ . وأجود منها ، ومن كل ابتداء في هذا الباب وغيره بذكر البكاء والدمع - قوله :

قَلْبٌ مَشُوقٌ عَنَّا الْبَثُّ وَالْكَمْدُ وَمَقْلَةٌ تَبْدُلُ الدَّمْعَ الَّذِي تَجِدُ^(٢)

وقد ذكرته في باب الفراق^(٣) ، وهذا موضعه .

(١) ديوان البحري ٤٩٠ ، ١٧٣١/٣

(٢) ديوانه ٥٩١ ، ١ / ٤٩٥

(٣) راجع ص ٢ من هذا الجزء

ابتدآآهما بذكر السهر وطول الليل

ولا أعرف لهما في وسط. كلامهما من هذا الباب شيئاً يعتد بمثله كنحو ما جاء في الشعر القديم والمحدث .

قال أبو تمام :

أَفَنِي ، وَلَيْلِي لَيْسَ يَفْنَى آخِرُهُ هَاتَا مَوَارِدُهُ فَأَيْنَ مَصَادِرُهُ ؟^(١)

وهذا ابتداء حسن وكلام سَجَسَج^(٢) ، ومعنى جيد بالغ .

وقد أخذ البحترى معنى هذا الصَّدْرِ فوق دُونَهُ فقال :

لَهُ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بِطَاءٍ أَوْ آخِرُهُ وَوَشْلِكُ نَوَى حَى تَزُمُ أَبَاعِرُهُ^(٣)

وقد ذكرته في ابتدآت باب الفراق^(٤) .

* * *

وقال البحترى :

هو الظلام فلا صُبح ، ولا شَفَقُ هل يُطَلِّقُ اللَّيْلُ عَنْ عَيْنِي فَأَنْطَلِقُ؟^(٥)

عجز هذا البيت في غاية الصحة والبراعة والحسن والحلاوة ، ولكن قوله :

« والظلام فلا صُبح » - معنى [غير] صحيح ؛ لتَوَقُّعِهِ الصُّبْحَ وهو مبطلٌ متأخر

فما وجه قوله : ولا شفق ؟ لأن من كان في الليل فإنما يتوقع الصبح ولا

يتوقع الشفق . وأظنه أراد نحن في ظلام ولسنا في أول نهار ولا آخره .

(١) ديوان أبي تمام ١٥٥ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٠

(٢) م ، ق « سَجَج »

(٣) ديوان البحترى ٢٥٠ « تلم » وهو تحريف

(٤) راجع ص ١٢ من هذا الجزء

(٥) ديوانه ١٤٦٩/٢ « من طرفي فَأَنْطَلِقُ » وفي ق « عن ليلي »

وقال أيضاً :

أَبَى اللَّيْلُ إِلَّا أَنْ يَعُودَ بِطَوْلِهِ عَلَى عَاشِقٍ نَزَرَ الْمَنَامَ قَلِيلُهُ^(١)

وقال :

لَيْلِي بِذِي الْأَثَلِ عَنَّا تَطَاوُلُهُ أَرَى بِهِ مُقْبِلًا قِرْنًا أَنْزَلُهُ^(٢)

وقال أيضاً :

تَرَى اللَّيْلَ يَتَمَضَّى عَقْبَهُ مِنْ هَزِيرِهِ أَوِ الصُّبْحَ يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدِيدِهِ^(٣)

وهذه أبيات كلها جيدة المعنى : بارعة اللفظ ، حسنة السبك ، كثيرة الماء والرونى .

وهذا البيت الأخير أجودها وأبرعها .

وقال أيضاً :

أَيُّهَا الْعَاتِبُ الَّذِي لَيْسَ يَرْضَى نَمَ هَنِئًا فَلَسْتُ أَطْعَمُ غَمَضًا^(٤)

(١) ديوان البحتري ٤١ ، ١٦٢٢/٢

(٢) ديوانه ٧٨٩ ، ١٧٨٢/٢

(٣) ديوانه ٣٧٢ ، ١٢٧٥ / ٢

(٤) ديوانه ٢١ ، ١٢٢ / ٢

باب آخر من الابتدآت

قال أبو تمام :

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ وَصَدْرُكَ مِنْهَا مُدَّةَ اللَّهْرِ أَهْلٌ؟^(١)

قوله : « ذاهل » . أى منصرف . يقال : ذهلت عن الشيء بمعنى انصرفت عنه . فيقول : متى أنت عنها منصرف ، وصدرك أبداً منها أهل ؟ أى لا تخلو أبداً من قلبك .

وقال البحتري :

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ أَنِّي لَا أَسْلُو وَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ جَوَى بِكَ لَا يَخْلُو^(٢)

فعجز هذا البيت مثل عجز [بيت] ^(٣) أبي تمام . وهو أجود ؛ لتصريحه بذكر الجوى .

وصدرا البيتين^(٤) متقاربان . وبيت البحتري أجود وأبرع .

وقال البحتري :

هَوَاهَا - عَلَى أَنَّ الصُّدُودَ سَبِيلُهَا - مُقِيمٌ بِأَكْنَافِ الْحَشَا مَا يَزُولُهَا^(٥)

وهذا البيت أيضاً أجود من بيت أبي تمام لفظاً ومعنى .

وقال في نحو هذا :

أَفَاقَ صَبٍّ مِنْ هَوَى فَأَفِيقَا أَوْ خَانَ عَهْدًا ، أَوْ أَطَاعَ شَفِيقًا؟^(٦)

(١) ديوان أبي تمام ٢٥٥ وشرح التبريزي ١١٢ / ٣ « وقلبك منها »

(٢) ديوان البحتري ٥٩ ، ١٦١٥ / ٢

(٣) الزيادة من ق

(٤) م « صدر البيت »

(٥) ديوان البحتري ١٧٩٩ / ٢

(٦) ديوان البحتري ٧٢٢ ، ١٤٥٠ / ٣ « أم خان . . أم أطاع » وفي ق « إذ خان »

وقال أيضاً :

أَرَادَ سُلُوءًا عَنْ سُلَيْمَى وَعَنْ هِنْدٍ فَعَالَبَهُ غَيُّ السَّفَاهِ عَلَى الرُّشْدِ^(١)

وقال :

سِوَايَ مُرَجَّى سَلُوءٍ ، أَوْ مُرِيدُهَا إِذَا وَقَدَاتُ الْحُبِّ حُبٌّ خُمُودُهَا^(٢)

وهذا كله غاية في الحسن والجودة .

وقد تصرف البحتري في باب الوجد والغرام وشدة الحب في ابتدائه تصرفاً حسناً . فمن ذلك قوله :

حَاشَاكَ مِنْ ذِكْرِي ثَنَّتُهُ كَثِييَا وَصَبَابَةٍ مَلَأَتْ حَشَاهُ نُدُوبًا^(٣)

وقال أيضاً :

حَقًّا أَقُولُ : لَقَدْ تَبَلَّتْ فُؤَادِي وَأَطَلَتْ مُدَّةَ غَيِّي الْمُتَمَادِي^(٤)

وقال أيضاً :

نَاهِيكَ مِنْ حَرَقِ أَبِيْتِ أَقَاسِي وَجُرُوحِ حُبِّ مَا لَهْنُ أَوَاسِ^(٥)

وقال أيضاً :

أَتَرَكَ تَسْمَعُ لِلْحَمَامِ الْهَتْفِ شَجْوًا يَكُونُ كَشَجْوِي الْمُسْتَطْرِفِ^(٦)

وقال أيضاً :

يَهُونُ عَلَيْهَا أَنْ أَبِيْتِ مُتَيِّمًا أَعَالِجُ وَجْدًا فِي الضَّمِيرِ مُكْتَمًا^(٧)

(١) ديوان البحتري ٢ / ٧٥٩ دار المعارف ، م « عن السفاه » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٢٩٣ ، ٥٣١/١

(٣) ديوانه ٢٥٢ ، ١٨٤ / ١ دار المعارف « من ذكر »

(٤) ديوانه ١٦٣ ، ٧٣١ / ٢

(٥) ديوانه ٣٨٥ ، ١١٣٤ / ٢

(٦) ديوانه ٦٧٥ « شجواي » بشجوك المستطرف ، ١٤١٥/٣ « كشجوك »

(٧) ديوانه ٩٣ « أعالج شوقاً » ، ١٩٨١ / ٣

وقال أيضاً :

غَرَامٌ مَا أُتِيحَ مِنَ الْغَرَامِ وَشَجْوٌ لِلْمُحِبِّ الْمُسْتَهَامِ^(١)

وقال أيضاً :

أَنَافِعُ عِنْدَ لَيْلَى فَرَطُ حُبِّهَا وَلَوْعَةٌ لِي أَبْدِيهَا وَأَخْفِيهَا^(٢)

وقال أيضاً :

قَلِيلٌ لَهَا أَنَّى بِهَا مُغْرَمٌ صَبٌّ وَأَنْ لَمْ يُقَارِفْ غَيْرَ وَجَدِ بِهَا الْقَلْبُ^(٣)

أراد : قليل لها غرامى بها وصباتى وإن لم أحو غيرها . ولا وجه لكسر أن الثانية .

فانظر إلى هذا التصرف الحسن ، والألفاظ المختلفة في المعاني المتقاربة .
ولا أعرف لأبى تمام في هذا كله شيئاً .

ومما افتتحه البحترى بالهجر قوله :

نَصِيبِي مِنْكَ لَوْمٌ الْعَاذِلَاتِ وَهَجْرَانٌ أَطْلَتِ إِلَيْهِ أَذَاتِي^(٤)

وقال أيضاً :

شَدَّ مَا أُغْرِيتَ ظُلُومٌ بِهِجْرِي بَعْدَ وَجْدِي بِهَا وَغُلَّةٌ صَدْرِي^(٥)

(١) ديوان البحترى ٢٤٨ ، ٢ / ٢٠٣١

(٢) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢٤٠٩ « أنا فى »

(٣) ديوانه ٢٥٠ ، ١ / ١٢٢ وفى م « لم يفارق » !

(٤) ديوانه طبع بيروت ١ / ٩٧ ، ١ / ٣٧٧ دار المعارف « وهجران بلغت به »

(٥) ديوانه ٣٠٠ ، ٢ / ٩٧٠ « شد ما أغريت »

وقال أيضاً :

خَيْرُ يَوْمَيْكَ فِي الْهَوَى وَأَقْتِبَالِهِ يَوْمُ يُدْنِيكَ هَاجِرٌ مِنْ وَصَالِهِ^(١)

وقال أيضاً :

لَجَّ هَذَا الْحَبِيبُ فِي هِجْرَانِهِ وَغَدَا وَالصُّدُودُ أَكْبَرُ شَانِهِ^(٢)

وقال أيضاً :

لِي حَبِيبٌ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ جِدًّا وَأَعَادَ الصُّدُودَ مِنْهُ وَأَبْدَى^(٣)

وقال أيضاً :

طَافَ الْوُشَاةُ بِهِ فَصَدَّ وَأَعْرَضَا وَغَلَا بِهِ هَجْرٌ أَمْضٍ وَأَرْمَضَا^(٤)

وقال أيضاً :

مِنِّي وَضَلُّ ، وَمِنْكَ هَجْرٌ وَفِي ذُلُّ ، وَفِيكَ كِبَرٌ^(٥)

وليس لأبي تمام في هذا النحو شيء إلا قوله :

نَحْسُنْتَ عَلَيْهِ أختَ بَنِي خُشَيْنٍ وَأَنْجَحَ فِيكَ قَوْلُ الْعَاذِلِينَ^(٦)

وهذا ابتداء رديء .

(١) ديوان البحري ٥٧٠ ، ١٨٤٢/٣

(٢) ديوانه ٣٥ ، ٢١٦٩/٤ « ومضى والصدود »

(٣) ديوانه ٢٠ ، ٧١١/٢ دار المعارف

(٤) ديوانه ٧٣٩ ، ١٢٠٣/٢

(٥) ديوانه ٧٠ ، ١٠٥٠/٢

(٦) ديوان أبي تمام ٣٢١ وشرح التبريزي ٢٩٧/٣

ومما جاء في ابتدائه في ذكر العيون

قال البحرى^(١) :

تُرِيكَ الَّذِي حَدَّثْتَ عَنْهُ مِنَ السُّحْرِ بِطَرْفِ عَلِيلِ اللَّحْظِ مُسْتَغْرِبِ الْفَتْرِ^(٢)

وقال أيضاً :

غَالَ صَبْرِي - أَمَا سَأَلْتَ بِصَبْرِي مَا بِعَيْنَيْكَ مِنْ فُتُورٍ وَسُحْرِ^(٣) .

وقال أيضاً :

مَا بِعَيْنَيَّ هَذَا الْغَزَالِ الْغَرِيرِ مِنْ فُتُونٍ مُسْتَجَلِبٍ مِنْ فُتُورٍ^(٤)

وقال أيضاً :

وَمُهْتَزَّةٍ الْأَعْطَافِ نَازِحَةِ الْعَطْفِ مُنْعَمَةٍ الْأَطْرَافِ فَاتِرَةِ الطَّرْفِ^(٥)

وقال أيضاً :

سَطَا فَمَا يَأْمَنُهُ خِلُّهُ أَغْيَدُ مَسَاجِي الطَّرْفِ مُغْتَلَهُ^(٦)

وقال أيضاً :

فُتُورُ الْعُيُونِ وَإِمْرَاضُهَا نُبُوُ الْجُنُوبِ وَإِقْضَاضُهَا^(٧)

وهذا كله جيد حسن عذب .

وليس لأبي تمام في معناه شيء .

(١) م « قال أبو تمام » وهو خطأ

(٢) ديوان البحرى ٦٢١ ، ١٠٠٤/٢

(٣) ديوانه ١٠٧٩ / ٢

(٤) ديوانه ٢٦٩ ، ٨٨٤ / ٢ وفي م « من فتور »

(٥) ديوانه ٧٦٤ ، ١٣٦٩/٢

(٦) في ديوانه ٤٢٣ ، ١٨٠٣/٢ « أحوى سقيم الطرف »

(٧) ديوانه ١٢١٩ / ٢ « فتور الجفون »

وقال أيضاً :

لَوْتُ بِالسَّلَامِ بَنَانًا خَضِييَا وَلَحْظًا يَشُوقُ الْفُؤَادَ الطَّرُوبَا^(١)

عهدت بعض الشيوخ بِكَرِهٍ قوله : «لوت» ، ويقول : كان ينبغي أن يقول : أشارت : أو أومأت ، أو نحو هذا . وكان بعضهم يحتج له ويقول : لم يمكنه ذلك في نظم البيت .

والذى أظنه «أنا» أنه أومأ إليها بالسَّلام فردت عليه . والسَّلام الأول يشار فيه بمد الإصبع على استقامة ، والرد : فمن الناس من يردُّ بِمدِّ الإصبع على استقامة أيضاً ، ومنهم من يفتلها ويلويها كأنه يقول بإصبعه : وعليك . فيلويها إذا أراد هذا المعنى . وذلك مما نراه أبداً مشاهدة ، ونفعله .

وقد ذكر البحتري لى البَنَانَةِ في موضع آخر فقال :

إِنَّ الْفِرَاقَ جَلَا لَنَا عَنْ غَاذَةٍ بَيْضَاءَ تَجْلُو عَنْ شَتِيَةٍ أَشْنَبِ^(٢)
أَلَوْتُ بِمَوْعِدِهَا الْقَدِيمِ ، وَأَيَّاسْتُ مِنْهُ بِلَى بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبِ^(٣)

فدل هذا على مثل ذلك . وإن كان المعنيان مختلفين في أنها لم تمد إصبعها مُشِيرَةً بها على استقامة كما يُشير المبتدئ بالسَّلام ، وإنما أَلَوْتُ إصْبَعَهَا في الإشارة إليه إما يَمْنَةً أو شَأْمَةً بمعنى تمنح عنا ، أو اعدل عنا ؛ فليس إلى ما التمسست سبيل .

وفي هذا البيت سؤال آخر وهو قوله : «لَمْ تُخْضَبِ» ومن شأنهم أن

(١) ديوان البحتري ٩١ ، ١ / ١٤٩ دار المعارف

(٢) ديوان البحتري ١٢٢ ، ١ / ٢٨٢ دار المعارف

(٣) في الديوان «وَأَيَّاسْتُ»

يصفوا بَنَانَ المرأة بالخَضَابِ نحو قول الشاعر :

وَيُبْدِي الحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنْ البُرْدِ أَطْرَافَ البَنَانِ المَخْضَبِ

وقول الراعي :

* حُمُرُ الأَتَائِلِ عَيْنٌ طَرَفُهَا سَاجِرٌ *

ومثله كثير^(١) . وعليه مذاهب الناس .

ولا نعلم أحداً شرط في البنان أنه غير مخضوب غير البحتري في هذا البيت ،
وإنما يذكرون الخضاب أو لا يذكرونه .

وما أظن البحتري قال هذا عيباً ولا جُزافاً ، ولا قاله ؛ إلا أن البنانة لم تكن
مَخْضُوبَةً ، فوصف الحال على مذاهب الناس ومذهبه في وصف الشيء على
ما هو ، لأن هذا إذا أوردته على ما هو لم تكن فائدة ، فأقول :

إنه قد يجوز أن يكون - (٢) والله أعلم - ذهب إلى أحد معنيين :

إما أن يكون خطر بباله عند نظم البيت قول الشاعر :

وإنْ حَلَفْتُ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ البَنَانِ يَمِينٌ^(٣)

فقال هو : « وَأَيَّاسْتُ مِنْهُ بِلَى بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبْ » ؛ لأن المرأة لا عهد لها
مخضوبة البنان كانت أو غير مخضوبة ؛ ألا ترى إلى قوله بعد هذا :

وَأَرَتْ عُهْدَ الغَانِيَاتِ صَبَابَتِي آلاً جَرَى : وَوَيْضَ بَرَقِ خُلْبٍ^(٤)

(١) راجع ديوان المعاني ١ / ٢٥٤ - ٢٥٥

(٢) م « يكون والده أعلم ذهب » !!

(٣) البيت لكثير كما في ديوانه ١ / ٢٦٥ وهو غير منسوب في الموشى ١٢٣

(٤) م ، ق « وأرى عهد . . آل جرى »

فَدَلَّكَ هَذَا عَلَى أَنَّهُ خَطَرُ ذَلِكَ الْبَيْتِ بِبَالِهِ فَذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى .
 أَيْ مِنْ كَانَ يَذِمُّ عَهْدَ مَخْضُوبَةِ الْبَنَانِ فَهَذِهِ غَيْرُ مَخْضُوبَةٍ وَأَنَا أَذِمُّ عَهْدَهَا
 أَيْضاً . فَهَذَا الْمَعْنَى - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - جَيِّدٌ لَاتِقٌ .

وَالْمَعْنَى الْآخَرُ : أَنَّ يَكُونُ أَرَادَ أَنَّهَا عَزَفَتْ عَنِ الصَّبَا ، وَتَرَكْتَ الزَّيْنَةَ ؛
 لِأَنَّهُ قَالَ : « أَلَوْتُ بِمَوْعِدِهَا الْقَلِيمَ » . فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا انْتَجَزَهَا مَوْعِدًا
 قَدِيمًا وَأَنَّ حَالَهَا الْآنَ غَيْرُ تِلْكَ الْحَالِ .

وَهَذَا أَيْضاً وَجْهٌ قَوِيٌّ دَقِيقٌ . وَكَأَنَّهُ أَوَّلَى مِنَ الْمَعْنَى الْأُولَى بِالصَّوَابِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
 وَقَوْلُهُ : « وَلِحَظًا يَشُوقُ الْفَوَادَ الطَّرُوبَا » بِالنَّصْبِ^(١) إِنَّمَا أَرَادَ أَلَوْتُ
 بِالسَّلَامِ بَنَانًا خَضِيئًا ، وَلِحَظْتُ لِحَظًا يَشُوقُ الْفَوَادَ .

ومن ابتدآت البحترى فى التشوق

قال :

أَقِمْ عَلَى التَّشَوُّقِ أَمَّ أَمِيرُ وَأَعْدِلُ فِي الصَّبَابَةِ أَمَّ أَجُورُ؟^(١)

وقال أيضاً :

شَوْقٌ لَهُ بَيْنَ الْأَضَالِيعِ هَاجِسٌ وَتَذَكُّرٌ لِلصَّدْرِ مِنْهُ وَمَاوِسٌ^(٢)

وقال أيضاً :

عَهْدُ الْمَشُوقِ بِوَصْلِ الْأَنْسِ الْخُرْدِ يَكَادُ يَشْرِكُ نَجْمَ اللَّيْلِ فِي الْبُعْدِ^(٣)

وقال أيضاً :

لَبَّيْتُ فِيكَ الشَّوْقَ حِينَ دَعَانِي وَعَصَيْتُ نَهْيَ الشَّيْبِ حِينَ نَهَانِي^(٤)

وقال أيضاً :

أَمَّا لِعَيْنِي كَلِيمَ الْهَمِّ تَغْمِيضُ أَمِ الْكَرَى عَنْ جُفُونِ الْعَيْنِ مَرْحُوضُ^(٥)

وقال أيضاً :

يَبَيْتُ لَهُ مِنْ شَوْقِهِ وَنِزَاعِهِ أَحَادِيثُ نَفْسٍ أَوْشَكَتْ مِنْ زَمَاعِهِ^(٦)

أَيَّ أَسْرَعَتْ مِنْ إِزْمَاعِهِ عَلَى الرَّحِيلِ .

(١) ديوان البحترى ٥٠٨ ، ٢ / ٩٣

(٢) ديوانه ٢٨١ ، ٢ / ١١٣٢

(٣) ديوانه ١ / ٥١٤ دار المعارف

(٤) ديوانه ٣٩ ، ٤ / ٢٢٥٢

(٥) ديوانه ١٢١٧ / ٢ « طليح الشوق » و مرحوض : منقول

(٦) ديوانه ٤٦٨ ، ٢ / ١٣١٧

وقال أيضاً :

شَوْقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَذْمُوعُ وَجَوَى عَلَيْكَ تَضِيقٌ عَنْهُ الْأَضْلَعُ^(١)

وقد مر هذا البيت في باب البكاء والدمع^(٢).

وهذه كلها ابتداءات جياد لفظاً ومعنى .

ولا أعرف لأبي تمام في نحو هذا شيئاً .

(١) ديوان البحترى ٣٣ ، ٢/١٣١٠ وفي م « تضييق منه »

(٢) راجع ص ٦٦

وفي ابتداءات البحري في معان شتى وهي كثيرة

قال :

رَأَى الْبَرْقَ مُجْتَازًا فَبَاتَ بِلَا لُبٍّ وَأَصْبَاهُ مِنْ ذِكْرِ الْبَخِيلَةِ مَا يُضْبِي^(١)

وقال أيضاً :

أَخْفَى هَوَى لَكَ فِي الضُّلُوعِ وَأُظْهِرُ وَالْأَمُّ مِنْ كَمَدٍ عَلَيْكَ وَأُعْذِرُ^(٢)

وقال أيضاً :

يَزْدَادُ فِي غَيِّ الصَّبَا وَلَعَةُ فَكَأَنَّمَا يُغْرِيه مَنْ يَزْعُمُهُ^(٣)

وقال أيضاً :

بِوَدِّي لَوْ يَهْوَى الْعَدُولُ وَيَعْشَقُ فَيَعْلَمُ أَسْبَابَ الْهَوَى كَيْفَ تَعْلَقُ^(٤)

وقال أيضاً :

أَجِرْنِي مِنَ الْوَاشِي الَّذِي جَارَ وَأَعْتَدِي وَغَابِرُ حُبٍّ غَارَ بِي ثُمَّ أَنْجَدَا^(٥)

وقال أيضاً :

بِاللَّهِ أُولَى يَمِينًا بَرَّةً قَسَمًا مَا كَانَ مَا زَعَمَ الْوَاشِي كَمَا زَعَمَا^(٦)

(١) ديوان البحري ٤٠٢ ، ١ ، ١٥٤ / ١٠٤ / ١٠٤ دار المعارف وفي م « مجتازاً بنات بلا »

(٢) ديوانه ١٧ ، ٢ ، ١٠٧٠ / ٢٠٧٠ / ٢٠٧٠ وفي م « كدك »

(٣) ديوانه ٢٢٦ ، ٢ ، ١٢٤٨ / ٢٠٧٠ / ٢٠٧٠

(٤) ديوانه ١٤٨ ، ٣ ، ١٥٣٤ / ٢٠٧٠ / ٢٠٧٠ وفي م « يهوى في العنول » !

(٥) ديوانه ١٣٣ ، ٢ ، ٦٧٠ / ٢٠٧٠ / ٢٠٧٠ « وغابر شوق »

(٦) ديوانه ٥٣٠ ، ٢ ، ٢٠٤٦ / ٢٠٧٠ / ٢٠٧٠ « بالله آلي »

وقال أيضاً :

تَغَيَّرَ ، أَوْحَالَ عَنْ عَهْدِهِ وَأَضْمَرَ غَدْرًا وَلَمْ يُبْدِهِ^(١)

وقال أيضاً :

جَائِرٌ فِي الْحُكْمِ لَوْ شَاءَ قَصَدَ أَخَذَ النَّوْمَ وَأَعْطَانِي السُّهْدَ^(٢)

مضت الابتدآت بأنواع الغزل .

وأنا أذكر الآن ما جاء عنهما من أوصاف الغزل في وسط الكلام ، وأتلقط ذلك من باب الفراق والتوديع ، وسائر أبواب التشبيب^(٣) ؛ ليكون كلُّ نوعٍ من أنواع الوصف في باب واحد لا في أبواب متفرقة .

(١) ديوان البحترى ٥٣٢ ، ٢ / ٥٦٥ دار المعارف ، وفي م « وأضم غدرا »

(٢) ديوان البحترى ٢٥٦ ، ٢ / ٦٦٧ دار المعارف

(٣) م « أبواب الشيب »

ذكر ما قالاه في الجمال والبهجة وحسن الوجوه
وتشبيه النساء بالشموس ، والبدور ، والنجوم ، وغير ذلك

قال أبو تمام :

لَحِقْنَا بِأَحْرَامٍ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ
نَضًا ضَوْوُهَا صِبْغُ الدُّجْنَةِ وَأَنْطَوَى
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَى أَأَحْلَامُ نَائِمٍ
وَعَهْدِي بِهَا تُخِي الْهَوَى وَتُمِيتُهُ
وَأَقْرَعُ بِالْعُتْبَى حُمَيَّا عِتَابِهَا
وَتَقْفُولِي^(١) الْجَدْوَى بِجَدْوَى ، وَإِنَّمَا
قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهِيَ وَقَعُ
بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعِ^(٢)
أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يَوْشَعُ؟
وَتَشَعَّبُ أَعْشَارَ الْقُلُوبِ وَتَضْدَعُ^(٣)
وَقَدْ تَسْتَقِيدُ الرَّاحُ حِينَ تَشْغَشَعُ؟
يُرْوُكُكَ بَيْتُ الشُّعْرِ حِينَ يُصْرَعُ

قوله : « حَوَّمَ الْهَوَى قُلُوبًا » أى هَيَّجَهَا الشوق وكانت طيرها ساكنة .
يريد أن ظعنهم هَيَّجَ الشوق بعد سكونه والدارُ جامعة .

و « ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعُ » . يريد طمسي نورها نور الكواكب التي هي
نقش السماء ، كالجزع نقط البياض .

و « يَوْشَعُ » . يريد يَوْشَعُ بن نون . قيل : إن الشمس رُدَّتْ له ، في قصة
تَوَثَّرَ .

(١) ديوان أبي تمام ١٨٩ وشرح التبريزي ٢ / ٣١٩

(٢) ويرى : « أعشار القواد »

(٣) ويرى « وتقفو إلى الجنى »

وقوله : « تُخَيِّي الهوى » . أى بهجرها ، و « تُمَيِّتُهُ » بوصلها ونائلها ،
كما قال جرير :

فَلَمَّا اتَقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتَ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ^(١)
أى لما أصيبت مَقَاتِلُهُ بالاجتماع .

« وَتَشَعَّبُ أَعْشَارَ الْفُؤَادِ »^(٢) . تضمها ، وتلائم بينها . وَأَعْشَارُهُ : أَجْزَاؤُهُ
من قول امرئ القيس

* « فى أعشار قلب مُقَتِّل » *

^(٣) وَإِنَّمَا قِيلَ أَعْشَارٌ ؛ لِأَنَّ الْعَشْرَةَ نَهَايَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْعَدَدِ ، وَاحِدُهَا
عُشْرٌ . فَإِنَّمَا أَرَادَ جَمِيعَ الْقَلْبِ .

وقوله « تَصْدَعُ » . أى تشق . يريد^(٤) تلائم بين أجزائه مرة ، وتفرق
مرة أخرى بينها . مثل قوله : « تُخَيِّي الهوى وَتُمَيِّتُهُ » .

وقوله : « وَأَقْرَعُ بِالْعُتْبَى حُمِيًّا عِنَابِيهَا » . أى أعتب إذا عاتبت ،
وأنتهى إلى ما فيه رضاها . فجعل شدة غضبها عند العتاب حُمِيًّا كَحُمِيَّا
الخمير . وهى شلتها . وجعل العُتْبَى التى تكون منه حتى يَزُولَ غضبها - قَرَعًا
كَقَرَعِ الْخَمْرِ بِالماء حتى تلين .

وقوله : « وَقَدْ تَسْتَقِيدُ الرَّاحَ حِينَ تَشْعَشَعُ » . أى وهى - مع أنى كسرت
غضبها وقمعته - يَقْهَرُنِي حُبُّهَا ، وَيَغْلِبُنِي سُكْرُ هَوَاهَا ، وَيَمْلِكُنِي كَمَا تَسْتَقِيدُ
الرَّاحَ فَتَصْرَعُ بِالسُّكْرِ مِنْ يَقْرَعِهَا بِالْمِزَاجِ .

(١) ديوان جرير ٤٧٨

(٢) كذا فى م ، ق وهو الصواب ، وقد سبق فى هذا البيت « أعشار القلوب »

(٣) صدره : « وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بهميك » وهو من معلقته . وانظر إعجاز

القرآن للباقلانى ٢٥٨

(٤) م « تشق أى يريد »

وهذه كلها معان صحيحة مستقيمة ، واستعارات لائقة بما استعيرت له .
فأما قوله :

وَتَقْفُوا لِي الْجَدْوَى بِجَدْوَى وَإِنَّمَا يَرَوْكُ بَيْتُ الشُّعْرِ حِينَ يُصْرَعُ
فلفظ حسن حلو ، ولكنه مثلُ شيئاً بشيء كان غيره بالتمثيل أليق ،
وذلك لما قال : « وَتَقْفُوا لِي الْجَدْوَى » كان سبيله أن يقول : وإنما يبيل
الغليل العَلَلُ بعد النَّهْلِ ، أو ما كان أشبه هذا وقاربه ؛ لأنَّ الجَدْوَى هو
نائل المرأة ، وليست من حظوظ السمع فيمثل بها بيت الشعر المصْرَع الذي
إنما يَرَوْقُ السمع فقط .

ولست أقول إنه خطأ ، ولكن ليس بالجيد اللائق . والجيد فيه قول
البحترى :

فَإِنْ تُتْبِعِ النُّعْمَى بِنُعْمَى فَإِنَّهُ يَزِينُ اللَّائِي فِي النُّظَامِ أَرْدَوَاجُهَا^(١)
فجعل اللَّائِي التي هي فرائد تحصل في اليد والعين والنفيس - مثلاً لنعمة
المنعم وليس للأذن ههنا ولا هناك حظ .

وقال أبو تمام :

عَظَفُوا الْخُدُودَ عَلَى الْبُدُورِ [وَوَكَّلُوا ظَلَمَ السُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ نُهْدِ^(٢)
وَوَثَّنُوا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صَيَانَةَ وَشْيِ الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ^(٣)

البيت الأول حسن حلو . وأخذ قواه : « وَثَّنُوا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صَيَانَةَ

(١) ديوان البحترى ٢١٨ ، ١ / ٢٧٧ دار المعارف « فإن تلحق »

(٢) ديوان أبي تمام ١١١ وشرح التبريزي ٢ / ٤٦ والزيادة منه ون ق

(٣) م « ومهل »

وشى البرود» من قول الكميت :

وَأَذْنَيْنِ الْبُرُودِ عَلَى خُدُودِ يُزِينُ الْقَدَاغَمَ بِالْأَسِيلِ

أراد بالقداغم : الخدود اللحيمة ، أى يزيئنها بِأَسَالَةٍ خدودهن . أو أن يكون أراد بالقداغم المواضع الممتلئة من الجسد بالشحم . فيزين ما كان ممتلئاً بِأَسَالَةٍ خدودهن . وهذا غير حسن . والأول أشبه بلفظ البيت .

ومعناه أيضاً غير جيد ؛ لأن الخد الأسيل إذا اقترن بالخد اللحم قبحه وشانه . ولم يزنه ؛ لبيان فضله عليه . وقد ذكرت هذا فى أغاليطه مشروحاً^(١) .

* * *

وقال أبو تمام :

وفى الخُدُورِ مَهْماً لَوْ أَنَّهَا شَعَرَتْ
لَأَلَى كَالنُّجُومِ الزُّهْرُ قَدْ لَبِسَتْ
مِنْ كُلِّ خَوْدٍ دَعَاها الْبَيْنُ فَأَبْتَكَّرَتْ
لَا أَظْلِمُ النَّأْيَ قَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهَا
غَيْدَاءُ جَادَ وَلِىُّ الْحُسْنِ مُنْتَهَا
مَصْقُولَةٌ سَتَرَتْ عَنَّا تَرَائِبُهَا
به طَغَتْ فَرَحاً ، أَوْ أَلْبَسَتْ أَسْفَاً^(٢)
أَبْشَارُهَا صَدَفَ الْإِحْصَانِ لَا الصُّدْفَا
بِكُرّاً ، وَلَكِنْ غَدَا هِجْرَانُهَا نَصْفَاً^(٣)
مِنْ قَبْلِ وَشَلِكِ النَّوَى عِنْدِي نَوَى قُدْفَا
فَصَاغَهَا بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أَنْفَاً^(٤)
قَلْبًا بَرِيئًا يُنَاغِي نَاظِرًا نَطْفَاً^(٥)

(١) راجع الجزء الأول ٢٣٥

(٢) ديوان أبى تمام ٢٠٠ وفى شرح التبريزى ٢ / ٣٦٠ « أو ألبست أسفاً » معناه : لو علمت كيفية حسنها لورثها وكسبها علمها به أحد شيئين : إما فرحاً يفضى إلى الطغيان ؛ إذ لا ترى لنفسها نظيراً ، وإما حزناً يؤيسها من نفسها شفقة على الناس ورقة لهم ، لأنها تراهم موقى صرعى عليها ، ويروى : لو أنها سفرت » .

(٣) فى شرح التبريزى « أى دعاها البين فأجابت وفارقتنا وهى حديث السن ، ولكن هجرانها قديم »

(٤) وفيه عن أبى العلاء المعرى : « استعار ولى الحسن من المطر الولى ، وهو الذى يجىء بعد الوسمى لأن من شأن التبت أن يكثر إذا أصابه الولى بعد الوسمى ، فدل بقوله ولى الحسن على أن الجمال فى هذه المذكورة عميم »

(٥) النطف : الفاسد الدخلة الملطخ النية . قال المرزوقى « المعنى أنها تريك ظاهراً من أمرها معك يخالفه الباطن ، فهى تتملق لك وتظهر الوجد وتتباكى لفراقك . ومبنى ذلك كله على قلب برىء وصدر من الحب سليم »

[^(١)قوله : « صَدَفُ الْإِحْصَانِ لَا الصَّدْفَا » ليس بالجيد ؛ لأنه قال : قد لبست صدف الإحصان ، فأراك أنها لابسته في الحال .

وقوله : « لَا الصَّدْفَا » ليس له وجه ؛ لأن اللؤلؤ قد فارق الصدف وليس هو لابسه في الحال .

والجيد الصحيح المعنى قول البحتري :

إِذَا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرِّيطِ آوَنَةً قَشَرْنَ عَنْ لُؤْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافًا^(٢)

فشبه أجسامهن في وقت تجردهن من الثياب ، باللؤلؤ في الوقت الذي يقشر عنه الصدف .

والعذر لأبي تمام أن يقال : إنما أراد أنها خلقت لابسة صدف الإحصان لا الصدف ، أي ليست كاللؤلؤ الذي خلق في الصدف .

وبيت البحتري أجود .

وقول أبي تمام : « صدف^(٣) الإحصان » معنى لطيف .

وقوله : « لَوْ شَعَرْتُ بِهِ » أي لو شعرت بشدة وجده طغت فرحاً ، أو « أَلْبَسْتُ أَسْفَا عَلَى مَا فَاتَ مِنْهُ » وهذه طريقة ابن أبي ربيعة التي كانت تليق به ، ومع ذلك يُعَابُ بها .

وهذه أبيات متكلّفة ، وخاصة قوله : « فَايْتَكَّرْتُ بِكَرًّا وَلَكِنْ غَدَا هَجَرَانَهَا نَصَفَا » فإنه غير شهي ، ولا مَرِيءٍ اللفظ . ولا المعنى .

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوان البحتري ٣٣٧ ، ١٣٨٠/٢

(٣) ق « صدف » !

* * *

ولله در أبي عبادة إذ يقول على هذا الوزن :

وفي الخدور بُدُورٌ قَلَمًا طَلَعَتْ إِلاَّ تَصَرَّمْ ضَوْءُ الْبَدْرِ أَوْ كُسِفًا
مَقْسُومَةٌ بَيْنَ أَرْدَافٍ مُبْتَلَةٍ تَدْعُو الْهَوَى ، وَخُصُورٍ أَرْهِفَتْ قَصْفًا -
[قَدْ كُنْتُ أَشْكُو تَمَادِي حُبِّهَا حَدَثًا] فَالآنَ أَطْمَعُ فِي إِنْصَافِهَا نَصْفًا ^(١)
أَكَادُ مِنْ كَلْفٍ أُعْطِيَ الْحَمَامَ يَدًا إِذَا الْحَمَامُ عَلَى أَغْصَانِهِ هَتَفًا
مَا بَاشَرَ النَّارَ - مَشْبُوبًا تَضُرُّمَهَا - مَنْ لَمْ يُصِفْ تَحْتَ أَحْنَاءِ الْحَشَا كَلْفًا ^(٢)
أَرَا جُعٌ مِنْ شَبَابِي قَبِضُ مُبْتَذَلٍ أَنْفَقْتُهُ فِي لُبَانَاتِ الصَّبَا سَرْفًا
لِلَّهِ أَيَّامُنَا مَا كَانَ أَحْسَنَهَا لَوْ أَنَّ دَهْرًا تَوَلَّى ذَاهِبًا وَقَفَا
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِرَاجِعَةٍ مَا فَاتَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَمَا سَلَفَا

* * *

وقال أبو تمام :

وَرَفِيقَةَ اللَّحْظَاتِ يُعْقِبُ رِفْقَهَا بَطْشًا بِمُغْتَرِّ الْقُلُوبِ عَنِيفًا ^(٣)
حُزْنَ الصُّفَاتِ : رَوَادِفًا ، وَسَوَالِفًا وَمَحَاجِرًا ، وَنَوَاطِرًا ، وَأُنُوفًا ^(٤)
كُنَّ الْبُدُورَ الطَّالِعَاتِ فَأَوْسَعَتْ مِنَّا أَقُولًا بِالنَّوَى وَكُسُوفًا ^(٥)
أَرَامُ حَيٌّ زَعَزَعَتْهُمْ نِيَّةٌ تَرَكَّتْكَ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ نَزِيفًا
كَانُوا رِدَاءَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا فَكَأَنَّمَا لَيْسَ الزَّمَانُ الصُّوْفًا ^(٦)

(١) ديوان البحري ١٤٣٧/٢ والزيادة من ق

(٢) م « النار مسبوقة » . لم يصف

(٣) ديوان أبي تمام ٢٠٦ وشرح التبريزي ٢ / ٢٧٩ وفي م « وريقة »

(٤) ويروي : « جزن » أي قد تجاوزن حد الصفات في الأشياء المذكورة

(٥) في الديوان وشرحه : « عنا أقولا » تقديره : فأوسعت أقولا وكسوفاً عنا : وفائدة « أوسعت »

أنها عمت بالكسوف عنا حتى لا يتجلى شيء من جوانبها »

(٦) الوساطة ٧١

وهذه معان جيدة لائقة إلا قوله : « لَيْسَ الزَّمَانُ الصُّوفاً » ؛ فإن الناس جميعاً استهجنوه . ولو كان اعتمد أن لا يترك قافية على الفاء إلا أوردتها — لما كان ينبغي أن يذكر الصوف وخاصة على هذا الوجه .

وقال البحتري :

إِنَّ فِي السَّرْبِ لَوْ يُسَاعِفُنَا السَّرُّ بُ شُمُوساً يَمْشِينَ مَشِياً وَبِيداً^(١)
يَتَدَاغَعْنَ بِالْأَكْفِ وَيَعْرِضُ نَ عَلَيْنَا عَوَارِضاً وَخُدُوداً
يَتَبَسَّمْنَ عَنْ شَتِيتٍ آرَاهُ أَفْحُوناً مُفَصَّلاً أَوْ فَرِيداً
رُحْنٌ وَاللَّيْلُ قَدْ أَقَامَ رَوَاقاً فَاقَمْنَ الصَّبَاحَ فِيهِ عَمُوداً
بِفَتَاةٍ مِثْلِ الْمَهَاةِ أَبَتْ أَنْ تَصِلَ الْوَصْلَ ، أَوْ تَصُدَّ الصُّدُوداً^(٢)
ذَاتِ حُسْنٍ لَوْ أَسْتَزَادَتْ مِنَ الْحُدِّ سُنِّ إِلَيْهِ لَمَا أَصَابَتْ مَزِيداً
فَهِيَ الشَّمْسُ بِهَجَّةٍ ، وَالْقَضِيبُ الِ غَضُّ لَيْنًا ، وَالرُّثْمُ طَرْفًا وَجِيداً

وحسبك بهذا حسناً ، وصحة ، وجودة . وخاصة هذا البيت الأخير وما جمع من التشبيه بأبرع لفظ ، وأحلى مَبْك ، ولكن أفسده بقوله : « أَبَتْ أَنْ تَصِلَ الْوَصْلَ ، أَوْ تَصُدَّ الصُّدُوداً » . [وإنما علقه من أبي تمام]^(٣)

وقال أبو تمام :

سَلَبْنَا غِطَاءَ الْحُسْنِ عَنْ حُرٍّ أَوْجُهُ تَظَلُّ لِلُّبِّ السَّالِبِيهَا سَوَالِباً^(٤)
وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ فِيهَا كَوَاكِبُ تَوَقَّدُ لِلْسَّارِي لَكَانَتْ كَوَاكِبَا

(١) ديوان البحتري ٥١ ؛ ١ ، ٩٠ / ١ دار المعارف

(٢) في الديوان « بمهارة » وفي م « تصد صدودا »

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان أبي تمام ١٧ وشرح التبريزي ١ / ١٤٥

وهذا معنى قديم متداول ، وأحسن ما قيل فيه قول مُزَاهِمِ الْعُقَيْلِيِّ .
وَجُودُهُ لَوْ أَنَّ الْمُدْلِجِينَ اَعْتَشَوْا بِهَا صَدَعَنَّ الدُّجَى حَتَّى تَرَى الصُّبْحَ يَنْجَلِي^(١)
وهذا كثير .

وقال البحتري .

كَالْبَدْرِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُجْتَلَى وَالشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَغْرُبُ^(٢)

فجاء بمعنى آخر فيه سؤال ؛ وذلك أنه لما قال : « كالبدر إلا أنها لا تجتلى »
كان هذا من أحسن معنى والطفه ؛ لأن عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه ،
وهي لا تراها العيون ، ولا تجتلى [ثم قال : « والشمس إلا أنها لا تغرب »
وإنما قال لا تجتلى]^(٣) لأنها^(٤) محجوبة ، وإذا كانت في حجاب فهي في
غروب ؛ لأن الشمس إذا غربت فإنما تدخل تحت حجاب . فظاهر المعنى :
كالبدر إلا أن العيون لا تراها ، والشمس إلا أن العيون لا تفقدها . وظاهر هذا^(٥)
القول - كما تراه - متناقض ، وأظنه أنه أراد أنها وإن كانت في حجاب فإنه
لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس . وإنما يقال لها إذا سافرت :
بعدت ، واغتربت ، وغربت إذا توجهت نحو الغرب .

وقد يقال للرجل اغرب عنا أى ابعد . ولو استعار لها اسم الغروب عن
الأرض التي تكون فيها إذا ظعننت عنها إلى أرض أخرى - كان ذلك حسناً
جداً ، لا سيما وقد جعلها شمساً . كما قال إبراهيم بن العباس الصولي :
وَزَالَتْ زَوَالِ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا فَمَنْ مُخْبِرِي فِي أَى أَرْضٍ غُرُوبُهَا^(٦)

(١) الواسطة ٢٥٥

(٢) ديوان البحتري ٦٨٢ ، ٧٢/١ طبع المعارف

(٣) التريادة من ق

(٤) م « لأن تلك »

(٥) م « وهذا »

(٦) حماسة ابن الشجري ١٦٩

وقد يجوز أن يقول قائل : إنه أراد [أنها] لا تغرب تحت الأرض
كما تغرب الشمس . وهذه معاذير ضيقة لأبي عبادة . فإن لم يك قد أخطأ
فقد أساء [وإن لم يكن أساء فما أحسن^(١)]

وقال أبو تمام :

قالتُ وقد أغلقتُ كفى كفها حلاً وما كلُّ الحلال بطيب^(٢)
فنعمتُ من شمس إذا حُجبتُ بدتُ من نورها فكانها لم تُحجب
وهذا معنى حسن . وقد تقدم الناس فيه وأكثروا .

قال قيس بن الخطيم :

قضى لها الله حين صورها إلخالق أن لا يكتننها صدق^(٣)
وأجود من هذا قول جرير :

كانها مزنّة غراء رائحة أو درة لا يوارى صومها الصدق^(٤)

ووصل أبو تمام ذلك بأن قال :

وإذا رنت خلت الطباء ولدنها ربعة : وأسترضعت في الربرب
إنسية إن حصلت أنسابها جنية الأبوين ما لم تنسب

قوله : « ربعة » يريد أنها ولدت في الربيع أول النتاج فهي أحسن
ما تكون ، وأقوى ، « وأسترضعت في الربرب » . والربرب : القطيع من
[بقرة]^(٥) الوحش ، كأنه يؤكد حسن عينها .

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوان أبي تمام ١٢ وشرح التبريزي ١ / ١٠١ . أي قد جمع هذا الذي أحلت لي من نفسها
أنه حلال وأنه طيب مستلذ

(٣) ديوان قيس بن الخطيم ٥٦ والأغاني ٢ / ١٦٨ والمواعظ ٢٩٧

(٤) ديوان جرير ٣٨٦ غراء واضحة

(٥) الزيادة من م

وقوله :

إِنْسِيَّةٌ إِنْ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا جَنِيَّةٌ الْأَبَوَيْنِ مَا لَمْ تُنْسَبِ

فيه سؤال وهو أن يقال : قوله : « جنية الأبوين » هو كقوله : تممية الأبوين ، أو قرشية الأبوين . وهذا أصح ما يكون من النسب ، فكيف يقول : ما لم تنسب ؟ والنسب إلى الجن كالتنسب إلى الإنس ، فكما تقول : إنسي فكذلك تقول . جنّي ، فكيف يكون ذلك نسباً ، وهذا غير نسب ؟

فالجواب أنه أراد إن حُصِّلَ نَسَبُهَا فَقِيلَ : فلاتة بنت فلان من بني فلان - عَلِمَ أَنَّهَا مِنَ الْإِنْسِ . وإن أبصرها المبصر ولم يسأل عن نسبها ظن أنها من الجن من قرط حسنهما الزائد على حسن الإنس المعهود . فإنما قال : « ما لم تُنْسَبِ » أى ما لم تنسبها^(١) إلى آبائها من الإنس . وقال المؤمل بن أميل المحاربي^(٢) :

جَنِيَّةٌ ، أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبِ بِسَهْمٍ مَالَهُ وَتَرُّ

وأحسن في هذا كل الإحسان ؛ لأن الرى عن غير وتر ليس من رى الإنس وقال [بشار]^(٣) :

إِنْسِيَّةٌ جَنِيَّةٌ أَوْ فَوْقَ ذَاكَ أَجَلٌ قَدَرًا

فجعلها - لحسنها وجمالها - فَوْقَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ .

وقال حسان :

جَنِيَّةٌ أَرْقَنِي جُهَا تَذْهَبُ صُبْحًا وَتُرَى فِي الْمَنَامِ^(٤)

(١) م « أى ما ينسبها إلى »

(٢) ق « وقال أبو دهل الجهمي »

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان حسان ٣٨٠ « أرقني طيفها » وفي ق « أرقني حننا »

فَأَمَّا قَوْلُ الشَّنْفَرِيِّ :

* فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنْ الْحُسْنِ جُنَّتْ ^(١) *

فإني أظنه أراد : لو عرضت الجنُّ لأحد من حُسْنِه عَرَضَتْ لها . وقد قيل فيه غير شيء ، وكلُّه رديء ، وليس مثله يذكر .

وقال أبو تمام :

أَيْنَ الَّتِي كَانَتْ إِذَا شَاءَتْ جَرَى مِنْ مُقْلَتِي دَمْعٌ يَعْصِفُهُ دَمٌ؟ ^(٢)
بَيَضَاءُ تَسْرِي فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا : وَتَبْدُو فِي الضِّيَاءِ فَيُظْلِمُ ^(٣)
يَسْتَعْلِبُ الرَّغْدِيدُ فِيهَا حَتْفَهُ فَتَرَاهُ - وَهُوَ الْمُسْتَمِيتُ - الْمُعْلَمُ ^(٤)
مَقْسُومَةٌ فِي الْحُسْنِ بَلْ هِيَ غَايَةٌ فَالْحُسْنُ فِيهَا وَالْجَمَالُ مُقَسَّمٌ
مَلْطُومَةٌ بِالْوَرْدِ ، أَطْلِقَ طَرْفُهَا فِي الْخَلْقِ فَهُوَ مَعَ الْمَنُونِ مُحَكَّمٌ

قوله : « بَيَضَاءُ تَسْرِي فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا » - هو مذهب الناس نحو قول امرئ القيس :

تَضِيُّ الظَّلَامِ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا [مَنَارَةٌ مُنْسَى رَاهِبٍ مُنْبَتِّلٍ] ^(٥)

وقول مُزَاحِمٍ : « صَدَعَنَ الدُّجَى » . وأشباه هذا .

وقوله : « تَبْدُو فِي الضِّيَاءِ فَيُظْلِمُ » . يريد أن نورها يغلب على ضوء

(١) سبق مع تخريجه ص ١٤٥ من الجزء الأول .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٨٣ وشرح التبريزي ٣ / ٢١٢

(٣) ويروي : « يبيضاء تلبو . . . وتسر في الضياء »

(٤) شرح التبريزي « يستعجب المقدام » والمعلم : الذي يجعل لنفسه علامة يعلم بها في الحرب .

(٥) الزيادة من ق ، وديوان امرئ القيس ١٣١

النهار حتى يصير كأنه مظلم . وهذا أيضاً معنى معروف ، من قولهم : لو برزت للشمس لكسفتها : والنهار عند نُورِ وَجْهِها ليلٌ . وأشياء هذا .

وقال في موضع آخر :

وَلِهَتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِمٌ^(١)

فقوله : « أَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا » - ليس من هذا الباب . وإنما أراد أن أمر الفراق أَوْلَها فَأَظْلَمَتِ الْأَشْيَاءُ فِي عَيْنِها ؛ لِإِعْظَمَ ما وَرَدَ عَلَيْها . وهذا مثل قول الشاعر ، وأنشد أبو تمام في الحماسة .

نَعَى لِي أَبَا الْمَقْدَامِ فَاسْوَدَّ مَنْظَرِي مِنْ الْأَرْضِ ، وَأَسْتَكَّتْ عَلَى الْمَسَامِعِ^(٢)

قوله : و « أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِمٌ » - مثل قوله : « تَبَدُّوا فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا » .

وقوله : « مَقْسُومَةٌ فِي الْحُسْنِ » أي محظوظة منه ، كأنها قد قسم لها منه ، والقسم : النصيب .

وقوله : « مَلْطُومَةٌ بِالْوَرْدِ » - يريد حُمْرَةً خَدَّها . فلم لم يقل : مَصْفُوعَةٌ بِالْقَارِ ، ويريد سَوَادَ شعرها ، وَمَخْبُوطَةٌ بِالشَّحْمِ يريد امتلاءً لجسمها ، ومضروبة بالقطن يريد بياضها . إن هذا لأَحْمَقُ ما يكون من اللَّفْظِ ، وَأَسْفَهه ، وَأَوْسَخه .

وقد جاء مثل هذا في كلام العرب ولكن على وجه حسن . قال النابغة :

مَقْلُوفَةٌ بِدَخِيسِ اللَّحْمِ بَازِلُهَا [لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفٌ الْقَعْوُ بِالْمَسِدِ]^(٣)

(١) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٢ / ٢٤٨ « وأثار »

(٢) الحماسة بشرح المرزوقي ٢ / ٨٦٧ وفي الأصل : « أبوالمقدام »

(٣) ق « بدخيس النحس » والزيادة منها ومن الديوان ٢٦ والبيت في اللسان ٧ / ٣٨٠ ، ٩٣ / ١١

والدخيس : اللحم المكتنز . والنحس : اللحم . والصريف : الصوت . والقعو : البكرة

يريد أنها قُذِفَتْ بالشَّحْمِ ، أى كأنه رُمِيَ على جسمها رمياً .

وإنما ذهب أبو تمام إلى قول أبي نواس : «وَقَلَّطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابٍ»^(١)

وهذه كانت تلطم على الحقيقة في مأثم على ميت بأنامل مَخْضُوبَةٍ
الأطراف ، فجعلها عناباً تلطم به ورداً ، فأثى بالظرف كله ، والحسن أجمعه ،
والتشبيه على حقيقته .

وجاء أبو تمام بالجهل على وجهه ، والحق بأُسْرِهِ ، والخطأ بعينه .

وقال :

وَمَقْدُودَةٌ رُودٍ نَكَادٌ تَقْدُمَا إِصَابَتُهَا بِالْعَيْنِ مِنْ حُسْنِ الْقَدِّ^(٢)
تُعْصِفُ خَدَيْهَا الْعُيُونُ بِحُمْرَةٍ إِذَا وَرَدَتْ كَانَتْ وَبَالاً عَلَى الْوَرْدِ
إِذَا زَهَلْتَنِي فِي الْهَوَى خِيفَةُ الرَّدَى جَلَّتْ لِي عَنْ وَجْهِ يُزْهِدُ فِي الزُّهْدِ

قوله : «مِنْ حُسْنِ الْقَدِّ» - بضم السين - من أقبح لفظه وأهجنها .

ومثله قوله :

* «أَعْرَضْتَ عَنِ الْإِعْرَاضِ» *^(٣)

وهذا إذا سمعه الأعراب ضحكوا منه . بل الجيد قوله :

لَوْلَا الْعُيُونُ وَتَفَّاحُ الْخُدُودِ إِذَا مَا كَانَ يَحْسُدُ أَعْمَى مَنْ لَهُ بَصَرٌ^(٤)

(١) صدره : «بيكى فيلدى الدر من فرجى» والبيت فى ديوان أبى نواس ٢٥٠ والصناعتين

٢٠١ والوساطة ٣٨ ، ٣٢٠

(٢) ديوان أبى تمام ١١٤ وشرح التبريزى ٢ / ٦١

(٣) تمام البيت ، كما فى ديوان أبى تمام ١٨٧

أعرضت برهة فلما أحت بالنوى أعرضت عن الإعراض

(٤) ديوان أبى تمام ١٤٩ وشرح التبريزى ٢ / ١٨٤

وأول هذه القصيدة :

يا هذه أقصيري ما هذه بشرُ ولا الخرائدُ من أترابها الآخرُ^(١)
 خرَجْنَ في خُضرةِ كالرَّوضِ لَيْسَ لها إلَّا الحُلَى على أعناقها زهرُ
 بِدرةٍ حَفَّها مِنْ حَوْلِها دُرٌّ أرَضَى غَرَامِي فيها دَمْعِي الدُّرُّ
 صَبَّ الشَّبابُ عليها وهو مُتَتَبِّلٌ ماءً من الحُسْنِ ما في صَفْوِهِ كَدَّرُ

قوله : « خرَجْنَ في خُضرةِ » ، فإنَّ الخُضرةَ ليست من ألوان ثياب
 نساء البادية ، ولا من صِبْغِ نساء الأمصار إلَّا في الفرط ، لا يلبس إلَّا أن
 يكون أصل لون الثوب أخضر

وقد جعل^(٢) أبو تمام جميع لباس هؤلاء النسوة الأخضر ، وشبَّهه بالروض
 من أجل تشبيهه الحلَى بالزَّهر ، وهو نبت حسن . وغرضه في ذكر الخُضرة
 غرض صحيح إلَّا أنه غير معروف .

وقال البحتري :

وأخضرُ مَوْشَى البُرودِ وَقَدْ بَدَا مِنْهُنَّ دِيباجُ الخُدودِ المُنْهَبِ^(٣)
 ذكر الخُضرةَ لأنَّه لم يجد لوناً غيرها ؛ وذلك أنَّ البياض ليس مما
 توصف به ثياب النساء ، والسواد ثياب الحزن والمصائب . وقد جعل
 خدودهن ديباجاً مُنْهَباً ، والذهب يشتمل على لون الحمرة ، والصفرة ،
 والتَّوْرِيد هو من ألوان الخد ، والكُحْلَى لا يلفظ به ، والعرب لا تذكُرُه في

(١) م « وقد جمع »

(٢) ديوان البحتري ٦٨١ ، ٧١/١ طبع المعارف

(٣) م « الحسن » !

الألوان ، وكذلك الأزرق لا تستعمله إلا في صفة الماء والصبح . ويقولون :
عَدُوُّ أَرْق ، أي حديد النظر ، وسانان أَرْق أي حديد . ولم يبق من
الألوان ما يخالف لون الخدود المذهبة كما قال إلا الخضرة . فهذا وجه
ذكر البحري الخضرة ؛ لأنه لو قال :

وَأَحْمَرُ مَوْشَى الخدود وقد بدأ منهن ديباج الخدود المذهب
لكان مدحاً بلونين متفقين .

وقال البحري :

هَزُّ مِنْهَا شَرْخُ الشَّبَابِ فَجَالَتْ فَوْقَ خَضِرٍ كَثِيرِ جَوْلِ الْوِشَاحِ^(١)
وَأَرْتَنَا خُذًا يُرَاحُ لَهُ الْوَرْدُ دُ وَيَشْتَعُهُ جَنَى الْتَفَاحِ
وَشَتِينًا يَغُضُّ مِنْ لَوْلُو النَّظْ م وَيُزْرِى عَلَى شَنِيتِ الْأَقَاحِ
فَأَضَاعَتْ تَحْتَ الدُّجْنَةِ لِلشَّرِّ بِ وَكَادَتْ تُضِيءُ لِلْمِضْبَاحِ
وَأَشَارَتْ عَلَى الْغَنَاءِ بِأَلْحَا ظِ مِرَاضٍ مِنَ التَّصَابِي صِحَاحِ
فَطَرَبْنَا لَهُنَّ قَبْلَ الْمَثَانِي وَسَكِرْنَا مِنْهُنَّ قَبْلَ الرَّاحِ
قَدْ تَدِيرُ الْجُفُونُ مِنْ عَدَمِ الْأَ بَابِ مَا لَا يَلُورُ فِي الْأَقْدَاحِ

قوله : « فجالت فوق خضر » كلام حسن .

وقوله : « يراح له الورد » حسن أيضاً .

وقول أبي تمام : « كانت وبالاً على الورد » - أحسن منه وألطف ،

وأشبه بما يستعمل في هذا المعنى .

(١) ديوان البحري ٣٨٢ : ١ / ٧٧ طار المطبوع

وقوله : « وَيَشْتَمُهُ جَنَى التُّفَّاحِ » - ليس بالجيد ، بل هو ردىء؛ لأنه لا يدخل في الاستعارة أن يشتم التفاح خدّها ، ولكنه يحمل على أزه لو كان مما يشتم لاشتّم خدّها ، أو لو كان الورد مما يراح لراح له .
و « يراح » أسهل من « يشتم » .

وهذا مثل قول [عَوْفُ بْنُ عَطِيَّةٍ] ^(١) بن الخَرِيع :
لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ يَتَّخِذُ الْفَارُ فِيهِ مَغَارًا ^(٢)
والفأر لا تتخذ في الحافر مغاراً ، وإنما قال ذلك لعظم الحافر . ومثله أيضاً قولهم : جاء بِجَفْنَةٍ يَقَعْدُ فِيهَا خُمْسَةٌ . وإنما أراد لوقعدوا فيها لوسعتهم .
وهذا على كل حال أقرب من استعارة البحتري .
وقوله : « وَشَتَيْتَا يَغْضُ مِنْ لَوْلُؤِ النَّظْمِ » بيت في غاية الجودة ، والصحة ، والبراعة .

وكذلك قوله : « وَكَادَتْ تُضِيءُ لِلْمِضْبَاحِ » . وهو أجود من قول أبي تمام :
« وَتَبْدُو فِي الضِّيَاءِ فَيُظْلِمُ » ، وأوضح وأليق ، وأشدّ مبالغة في الضوء .

* * *

وقال ^(٣) البحتري :

وَبِنَفْسِي مُسْتَغْرَبُ الْحُسْنِ فِيهِ حَيْدٌ عَنْ مُجِبِّهِ وَنِفَارٌ ^(٤)
فَاتِرُ النَّاطِرِينَ يَنْتَسِبُ الْوَرْدَ دُ إِلَى وَجَنَّتِيهِ ، وَالْجُلْنَاسُ ^(٥)
مُذْنِبٌ يُكْثِرُ التَّجَنِّيَ فَمِنْهُ الذُّ نَبٌ ظُلْمًا ، وَمِنِّي الْإِعْتِدَارُ

(١) الزيادة من ق

(٢) المفضليات ٤١٤ والمماق الكير لابن قتيبة ١ / ١٦٩ والشرح منه .

(٣) م « وقول »

(٤) ديوان البحتري ١٠٤ ، ٢ / ٨٥٢ « محبة وازودار » .

(٥) م « ينسب الورد » والجلناس : زهر الرمان .

وهذا من قول المؤمل بن أميل المخاري :
 * وتذنبون فنأتىكم فنعتر^(١) *

وقال البحترى :

وقد نهيت فؤادى لو يطاوعنى عن ذى دلال غريب الحسنى مفرد^(٢)
 عن حب أخوى أسيل الخد أبيضه ساجى الجفون، كحيل الطرف أسوده
 مثل الكشير تعالى فى تراكمه مثل القصب تشى فى تأوده

فجعل الخد هنا أبيض من أجل قوله : « كحيل الطرف أسوده » .
 وابيضاض الخد عند كثير من الناس - إذا كان له ماء ورونق - أحسن
 من احمراره .

وقوله : « أخوى » . إنما ذهب به إلى الظى . وهو الذى فى ظهره خط
 أسود ، فقال « أخوى » مكان قوله « ظى » ، لو قاله .
 وهذا لفظ ومعنى فى غاية الحسن .

وقال :

بيضاء أوقد خديها الصبا وسقى أجفانها من مدام الراح ساقيا^(٣)
 فى حمرة الورد شكل من تلها وللقصب نصيب من تشيها
 قوله : « أوقد خديها الصبا » يريد احمرارها . وهذا لفظ حسن ،
 ومعنى مستقيم .

(١) صدره : « إذا مرضنا أتيناكم فردكم » ، كما نهاية الأرب ٩٢ / ٣ وهو غير منسوب فى
 عيون الأخبار ٤٥ / ٣
 (٢) ديوان البحترى ٥٨٠ ، ١ / ٤٩٨ دار المعارف .
 (٣) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢٤٠٩ - ٢٤١٠

وقوله : « وسقى أجفانها من مدام الراح ساقياها » يريد تفتير
الْحَاضِظِهَا ، وانكسار أجفانها من الغنج ، كما تتكسر أجفان السكران .
وهذا كقوله :

تَحْسِبُهُ نَشْوَانٌ إِمَّا رَنَا لِي فَتَرِ مِنْ أَجْفَانِهِ وَهُوَ صَاحٌ^(١)
والأشهر^(٢) الأكثرُ في كلامهم تشبيههم أجفانَ المحبوب بطرف الوشنان
لا بطرف السكران . فذلك نحو قول الشاعر :

وَكَاثِنَاهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمٍ^(٣)
وَشَنَانٌ أَقْصَدُهُ النَّعَاسُ فَرَنْقَتُ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ ، وَلَيْسَ بِنَائِمٍ^(٤)
ويجعلون طرفَ المحبوب هو الذي يُسكر ، ويقيمونه مقام الراح . وقد
أكثر البحثى من هذا الوصف ، وذلك قوله :

أَرْسَلَتْ شُغْلَيْنِ : مِنْ لَفْظٍ مَحَاسِنُهُ تَدْوِي الصَّحِيحَ ، وَلَحْظٍ يُسْكِرُ الصَّاحِي^(٥)
حَيِّتُ خَدْيِكَ بَلْ حَيِّتُ مِنْ طَرْبٍ وَرَدًا يَوْرَدُ ، وَتُفَاحًا بِتُفَاحٍ
[وقوله :

قد تُديرُ الجفونُ من عدم الألبابِ ما لا يدور في الأقداحِ]^(٦)

(١) ديوان البحري ٦٤٩ ، ١ / ٤٣٥ دار المعارف .

(٢) م « والأشهر » !

(٣) لعلى بن الرقاع كما في الكامل ١٢٧ / ١ والشعر والشعراء ٦٠٢ / ٢ وأمالى المرتضى ٥١١ / ١
وفي الأغاني ١٨١ / ٨ « الجاذر » جمع جَوْدَر ، وهي أولاد البقر الوحشية . وجاسم : موضع . ويروى
عاسم مكان جاسم . والوشنان : النائم . والوسن . النوم ، الواحدة منه سنة . والترقيق : الدنومن الشيء
يريد أن يفعله .

(٤) له في اللسان ٤١٩ / ١١

(٥) ديوان البحري ٥٨ ، ١ / ٤٤٣ وفي م « تروى الصحيح » !

(٦) سبق من ٩٧ .

وقوله :

وَمَا أَشْكَرْتَنِي الرَّاحُ لَكِنْ أَعَانَهَا عَلَى بَعَيْنَيْهِ الْغَدَاةُ - مُدِيرُهَا^(١)

وقوله :

سَقَانِي بِكَأْسِيهِ ، وَعَيْنَيْهِ قَادِرًا بِالْحَاضِظِ دُونَ الْمُدَامِ عَلَى سُكْرِي^(٢)

وقوله :

مُسْكِرِي إِنْ شَرِبْتُ مِنْهُ بِعَيْنِي أَرْجُوَانُ مِنْ خَمْرِ خَدَيْهِ صِرْفُ^(٣)

ولو قال : « خندريس من خمر عينيه » كان ذلك صحيحاً مستقيماً ، ولكن « أرجوان من خمر خديه » أحسن وألطف .

ولا قال : « بيضاء أوقد خديها الصبا » كان يجب أن يقول : في حمرة الورد شكل من تلهبها ، فلم يقل ، ونسب التلهب إليها ، وإن كان للخدين ، وذلك من أجل قوله :

* وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَشْنِئِهَا *

ويجوز أن يكون ذهب بقوله من تلهبها إلى تلهب نار الخدين ؛ لأنه قد دل عليها بالإيقاد .

وقال أبو تمام في حُمْرَةِ الْخَدِّ :

إِنَّ فِي خَيْمِهِمْ لَمُطْعَمَةُ الْحِجَّةِ لَيْتِنِ وَالْمَتْنُ مَتْنُ خُوطِ وَرِيقِ^(٤)
وَكَأَنَّ الْجَرِيَالَ شَيْبَ بِمَاءِ الدُّرِّ فِي خَدَّهَا بِمَاءِ الْعَقِيقِ

(١) ديوان البحري ٦٠٥ وما صرعتني الكأس « وفي ق « حتى أعانها » وكذلك في ديوانه

٢ / ٩٩٩ طبع دار المعارف

(٢) ديوانه ١٥١ ، ٢ / ١٥٥ دار المعارف .

(٣) ديوانه ١٣٧٦ « إن سقيت » .

(٤) ديوان أبي تمام ٢١٦ وشرح التبريزي ٢ / ٤٣٢ ويرى : « لفظة الحجلين » .

كذا رواية هذا البيت : « شيب بماء الدر في خدها^(١) بماء العقيق »
[وهو الصحيح] ^(٢)

والجريال : اللون الأحمر . وأراه أراد لون الخمر ، كما قال الأعشى :
« سَلَبْتُهَا جَرِيَالَهَا »^(٣) . أى حمرتها . وقد سئل عن هذا : فقال :
شربتها حمراء ، وبلتها بيضاء .

واستقامة اللفظ أن يكون أراد : وكأن الجريال بماء العقيق شيب بماء
الدر في خدها ، كما قال في نحو هذا اللفظ :
وَأَخْلَقُ كَأَنَّ الْمِسْكَ فِيهَا بِصَفْوِ الرَّاحِ بِالنُّطْفِ الْعَذَابِ^(٤)
فإن كان هذا أراد فقد كان ماء العقيق يُغنى عن الجريال ؛ لأن
الدر والعقيق جوهرا ، واختلاط مائهما على الاستعارة حتى يشبه الخد
المورّد - سائغ .

وإن كان أراد بالجريال الخمر نفسها كما قال الشاعر :

* وَتَكَلَّمْتُ بِلِسَانِهَا الْجَرِيَالُ *

- فإن الخمرة بحمرة لونها مستغنية عن ماء^(٥) العقيق ؛ لأنها أنصع
وأحسن

وهو أيضاً [جمع]^(٦) بين شيئين لا يتشابهان :

(١) م « في خدها بالعقيق »

(٢) الزيادة من ق

(٣) تمام بيت الأعشى ، كما في ديوانه واللسان ١١٤ / ١٣

وسبيطة مما تعتق بابل كلم التيسح سلبها جريالها

(٤) ديوان أبي تمام ٥٥ وشرح التبريزي ١ / ٢٨٨

(٥) م « مستغبة بماء »

(٦) الزيادة من ق .

والعادية الجارية في مثل هذا أن يقال : كَانَ خَدَّهَا الْخَمْرُ وَالْمَاءُ ، أَوْ
كَأَنَّهَا جَرَتْ فِي خَدَّهَا الْخَمْرُ وَالْمَاءُ ، فَأَمَّا الْخَمْرُ مَمْرُوجَةٌ أَوْ مَشُوبَةٌ بِمَاءِ الْعَقِيقِ
فَإِنَّهُ خَطَلٌ مِنَ الْقَوْلِ .

* * *

وقال أبو تمام :

رُودٌ أَصَابَتْهَا النَّوَى فِي خُرْدٍ كَانَتْ بِدُورِ دُجْنَةٍ وَشُمُوسَا^(١)
وَكَاثِمًا أَهْدَى شَقَائِقَهُ إِلَى وَجَنَاتِهِنَّ ضَحَى أَبُو قَابُوسَا
بَيْضًا يُدِيرْنَ عِيُونَهُنَّ إِلَى الصَّبَا فَكَأَنَّهِنَّ بِهَا يُدِيرْنَ كُؤُوسَا^(٢)
وهذه أبيات صالحة .

ثم جُنَّ بعد هذا فقال :

لَوْلَا حَدَاثَتُهَا وَأَنَّى لَا أَرَى عَرْشًا لَهَا لَطَنَّتْهَا بِلِقَيْسَا^(٣)
فَأَيُّ شَيْءٍ يَزِيدُكَ عَلَى هَذِهِ الْحَدَايِقَةِ .

* * *

وقال البحتري :

سَفَرَتْ كَمَا سَفَرَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ عَنْ وَرْدٍ يَرْقِرُهُ الضُّحَى مَصْقُولِ^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٧٥ وشرح التبريزي ٢٦٤

(٢) في الديوان وشرحه : « بيض تكور »

(٣) غاية ما علق به التبريزي على هذا البيت قوله : « لأن بلقيس متقدمة العهد، ولو بقيت إلى

الآن لصارت ققة » !!!

(٤) ديوان البحتري ١٧٨ ، ٢ / ١٨٣٩

وَتَبَسَّمتَ عَنْ لَوْلُوْ فِي رَصْفِهِ بَرْدُ يَرْدُ حُشاشَةً الْمَتَبُولِ

أى شيء يزيدك على هذا الإحسان^(١) ؟

وأجود من هذا وأحلى - قول كثير :

وَيَوْمَ الْخَيْلِ قَدْ مَفَرْتُ وَكَفْتُ رِداءَ الْعَصْبِ عَنْ رَتْلِ بَرَادِ^(٢)

وَعَنْ نَجْلَاءٍ تَذْمَعُ فِي بِياضٍ إِذَا دَمَعْتُ، وَتَنْظُرُ فِي سَوَادِ^(٣)

وَعَنْ مُتْكَائِسٍ فِي الْعَقْصِ جَثَلٍ أَثِيثِ النَّبْتِ، ذِي عُذْرِ جِعَادِ

مُتْكَائِس : شعر كثير قد ركب بعضه بعضاً .

(١) في حساسة ابن الشجرى ١٩٠ « وقال البحرى ولم يفصر عن غاية الإحسان : أسفرت ... »

(٢) ديوان كثير ١٥٩ / ٢ والأغاني ٤٧ / ١١ « ويوم الخيل » وأماك المرنمى ١٧٨ / ٢ .

وم ، ق : « يوم الخيل »

(٣) سبق في ص ١٢٤ من الجزء الأول

ما لاقاه في وصف الثغور

وقال أبو تمام :

وَسَنَابَاكِ إِنَّهَا إِغْرِیضٌ وَلَا لِ ثُومٌ ، وَبَرْقٌ وَمِیضٌ ^(١)
وَأَقَاحٍ مُنَوَّرٌ فِي بَطَاحٍ هَزَّةٌ فِي الصَّبَاحِ رَوْضٌ أَرِیضٌ
وَأَرْتِكَاضِ الْكَرَى بِعَيْنَيْكَ فِي النَّوْ مِ فَنُونًا ، وَمَا لِعَبْتِي غُمُوضٌ ^(٢)
لَتَكَاءِ ذَنْبِي غِمَارٌ مِنْ الْأَحْ لَدَاتٍ لَمْ أَذِرِ أَبْهَنَ أَخُوضٌ

وهذه لعمر الله - يَمِينٌ في غاية الحسن [والحلاوة] ^(٣) والملاحه .

وقوله : « وَأَقَاحٍ مُنَوَّرٌ فِي بَطَاحٍ » كلام مستقيم . والبَطَاحُ : ما اطمأن
من الأرض وأنهبط ^(٤) . والندى ، والعشب فيه أبقى . ورياضُ الحزنِ
أحسن . فأما قول الأعشى :

* مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ ^(٥) *

فإن الحزن ههنا : موضع كانت إبل الملوك ترعى فيه على ما ذكر .

وقوله : « هَزَّةٌ فِي الصَّبَاحِ رَوْضٌ أَرِیضٌ » ليس بالجيد اللائق ؛
لأنَّ الأَقَاحِي هي من الروض ، والرَّوْضُ إنما يهزه ويحرّكه الندى ، والنسيمُ ،
لا أن يهزَّ بعضه بعضاً .

(١) ديوان أبي تمام ١٨١ وشرح التبريزي ٢ / ٢٨٧

(٢) م « فتونا »

(٣) الزيادة من ق

(٤) م « والمهبط »

(٥) ديوان الأعشى ٤٣ وعجزه : « خضراء جاد عليها مسبل هطل »

والأريض^(١) : هو المتمكن في موضعه ، الجيد النبات .

وقال البحرى :

لها غرائبٌ دلُّ ما يزالُ لها على الغرام به حثٌّ وتغريض^(٢)
تُفَاحُ خدٍّ إذا أحمرتَ محاسنُهُ مُقَبَّلٌ بِخَفِيٍّ اللَّحْظِ مَعْضُوضُ
وواضحاتُ تُرَيْكَ الدُّرِّ مُتَسِقاً كأنَّهنَّ إذا استغرِبْنَ إغريض^(٣)
لو كان يكفيكَ عِلْمُ الشَّيْءِ تَجْهَلُهُ فَقَدْ كَفَاكَ مِنَ التَّضَرِّيحِ تَعْرِيضُ^(٤)

فقوله : «تُرَيْكَ الدُّرِّ مُتَسِقاً» أحسن ، وأصح من قول أبي تمام :

«وَلَا لِتُومٍ» . غير أن أبا تمام شبه الشجر في بيته بثلاثة أشياء . وقد فعل

البحرى ذلك فقال :

بَاتَ نَدِيماً لى حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الوِشَاحِ^(٥)
كَأَنَّمَا يَضْحَكُ ، عَنْ لَوْلُوٍ مُنْظَمٍ ، أَوْ بَرْدٍ ، أَوْ أَقَاخِ

فشبه الشجر بثلاثة أشياء ، وشرط في اللؤلؤ أنه منظم ، كما قال في

البيت الآخر :

«تُرَيْكَ^(٦) الدُّرِّ مُتَسِقاً» ، حتى استوى التشبيه بالإغريض .

(١) م «الأرض» !

(٢) ديوان البحرى ٢ / ١٢١٧ «بنا بث» ، م «حث وتعريض» والتصويب من ق

(٣) م «استغرين»

(٤) ق «لقد كفاك»

(٥) ديوان البحرى ٦٤٩ ، ١ / ٤٣٥ دار المعارف .

(٦) م «يريد» !

وقد شبه الشجر بالبرد والآقحى فى مصراع فقال :
يَضْحَكُنَّ عَنْ بَرْدٍ ، وَنَوَّرَ أَقَاحٍ وَيَشْبَنَ ظَلَمَ رُضَائِهِنَّ بِرَاحٍ^(١)

ووصله بيت هو فى حسنه وحلاوته فقال :
وَإِذَا بَرَزْنَ مِنَ الْخُدُورِ سَفَرْنَ عَنْ هَمِّكَ : مِنْ وَرْدٍ ، وَمِنْ تَفَاحٍ
وقد شبه البحرى أيضاً بياض ثغر المرأة بالبرق ، وبضوء الصباح ،
فقال :

أَضْوَاءُ بَرَقَ بَدَا ، أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحٍ أَمْ أَبْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِى^(٢)
ثم قال بعده :

وَيَرْجِعُ اللَّيْلُ مُبَيَّضًا إِذَا ضَحِكَتْ عَنْ أَبْيَضِ خَضِلِ السَّمْطَيْنِ لَمَّاحٍ^(٣)
وهذا أحسن كلام ، وأصححه ، وأحلاه .

ولكن البديع فى تشبيه الشجر بالبرق قول العديلى بن الفرخ العجلي :
ضَحِكَتْ فَقُلْتُ غَمَامَةٌ بَرَقَتْ لَنَا بِشِعَابِ مَكَّةَ بَرَقُهَا لَا يَبْرَحُ^(٤)
فشرط أن برقها مقيم لا يبرح . وهذا أطف ما يكون من المعالى وأحسنها .

وقد أحسن البحرى كل الإحسان فى قوله :
وَشَتَيْتَا يَغُضُّ مِنْ لَوْلُو النَّظْمِ وَيَزْرِى عَلَى شَتَيْتِ الْآقَاحِ^(٥)

(١) ديوان البحرى ١ / ١٢٤ طبع بيروت ، ١ / ٤٧٦ دار المعارف .
(٢) ديوانه ٥٨ ، ١ / ٤٤٢ « ألمع برق سرى » .
(٣) فى الديوان « إذا ابتسمت » وفى ديوان المعاني ١ / ٢٣٨ « فجعله يحلوا الظلام لياضه ، وذكر كثرة الريق فقال : « خضل » لأن قلة الريق تورث تغير القم ، وذكر حسن تنضيد الشجر فجعله سمطين . فلا يرى فى هذا المعنى أجمع من هذا البيت

(٤) ق « بشعاف »

(٥) ديوان البحرى ٣٨٢ ، ١ / ٥٨ دار المعارف ، وفى م « ويتلى على »

ومن إحسانه المشهور لفظاً ومعنى قوله :

وَلَا أَلْتَقَيْنَا وَالتَّقَا مَوْعِدُ لَنَا تَعَجَّبَ رَائِي الدَّرُّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً^(١)
فَمِنْ لَوْلُو تَبْدِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ^(٢)

والعرب تشبه الثغر باللؤلؤ . والإغريض . وهو ما^(٣) يتشقق عنه الطلع من النخل ، [و] بالأقاحي ، وهو أشبهها بالثغر هيئةً ، وشكلاً ، وبياضاً ، وتفلجاً . وتَشَبَّهُه بالبرد . وبشوك السَّيَال ، وهو شجر . ولا يريدون اللون ، وإنما يريدون الشكل والتفرق . قال الأعشى :

بَاكَرَتْهَا الْأَغْرَابُ فِي سِنَةِ النَّوْمِ مِ قَتَجَرِي خِلَالَ شَوْكِ السَّيَالِ^(٤)
الْأَغْرَابُ : أَقْدَاحُ الْفِضَّةِ بَاكَرَتْهَا وَفِيهَا الْخَمْرُ

[وقد] قال أبو تمام :

وَعَلَى الْعَيْسِ خَرْدٌ يَتَبَسُّمُ نَ عَنِ ، الْأَشْنَبِ الشَّتِيبِ الْبُرَادِ^(٥)
كَانَ شَوْكُ السَّيَالِ حُسْنًا فَأَضْحَى دُونَهُ لِلْفِرَاقِ شَوْكُ الْقَتَادِ^(٦)

فالبراد : هو البارد ، والأشنبُ أيضاً : البارد ، والشنب : البرد .

وإنما جمع بينهما لاختلاف اللفظ

وقال أبو تمام :

وَلَوْ تَبَسَّمَ عُجْنَا الطَّرْفَ فِي بَرْدٍ وَفِي أَقَاحِ سَقَنَةِ الْخَمْرِ وَالضَّرْبِ^(٧)
مِنْ شَكْلِهِ الدَّرُّ فِي رَصْفِ النَّظَامِ وَمِنْ صِفَاتِهِ الْفِتْنَتَانِ : الظَّلْمُ ، وَالشَّنْبُ

(١) ديوان البحري ١٧٩ ، ٢ / ١٢٣٠ وديوان المعاني ١ / ٢٣٨

(٢) في الديوان « لَوْلُو تَجْلُوهُ »

(٣) م « وهما ما »

(٤) ديوان الأعشى ٥ واللسان ٢ / ١٣٦ ، ١٣ / ٣٧٤

(٥) ديوان أبي تمام ٧٥ وشرح التبريزي ١ / ٣٥٩ وأمالى المرتضى ٢ / ١٧٨

(٦) في الديوان وشرحه « فأمسى »

(٧) ديوانه ٤٧ وشرح التبريزي ١ / ٢٤٧

قوله : « في أقاح سقته الخمر والضرب » معنى حسن جدًا ، ولائق بالمعنى .

والظلم : ماء الأسنان . والشنب : بردها .

وتزعم الرواة أن أحسن ما قيل في وصف الثغر قول بشر بن أبي خازم^(١) :
يُفَلِّجُنِ الشِّفَاهَ عَنْ أَقْحُوَانٍ جَلَاهُ غِبٌّ سَارِيَةٍ قِطَارُ^(٢)

وهذا - لعمرى - يستحق التقديم والتفضيل . وليس بدونه قول النابغة :
كَالْأَقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبٍّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ ، وَأَسْفَلُهُ نَدَى^(٣)

بل قول النابغة أجمع للمعنى ؛ لأن قوله : « كَالْأَقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبٍّ سَمَائِهِ » - بإزاء قول بشر : « جَلَاهُ غِبٌّ سَارِيَةٍ قِطَارُ »

وقول النابغة : « جَفَّتْ أَعَالِيهِ ، وَأَسْفَلُهُ نَدَى » زيادة حسنة .

ولكن بيت بشر أبرع ؛ لأنه مستغن بنفسه ، وبيت النابغة متعلق على البيت الذي قبله .

(١) م « خازم »

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم ٦٣ وديوان المعاني ١ / ٢٢٨

(٣) ديوان النابغة ٣٧ وديوان المعاني

ما قالاه في وصف القدود ، والخصور ، والأخصاف
وثقل الأرداف ، وحسن المشى

قال أبو تمام :

وَمَقْلُودَةٌ رُودٌ تَكَادُ تَقْلُدُهَا إِصَابَتُهَا بِالْعَيْنِ مِنْ حُسْنِ الْقَدِّ^(١)
تُعْصِفُ خَدَّيْهَا الْعَيُونُ بِحُمْرَةٍ إِذَا وَرَدَتْ كَانَتْ وَبَالاً عَلَى الْوَرْدِ^(٢)

وقال :

وُخُوطِيَّةٌ شَمْسِيَّةٌ رَشَّيَّةٌ مُهْفَهَفَةٌ الْأَعْلَى ، رَدَّاحُ الْمُحَقَّبِ^(٣)
تُصَدِّعُ شَمْلَ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَتَشْعِبُهُ بِالْبَثِّ مِنْ كُلِّ مَشْعَبٍ
بِمُخْتَلٍ سَاجٍ مِنَ الطَّرَفِ آخِرٍ وَمُقْتَتَلٍ صَافٍ مِنَ الثَّغْرِ أَشْنَبٍ
مِنْ الْمُعْطِيَّاتِ الْحُسْنِ ، وَالْمُوْتِيَّاتِ مُجَلْبِبَةٍ ، أَوْ فَاضِلًا لَمْ تُجَلْبِبِ

وهذه معان حسنة ، وقول حلو .

والرَّدَّاح : العظيمة العَجْزُ .

وقوله : تُصَدِّعُ شَمْلَ الْقَلْبِ ، وتشعبه - بمعنى واحد . ولولا قوله :
« بِالْبَثِّ » لصلح أن يكون تَشْعِبُهُ : تضم أجزاءه ، وتلائم بينها ؛ لأنَّ
شَعَبَ مِنَ الْأَضْدَادِ^(٤) : يكون جمعت وقرقت ، فكأن المعنى حينئذ : تصدع شمل

(١) ديوان أبي تمام ١١٤ وشرح التبريزي ٢ / ٦١

(٢) راجع ص ٩٥

(٣) ديوانه ٢٣ وشرح التبريزي ١ / ١٥٤

(٤) راجع الأضداد لابن الأنباري ٤٣

القلب أى تفرقه إذا شأنت ، وتَشَعُّبُهُ أى تَضَمُّعُهُ وتجمعه ، كما قال فى موضع آخر :

وَعَهْدِي بِهَا تُحْيِي الْهَوَى وَتُمِيتُهُ وَتَشَعِّبُ أَغْشَارَ الْفُؤَادِ وَتَصْدَعُ^(١)
أى تحيى الهوى بهجرها ، وتميته بوصلها .

وقوله : « ساج » أى يختل بنظره . ومقتتل صاف ، يريد قتل الحب ؛ يقال : أَقْتَلْتُهُ الحبَّ ، وَأَقْتَلْتُهُ الجنَّ ، كأنه اعتمد ازدواج اللفظين بقوله : مُخْتَتَلٌ ، ومُقتَتَلٌ .

وقوله : « مُجَلْبَبَةٌ » من الجَلْبَاب وهو : الخِمَار ، وقد يكون أيضاً : الثوب . « أَوْفَاضِلًا لَمْ تُجَلْبَبِ » ، والفَاضِل : هى الْمُتَفَضِّلَةُ فى ثوب واحد ، وهو الذى تَلْبِسُهُ^(٢) المرأة لِلْبِدَلَةِ وَالْإِعْتِمَالِ .

وقال :

مِنْ كُلِّ ضَاحِكَةٍ التَّرَائِبِ أَرْهَفْتُ إِرْهَافَ خُوطِ الْبَانَةِ الْمَيَّاسِ^(٣)
بَدْرٌ أَطَاعَتْ فِيكَ بَادِرَةَ النَّوَى خَطَأً ، وَشَمْسٌ أُولِعَتْ بِشِمَاسِ^(٤)
وَإِذَا مَشَتْ تَرَكْتُ بِصَدْرِكَ ضِعْفَ مَا بِحُلِيِّهَا مِنْ كَثْرَةِ الْوَسْوَاسِ^(٥)
وَالْخِطْءُ : ما يعتمد الإنسان ، وَالْخَطَأُ : ما لا يعتمد^(٦) .

(١) سبق ص ٨٣

(٢) م « البسته »

(٣) ديوان أبى تمام ١٧٣ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤٣ وأرهفت : أى رق خلقها .

(٤) فى الديوان وشرحه « التوى ولعاً »

(٥) هذا البيت فى الأصل مؤخر عن شرح البيتين .

(٦) اللسان ١ / ٥٩

وقوله : « ضاحكة الترائب » : يرير ما على صدرها من الحلى . والترائب
عظام الصدر .

وقال :

إِنْ فِي خَيْمِهِمْ لَمُطْعَمَةٌ الْحِجَّةُ لَمَيْنٌ ، وَالْمَتْنُ مَتْنُ خُوطٍ وَرِيقٍ^(١)
وَهِيَ لَا عَقْدٌ وَدَّهَا سَاعَةُ الْبَيْنِ ن ، وَلَا عَقْدٌ خَصَرِهَا بُوْثِيقٍ

قوله : « مطعمة الحجلين » ، والحجل : الخَلخال ، والمُطعمُ :
المرزوق من الطعام . جعل امتلاء لحم ساقها طعاماً لخلخالها ؛ لأنه يعضُّ به .

وقوله : « وهي لا عقد ودَّها ساعة البين » [أراد : ولا عقد ودَّها ساعة
البين] بوْثِيقٌ ، ولا عقد خصرها بوْثِيقٌ على كل حال . ولكنه لما أخبر عنها^(٢)
خبراً واحداً ، ونسق بأحدهما على الآخر - صار الظرف ، وهو ساعة البين ،
على ظاهر اللفظ . كأنه يضمهما^(٣) معاً ، فيكون عقد خصرها غير وثيق
أيضاً في ساعة البين . وهو قبيح على جوازه وسَوْغِهِ .

وقال البحتري :

فِيهِنَّ مَشْغُولٌ بِهِ الظَّرْفُ هَارِبٌ بَعَيْنِيهِ مِنْ لَحْظِ الْمُحِبِّ الْمُخَالِسِ^(٤)
خَبْرٌ عَنْ غُصْنٍ مِنَ الْبَانِ مَائِدٍ إِذَا أَهْتَرَّ فِي ضَرْبٍ مِنَ الدَّلِّ مَائِسٍ

وهذا نمط البحتري الحلو . وإنما قال : « هارب بعينه » ، فخصهما

(١) م « في خيمهم » وسبق ص ١٠١ « خيمهم »

(٢) م « عنها »

(٣) م « يضمها »

(٤) ديوان البحتري ١١٦ ، ٢ / ١١٢٣

دون غيرهما ؛ لأن الحسن^(١) إنما هو في العين ، وعلاقة الحب إنما تكون عند النظر إلى العين^(٢) .

وقال :

وَقَدْ بَانَ فِيهِمْ غُصْنُ بَانَ إِذَا بَدَا ثَوَى مُخْبِرًا عَنْ مِثْلِهِ أَوْ مِثَالِهِ^(٣)
يَسُوءُكَ إِلَّا عَطَفَ عِنْدَ أَنْعَاطِهِ وَيُشْجِيكَ إِلَّا عَدَلَ عِنْدَ أَعْتَدَالِهِ^(٤)
كَأَنَّهُ أَرَادَ بِالْمِثْلِ الشَّيْءَ نَفْسَهُ ، وَالْمِثَالُ : الشُّبْهَةُ ، أَيْ ثَرَى مُخْبِرًا عَنْ
غُصْنِ بَانَ مِثْلِهِ ، أَوْ شَبِهُهُ . إِلَى هَذَا ذَهَبَ .

وقال :

أَعْطَيْتُ بَسْطَةً عَلَى النَّاسِ حَتَّى هِيَ صِنْفٌ فِي الْحُسْنِ ، وَالنَّاسُ صِنْفٌ^(٥)
أَعْتَدَالٌ يَمِيلُ مِنْهُ أَنْخِنَاثٌ وَتَشَنُّ فِيهِ الْفَخَامَةُ لُطْفٌ^(٦)
نَعْمَةُ الْغُصْنِ إِنْ تَأَوَّدَ عِطْفٌ مِنْهُ عَنْ هِزَّةٍ تَمَاسَكَ عِطْفٌ^(٧)
مُسْكِرِي إِنْ سَقَيْتُ مِنْهُ بِعَيْنِي أَرْجُوَانٌ مِنْ خَمْرِ خَدَيْهِ صِرْفٌ^(٨)
وهذا من إحسانه المشهور .

(١) م « إلا أن الحسن »

(٢) م « إلى العين » !

(٣) في الديوان ١٦٢٣/٣ « مخبر »

(٤) كذا في م ، ق وفي الديوان : « إلا العطف . . . إلا العدل »

(٥) ديوان البحري ٣٢٩ ، ١٣٧٥ « صنف والناس في الحسن صنف »

(٦) في الديوان « ويثنى فيه »

(٧) م « عن حبة تماسك »

(٨) سبق ص ١٠١

وقال :

لَمَّا مَشَيْنَ بِذِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ أَعْطَافُ قُضْبَانٍ بِهِ وَقُدُودُ^(١)
 فِي حُلَّتِي جَبَرِ وَرَوْضِ فَالْتَقَى وَشِيَانٍ : وَشَى رُبَى ، وَوَشَى بُرُودِ
 وَسَفَرَنَ فَاثْلَلَتْ عَيْنُ رَاقِهَا وَرَدَانٍ : وَرَدُ جَنَى ، وَوَرَدُ خُدُودِ^(٢)
 وَضَحِكُنْ فَاغْتَرَبَ الْأَقَاحِي مِنْ نَدِ غَضٍّ ، وَسَلْسَالِ الرُّضَابِ ، بُرُودِ^(٣)
 وهذا أيضاً من إحسانه المعروف .

وقوله : « فَاغْتَرَبَ » يريد الضحك . والمستعمل اسْتَغْرَبَ فِي الضَّحِكِ
 إِذَا اشْتَدَّ فِيهِ ، وَأَغْرَبَ أَيْضاً ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

فَمَا يَغْرِبُونَ الضَّحْكَ إِلَّا تَبَسُّمًا وَلَا يَنْسَبُونَ الْقَوْلَ إِلَّا تَنَاجِيًا^(٤)

ولم أسمع في الضحك اغترب . إنما ذاك من الغربة والبعد . فقلوه :
 « اغترب الأقاحي من ندٍ غَضٍّ » يريد النور نفسه . « وَسَلْسَالِ الرُّضَابِ »
 يعني : الثغور ، كأنه جعلهما جميعاً من الأقاحي ، وفصله فقال : من ند
 غَضٍّ ، ومن سلسال الرضاب ، وسلسال الرضاب هو ند غَضٍّ أَيْضاً ، إِلَّا
 أَنَّهُ جَعَلَ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا أَنَّ هَذَا أَنْدَى ، وَأَجْرَى مِنْ ذَاكَ .

وأظن المُسْتَغْرِبَ فِي الضَّحِكِ إِنَّمَا أَخَذَ مِنْ غُرُوبِ الْأَسْنَانِ إِذَا بَدَتْ
 كُلُّهَا فِي الضَّحِكِ ، وَهِيَ أَطْرَافُهَا ، وَغَرِبَ كُلُّ شَيْءٍ : حُدُّهُ

أَوْ أَنَّ يَكُونُ اسْتَغْرَبَ فِي الضَّحِكِ أَيْ امْتِلَأَ ضَحْكًا مِنْ قَوْلِهِمْ : أَغْرَبْتُ

(١) ديوان البحري ص ٨ ، ٢ / ٦٩٧ دار المعارف

(٢) م « ورد ضحى جنى وورد »

(٣) كذا في م ، ق وفي م « فاعترف الأقاحي » وفي الديوان : « من ندى »

(٤) ديوان ذي الرمة ٦٥٥ « ينسون » وفي م « فاعرفون »

السَّقاء إِذَا مَلَأْتَهُ ، قَالَ بِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ :
وَكَانَ ظُعْنَهُمْ غَدَاةً تَحْمَلُوا سَفُنٌ تَكْفَأُ فِي خَلِيجٍ مُغْرَبٍ^(١)

وسبيل هذا البيت أن يلحق في «باب الثغور» .

وقوله : «فالتقى ورْدان : ورْدٌ جَنَى ، وورْدٌ خُذُوِدٌ» - إن كان أراد
هذا الورد المعروف ، فمن أين بذى الأراك ورْدٌ ؟ إلا أن يريد بعض الأنواع^(٢) ،
والحمر من الأنوار فإنها كثيرة . وإياها - إن شاء الله - أراد .

ومن عجيب ما أوردته في حُسن القَدِّ قوله :

تَهْتَزُّ مِثْلَ أَهْتِزَّازِ الْغُصْنِ أَتَعْبَهُ مَرُورُ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ سَحَّاحٍ^(٣)

وقال :

بَيِّضَاءُ يُعْطِيكَ الْقَضِيبَ قَوَامُهَا وَيُرِيكَ عَيْنَيْهَا الْغَزَالُ الْأَخُورُ^(٤)
تَمْشِي فَتَحْكُمُ فِي الْقُلُوبِ بِدَلِّهَا وَتَمِيسُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ فَتَخْطُرُ^(٥)
وَتَمِيلُ مِنْ لَيْنِ الصَّبَا فَيَقِيمُهَا قَدْ يَوْنُثُ تَارَةً وَيُذَكِّرُ

وقال :

هَلْ الدَّلْفَاءُ مُخْبِرَتِي أَهْجَرًا أَرَادَتْ بِالتَّجْنُبِ ، أَمْ دَلَالًا ؟^(٦)
ذَكَرْتُ بِهَا قَضِيبَ الْبَانِ لَمَّا غَدَتُ تَخْتَالُ فِي الْحُسْنِ أَخْيَالًا
تُشَاكِلُهُ أَنْعَاطًا ، وَأَهْتِزَّازًا وَتَحْكِيهِ قَوَامًا ، وَأَعْتِدَالًا

(١) ديوان بشر بن أبي خازم ٣٥ واللسان ٢ / ١٣٥

(٢) ق «بيض أنواع الحمر من»

(٣) ديوان البحري ٥٨ ، ١ / ٤٤٢ دار المعارف

(٤) ديوانه ١٧ ، ٢ / ١٠٧٠

(٥) في الديوان «في ظل الشباب وتخطر»

(٦) ديوانه ٧٧٦ ، ١٧٢٨ «هل الحسناء»

وهذا ما لا يكاد يسمع أحلى ، ولا أعذب ، ولا أبرع منه .

وقال :

أَلَامٌ عَلَى هَوَى ظَمِيَاءَ ظُلْمًا وَقَلْبِي فِي يَدَي ظَمِيَاءَ عَانٍ^(١)
إِذَا أَنْصَرَفَتْ أَضَاءَتْ شَمْسٌ دَجْنٍ وَمَالَ مِنَ التَّعَطُّفِ غُصْنٌ بَانَ

قوله : « أَضَاءَتْ شَمْسٌ دَجْنٍ » . أى إذا انصرفت مُؤَلِّيةً بوجهها كان ضوءها كضوء الشمس من تَحْتِ الدَّجْنِ ، وهو البأس الغيم الأفق . وهذا أحسن ما يكون من المعنى^(٢) . وألفه . أى إذا غاب وجهها حين تُوَلَّى فأننا منها أيضاً في ضياء كضياء^(٣) الشمس من تحت الدَّجْنِ .

وقال أبو تمام :

أَذْنَتْ نِقَاباً عَلَى الْخَدَّيْنِ ، وَأَنْتَسَبَتْ لِلنَّاطِرِينَ بِقَدِّ لَيْسَ يَنْتَقِبُ^(٤)

وهذا حسن جداً .

وقال أبو تمام :

لَيْلِي أَضَلَلْتَ الْعَزَاءَ وَجَوَلْتُ بِعَقْلِكَ آرَامَ الْخُدُورِ الْخَوَازِلِ^(٥)
مِنَ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَائِلَ صُبِّرَتْ لَهَا وَشَحَاءُ جَالَتْ^(٦) عَلَيْهَا الْخَلَائِلُ
مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانَسُ قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ

(١) ديوان البحري ٢١٢ ، ٢٢٢٨/٤ « هوى الحناء . . في هوى الحناء عان »

(٢) م « المغان »

(٣) م « كظياء »

(٤) ديوان أبي تمام ٤٧ وشرح التبريزي ١ / ٢٤٧

(٥) ديوان أبي تمام ٢٥٦ وشرح التبريزي ٢ / ١١٥ ويروى « وخذلت » و « حولت »

و « الخدور » العقائل ، روى ق « لعقلك آرام »

(٦) م « جالت عليه »

قوله : « جَوَلْتُ » من أجل قوله : « الْخَوَازِلُ » وهُنَّ^(١) اللِّوَاثِي تَخْلِفْنَ من جملة السرب على أولادهن ، فأراد أن يُطابِقَ بَيْنَ « الْجَوْلَانِ » و« التَّأَخَّرِ » . وهو طباق غير جيد ، ولا لائق .

وقوله : « مِنْ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَائِلَ صُيِّرَتْ لَهَا وَشْحًا » - من أقبح الخطأ وأفحشه ؛ لأن الخلخال لا يكون في موضع الشاح ؛ لأن الشاح : ما تنقلده المرأة من سير ، أو خيط تنظم فيه خرزاً ، أو حلياً من فضة أو غيرها ، تنزين به فيكون منها في موضع حمائل السيف من الرجل . والخلخال لا يكون في هذا الموضع إلا إذا مسخها الله ، وأقمأها .

[^(٢) وقد أخطأ في البيت الثاني أيضاً فقال : « قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَاوَبِلُ » وإنما قيل للرَّمَّاح : « ذَوَابِلُ » للينها وتثنيها ، فنَفَى ذلك عن قُدود النساء التي من أكمل أوصافها التَّشْنِي واللين والانعطاف ، كما قال « تميم بن أبي ابن مقبل » :

يَهْزُنَ لِمَشْيِ أَوْصَالًا مُنْعَمَةً هَزَّ الْجَنُوبِ ضُحَى عِيدَانِ يَبْرِينَا^(٣)
أَوْ كَاهْتِزَازٍ رُدَيْنِي نَدَاوَلُهُ أَيْدِي التُّجَارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لَيْنَا

وقد ذكرت هذا مشروحاً في أغاليطه^(٤) .

ولله در أبي عبادة إذ يقول :

غَدَتْ قُضْبَانُ أَسْحَلَةٍ عَلَيْهَا لِفَرَطِ الْجَدَلِ أَوْ شِحَةٍ تَجُولُ^(٥)

(١) م « وهى »

(٢) الزيادة من ق .

(٣) ديوان ابن مقبل ٣٢٧ .

(٤) راجع ج ١ / ١٥١ .

(٥) ديوان البحترى ٣٠٠ ، ١٨٢٣

يُقَوِّمُ مِنْ تَثْنِيهَا أَعْتِدَالُ تَكَادُ تَقُولُ مِنْ هَيْفٍ: نُحُولُ^(١)
 مَشِينٌ عَلَى خَمَائِلِ ذِي طُلُوحٍ وقد ضَاقَتْ بِمَا فِيهَا الْحُجُولُ
 فَقُلْتُ: أَزِيدُ مِنْ مَقَمٍ فُؤَادِي؟ وهل يَزْدَادُ مِنْ قَتْلِ قَتِيلٍ؟^(٢)

فهذا - والله - هو الشعر ، لا تَعْلِيلَاتُ أَبِي تمام بطباقه وتَجْنِيسه ، وفرط
 تَقَعُّره ، وكثرةِ إِمحالاته . وما زلت أسمع الشيوخ يفضلون هذا البيت الأخير
 على كل ما سمعوه في الغزل .

وهذه القصيدة من قلائده . وفيها يقول قبل هذه الأبيات :

بَعِيدَةُ مَطْلَبٍ ، وَجَمَادُ نَيْلٍ فَهَا هِيَ لَا تُنَالُ ، وَلَا تُنِيلُ
 إِذَا خَطَرْتُ تَأَرَّجَ جَانِبَاهَا كما خَطَرْتُ عَلَى الرُّوضِ الْقَبُولُ
 وَيَحْسُنُ دَلُّهَا ، وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ

وقال أبو تمام :

وَنَاضِرَةُ الصُّبَا حِينَ أَسْبَكْرَتْ طِلَاعَ الْمِرْطِ وَالذُّرْعِ الْيَدِيِّ^(٣)
 تَشْكِي الْأَيْنِ مِنْ نِصْفِ مَرِيحٍ إِذَا قَامَتْ ، وَمِنْ نِصْفِ بَطِيٍّ
 وهذا ما لا مَنَفَعَ لجودته وحسنه ، وكأنه صفوة خاطر أبي تمام . إذا
 كان بِجَمَامِهِ يَأْتِي بِهِ وَيَأْمُنَالَهُ ، فَإِذَا أَعْيَا ، وَكَلَّ زَمَانًا - رَمَى بِالْأَوْسَاخِ
 وَالْأَقْدَارِ وَالْغُثَاءِ .

(١) ق « يكاد يقول » وفي الديوان « يكاد يقال »

(٢) في الديوان « أقول أزيد »

(٣) ديوان أبي تمام ٢٤٣ وشرح التبريزي ٢ / ٢٥٣ « اسبكرت : تم شبابها . ويروى « البدي »

وهو البديع العجيب »

وقوله : « طِلَاعُ المِرْطِ » أى تملأ الملحقة تماماً وكمالاً ، كأنها تطلع عليها ، أى تعلوه . والدرع : القميص التام . واليدى : الواسع .

وقال البحتري :

نَوَاصِعُ كَسُيُوفِ الصَّقْلِ مُشَعَّلَةٌ ضَوْءًا ، وَمُرْهَفَةٌ فِي الْجَدَلِ إِرْهَافًا^(١)
إِذَا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرِّيطِ آوِنَةٌ قَشَرْنَ عَنْ لُؤْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافًا
كَأَنَّهُنَّ وَقَدْ قَرَّبْنَ مِنْ طَرَفِي ضِدَّيْنِ فِي الْحَسَنِ تَثْقِيلًا ، وَإِخْطَافًا^(٢)
رَدَدْنَ مَا خَفَّتْ مِنْهُ الْخُصُورُ إِلَى مَا فِي الْمَازِرِ فَاسْتَثْقَلْنَ أَرْدَافًا

وحسبك بهذا حُسنَ لفظ ، وحلاوة نظم ، وصحة معنى .

والطف من قوله : « قَشَرْنَ عَنْ لُؤْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافًا » - قول أبي تمام :
لَآلِي كَالنُّجُومِ الزُّهْرِ قَدْ لَبِسَتْ أَبْشَارُهَا صَدَفَ الْإِحْصَانِ لَا الصَّدَفَا^(٣)
وبيت البحتري أبرع وأحلى .

وقال البحتري أيضاً :

غَدَتْ أَتْرَابُهَا يَنْهَضْنَ هَوْنًا لثَقَلٍ مِنْ رَوَادِفِهَا الثُّقَالِ^(٤)
مَشَيْنَ ضُحَى بِأَقْدَامٍ لِطَافٍ وَسُوقٍ فِي خَلَاجِهَا خِدَالِ
إِذَا اجْتَبَنَ الْحُلَى رَأَيْتَ بِيضًا أَوَانَسَ كَاللَّالِي فِي اللَّالِي^(٥)

(١) ديوان البحتري ٢٣٧ ، ١٣٨١ وفي م « تواضع لسيوف »

(٢) في الديوان « وقد قار بن « . . . تيتيلا »

(٣) ديوان أبي تمام ٢٠٠ وشرح التبريزي ٢ / ٣٦٠

(٤) ديوان البحتري ١٧٠٨/٣ « بثقل »

(٥) اجتبن : لبس

وقال :

أَطَاعَ لَهَا دَلٌّ غَرِيرٌ ، وَوَاضِحٌ
وَالْحَاطُ عَيْنٍ مَا عَلِقْنَ بِفَارِغٍ
وَمِنْ جِيدِ غَيْدَاءِ التَّشْنَى كَأَنَّمَا
كَأَنَّ عَلَيْهَا كُلَّ عِقْدٍ مَلَا حَةٍ
وَمِنْ نَظَرَةِ بَيْنِ السُّجُوفِ عَلِيلَةٍ
وَمِنْ قَاجِمِ جَعْدٍ ، وَمِنْ كَفَلٍ نَهْدٍ
مَحَاسِنُ مَا زَالَتْ مَسَاوٍ مِنَ النَّوَى
مَحَاسِنُ مَا زَالَتْ مَسَاوٍ مِنَ النَّوَى

[وقال أبو تمام] (٣) :

أَتَتَكَ بِلَيْتَيْهَا مِنَ الرَّشَاءِ الْفَرْدُ (٤)
وَحُسْنًا ، وَإِنْ أَمَسَتْ ، وَأَضَحَتْ بِلَا عِقْدٍ
وَمُخْتَضِنٍ شَخْتٍ ، وَمُبْتَسِمٍ بَرْدٍ (٥)
وَمِنْ قَمَرٍ سَعْدٍ ، وَمِنْ نَائِلٍ ثَمْدٍ (٦)
تُغَطِّي عَلَيْهَا ، أَوْ مَسَاوٍ مِنَ الصَّدِّ

شَخْتٌ : دقيق يتمكن الذراع من احتضانه ، كأنه ينني عنها ضخم
البطن وموضع (٧) [الكشح] ويستحب فيها الضمير .

(١) ديوان البحري ٥٩ ، ١٦١٥

(٢) م « ما علقت بفاتر »

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان أبي تمام ٢٧ وشرح التبريزي ١١١ / ٢ واليت : صفحة العتق

(٥) م « بين السيوف » والمختضن : موضع الاحتضان

(٦) التمد : القليل

(٧) م « البطن والموضع ويستحب »

ما قالاه في : شدة الحب ، والوجد ، والتشوق ، والغرام ،
والحزن ، وانتجاز المواعيد ، وإخلافتها ، ونحو ذلك

* * *

في الحزن والوجد

قال أبو تمام :

حُزْنٌ غَدَاةَ الْحُزْنِ هَاجَ غَلِيلُهُ فِي أَبْرِقِ الْحَنَانِ مِنْكَ حَيْنٌ^(١)
سِمَةٌ الصَّبَابَةِ زَفْرَةٌ ، أَوْ عِبْرَةٌ متكفل بهما حشاً ، وشُّونٌ
لَوْلَا التَّفَجُّعُ لَادَّعَى هَضْبُ الْحِمَى وَصَفَا الْمُشَقَّرُ أَنَّهُ مَحْزُونٌ

وهذا المعنى غاية في حسنه وجوده . وإنما حَدَاُ على قول الأخوص :

إِذَا كُنْتَ عِزْهَاءَ عَنِ اللَّهْوِ وَالصُّبَا فَكُنْ حَجْرًا وَنِيبَ الصَّخْرِ جَلَدًا^(٢)

ولكنه عبر عنه بعبارة^(٣) أغرب فيها حتى صار كأنه ليس ذلك المعنى

وهو هو بعينه .

والعِزْهَاءُ : الذي قد عَزَفَ عَنِ اللَّهْوِ وَالصُّبَا .

* * *

(١) ديوان أبي تمام ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣ / ٣٢٤ وفي م .

والحنان منك جئنه وقال : سمة الصبابة .

الآيات متصلة في ق والديوان .

(٢) البيت له في الشعر والشعراء ٥٠٢/١ ، وطبقات فحول الشعراء ٥٣٩ ، وهو غير منسوب في

المان ٤١٠ / ١٧

بهـ (٣) م «عبارة» .

وقال البحتري :

زَعَمَ الزَّاعِمُونَ أَنَّ الَّذِي بِهِ وَى مِرَاضَ الْعُيُونِ غَيْرُ رَشِيدٍ^(١)
كَذَبَ الزَّاعِمُونَ قَدْ يَحْسُنُ الْحُ بٌ بِمَنْ لَيْسَ قَلْبُهُ مِنْ حَدِيدٍ

وقال :

ولو أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدْنَ الْفَأَ لِأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ^(٢)

وقال :

حَقًّا أَقُولُ لَقَدْ تَبَلَّتْ فُؤَادِي وَأَطْلَتِ مُدَّةَ غَيْيِ الْمُتَمَادِي^(٣)
بِجَوَى مُقِيمٍ لَوْ عَلِمْتَ غَلِيلَهُ لَوَجَدْتَهُ غَيْرَ الْهَوَى الْمُعْتَادِ
وَالْحُبُّ سُكْرٌ لِلنَّفُوسِ يَسُرُّنِي مَسْهُو الْعَوَائِدِ عَنْهُ وَالْعُودِ^(٤)

وهذا معنى آخر حسن جدًا .

وقد قال أبو تالم

يَهْ عِلَّةٌ صَمَاءٌ لِلْبَيْنِ لَمْ تُصِخْ لِبُرٍّ ، وَلَمْ تُوجِبْ عِبَادَةَ عَائِدِ^(٥)
ومعنى البحتري أجود وأحلى .

وقال أيضاً :

بَلْ مَا أَوْدُ بِإِنِّي أَفْرَقْتُ مِنْ وَجِدٍ وَلَا أَنَّى بَرَدْتُ غَلِيلِي^(٦)
وَأَعُدُّ بُرِّي مِنْ هَوَاكَ ضَمَانَةً وَالْبُرِّ أَكْبَرُ حَاجَةٍ الْمَخْبُولِ^(٧)

(١) ديوان البحتري ٢ / ٧٦٨ دار المعارف « العاذلون . . يصيبه نجل العيون »

(٢) ديوانه ٤٨٤ ، ١ / ٢٥٧ دار المعارف وفي م « أن الجياد . فقدن »

(٣) ديوانه ١٦٣ ، ٢ / ٧٣١ « لو بلوت »

(٤) في الديوان « صحوا العوائد »

(٥) ديوان أبي تمام ١١٦

(٦) ديوان البحتري ١٧٨ ، ١٨٣٩

(٧) م « رزية » والديوان : « رزية »

وفي الشوق والصباية

قال أبو تمام :

لا شَوْقَ مَا لَمْ تَصِلْ مِنْهُ بِأَلَّتِي هَجَرْتِكَ وَجَدًا كَالْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ^(١)
يَغْلِي إِذَا لَمْ يَضْطَرِّمْ ، وَيُرَى إِذَا لَمْ يَخْتَدِمْ ، وَيُغْصُ إِنْ لَمْ يُشْرِقِ
قوله : ما لم تصل [منه] أي من الشوق . وجدًا : أي من الوجد .
كالأبَاءِ الْمُحْرَقِ : أي فتكون إذا مليت^(٢) [به] كالأبَاءِ الْمُحْرَقِ من الوجد .
وقوله : «يَغْلِي إِذَا لَمْ يَضْطَرِّمْ» . كأنه جعل الاضطرام أشدَّ من الغلي ،
والغلي هو اضطرام أيضاً .

و«يُرَى» معناه يحرق . وَالْأَخْتِدَامُ : شدة الحر ، ويقال : وجدت
للحر حذمة .

يقول : هو يحرق وإن لم يشتدَّ حره .

«وَيُغْصُ إِنْ لَمْ يُشْرِقِ» . فَنَزَلَ مِنَ الْغُلْيَانِ ، وَالاضْطِرَامُ ، وَالْوَرَى ،
وَالْأَخْتِدَامُ - إِلَى الْغَصَصِ ، وَالشُّرْقِ . وليس ذلك بخطأ ولا هو بالجيد ،
ولا الحلو ، ولا الشهي .

وقال البحتري :

وَحَرَّضَ شَوْقِي خَاطِرُ الرِّيحِ إِذْ سَرَى وَبَرَقَ بَدَا مِنْ جَانِبِ الْقَرْبِ لَامِعٌ^(٣)

(١) ديوان أبي تمام ٢١١ وشرح التبريزي ٢ / ٤٠٤ وق «منه في التي» وفي الديوان «ما لم تصل
وجدًا بالتي» تأتي وصالك كالأبَاءِ .

(٢) م «صليت» والزيادة من ق

(٣) ديوان البحتري ٧١ ، ٢ / ١٣٠٢ دار المعارف .

وما ذاك أنَّ الشوقَ يَذْنُو بِنَازِحٍ ولا أننى فى وَضَلِ عُلْوَةٍ طامِعُ
خَلَا أنَّ وَجْدًا ما يُغِيبُ ، وَلَوْ عَةً إِذَا اضْطَرَمَّتْ قَاضَتْ عَلَيْهَا المَدَامِعُ^(١)

وهذه طريقة البحترى التى يخبر فيها بالشئ على ما هو فى معنى^(٢) على كل بديع ، واستعارة إذا اعتمدها ؛ وذلك لحسن عبارته وتلخيصه .

وقوله : « خَاطِرُ الرِّيحِ » : من الخَطَرَانِ كما قال فى موضع آخر :
* كما خَطَرْتُ عَلَى الرُّوضِ القَبُولُ *^(٣)

وقال :

شَوْقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَذْمَعُ وَجَوَى عَلَيْكَ تَضَيُّقٌ عَنْهُ الْأَضْلَعُ^(٤)
وَهَوًى تُجَدِّدُهُ اللَّيَالِي كُلَّمَا قَدَمْتُ ، وَتُرْجِعُهُ السُّنُونُ فَيَرْجِعُ

وقال :

هَلْ أَنْتَ مِنْ حَرِّ الصَّبَابَةِ مُنْقَذِي أَوْ أَنْتَ مِنْ شَكْوَى الصَّبَابَةِ عَائِدِي^(٥) ؟
شَوْقٌ تَلَبَّسَ بِالْفَوَادِ دَخِيلُهُ وَالشَّوْقُ يُسْرِعُ فِي الْفَوَادِ الْوَاجِدِ

ومما أحسن فيه البحترى وأغرب - قوله فى شدة الحب وتمكنه :

غَيْرَ حَبٍّ لِسُلَيْمَى لَمْ يَزِدْ فِيهِ إِسْعَافٌ ، وَلَمْ يَنْقُصْهُ ضَنْ^(٦)
فَبَتَّتْ تَحْتَ الْحَشَا آخِيَةً مِنْهُ لَا يَنْزِعُهَا الْمُهْرُ الْأَرَنْ^(٧)

(١) فى الديوان « أن شوقاً » وفى م « إذا اضطربت قاضت عليه »

(٢) ق « فى غلى »

(٣) سبق البيت فى صفحة ١١٨ .

(٤) ديوان البحترى ٣٣ ، ٢ / ١٣١٠ وفى ل « و جوى إليك »

(٥) ديوانه ٢٩٨ ، ١ / ٥٥١ « أنت فى سفه الصباية عازى » أم أنت من برج الصباية »

(٦) ديوانه ٦١٣ ، ٤ / ١٥٤ م « غير حبي » ومن أرن : أى نشط

(٧) ق « أخية » وفى الديوان ٦١٣ « لا يقطعها للمهر »

وقد بالغ أيضاً الذى يقول :

أَحْبَبُكَ مَا لَوْ كَانَ بَيْنَ قَبَائِلٍ مِنْ النَّاسِ أَعْدَاءٌ - لَجَرَّ التَّصَافِيَا^(١)

وأبلغ من هذا كله وأجود - قول الأعشى :

كفى بالذى تُولِينَهُ لَوْ تَجَنَّبَا شِفَاءً لِسُقْمٍ بَعْدَ مَا كَانَ أَشِيْبَا^(٢)

ولكنما كانت تَوَابِعُ حُبِّهَا تَوَالِي رُبْعِي السَّقَابِ فَأُضْحَبَا

فَتَمَّ عَلَى مَعْشُوقَةٍ لَا يَزِيدُهَا إِلَيْهِ بَلَاءُ السُّوءِ إِلَّا تَحَبُّبَا

وكان حماد الراوية يتعجب من قوله : « فتم على معشوقه » ، ويقول :

هذا^(٣) - والله - غاية العشق ، ونهاية الإحسان فى النسب .

يقول : كفى بالذى تُولِينَهُ من البعد والقطيعة شفاء له من سقم الحب

لَوْ تَجَنَّبَ ، ولكنه لا يقدر على ذلك .

وقوله : « تَوَابِعُ حُبِّهَا » أى ما تتابع وتوالى من حبها كتوالى الربيع ،

وهو : السَّقْبُ الذى نُتِجَ فى أول الربيع ، ينتقل مِنْ سِنٍّ إِلَى سِنٍّ حَتَّى قَوَى

وَمَرَنَ ، وأنقاد^(٤) . جعل هذا مثلاً لزيادة حبه شيئاً فشيئاً حتى تمكن ، فذلك

معنى قوله : « تَوَالَى » .

وقد روى « تَأَوَّلَ رُبْعِي » من حال إلى حال ، مِنْ آلَ يَتَوَلَّى .

وقال « أَبُو حَيَّةَ النُّمَيْرِي » فى هذا المعنى ، وجاء به أَكْشَفَ وَأَبْيَنَ وَأَحْسَنَ

مما جاء به الأعشى ، فقال :

لَا مُنْكَرُ لِقَبِيحٍ مِنْكَ أَعْرِفُهُ إِنْى أَرَاهُ - إِذَا أَرْضَاكِ - إِحْسَانَا

أَحْدَثُ النَّفْسِ مَسْرُورًا بِذِكْرِكُمْ حَتَّى كَانَ الذى قَدْ كَانَ مَا كَانَا

(١) لم أعرف قائله

(٢) ديوان الأعشى ص ٨٨

(٣) م « هو »

(٤) وأج الصاحبى لابن فارس ج ٢ ص ٣١٥

ومن هذا أخذ أبو الشَّيْص - والله أعلم - قوله :
 وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي عَامِدًا ما من يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرَمُ^(١)
 ولكنه تناعى في التذلل فأحسن المعنى كلَّ الإحسان ، ولكنَّ الحرَّ
 الكَرِيمَ الْأَنْفَ : «كثيرُ بن عبد الرحمن» إذ يقول :
 وَلَمَّا رَأَتْ وَجْدِي بِهَا وَتَبَيَّنَتْ صَبَابَةً حَرَّانِ الصَّبَابَةِ صَادٍ
 أَذَلَّتْ بِصَبْرِ عِنْدَهَا وَجَلَادَةً وَتَحَسِبُ أَنَّ النَّاسَ غَيْرُ جَلَادٍ
 فَيَا عَزُّ صَادِي الْقَلْبِ حَتَّى يَوَدَّنِي فَوَادُّكَ ، أَوْ رُدِّي عَلَى فَوَادِي^(٢)
 وكان هذا مما ينشده «أبو العباس ثعلب كثيراً» ويستحسنه . ذكر
 ذلك الأنخفش .

[و] قوله : «صَادِي الْقَلْبِ» أى دَارِيهِ . وَالْمُصَادَاةُ : الْمُدَارَاةُ .
 وقال «كثير» أيضاً ، وأحسن كل الإحسان :
 وَكُنْتُ أَلُومُ الْجَارِعِينَ عَلَى الْبُكَاءِ فَكَيْفَ أَلُومُ الْجَارِعِينَ وَأَجْزَعُ؟
 وَلِي كَبْدٌ قَدْ بَرَحْتُ بِي مَرِيضَةً إِذَا سُمْتُهَا الْهَجْرَانَ ظَلَّتْ تَصَدَّعُ
 وأظن «أبا الشَّيْص» أخذ قوله :
 أَشْبَهْتُ أَعْدَائِي فَصِرتُ أَحِبَّهُمْ [إِذَا كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ]^(٣)
 من قول كثير :
 مُجَاوِرَةٌ قَوْمًا عِدِّي لِي صُدُورُهُمْ أَلَا حَبْدًا مِنْ حُبِّهَا مَنْ تُجَاوِرُ

(١) في الأغاني ١٥ / ١١٠ «من يكرم»

(٢) م «حين يودني»

(٣) الأغاني ١٥ / ١٠٩ والزيادة من ق .

وقد أحسن أيضاً الإحسان كله - الذي يقول :
وَلَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكَ مَيْلًا مَعَ الْعِدَا عَلَيَّ ، ولم يحدث سِوَاكَ بِدِيلٍ^(١)
صَدَدْتَ كَمَا صَدَّ الرَّيُّ تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَتِيلٌ

وقال أبو تمام يذكر الوعد وإخلافه :
وَفِي الْكِلَّةِ الْوَرْدِيَّةِ اللَّوْنِ جُوْذُرُ مِنْ الْعَيْنِ وَرَدَ الْخَدَّ ، وَرَدَ الْمَجَاسِدِ^(٢)
غَدَتُ مُغْتَدَى الْغَضْبَى وَأَوْصَتُ خِيَالَهَا بِحِرَانٍ نَضُّو الْعَيْسِ ، نَضُّو الْخَرَائِدِ
وَقَالَتْ : نِكَاحُ الْحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ وَكَمْ نَكَحُوا حُبًّا ، وَلَيْسَ بِفَاسِدِ
سَاوَى بِهَذَا الْقَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى إِلَى ثَغْبٍ مِنْ نُطْفَةِ الْيَأْسِ بَارِدِ
وهذه أبيات سخيصة المعاني ، قد أتى فيها بكل قبح وفحش ، لأنه
قال :

رَمَتْهُ بِخُلْفٍ بَعْدَمَا عَاشَ حِقْبَةً لَهُ رَسْفَانُ فِي قُبُورِ الْمَوَاعِدِ
وبعد ذلك بين بأن الوعد كان مُبَاضِعَةً ، وأنه لما حَقَّقَ المطالبة غَضِبَتْ ،
وذلك قوله : « غَدَتُ مُغْتَدَى الْغَضْبَى » .

وقوله : « وَقَالَتْ : نِكَاحُ الْحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ » . فقال هو : « وَكَمْ نَكَحُوا
حُبًّا وَلَيْسَ بِفَاسِدِ » ، فاحتجت عليه ، واحتج عليها .

وهذه خصومة ومناظرة على ذلك الباب شديدة مُسْتَقْصَاة ما أظن أحداً
سبقه إلى مثلها .

(١) أمالي القالي ١ / ٢١٧ وحامسة أبي تمام بشرح للرزوقي ٢ / ١٢٩٦

(٢) ديوان أبي تمام ١١٦ وفي شرح التبريزي ٢ / ٦٩ « ويرى : من الإيس يمشى في رفاق

وقوله بعد هذا :

سَاوَى بِهَذَا الْقَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى إِلَى ثَغْبٍ مِنْ نُطْفَةِ الْيَأْسِ بَارِدٍ^(١)

هو أيضاً غضب منه لمنعها إياه مما التمس . ومثل هذا إنما يفصح به
[الشاعر إذا هزل ومَجَن . وإنما وصل هذه الأبيات بما افتتحه من قوله :

قِفُوا جَدُّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بِالْمَعَاهِدِ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنَشْدَانٍ نَاشِدٍ
لَقَدْ أَطْرَقَ الرَّبْعُ الْمُحِيلُ لِفَقْدِهِمْ وَبَيْنَهُمْ إِطْرَاقُ ثُكْلَانٍ فَاقِدٍ^(٢)
وَأَبْقُوا لِضَيْفِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ مِنْهُمْ قَرَى مِنْ جَوَى سَارٍ ، وَطِيفٍ مُعَاوِدٍ^(٣)
سَقْتُهُ دُعَافاً عَادَةً الدَّهْرِ فِيهِمْ وَسَمُّ اللَّيَالِي فَوْقَ سَمِّ الْأَسَاوِدِ
بِهِ عِلَّةٌ صَمَاءٍ لِلْبَيْنِ إِنْ لَمْ تُصَيِّخْ لِبُرَى ، وَلَمْ تُوجِبْ عِيَادَةَ عَائِدِ

ومن يقف على المعاهد ، ويصف ما به من الهم ، والحزن ، والجوى ،
وأن عادة الدهر فيهم سقته الدُّعَاف - وهو السم - ، وأن به علة للبين
صمَاء لم تُصَيِّخْ لبرى : أى لم تصنع إليه ، ولم تقرب منه - فإنه لا يقول
بعد ذلك كله : إنه كان التمس من المرأة الفاحشة ، وناظرها^(٤) عليها ،
وغضب من منعها إياه . هذا غاية ما يكون من السخف والحمق .

فإن قيل : إن المعاهد التى وقف عليها لم تك معاهد هذه المرأة ذات
الكِلَّةِ الْوَرْدِيَّةِ اللَّوْنِ ، وإن هذه إنما كانت معه فى الرِّفَاقِ وهم سائرون ،
فاستوقفهم لتجديد عهد بديار كان فيها أحباب أول .

(١) م « عن لوعة . . . نطفة الماء »

(٢) م « أطرق الركب »

(٣) فى ديوان أبى تمام وشرحه « الحزن متى يعلم »

(٤) م « وناظر »

قيل : هذا غلط من التأويل ؛ لأنه قال : « به علة صماء للبين لم تصخ لبرء » ، فأوجب بهذا القول أن حُبّه باق غير منصرم .

وإذا كان لم يبرأ حُبّه من امرأة أولى ، فكيف يقف صَحْبُه على معاهدها وفيهم امرأة أخرى يهواها ، وقد طالبها سَنَةً ، وهي تَعِدُّه ، وذكر أنها أوصت خيالها [به] (١) ، وأنه حَرَّان ؟ هذا محال . لم يكن الحب إلا لهذه المرأة ذات الكلمة [رحم الله غفلته] .

وقوله : « نضوا العيس » لطول السفر . و« نضو الخرائد » ، يعنى الخيالات .

ولله در « أبي عبادة » إذ يقول :

لَوْ تُسْعِفِينَ - وَمَا سَأَلْتُ مَشْفَةً -
لَعَدَلْتُ حَرَّ جُوى بِبَرْدِ رُضَابِ (٢)
وَلَيْتُ شَكَوْتُ ظَمَايَ إِنَّكَ لَلَّتِي
قَدَمًا جَعَلْتِ مِنَ السَّرَابِ شَرَابِي (٣)
وَعَتَبْتِ مِنْ حُبِّكَ حَتَّى إِنَّنِي
أَخْشَى مَلَامَكَ أَنْ أَبْثُكَ مَا بِي (٤)

وقال البحتري :

إِذَا رَاجَعْتُ وَضَلًّا عَلَى طُولِ هِجْرَةٍ
وَقَدْ زَعَمْتُ أَنْ سَوْفَ تُنْجِحُ مَا وَأَتُ
خَلِيلِي مَا لِي : لَا شِفَاءَ مِنَ الْجَوَى
تَرَا جَعْتُ شَيْئًا مِنْ بَلَايَ إِلَى سُقْمِي (٥)
وظَنُّنِي بِهَا الْإِخْلَافَ فِي ذَلِكَ الزُّعْمِ (٦)
وَلَا نَعْمُ مَرْجُوءُ النُّجْحِ مِنْ نُعْمِ (٧)

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوان البحتري ٣٤١ ، ١ / ٢٩٥

(٣) م « من الشراب شراب »

(٤) ق « أخشى عتابك »

(٥) ديوان البحتري ١٩٠ ، ٢ / ٢٠١٤ ورجعت «

(٦) ق « تنجز ما وأت » والولى : الوعد

(٧) م ، ق « ما فى لا شفاء »

وقال :

بِنَفْسِي مَنْ تَنَّى ، وَيَذْنُو أَدَّكَارَهَا وَيَبْذُلُ عَنْهَا طَيْفُهَا وَتَمَانِعُ^(١)
خَلِيلِي : أَبْلَانِي هَوَى مُتَلَوْنُ لَهُ شِيْمَةُ تَابِي ، وَأُخْرَى تُطَاوِعُ

وهذا - لعمرى - حسن . وأحسن منه قول « كثير » لأنه تمني الحال التي وصفها البحتري فقال :

والله ما يدرى غريمٌ لَوَيْتِهِ أَيَشْتَدُّ إِنْ لَاقَاكَ أَمْ يَتَضَرَّعُ^(٢)
بَخِلْتِ فَكَانَ الْبَخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً فَلَيْتَكَ ذُلَوْنَيْنِ يُعْطَى وَيَمْنَعُ
وقال [البحتري] (٣) :

مَاذَا عَلَى الْأَيَّامِ لَوْ سَمَحْتَ لَنَا يَشْوَاءُ أَيَّامَ لَدَيْكَ قَلَائِلُ؟^(٤)
فَأَوَيْتِ لِلْقَلْبِ الْمَعْنَى الْمُبْتَلَى بِهِوَالكِ ، وَالْبَدَنِ الضَّئِيلِ النَّاحِلِ
وقال [أيضاً] :

فِدَاؤُكَ مَا أَبْقَيْتِ مِنِّي فَإِنَّهُ حُشَاشَةُ حُبٍّ فِي نُحُولِ عِظَامِ^(٥)
صِلِي مُغْرَمًا قَدْ وَانَرَا الشُّوقُ دَفْعَهُ سِجَامًا عَلَى الْخَدَيْنِ بَعْدَ سِجَامِ^(٦)
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّتْهُ بِمُحَلِّلٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتِهِ بِحَرَامِ

(١) ديوان البحري ٧١ ، ٢ / ١٣٠٢

(٢) في م ، ق « لاقاني » ولكن الحديث عن « عزة » ويروى : « كريم مطلته أشتد إن قاضاك » كما في المحاسن والساوي للبيهقي ٣٥١/١ وانظر الأغاني ١٧٤/١٤ والموشح ١٦٩ .

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان البحري ١ / ١٢٩ ، ٣ / ١٦٤٧

(٥) ديوانه ١٠ « حشاشة جسم ... عظامي » وفي ق « فأنها » ، وفي ٣ / ٢٠٠٠ : « حشاشة نفس »

(٦) م « قد أوتر »

وقال :

وَدِدْتُ وَهْلَ نَفْسٍ أَمْرِي بِمُلِيمَةٍ إِذَا هِيَ لَمْ تُعْطِ الْهَوَى مِنْ وَدَادِهَا^(١)
لَوْ أَنَّ مُلَيْمِي أَسْمَحَتْ ، أَوْلُو أَنَّهُ أُعِيرَ فُؤَادِي سَلَوَةً مِنْ فُؤَادِهَا^(٢)

وقال :

أَيْنَ الْغَزَالُ الْمُسْتَعِيرُ مِنَ النَّقَا كَفَلًا ، هُوَ نَوْرُ الْأَقَاحِي مَبْسِمًا^(٣)
ظَمِئْتُ جَوَانِحُنَا إِلَيْهِ وَرِيهَا فِي ذَلِكَ اللَّعْسِ الْمُنْعِ وَاللَّمَى^(٤)
مُتَعَبٌ فِي حَيْثُ لَا مُتَعَبٌ إِنْ لَمْ يَجِدْ جُرْمًا عَلَى نَجْرَمًا^(٥)
أَلِفَ الصُّدُودَ فَلَوْ يَمُرُّ خِيَالُهُ بِالصَّبِّ فِي سِنَةِ الْكَرَى مَا سَلِمَا

وقال :

أَرَى ثِقَةً الرَّاجِي مُوَاصِلَةَ الْمَهَا نِكَاءَ دَهَا ، أَوْ آدَهَا شَكُّ خَائِفٍ^(٦)
كَأَنَّ الَّذِي يَكْنِيْنُهُ نَحْبُ نَازِرٍ يُقْضِيْنَ مِنْهُ ، أَوْ أَلِيَّةُ خَالِفٍ^(٧)
فَلَيْتَ لُبَّاتَاتِ الْمُحِبِّ رُدِّدَنَ فِي جَوَانِحِهِ ، أَوْ كُنَّ عِنْدَ مُسَاعِفٍ
وهذا حسن جدًا .

وقال :

إِذَا قُرَيْتَ فَهَجْرٌ مِنْكَ يُبْعِدُنِي وَإِنْ بَعْدَتْ فَوْضَلٌ مِنْكَ يُدْنِيْنِي^(٨)

(١) ديوان البحري ١٠٩ ، ٢ ، ٦٧٤ دار المعارف « بملوية تعطى المتي »

(٢) في الديوان « سليبي أسجحت »

(٣) ديوانه ٢٢٩ ، ٣/١٩٥٨ - ١٩٥٩

(٤) ق « تظلي جوانحتنا » وفي الديوان : « مرأشنا إليه »

(٥) م « لا متعب »

(٦) ديوانه ٣٧٤ ، ١٣٩٠ وفي م « الراجي موافقة »

(٧) في الديوان « كأن النوى » وفي ص م « تحت »

(٨) ديوانه ٤١٧ ، ٤/٢٢٤٧

تَصَرَّم الدَّهْرُ لَا جُودٌ فَيُطْمَعُنِي فِيمَا لَدَيْكَ . وَلَا يَأْسُ فَيُسْلِيْنِي
فَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيَانِ قَلْبِكَ لِي يَوْمًا إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِيْنِي^(١)

وهذا إحسانه المشهور . ويقال : إنه أخذه من قول « الخليل » :

أَتَطْمَعُ أَنَّ يُطِيعَكَ قَلْبُ سَعْدَى وَتَزْعُمُ أَنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكَ
وما أحسن ما قال بشار :

وَإِذَا قُلْنَا لَهَا : جُودِي لَنَا خَرَجَتْ بِالصَّمْتِ مِنْ لَا ، وَنَعَمْ^(٢)

* * *

وقال أبو تمام في النائل النزر القليل ما هو فوق كل حسن وحلاوة :
تَأْبَى عَلَى التَّضْرِيدِ إِلَّا نَائِلًا إِلَّا يَكُنْ مَاءٌ قَرَّاحًا يُمَذِّقُ^(٣)
نَزْرًا كَمَا اسْتَكْرَهْتَ عَائِرَ نَفْحَةٍ مِنْ فَاةِ الْمِسْكِ الَّتِي لَمْ تُفْتَقِ^(٤)

* * *

وقد تصرف البحتري في جملة معاني هذا الباب تصرفاً كثيراً حسناً .
ومن ذلك قوله :

ظَلَمْتَنِي تَجَنُّبًا وَصُدُّودًا غَيْرَ مُرْتَاعَةِ الْجَنَانِ لِظُلْمِي^(٥)

(١) م « عمداً إذا » وكذلك في الديوان

(٢) الأغاني ٣ / ٢٦ « وإذا قلت » وكذلك هي في ق

(٣) ديوان أبي تمام ٢١١ وشرح التبريزي ٢ / ٤٠٧ « يقول : تأبى هذه المرأة المحبوبة مع تقليلها النوال ، إلا نيلاً بمنقاً غير خالص ، ووصلاً مشوياً بالامتاع ، فلا تصاق الوصال ولا تترك الإطماع ، فيكون حبسها أبداً معذباً من جهتها ٢٢ وفي م ، ق « تمثق »

(٤) أي نيلها عنى قليل كأنه عائر من ريح فاة المسك . وروى التبريزي عن المعري : « نزراً كما استكتهت » أي عطاء نزرأ لا غناء فيه كالرائحة التي تقلت من فاة مسك لم تفتق ، أي بعد نائلها ، كشمة من هذه الفاة ، ولا تفتق هذه الشمة عنا ، فكذلك نائلها »

(٥) ديوان البحتري ٣١٧ ، ٣ / ١٩٤٠

وَيَسِيرُ عِنْدَ الْقَتُولِ إِذَا مَا
أَجِدُ النَّارَ تُسْتَعَارُ مِنَ النَّاسِ
أَثِمْتُ فِي أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي^(١)
رَ وَيَنْشَأُ مِنْ سُقْمِ عَيْنَيْكَ سُقْمِي

وقوله :

لَوِشْتِ عُدَّتِ إِلَى التَّنَاصُفِ فِي الْهَوَى
أَخْنُو عَلَيْكَ فِي فُؤَادِي لَوَعَةٌ
وإِذَا هَمَمْتُ بِوَصْلِ غَيْرِكَ رَدَّنِي
وَأَعِزُّ ، ثُمَّ أَذِلُّ ذِلَّةَ عَاشِقٍ
وَبَدَلْتُ مِنْ مَكْنُونِهِ مَا أَبْذُلُ^(٢)
وَأَصْدُ عَنْكَ وَوَجْهُ وَدَى مُقْبِلُ^(٣)
وَلَهُ إِلَيْكَ ، وَشَافِعُ لَكَ أَوَّلُ^(٤)
وَالْحُبُّ فِيهِ تَعَزُّزٌ وَتَذَلُّلٌ

وقوله :

وَبِي ظَمًا لَا يَمْلِكُ الْمَاءُ دَفْعَهُ
تَزَوَّدْتُ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَجِدْهَا
وَمَا كَانَ حَظُّ الْعَيْنِ فِي ذَلِكَ مَذْهَبِي
أَعْيُنُكَ أَنْ تُشْنَى بِشَكْوَى صَبَابَةٍ
وَيَحْزُنُنِي أَنْ تَعْرِفِي الْحُبَّ بِالْجَوَى
إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ رِيْقِهَا الْخَصِرِ الْعَذْبِ^(٥)
وَقَدْ يُؤْخَذُ الْعِلْقُ الْمُنْعُ بِالْغَضَبِ
وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْعَيْنَ بَابًا إِلَى الْقَلْبِ
وَإِنْ أَكْسَبْتَنَا مِنْكَ عَطْفًا عَلَى الصَّبِّ^(٦)
وَإِنْ نَفَعْتَنَا فَيْكَ مَعْرِفَةُ الْحُبِّ^(٧)

وقوله :

نَظَرْتُ ، وَكَمْ نَظَرْتُ فَأَقْصَلْتَنِي
فُجَاعَاتُ الْبُتُورِ عَلَى الْغُصُونِ^(٨)

(١) م « عند القتل . . أثمت فيه »

(٢) ديوان البحري ٢٣ ، ١٥٩٩/٣

(٣) في الديوان « أخنو إليك »

(٤) م « وله عليك »

(٥) ديوانه ٤٠٢ ، ١ / ١٠٤ دار المعارف

(٦) في الديوان « أكسبتنا »

(٧) م « أن تعرف » في الديوان « ولو نفعتنا منك »

(٨) ديوان البحري ١٣٨/٤٠٢٦٦ وفي م « وكم من نظرت »

وَرَبَّةَ نَظْرَةٍ أَقْلَعْتُ عَنْهَا بِسُكْرِ فِي التَّصَابِي ، أَوْ جُنُونٍ
فِيَا لِلَّهِ مَا تَلَقَّى الْقُلُوبُ إِلَّا هَوَائِمُ مِنْ جَنَائَاتِ الْعُيُونِ
وَقَدْ يَتَّسِعُ الْعَوَازِلُ مِنْ فُؤَادٍ لَجُوجٍ فِي غَوَايَتِهِ حَرُونَ
وقوله :

قَالَ بَطْلًا ، وَأَفَالَ الرَّأْيَ مَنْ لَمْ يَقُلْ : إِنَّ الْمَنَايَا فِي الْحَدَقِ^(١)
إِنْ تَكُنْ مُحْتَمِبًا مَنْ قَدْ ثَوَى لِحِمَامٍ فَاحْتَسِبْ مَنْ قَدْ عَشَقَ
يَعْلًا الْوَأَشَى جَنَانِي دُعْرًا وَيُعْنِي الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ^(٢)
حُبَّهَا أَوْ قَرَقَا مِنْ هَجَرِهَا وَصَرِيحُ الذَّلِّ حُبٌّ أَوْ فَرْقٌ
قوله : «يُعْنِي الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ» - من أحسن المعاني وأحلاها ،
وأجراها في عادات كل عاشق - فأراد يعنني اختلاق الحديث . وهو
اختِرَاصُهُ أَيْ يُنْصِبُنِي ، ويحزني ؛ لشدة حبي لها ، وخوفي من هجرها .
والألف في قوله : «أو» في البيت مقحمة في الموضعين ؛ وإنما أراد
حبها وفرق هجرها ، وصريح الذل حب وفرق ، ولم يرد بإدخال الألف أحدهما
وقال «آخر» في نحو هذا :

تَكْذِبُنِي فِي الْحَبِّ سَلَمَى ، وَلَيْتَ لِي شُهُودٌ ، وَأَنْتِ بِالشُّهُودِ عَلَى صِدْقِي
سَوَى ذَوْبِ جِسْمِي ، وَأَنْتِ كَاثِبُ شَاشَتِي وَرَوْعَةُ قَلْبِي بِالْأَبَاطِيلِ وَالْحَقِّ

[قوله : «رَوْعَةُ قَلْبِي بِالْأَبَاطِيلِ وَالْحَقِّ»^(٣) نحو قول البحتري :

* وَيُعْنِي الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ *

(١) ديوان البحتري ٣٢٢ ، ١٤٧٢

(٢) ق «الواشي حياتي»

(٣) الزيادة من ق

وهذا البيت حسن التقسيم .

كان بعض شيوخ الأدب تعجبه^(١) التقسيمات في الشعر ، وكان مما

يعجبه قول عباس بن الأحنف :

وَصَالُكُمْ فَجَرٌ ، وَحُبُّكُمْ قَلِيٌّ وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ . وَسَلْمُكُمْ حَرْبٌ^(٢)

ويقول : هذا أحسن من تَقْسِيمَاتِ إقْلِيدِس .

وقال أبو العباس ثعلب : سمعت « سيد العلماء » يستحسنه . يعنى ابن الأعرابي^(٣) .

ونحو هذا ما أنشده المبرد لأعرابي ، وليس هو عندي من كلام الأعراب ، وهو بكلام المولدين أشبه :

وَأَذْنُو فَتَقْصِينِي ، وَأَبْعُدُ طَالِباً رِضَاهَا فَتَعْتَدُ التَّبَاعِدَ مِنْ ذَنْبِي^(٤)
وَشَكْوَايَ تُؤْذِيهَا ، وَصَبْرِي يَسُرُّهَا وَتَجْزَعُ مِنْ بَعْدِي . وَتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِي^(٤)

(١) ق « وكان محمد بن موسى بن شاكر المنجم تعجبه »

(٢) ديوان العباس بن الأحنف ٩٩

(٣) في ق بعد ذلك تعليق أدرج في أصل الكتاب ، وهو : « وقال عبد السلام : أنشأني أبو الحسن : عمر بن أبي عمر السنجري قال : روى لنا ابن طباطبا ، رضى الله عنه في آخر كتاب « عيار الشعر » - للبحرئى ، ولم أجده في شعر البحرئى .

وفى أربع منى حلت منك أربع فإنا دار أيها حاج لى كربى
أوجهك فى عيني أم الريق فى فى أم التلق فى سعى أم الحب فى قلبى ؟

ولكنهما فى عيار الشعر ١٢٨ لقاتل غير معين . ونقلهما أبو هلال العسكري فى الصناعتين عنه كذلك من غير نسبة . وهما غير منسويين فى نهاية الأرب ٢ / ٢٣ وهما لابن الرومى فى المنتظم ٥ / ٦٦

(٤) هما فى ثلاثة آخر فى الكامل ١ / ٢٤٥

(٥) فى ق بعد هذا البيت « وهما زيادة بيت أنشده المبرد وهو :

فهل عندكم من حيلة تعلمونها أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى
وهو أدون الآيات الثلاثة »

وقول البحتري :

وَلِي هَفَوَاتُ بَاعِثَاتُ لِي الْجَوَى يُعَرِّضُنِي مِنْ بَرْحِهِ لِلْمَتَالِفِ^(١)
كَأَنَّ الْعُيُونَ الْقَاتِنَاتِ تَعَاوَنَتْ عَلَى تِرَةِ عِنْدَ الْعُيُونِ النَّوَارِفِ^(٢)

وقوله :

وَإِذَا كَسَرْنَ جُفُونَهُنَّ نَظَرَنَ مِنْ مَرْضَى - يَشْفُكَ سِحْرُهُنَّ - صِحَاحِ^(٣)
تَنْظُمًا إِلَيْهِنَّ الْقُلُوبُ ، وَقَدْ تَرَى فِيهِنَّ رَى الْحَائِمِ الْمُلْتَاحِ^(٤)
وَالْحُبُّ سَقَمٌ لِلصَّحِيحِ إِذَا غَلَا فِيهِ الْمَحَبُّ ، وَنَشْوَةٌ لِلصَّاحِي^(٥)
بَكَرَ الْعُلُولُ فَكَفَّ غَرْبَ بَطَالَتِي وَبَدَا الْمَشِيبُ فَرَدَّ غَرْبَ جِمَاحِي
قَدْ آنَ أَنْ أَغْصِيَ الْغَوَايَةَ إِذْ نَضَا صَبَغُ الشَّبَابِ ، وَأَنْ أُطِيعَ الْأَلَاحِي

وقوله .

جُنُونِي إِلَى سَعْدَى ، وَسَعْدَى خَلِيَّةُ وَصَغْوِي إِلَى سَعْدَى ، وَسَعْدَى تَجَنَّبُ^(٦)
إِذْ لَبِستُ كَانَتْ جَمَالَ لِبَاسِهَا وَتَسْلُبُ قَلْبَ الْمُجْتَلِي حِينَ تُسْلِبُ^(٧)
وَسَمِيَّتُهَا مِنْ خَشْيَةِ النَّاسِ زَيْنَبَا وَكَمْ سَتَرْتُ حُبًّا عَنِ النَّاسِ زَيْنَبَا^(٨)

(١) ديوان البحتري ٢٧٤ ، ١٢٩٠/٣

(٢) م « العيون الرواحف »

(٣) ديوانه طبع بيروت ١٢٤/١ ، ٤٧٦/١ دار المعارف

(٤) ق والديوان « الحائم الملتاح »

(٥) في ق والديوان « سقم الحبيب »

(٦) ديوانه ٦٠٧ ، ١٢٤ / ١ « جنون في ليل ويلي خلية * وصغوي في ليل ويلي »

(٧) م « وتسلب حب » وفي الديوان « لب »

(٨) م « على الناس »

غَضَارَةُ دُنْيَا شَاكَلَتْ بِفُنُونِهَا مُعَاقِبَةُ الدُّنْيَا الَّتِي تَتَقَلَّبُ
وَجَنَّةُ خُلِدٍ عَلَبَّتْنَا بِدَلَّهَا وَمَا خِلْتُ أَنَا فِي الْجَنَانِ نَعْدَبُ^(١)

وهذا البيت يزيد على إحسان كل محسن في الغزل^(٢)

ولا خفاء بفضل «أبي عبادة» على «أبي تمام» في هذا الباب .

(١) في الديوان «بالجنان»

(٢) في ق بعد ذلك «والرواية : وجنة دنيا . ولا خفاء في تفضيل ...»

ما قيل في ائتلاف المحبين

قال البحرى :

وَجَدْتُ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةِ هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ^(١)

وهذا حسن جداً ، وأظنه أخذه من قول «بَشَّار» :

وَإِذْ نَلْتَقِي خَلْفَ الْعُيُونِ كَأَنَّنَا سُلَافُ عُمَارٍ بِالنُّقَاحِ مَشُوبُ^(٢)

أخذه أيضاً من قول «ابن أبي عُيَيْنَةَ»^(٣) فقال :

ذَاكَ إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجًا نِ كَأَصْفَى خَمِرٍ بِأَعْدَبِ مَاءٍ^(٤)

وقول البحرى أيضاً أجود من البيتين . وأخذه «عباس بن الأحنف» فقال :

مَا أُنْسَ لَا أُنْسَ يُمْنَاهَا مُعْطَفَةٌ عَلَى فَوَادِي ، وَيَسْرَهَا عَلَى رَاسِي^(٥)

وقولها : لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِي أَوْلَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبَالاً لِعَبَّاسٍ

أَوْلَيْتَهُ كَانَ لِي خَدْرًا ، وَكَذْتُ لَهُ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ فَكُنَّا الدَّهْرَ فِي كَاسٍ

(١) ديوان البحرى ٥٨ ، ١ / ٤٤٢ دار المعارف ، وأمالى المرتضى ٦٤ / ٢

(٢) ديوان بشار ١ / ١٨٥ وأمالى المرتضى ٦٣ / ٢

(٣) م « غيبة »

(٤) أمالى المرتضى ٦٤ / ٢ فى الأغاني ١٧ / ١٣ بعد البيت : « قال محمد بن يزيد : وقد أخذ

المعنى غيره منه ، ولم يسمه وهو البحرى فقال :

جعلت حبك من قلبى بمنزلة هى المصافاة بين الماء والراح

(٥) ديوان العباس بن الأحنف ١٥٦ وأمالى المرتضى ٦٤ / ٢

وأخذه «على بن الجهم» ، وجعله في العناق [فقال]^(١) :
 وَبِتَّنَا عَلَى رَغْمِ الْحُسُودِ كَأَنَّا خَلِيطَانِ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ وَالْخَمْرِ^(٢)
 وأجود من هذا كله وأحلى ، وألطف معنى - قول «بشار» :
 لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنَهَا كَمَا بَيْنَ رِيحِ الْمِسْكِ وَالْغَنَبْرِ الْوَرْدِ^(٣)
 وقال «عبد الصمد بن المعذل» في العناق والاختلاط :
 كَأَنِّي عَانَقْتُ رِيحَانَةً تَنَفَّسْتُ فِي لَيْلِهَا الْبَارِدِ^(٤)
 فَلَوْ تَرَانَا فِي قَمِيصِ الدُّجَى حَسِبْتَنَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ
 وهذا أحسن من بيتي «العباس» الأولين .

وقال البحتري :
 وَلَمْ أَنْسَ لَيْلَتَنَا فِي الْعِنَا قِ لَفِّ الصُّبَا بِقَضِيبٍ قَضِيًّا^(٥)
 وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يقولون إن هذا البيت أجود ما قيل في
 العناق ؛ لأنه أصاب حقيقة التشبيه بأجود لفظ . ، وأحسن نظم .
 ومثله قول «آخر» وجدته في الأناشيد . ولست أدري أيهما أخذ من صاحبه :
 وَضَمُّ لَا يُنْهِنُهُ ، وَأَعْتِنَاقُ كَمَا أَلْتَفَّ الْقَضِيبُ عَلَى الْقَضِيبِ^(٦)

(١) الزيادة من ق .

(٢) ديوان علي بن الجهم ١٤٤ وحاسة ابن الشجري ١٩٦ وأمال المرتضى ٦٣ / ٢

(٣) ديوان بشار ٣١٤ / ٢ وأمال المرتضى ٦٤ / ٢

(٤) نقلها المرتضى في أماليه ٦٢ / ٢ وهما في حاسة ابن الشجري ١٩٦ والمختار من شعر بشار

٢٩٥ ونسب لابن المعتز في أمالي القالي ١ / ٢٢٦ وفي م «كأنني علفت»

(٥) ديوان البحتري ٩٢ ، ١٥٠ / ١ «وأنس ليلتنا»

(٦) نقله المرتضى من هنا ٦٣ / ٢ ومن عجب أنه قدم له بقوله : «ولآخر في مثل هذا المعنى ،

ولسنا ندرى هل سبق البحتري أو تأخر عنه !!

وبيت «البحترى» أجود سبكاً ، وأحلى لفظاً ؛ لقوله : «لَفَّ الصَّبَا» ؛
لأن القضيبي إنما يلتف بالقضيبي بالريح .

وقد قال «بشار» في نحو هذا ، وأظن هذين منه أخذاً :
إِنِّي أَشْتَهِي لِقَاءَكَ وَاللَّهِ فَمَاذَا عَلَيْكَ مِنْ لُقْيَانِي^(١)
قَدْ تَلَفَ الرِّيحُ غُصْنًا مِنَ الْبَا نِ إِلَى مِثْلِهِ فَيَلْتَقِيَانِ
وقال «علي بن الجهم» في وكيد الالتزام :

سَقَى اللَّهُ لَيْلًا ضَمْنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ وَأَذْنَى فُؤَادًا مِنْ فُؤَادِ مُعَذِّبٍ^(٢)
فَبِتْنَا جَمِيعًا لَوْ تَرَأَى زُجَاجَةً مِنْ الرَّاحِ فَيَا بَيْنَنَا لَمْ تَسْرُبِ
وهذا أيضاً حسن لفظاً ومعنى .

وأحسن ما قيل في المضاجعة قول «امرى القيس» :

تَقُولُ وَقَدْ جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَمَا رُغِتَ مَكْحُولًا مِنَ الْعَيْنِ أَتْلَعَا^(٣)
وَجَدَكَ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا
فَبِتْنَا نَلُودُ الْوَحْشَ عَنَّا كَأَنَّا قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَضْرَعَا
تَجَافَى عَنِ الْمَأْثُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَتُدْنِي عَلَى السَّابِرِ الْمُضْلَعَا
إِذَا أَخَذَتْهَا هِزَّةُ الرُّوعِ أَمْسَكَتْ بِمَنْكِبِ مِقْدَامٍ عَلَى الْهَوْلِ أَرْوَعَا
وهذا لا شيء أجود منه ، ولا أحلى ، ولا أبرع ؛ وقد أخبر بالأمر على ما كان .

(١) أمالي المرتضى ٢ / ٦٣ «عليك أن تلقاني» .

(٢) ديوان علي بن الجهم ٨٥ وحماة ابن الشجري ١٩٦ وأمالي المرتضى ٢ / ٦٢ والمختار من

شعر بشار ٢٩٥

(٣) حماة ابن الشجري ١٩٥ وأمالي المرتضى ٢ / ٦٢ وفي ديوانه ١١٣ وق «مكحول المدامع»

وقد أحسن أيضاً « عبد بنى الحشاحس » في قوله :
 وَبِتَّنَا وَسَادَانَا إِلَى عَلَجَانَةٍ وَحَقْفٍ تَهَادَاهُ الرِّيحُ تَهَادِيَا^(١)
 فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّباً مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبُرْدُ بِأَلِيَا^(٢)

ولست أعرف لأبي تمام في هذا الباب شيئاً .

(١) ديوان سحيم ١٩ - ٢٠ وبينهما أبيات . وهو في اللسان ١٥٢ / ٣ وفي م « وسادتنا على »
 والملجانة . شجرة اختلف في وصفها . والحقف : ما اعوج من الرمل واستطال .
 (٢) ديوان المعاني ١ / ٢٦٠ واللسان ٢٠٧ / ٣ ، وأنهج البرد : أى أخذ في البلى .

باب في نوح الحمام

قال أبو تمام :

أَتَضَعُضَعْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعْتُ وَرَقَاءَ حِينَ تَضَعُضَعُ الْإِظْلَامُ^(١)
لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا ؛ فَإِنَّ بُكَاءَهَا ضَحِكَ ، وَإِنَّ بُكَاءَكَ أَسْتِغْرَامُ
هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاقَهُ مِنْ حَائِثِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ^(٢)

قوله : « أَتَضَعُضَعْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ » . أى وهت ، وانحل نظامها .

وقوله : « حِينَ تَضَعُضَعُ الْإِظْلَامُ » : أى حين تقوِّض إلا أقله .

والتَّشِيجُ : البكاء .

وهنا معارضات عورض بها أبو تمام في هذه الأبيات ، وهى أن قيل :

قوله : « أَتَضَعُضَعْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ » إنكار على نفسه البكاء من أجل
دعاء حمامة ، كأنه يُخَسِّسُ^(٣) أمرها ، فما وجه قوله : « فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ ؟ »
فسهل أمرها أولا . ثم أعظمه هذا التعظيم آخرًا . هذا عين المناقضة .
ثم من ذا رآه قتله بكاء الحمام^(٤) حتى يجعلهن حِمَاماً ؟ وزعم أن بكاءها
ضَحِك ، والحَمَامُ إنما ينوح لفقد إلفه وفراخه فيطيل الترنم والنَّوح ،
فكيف يكون ذلك ضَحِكاً أو كالضَحِك ؟

(١) ديوان أبي تمام ٢٧٩ وشرح التبريزي ٣ / ١٥٢ والزهرة ٢٤٢ ويروى « أتحدت »
و « أتصصعت » . . تصصع « والتصصع : التفرق والاضطراب

(٢) الصناعتين ١١٨ وعيون الأخبار ١ / ١٥٠ .

(٣) م « يحسن »

(٤) م « حمامة »

فَقِيلَ لِلْمُعَارِضِينَ : وَأَيُّ دَلِيلٍ فِي [قَوْلِهِ] ^(١) : « أَتَضَعُضَعْتَ عِبْرَاتِ عَيْنِكَ أَنْ ^(٢) دَعْتَ وَرَقَاءً » - عَلَى أَنَّهُ خَسَسَ ^(٣) أَمْرَ الْوَرَقَاءِ وَهِيَ الْحَمَامَةُ ، وَحَقَّرَهُ حَتَّى يَكُونَ قَوْلُهُ : فَإِنَّهُ ^(٤) حِمَامٌ - نَقْضًا لِهَذَا الْمَعْنَى .

فَقَالُوا : هَذَا مَذْهَبٌ مِنْ مَذَاهِبِ الْعَرَبِ مَعْرُوفٌ فِي تَهْوِينِ أَمْرِ الْحَمَامَةِ ، وَتَعْنِيفِ مَنْ يَبْكِي لِبَكَائِهَا . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ « الْبَحْتَرِيِّ بْنِ عَزَافَرِ الْحَرَشِيِّ » :
 إِنَّ غَرَّدَتْ يَوْمًا بِوَادٍ حَمَامَةٌ بَكَيتَ ، وَلَمْ يَغْذُرْكَ بِالْجَهْلِ عَاذِرُ
 فَقَوْلُهُ : « إِنَّ غَرَّدَتْ حَمَامَةٌ بَكَيتَ » - تَهْوِينٌ لِأَمْرِ الْحَمَامَةِ فِي تَغْرِيدِهَا ،
 أَيْ ذَلِكَ لَا يُوجِبُ الْبَكَاءَ . وَهَذِهِ الْأَلْفُ تَسْمَى أَلْفَ التَّوْبِيخِ .

وَنَحْوُهُ قَوْلُ « ابْنِ الدُّمَيْنَةِ » :

أَنَّ هَتَفَتْ وَرَقَاءً فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى غُصْنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّندِ ^(٥)
 بَكَيتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ ، وَلَمْ تَكُنْ جَلِيدًا ، وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
 فَقَالَ : « بَكَيتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ » يَعْنِي الصَّبِيَّ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ « الْأَحْوَصِ » :

أَنَّ نَادَى هَدِيدًا يَوْمَ قَلْبِجٍ مَعَ الْإِشْرَاقِ فِي فَنَنِ حَمَامٍ
 ظَلَلَتْ كَأَنَّ دَمْعَكَ دُرٌّ سَلَكِ هَوَى نَسَقًا ، وَأَسْلَمَهُ النُّظَامُ

وَنَحْوُهُ قَوْلُ « آخِرِ » مِنْ بَنِي قُشَيْرٍ - وَأَنْشَدَهُ أَبُو حَاتِمٍ :

أَتَجَزَعُ أَنْ وَرَقُ الْحَمَامِ تَغْرَدَا بَكَى شَجْوَهُ . أَوْ جَاوَبَ الْيَوْمَ هَذَا ^(٦)

(١) الزيادة من ق

(٢) م « أى »

(٣) ق « حسن »

(٥) الأغاني ١٥ / ١٥٦ والحیوان ٣ / ٣٨٠ والزهرة ٢٤١ والأول في الكامل ٢ / ٥٠٦ وديوان

ابن الدمينه ٨٥

(٦) م « أو جادت »

ومثله في أشعارهم [كثير] ^(١) موجود .

وإلى هذا المعنى ذهب أبو تمام في قوله : « أتضعضعت عبرات عينك »
كأنه يوبّخ نفسه على البكاء من أجل بكاء حمامة . ولا قال : « فإنهن
حمام » ، كانت هذه مناقضة ظاهرة .

وهذه ^(٢) - لعمري - معارضة . غير أن أبا تمام قد يجوز أن لا يكون
اعتمد تهوين أمر الحمامة كما اعتمد هؤلاء الشعراء ، وأن يكون توبيخه ^(٣)
لنفسه ليس على هذا الوجه ، بل إنما أراد : لا تبك لبكاء الحمام ؛ فإنك
تسمعه دائماً يُغرد ، فإن كنت كلما سمعته بكيت وحزنت - طَالَ بكاؤك
وحزنك . وذلك كما قال الآخر ^(٤) :

أَنْ زُمْ أَجْمَالُ ، وفارقَ جِيرةُ وصاحَ غرابُ البَيْنِ - أَنْتَ حَزِينُ؟

وقد عيبَ هذا الشاعر في هذا ^(٥) المعنى ، وقيل : إذا كان هذا لا يحزن
فأى شيء يحزن ؟

ولا شك في أن ظاهر هذا القول قبيح ؛ لمخالفته ما في عادات الناس .
إلا أني أظن هذا الشاعر ما ذهب في هذا القول إلى تهوين هذه الأشياء ،
وتحقيقها ، وإنما أراد أن مثل هذا يقع دائماً ، فإن ^(٦) كان كلما شاهدته ورأيت
حزنت - طَالَ حزنك .

(١) الزيادة من ق

(٢) م « وهذا »

(٣) م « يكون توضيحه »

(٤) م « لما قال » وفي ق « قال كثير » والبيت لكثير في الموشح ١٠٦

(٥) ق « بهذا » وقد عابته بذلك : عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب ، كما في الموشح ١٦٠ - ١٦١

(٦) ق « وإن كنت »

وقد قال «مُرَّةُ النَّهْدِيِّ» :

أَنَّ سَجَعَتْ فِي بَطْنِ وَادٍ حَمَامَةٌ تُجَاوِبُ أُخْرَى مَاءَ عَيْنَيْكَ غَاسِقٌ^(١)
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بُكَاءَ حَمَامَةٍ بَلِيلٍ ، وَلَمْ يَحْزَنْكَ إِلْفٌ مُفَارِقُ
وَلَمْ تَرِ مَشْغُوفًا بِشَيْءٍ تَحِبُّهُ . سِوَاكَ وَلَمْ يَعْشَقْ كَعِشْقِكَ عَاشِقٌ^(٢)

فقال : «أَنَّ سَجَعَتْ» يُوَبِّخُ نَفْسَهُ عَلَى الْبُكَاءِ لِبُكَاءِ حَمَامَةٍ . وَلَمْ يَذْهَبْ فِي ذَلِكَ إِلَى تَخْصِيسِ أَمْرِهَا ، بَلْ إِلَى مَا قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ [قوله] ^(٣) : «كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بُكَاءَ حَمَامَةٍ» . أَيْ قَدْ حَزَنْتَ لِذَلِكَ^(٤) كَثِيرًا ، وَبَلَيْتَ لِلْحُزْنِ عَلَى مَفَارِقَةِ الْإِلْفِ دَائِمًا ، وَرَأَيْتَ مَنْ حَالُهُ كَحَالِكَ أَبَدًا ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَقْصُرَ . فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءُ فِي الْأَبْيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ جَائِزٌ أَنْ لَا يَكُونُوا هَوَّنُوا أَمْرَ الْحَمَامَةِ ، إِنْ كَانُوا اعْتَمَدُوهُ ، عَلَى أَنَّهُ هِينٌ عِنْدَهُمْ وَعَلَى^(٥) الْحَقِيقَةِ ، إِنَّمَا ذَهَبُوا فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَرُدُّوْا نَفْسَهُمْ عَنِ الْبُكَاءِ ، فَغَيْرُ مَنْكَرٍ مِمَّنْ أَرَادَ أَنْ يَرُدَّ نَفْسَهُ عَنْ شَيْءٍ أَنْ يُهَوِّنَ السَّبَبَ الْجَالِبَ لِذَلِكَ^(٦) الشَّيْءَ وَيُحَقِّقَهُ ، وَإِنْ كَانَ عَظِيمًا .

غَيْرَ أَنْ أَبَا تَمَامٍ أَوْقَعَ التَّوْبِيخَ عَلَى نَفْسِهِ كَمَا فَعَلُوا ، وَذَهَبُوا إِلَى تَهْوِينِ أَمْرِ الْحَمَامَةِ ، وَذَهَبَ هُوَ إِلَى تَعْظِيمِهِ فِي قَوْلِهِ : «فَإِنَّهُمْ حِمَامٌ» . فَوَافَقَهُمْ فِي التَّوْبِيخِ ، وَخَالَفَهُمْ فِي الْمَعْنَى ، كَقَائِلِ قَالَ لِرَجُلٍ : أَمْثَلُكَ يَسَامَى عَمْرًا ؟

(١) م «عاشق» وذكر القالي أنه للعوام بن عقبة ١ / ١٣١ وفي حسامة ابن الشجري ١٧٢ للصنعة ابن عبد الله القشيري ، ومن غير نسبة في أمالي اليزيدي ٥٠

(٢) م ، ق «لعشقتك»

(٣) الزيادة من ق

(٤) ق «أى قد سمعت ذلك كثيراً»

(٥) ق «على»

(٦) م «إلى ذلك»

ويقول له قائل آخر كهذا القول سواء ، ويكون أحدهما مُصَغَّرًا [له] ^(١)
عن مُسَامَاةٍ عمرو ، والآخر مُكَبَّرًا معظماً ، فيستويان في اللفظ . ويختلفان
في المعنى .

وقد تقدم الناس أبا تمام في مثل قوله : « فَأَيْنَ حِمَامٌ » ، وقد ذكروا
أن تغريد الحمام يُبْلَى ، ويُعْمِت ، ويُقْتَل . وهو المذهب الأعم الأكثر ،
فمن ذلك قول « نُصَيْب » :

مُحَلَّلَةٌ طَوْقٍ كَانَ مِنْ غَيْرِ شَرِيَةٍ بِمَالٍ ، وَلَمْ تَغْرَمْ لَهُ جُعَلَ دِرْهَمٍ
أَمُوتُ لَتَبْكَاها أَسَى إِنَّ عَوْلَنِي وَوَجَدِي بِسُعْدَى شَجْوَهُ غَيْرَ مُنْجِمٍ ^(٢)

وقال [آخر] ^(٣) :

أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللَّوَى عُدْنَ عَوْدَةً فَإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينٌ ^(٤)
فَعُدْنَ فَلَمَّا عُدْنَ كِدْنَ يُحِثْنَنِي وَكَدْتُ بِأَخْرَانِي لَهُنَّ أُبِينُ

[وقال آخر :

وهِيجَتْنِي - فَأَهْتَجْتُ لِلشُّوقِ وَالصُّبَا - مُطَوَّقَةٌ خَطْبَاءُ عَالٍ رَنِينُهَا
تَمُوتُ لَهَا نَفْسُ الْحَزِينِ صَبَابَةً إِذَا مَا دَعَتْ وَهْنًا وَغَنَّتْ غُنُونُهَا] ^(٥)

(١) م « مصداً عن » .

(٢) أمال المرتضى ١ / ٣٣٠ « لبكها أسي » ومنجم : مقلع .

(٣) الزيادة من ق .

(٤) الأمال ١ / ١٣٢ والزهرة ٢٤٠ من غير نسبة ، وفي نهاية الأرب ٢ / ٢٦٣ لحنون ليل .

وتنسب لعبد الله بن الدمينه كما في ديوانه ٣٩ ، ٢٢٤ .

(٥) الزيادة من ق وفيها « غنوها » والغنون : الأصوات .

وقال [آخر] :

أَلَا يَا حَمَامَ الشَّعْبِ مِنْ غَيْضَةِ اللَّوَى رَدِي الْمَاءَ لَا تُؤْخِذْ عَلَيْكَ الْكَظَائِمُ^(١)
 حَمَائِمُ قَدْ أَبْلَيْتَنِي ، وَقَتَلَنِي كَانَ لَمْ يَهْمُ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ هَائِمُ
 وذكر هذا أنهن^(٢) أَبْلَيْتَنَّهُ ، وقتلته ، فما وجه الإنكار على أبي تمام قوله :
 « فإِنَّ حَمَامَ ؟ »

فإن قيل : إنما أراد هولاء الشعراء إماتة الحب ، وقتل الحب الذي هو
 التذليل والتتيسير ، ولم يريدوا القتل الذي هو الإيْتان على النفس ، ولا
 الموت الوَحْيَ [والحمام] ^(٣) ليس من هذا في شيء ؛ لأنه قَدَرُ الموت المَقْدُور ،
 وقضاؤه المَخْتوم . يقال : قد حُمَّ الأمرُ إذا قُضِيَ وقُدِّر . قال «الرَّاعِي» :
 * وَمَا حُمُّ مِنْ قَدَرٍ يُقَدَّرُ^(٤) *

قيل : إذا استعمل الموت على المجاز فقضاء الموت ، وقدره أيضاً يستعمل
 على المجاز ؛ لأنك إذا قلت على المجاز : في هذا الأمر إذا ارتكبته قَتَلِي ،
 أو مَوْتِي - قلت أيضاً على المجاز : في هذا الأمر حِمَامِي . وقد ذُكِرَ الحمام
 على الوجه كما ذُكِرَ الموت والقتل . فقال [الفزاري] .
 * وَأَوْرَدَنِي يَوْمَ الْعَذِيبِ حِمَامِي *
 ولم يمت يوم العذيب . ومثله كثير موجود ^(٥) .

وأما إنكارهم قوله^(٦) : « فَإِنْ بَكَاءَهَا ضَحْكُكَ » . وقولهم : إن الحمامة

(١) الكظائم : في اللسان ١٥ / ٢٥ « وكل ما سد من مجرى ماء أو باب أو طريق : كظم »

(٢) م « أنه »

(٣) الزيادة من ق

(٤) صدره « تغير قوى ولا أسخر » كما في اللسان ١٧ / ٦

(٥) الزيادة من ق

(٦) م « قولهم »

تغرد لفقد إلفها وفرخها ، وتكثر النوح عليهما : فكيف يكون ذلك ضحكاً ؟
 فالجواب عن هذا : أن ذلك التغريد بعينه قد يُسمع منها وإلفها معها ،
 وتفعله وهي في عُشها مع فرخها . والملاحظة لهذا أكثر وأعم . ويسمى ذلك
 التغريد نوحاً ؛ ألا ترى إلى قول الشاعر :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْلِكِ الْفُكَّ حَاضِرٌ وَغُصْنُكَ مَيَّادُ فَفِيمَ تَنُوحُ ؟^(١)
 وَنَاحَتْ وَفَرَّخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا وَمِنْ دُونِ أَفْرَاحِي مَهَامُهُ فَيَحُ

ولهذا قال ورْدُ بن الجعد :

أَحْمًا يَا حَمَامَةَ بَطْنٍ وَادٍ بَأَنَّكَ فِي بَكَائِكَ تَصْدُقِينَا^(٢)
 غَلَبْتُكَ فِي الْبُكَاءِ بِأَنَّ لَيْلِي أَوَاصِلُهُ ، وَأَنَّكَ تَهْجَعِينَا^(٣)
 وَأَنِّي إِنْ بَكَيْتَ بَكَيْتَ حَقًّا وَأَنَّكَ فِي بَكَائِكَ تَكْذِبِينَا^(٤)

فمن هنا قال أبو تمام : « لا تَنْشَجَنَّ لَهَا فَإِنَّ بَكَاءَهَا ضَحِكٌ » . أى
 ليس هناك بكاء على الحقيقة ، ولا حزن على الصَّحة ، وإنما يشجوك تغريدها
 لأن لها تَلْحِينًا وَتَرْجِيْعًا كأنه صوت نائح ؛ ومن أجل ذلك أدعت الأعراب
 أن فرخ حمام كان على عهد نوح يقال له^(٥) الهديل - صاده بعض جوارح
 الطير . فيزعمون أنه ما من حمامة إلا وهي تبكي عليه . وهذا من خرافات
 الأعراب . وإنما قالوا ذلك لما رأوا الحمام على كل حال يغرد هذا التغريد

(١) البيت الأول في الكامل ٨٤٨ / ٣ لعرف بن محم ونهاية الأرب ٢ / ٢٦٤ ، والثاني له في
 سمط اللآلى ١ / ٣٧٢ رها في فوات الوفيات ٢ / ٢٣٤ ومعجم الأدباء ١٧ / ١٤٢ - ١٤٣ والأول غير
 منسوب في الزهرة ٢٤١ .

(٢) الأبيات في الزهرة ٢٤٢ لنهان العشمى ، وفيها : « بطن قو بهذا الوجد أنك تصدقينا » .

(٣) م « بالبكاء » .

(٤) م « وأنى وإن » وفي الزهرة :

وأنى أشتكى فأقول حقاً وإنك تشكين فتكذبننا

(٥) م « لها » .

الشَّجِيَّ فسموه نوحاً وبكاء [واحتراقاً] ^(١) واخترعوا له هذا الحديث ،
وذكروه في أشعارهم ^(٢) .

فمن ذلك قول الكميت :

وَمَا مِنْ تَهْتِفِينَ لَهُ بِنَصْرِ
بِأَقْرَبِ جَابَةٍ لَكَ مِنْ هَدِيلٍ ^(٣)

وقال نصيب :

فَقُلْتُ: أَتَبْكِي ذَاتُ طَوْقٍ تَذْكُرْتُ
هَدِيلاً وَقَدْ أَوْدَى وَمَا كَانَ تُبَعُّ ^(٤)
أَيَّ أَوْدَى قَبْلَ تَبَعٍ .

وقال نصيب أيضاً :

هَتُوفُ الضُّحَى وَرَقَاءُ يَذْكُرُكَ الْهَوَى
بُكَاءَ هَدِيلاً شَجْوَهُ حِينَ تَهْتَفُ
وقوله : شجوه أي بشجوه .

وقال آخر :

أَبْئِئَكَ هَدِيلاً بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى
عَلَى الطَّلَحِ قُمْرَى الْحَمَامِ الْمُفْرَدِ

وقال آخر :

إِنِّي تُذَكِّرُنِي مَلَمَى مُطَوَّقَةً
تَدْعُو هَدِيلاً عَلَى أَفْنَانِ أَغْصَانِ

ومثل هذا كثير في أشعارهم جداً . ولا يكادون يخرجون في نوح الحمام
عن أن يجعلوه على الفرخ القديم ، أو على إلفٍ مُفَارِقٍ ؛ وذلك لرقه

(١) الزيادة من ق .

(٢) ق « في أسمائهم » .

(٣) البيت له في اللسان ٢١٦ / ١٤ « لنصر بأسرع » وفي م « من هديل » .

(٤) ق « تنكرت هديلاً » وقبل البيت في اللسان ٢١٥ / ١٤ « قال نصيب ، وقيل هو لأبي وجزة » .

تغريدها ، وشدة تشوق من يسمع ذلك إلى إلفه . قال رجل من بني نهشل :
 أيبكى حمام الأيك من فقد إلفه [وأصبر عنها إننى لصبور^(١)]
 وقال جميل [٢] :

أيبكى حمام الأيك من أجل إلفه وأصبر ، مالى عن بُشينة من صبر
 وقال آخر :

ألا يا حمام الأيك مالك باكياً أفارقت إلفاً ، أم جفاك حبيب^(٣) ؟

ومع هذا فقد جعلوا تغريدها أيضاً غناء ، لأن من الغناء ما يشجوك
 فيحزنك ، ومنه ما يسرك فيطربك ؛ ولهذا ما جعلوا^(٤) نوح الحمام تفجعا ،
 وسموه غناء ، وبكاء في حال واحدة . ومنه قول الأخوص :

أهاج لك الصبابة أن تغنت مطوقة على فنن بكور
 تفجع فوق غضن من أراك وتحت لبانها فنن نصير
 فجعل غناءها تفجعا .

وقال علي بن عُميرة الجرمي :

لقد هاج ذكرى أم عمرو حمامة بنعمان غنتنا غناء مرجعا
 بكت ساق حُر بالمرابيح ، وانتحت بها الريح في وادٍ أراض وأمرعا^(٥)

فقال : غنتنا ، ثم قال : بكت ساق حُر . فجعل غناءها بكاء .

(١) أمال القال ١ / ١٣١ والزهرة ٢٤١ .

(٢) الزيادة من ق .

(٣) الزهرة ٢٤١ .

(٤) ق « ويظربك والحكاء جعلوا » .

(٥) أراض : كثرت ريانته . وأمرع : أخصب وكثر عشب .

وقال آخر :

تَغَنَّتْ بِرَأْدٍ مِنْ ضُحَاهَا فَأَسْمَعَتْ أَخَا طَرْبٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ عَوَازِلُهُ^(١)
 إِذَا سَجَعَتْ كَرَّتْ بِجَرَسٍ كَأَنَّهُ وَتَحَوُّبٌ ثَكَلَى زَايَلَتْ مَنْ تَزَايَلُهُ^(٢)
 فجعل بكاءها كَتَحَوُّبٍ^(٣) ثكلى .

وقال النابغة :

بكاء حَمَامَةٍ تَدْعُو هَلِيلًا مُفْجَعَةً عَلَى فَنَنِ تَغْنِي^(٤)
 فجعلها باكية ، مفجعة ، مُغْنِيَّة .

وقال نُصَيْب :

لَقَدْ كِدْتُ تَبْكِي أَنْ تَغْنَتْ حَمَامَةٌ عَلَى رَأْدَةِ الْأَفْنَانِ نَاعِمَةِ الْأَصْلِ
 تَهْزُ بِهَا الرِّيحُ الضَّعِيفَةُ غُصْنَهَا مِرَارًا فَتُدْنِي فَرْعَهُ ثُمَّ تَسْتَعْلِي
 بِهَا تَفَةً لَا تَبْرَحُ الدَّهْرَ وَالِهَا عَلَى إِثْرِ الْفِ ، أَوْ تَنُوحُ عَلَى شَكْلِ
 فقال : تغنت ، ثم جعلها واليها ، ونائحة على شكل ، أى على شبه ومثل .

وقال نُصَيْب :

وَقَدْ هَاجَنِي لِلشُّوقِ نَوْحُ حَمَامَةٍ هَتُوفِ الضُّحَى هَاجَتْ حَمَامًا فَرْدًا
 طُرُوبٍ غَدَتْ مِنْ حَيْثُ بَانَتْ فَبَاكَرَتْ بِعَوَلَتِهَا غُصْنًا مِنْ الْأَثْلِ أَغِيدًا
 تَغْنَتْ عَلَيْهِ ذَاتُ شَجَرٍ مُرْنَةً بِصَوْتِ يَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ الْمُصْبِدَا
 فقال : هاجني نَوْحُ حمامة ، ثم قال : تَغْنَتْ .

(١) الرأد : رونق الضحى . وقيل رأد الضحى : ارتفاعه حين يعلو النهار .

(٢) الجرس : الصوت . والتحوب : البكاء في جزع وصياح . وفي م « تحرب » وزايلت : فارقت .

(٣) م « كتحرب » .

(٤) ديوان النابغة ١٠٧ وأمالى المرتضى ١ / ٤٣ .

وقال نُصَيْبُ أَيْضاً :

لَعَلَّكَ بِأَكِّ أَنْ تَغْنَّتَ حَمَامَةٌ يَمِيدُ بِهَا غُصْنٌ مِنَ الرِّيحِ مَائِلُ
مِنَ الْوُرْقِ يَدْعُوهَا إِلَى شَجْوِهَا الضُّحَى فَتَبْكِي ، وَتُبْكِي حِينَ تَذْنُو الْأَصَائِلُ
فَجَعَلَهَا بِأَكِيَةً مُغْنِيَةً .

ومثله قول ابن مَيَّادَةَ :

يُذَكِّرْنِيهَا أَنْ تَغْنَّتَ حَمَائِمُ لَهْنٌ عَلَى خُضْرِ الْعِضَاهِ عَوِيلُ
تَجَاوِبَنَّ فِي حَدِّ النَّهَارِ بَعُولَةً وَأُخْرَى تُوَافِي الشَّمْسَ كُلَّ أَصِيلِ
وقال عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ :

أَذُمُّ الطُّبَّاءَ بِهِ تَرَنَّمُ سُنَحَا وَبِكَاءُ نَائِحَةٍ بِهِ تَتَرَنَّمُ^(١)
غَنَّتْ عَلَى فَنَنِ فَأَسْعَدَ شَجْوَهَا وَرُقٌ أَجَبْنَ كَمَا اسْتَجَابَ الْمَأْتَمُ^(٢)

وقال رجل من بني نضر بن معاوية :

أَهَاجَ لَكَ الْأَحْزَانَ نَوْحُ حَمَامَةٍ تَغْنَّتْ بَلِيلٌ فِي ذَرَى نَاعِمٍ نَضِيرِ
فقال : نوح حمامة ، ثم قال : تَغْنَّتْ .

وقال سعد بن الجراح بن سفيان بن صامت الحارثي :

وحمامة أَوْفَتْ بِأَخْضَرِ نَاعِمٍ تَبْكِي عَلَى غُصْنٍ مِنَ الْأَغْصَانِ
عَرَفَ الْحَمَامُ لَهَا الْغِنَاءَ فَرَنَّمَتْ فَاعْتَادَنِي نُكْسٌ مِنَ الْأَحْزَانِ

(١) في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢١٧ :

أدم الأطباء به تراعى خلفه ويخالها في رعه تتبغم
وثني صباية قلبه بعد البلى ووقاه ظلت في الفصون ترنم

(٢) في الديوان « غردت على » .

وقال حميد بن ثور :

فَأَوْفَتْ عَلَى غُضَنِ ضُحَيًّا فَلَمْ تَدَعِ لَبَاكِيَةً فِي شَجْوِهَا مُتَلَوِّمًا^(١)
تَغْنِي إِذَا غَنَّتْ بِأَجْزَاعٍ بِيْشَةٍ أَوْ الرَّخْمِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ يَنْبِمًا^(٢)

وقال أبو شيبَةَ الجَرْمِيُّ :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْحَمَامَةَ غُدُوَّةً عَلَى الْغُضَنِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ^(٣)
تَعَلَّتْ عَلَى الْأَفْنَانِ فِي تَلْعِ الضُّحَا فَهَاجَتْ حَزِينًا بِالْبُكَاءِ وَوَلَّتْ

وقال يزيد بن عمار الهَلَالِي :

وَذَاتَ فَرَخَيْنِ غَنَّتْ فِي مُسَوِّقَةٍ عَجَمَاءَ مُعَرِّبَةٍ مَا ضَرَّهَا الْعَجَمُ
بَكَتْ فَأَبْكَتْ مَرِيضَ الْقَلْبِ ذَا شَجَنِ وَلَيْسَ يَجْرِي لَهَا دَمْعٌ فَيَنْسَجِمُ

وقال أبو مَخْلَدٍ الرَّاسِبِيُّ :

وَلَكِنِّهَا لَمْ تُذِرْ دَمْعًا وَقَدْ بَكَتْ وَعَيْنُكَ تُذِرِي الدَّمْعَ سَحًا شُتُونَهَا

وقال رجل من ولد سالم بن مالك الثَّقَفِيِّ :

وَيَوْمَ الدُّوَى أَجْرَى دُمُوعَكَ إِذْ دَعَتْ حَمَائِمُ فِي فَيْءِ الْأَرَاكِ صَوَائِحُ^(٤)
حَوَائِمُ مَا تُذِرِي الدَّمُوعَ إِذَا بَكَتْ وَهْنٌ بِأَسْرَارِ الدَّمُوعِ بَوَائِحُ

(١) ديوان حميد بن ثور ٢٦ والكامل ٢ / ٨٤٩ .

(٢) فيها : « إِذَا شَتَّ غَنَّتِي بِأَجْزَاعٍ أَوِ النَّخْلِ » وبينهم : راد ، كما في معجم البكري ٤ / ١٣٨٧ .

(٣) من غير نسبة في الزهرة ٢٤١ .

(٤) م « صَوَائِح » .

وقال حَرْبُ بن الحَكَم بن المُنْذِر بن الجَارُود :

وَقَبْلِي أَبْكِي كُلَّ مَنْ كَانَ بَاكِياً هَتُوفُ الْبَوَاكِى وَالْدِّيَارُ الْبَلَاغِ^(١)
بَوَاكِ عَلَى الْأَطْلَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ نَوَاحٍ مَا تَخْضَلُ مِنْهَا الْمَدَامِعُ^(٢)

وقال على بن عَمْرَةَ الْجَرْمِيُّ :

هَتُوفُ الضُّحَى مَعْرُوفَةُ اللَّحْنِ لَمْ تَزَلْ تَقُودُ الْهَوَى مُهْدًى لَنَا وَتَقُودُهَا^(٣)
جَزُوعٌ ، جَمُودُ الْعَيْنِ ، دَائِمَةُ الْبُكَاءِ وَكَيْفَ بَكََا ذِي مُقْلَةٍ وَجُمُودُهَا
مَطْوُوقَةٌ لَمْ يَضْرِبِ الْقَيْنُ فِضَّةً عَلَيْهَا ، وَلَمْ يَعْطِلْ مِنَ الْحَلَى جِيدُهَا^(٤)

فهذا ما عليه العرب وغيرهم في أن الحمام وغيره من الطير لا دموع لها .

وقال رباح العُقَيْلِي . فجعل لها دموعاً . وذلك سهو منه أو جهل ، وأنشده أبو حاتم :

وَمَا هَاجَ لِي إِلَّا عَشِيَّةً وَاسِطٍ حَمَائِمُ غِيْطَانِ الْأَرَاكِ وَقُوعُ
تَجَاوَبْنَ فِي أَطْلَالِ أَفْنَانِ أَثْلَةٍ بِمَغْرُورِقَاتٍ فَيَضُضْنَ دُمُوعُ^(٥)
وَلِنِّى لَأَرْغَى السُّرَّ مِنْ أُمِّ عَاصِمٍ وَلَسْتُ لِعَهْدٍ صَالِحٍ بِمُضِيعٍ

فقال : « بمغوروقات تفيض^(٦) منهن الدموع » .

(١) في الزهرة من غير نسبة ٢٤٥ « كان ذا هوى » .

(٢) في الزهرة « ومن على الأطلال » .

(٣) لبعض الأعراب في الزهرة ٢٤٣ « صروح الضحى هياجة اللحن . . قيود الهوى تهلى لها وتقودها » .

(٤) في الزهرة « لم تطرب العين فضة » !

(٥) م « فضهن » .

(٦) م « سفض » .

وقال آخر :

فَعُدْنِ بِقَرَقَارِ الْهَلِيرِ كَأَنَّمَا شَرِبْنَ حُمِيًّا ، أَوْ بِهِنَّ جُنُونُ^(١)
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَبْلَهُنَّ حَمَائِمًا بَكَيْنَ فَلَمْ تَقْطُرْ لَهُنَّ جُفُونُ

وهذا قد أفصح - كما ترى - بأن كل حمام رآه يبكي قبل هذه الحمامات - رأى له دموعاً . هذا مخض الجهل ، وأظنه أراد أن يقول : فلم تر عيني ، قبلهن بواكياً . فقال حماماً كما قال جهنم بن خلف : فلم أرَ باكيةً مثلها [تُبَكِّي] ودَمَعَتْهَا مَا تُرَى^(٢)

لم يرد باكية من الحمام ، ولا من الطير ، وإنما أراد باكية من الإنس مفعلة مثل هذه الحمامة . والله أعلم .

وهذا الفصل ليس من الاحتجاج لأبي تمام في أبياته . وقد كان يجوز أن أتعداه ، وأقتصر^(٣) أيضاً على بعض الشواهد التي تقدمته ، ولكن وجدت ذلك متتماً للباب فأوردته .

وقال أبو تمام :

لَيْتَ أَرْقَا الدَّمْعَ الْعَيُونُ وَقَدْ جَرَى لَقَدْ رَوَيْتُ مِنْهُ خُلُودُ نَوَاعِمُ^(٤)
كَمَا كَادَ يَنْسَى عَهْدَ ظُمِيَاءَ بِاللَّوَى وَلَكِنْ أَمَلْتُهُ عَلَيْهِ الْحَمَائِمُ^(٥)

(١) لابن اللينة كما في ديوانه ٣٩ ، وهما من غير نسبة في أمالي القالي ١ / ١٣٢ .

(٢) البيت من قصيدة له في الحيوان ٣ / ١٩٩ والزيادة منه .

(٣) م « وأقتصر » .

(٤) ديوان أبي تمام ٢٨٥ وشرح التبريزي ٢ / ١٧٦ وروى : « الدمع النور » و « أعطش

الدمع العيون » ومعنى أرقاً : سكته ومنعه من السيلان .

(٥) وروى « لقد كاد » .

بَعَثَنَ الْهَوَى فِي قَلْبٍ مِّنْ لَّيْسَ هَائِمًا فَقُلْتُ فِي فَوْادٍ رُّعْنُهُ وَهُوَ هَائِمٌ
لَهَا نَعْمٌ لَّيْسَتْ دُمُوعًا فَإِنْ جَرَتْ مَضَتْ حَيْثُ لَا تَمُضِي الدُّمُوعُ السَّوَاجِمُ^(١)

قوله : « لئن أرقاً الدمعَ العيونُ وقد جرى » . يريد لئن قطعت العيون
التي ترقبني دمعى وقد جرى ، أى فى حال جريه - لقد رويت منه خدودُ
أحبائى .

وهذه حال مفهومة معلومة قلما يخلو منها [أحد] وهو أن يدور الدمعُ
فى مآقه ، ويستحى أن يُرى باكياً ، فيكفُّ العبرة ويردّها .

ولم يوضح المعنى ويلخصه .

والجيد النادر ، واللفظ الحسن ، والعبارة الصحيحة - قولُ البحتري :
نَهَتْهُ رَقَبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَعْلُقَ : مَا يَغِيضُ ، وَمَا يَسِيلُ
ومثل هذا لا يكون مسروقاً ؛ لأنه جارٍ فى عادات الناس ، مشاهدٌ معلوم ،
وما علمت أحداً نظمه نظم البحتري .

والجيد الحسن أيضاً لفظاً ومعنى - قوله^(٢) :

مَا لِي خُضِرَ يَنْحَنَ فِي قُضْبِ الْخُضْ رِ عَلَى كُلِّ صَاحِبٍ مَفْقُودٍ^(٣)
عَاطِلَاتٍ ، بَلْ حَالِيَاتٍ يُرَدُّ نَ الشَّجَا فِي قَلَائِدٍ وَعُقُودِ
زِدْنِي صَبُوءَ ، وَذَكْرَنِي عَهْ لِمَا قَدِيمًا مِنْ نَاقِضٍ لِلْعُودِ
مَا يُرِيدُ الْحَمَامُ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ أَعْمِيدٍ صَبٌّ بِغَيْرِ عَمِيدِ
كُلَّمَا أُخِيدَتْ لَهُ نَارُ شَوْقٍ هِجْنَهَا بِالْبَكَاءِ وَالتَّغْرِيدِ

(١) ويروى : « فإن علت » .

(٢) م « وقوله » .

(٣) ديوان البحتري ٦٩٢ ، « يا لخضر ينحن فى القصب » .

قوله : « عاطلات بل حاليات » . يريد أطواق الحمام . هو لها [شبيهه] ^(١) بالحلي ، وهنّ منه عواطل .

وما قال أحد في هذا المعنى أحسن ، ولا أبرع ، ولا أحلى من قول أمية ابن أبي الصلت في حمامة نوح :

فلما فرشوا الآيات صاغوا لها طوقاً كما عُقِدَ السُّخَابُ ^(٢)
تورثه إذا ماتت بنيهها وإن تُقْتَلَ فليس لها استلاب

وقول البحتري : « يُرَدِّدُنَ الشَّجَا فِي قَلَائِدٍ وَعُقُودٍ » حسن ، لأنّ
الباكية الحزينة ذات الشجو لا تلبس الحلي ، وإن كان عليها تسلبت منه .
وأحسن منه قول الآخر :

مُطَوِّقَةٌ تُبْكِي ، وَلَمْ أَرِ بَاكِياً بدّا ما بدّا مِنْ شَجْوِهَا لَمْ تَسْلُبْ
أخذه ابن الرومي فقال :

لو تستطيع تسلبت مِنْ طَوِّقِهَا لو كان منتحلاً مِنْ الْأَطْوَاقِ
وقال البحتري :

وَوُرِّقَ تَدَاعَى بِالْبَكَاءِ بَعْثُنَ لِي كَمِينَ أَسَى بَيْنَ الْحَشَا وَالْحَبَازِمِ ^(٣)
وصلتُ بِدَمْعِي نَوْحَهُنَّ وَإِنَّمَا بَكَيْتُ لَشَجْوِي ، لَا لِشَجْوِ الْحَمَائِمِ

وهذا أيضاً جيد حسن ..

ولست أعرف لهما في ذكر الحمام غير هذا ^(٤) .

(١) زيادة لازمة .

(٢) السخاب : القلادة .

(٣) ديوان البحتري ٤٤٨ .

(٤) م « هذه » .

باب

في وصفهما للأيام التي خلت ، والأزمان
التي حمداها ، والتذكر لها ، والأسى عليها
ويتصل بذلك شيء من ذكر النساء وأوصافهن

وأذكر أولاً ابتداء آتهما في هذا الباب .

قال أبو تمام :

أَيَّامَنَا مَا كُنْتُ إِلَّا مَوَاهِبَا وَكُنْتُ بِإِسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَائِبَا^(١)

وقال :

أَخْسِنُ بِأَيَّامِ الْعَقِيقِ ، وَأَطِيبُ وَالْعَيْشِ فِي أَظْلَالِهِنَّ الْمُعْجِبِ^(٢)

وقال البحتري :

لَيْالِينَا بَيْنَ اللَّوَى فَرَزُودٍ مَضَيْتِ حَبِيدَاتِ الْفِعَالِ فَعُودِي^(٣)

بيت أبي تمام الأول أجود من الأبيات الثلاثة .

ولفظ البحتري لا زيادة على حسنه وجودته .

(١) م « ويفضل » .

(٢) ديوان أبي تمام ١٦ وشرح التبريزي ١ / ١٤٥ .

(٣) ديوانه ١٢ وشرح التبريزي ١ / ٩٧ .

(٤) ديوان البحتري ١ / ١٨٠ طبع بيروت ، ٢ / ٧٧٧ دار المعارف .

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من هذا الباب

قال أبو تمام :

أَيَّامَنَا مَا كُنْتُ إِلَّا مَوَاهِبًا وَكُنْتُ بِإِسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَائِبًا^(١)
 سَنُغْرِبُ تَجْدِيدًا لِعَهْدِكَ فِي الْبُكَاءِ فَمَا كُنْتُ فِي الْأَيَّامِ إِلَّا غَرَائِبًا
 وَمُعْتَرِكٍ لِلشُّوقِ أَهْدَى بِهِ الْهَوَى إِلَى ذِي الْهَوَى نُجَلَ الْعُيُونِ رَبَائِبًا
 كَوَاعِبُ زَارَتْ فِي لَيَالٍ قَصِيرَةٍ تُخِيلُنَّ لِي مِنْ حُسْنِهِنَّ كَوَاعِبًا

قوله : « وَمُعْتَرِكٍ لِلشُّوقِ » يريد موضعاً زاره فيه الكواعب اللواتي ذكرهن ؛ فإن ذلك الموضع يسقط فيه الشوق فلأن يكون مُعْتَرِكاً للوصول أولى . والعُدْرُ له أن يقال : إنه إنما كان مُعْتَرِكاً للشوق بعد تلك الحال التي تَقَصَّصَتْ فهو أبداً مشتاق إلى ذلك الموضع إذا ذكر له .

وقال :

أَحْسِنَ بِأَيَّامِ الْعَقِيقِ وَأَطِيبِ وَالْعِيشِ فِي أَظْلَالِهِنَّ الْمُعْجِبِ
 وَمَصِيفِهِنَّ الْمُسْتَظَلِّ بِظِلِّهِ سِرْبُ الْمَهَا ، وَرَبِيعِهِنَّ الصَّبِ
 أَصْلُ كُبْرِدِ الْعَصْبِ نَيْطَ إِلَى ضَحَى عَيْقِ بَرِيحَانَ الرِّيَاضِ مُطِيبِ^(٢)

(١) ديوان أبي تمام ١٦ وشرح التبريزي ١٤٥/١ .

(٢) نيط : علق . وقوله : كبرد العصب : أي هو حزن فيه تقوش ، وأصل العصب : الغزل ،

ثم قيل لضرب من البرد عصب : لأنها من الغزل تكون كما في شرح التبريزي ٩٩/١ .

وظِلَالِهِنَّ الْمُشْرِقَاتِ بِخُرْدٍ بِيضٍ كَوَاعِبَ غَامِضَاتِ الْأَكْعَبِ^(١)

وهذا - لعمرى - حَسَنٌ مُعْجِبٌ .

وقال أيضاً أبو تمام .

وَلَقَدْ أَرَاكِ فَهَلْ أَرَاكِ بِغِطْطَةٍ وَالْعَيْشُ غَضٌّ ، وَالزَّمَانُ غُلَامٌ^(٢)
أَعْوَامَ وَضَلَّ كَانَ يُنْسِي طُولَهَا ذِكْرُ النَّوَى فَكَأَنَّهَا أَيَّامٌ
ثُمَّ أَنْبَرَتْ أَيَّامٌ حَجَرٍ أَعْقَبَتْ بِجَوَى أَسَى فَكَأَنَّهَا أَعْوَامٌ^(٣)
ثُمَّ أَنْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَخْلَامٌ

فقوله : « كَانَ يُنْسِي طُولَهَا ذِكْرُ النَّوَى » ، أى إنا كنا نَذْكُرُ الفراقَ
فَنُبَادِرُ السرورَ واللذات فكان ذلك يقصر من طولها . وَأَيَّامُ السرور على
كل حال قِصار ، اعترض فيها خوف الزوال أو لم يعترض .

وهذا من مشهور إحسان أبي تمام لفظاً ومعنى .

وقال البحتري :

عَيْشٌ لَنَا بِالْأَبْرَقَيْنِ تَأَيَّدَتْ [أَيَّامُهُ] وَتَجَدَّدَتْ ذِكْرَاهُ^(٤)
وَالْعَيْشُ مَا فَارَقَتْهُ فَذَكَرَتْهُ لَهْفًا ، وَلَيْسَ الْعَيْشُ مَا تَنْسَاهُ

وهذا إحسان يزيد على كل إحسان .

(١) الظلال . جمع ظلة ، وهى البناء المشرف ، وقوله : غامضات الأكعب : يعنى أنهن منعمات
ليس لأكعب أرجلهن حجم .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٧٩ وشرح التبريزي ١٥١ / ٣ .

(٣) فى الديوان وشرحه : « هجر أردفت » .

(٤) ديوان البحتري ٢٩٦ والزيادة منه .

وقال البحرى :

/سَقَى اللَّهُ أَخْلَاقاً مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً سَقَتْنَا الْجَوَى إِذْ أَبْرَقَ الْحَزَنُ أَبْرَقُ^(١)
لِبَالٍ سَرَقَتْهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَمَا أَضَاءَ بِمُصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرُقُ^(٢)
تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى فَمَا شَفَى بِمَاءِ الزُّبَى مَنْ بَاتَ بِالمَاءِ بِشَرْقُ^(٣)

- وهذا من أحسن معنى وأحلاه . وقوله : « إِذْ أَبْرَقَ الْحَزَنُ أَبْرَقُ » . أى
كما عهدناه ، لا كما هو فى الوقت من الخراب .

وقوله : « تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى » . أى فلم^(٤) أبرأ من الداء كما أن
من شرق بالماء لم يدفع شرقه الماء ولو تناهى فى الكثرة حتى يبلغ الزُّبَى وهو
من قولهم : بَلَغَ المَاءُ الزُّبَى^(٥) : جَمَعَ زُبَيْةً ، وهى حُفْرَةٌ تحضر للأسد
فى أعلى ما يمكن من المواضع فلهذا ضرب [بها]^(٦) المثل فى كثرة الماء
فقليل : بَلَغَ المَاءُ الزُّبَى .

فالشَّرْقُ بالماء لا يُزِيلُهُ الماء كما قال عدي بن زيد :

لَوْ بِغَيْرِ المَاءِ حَلَقِي شَرْقُ كُنْتُ كَالْغَصَانِ بِالمَاءِ أَعْتَصَارِي^(٧)
فقال البحرى ذلك ليؤكد بقاء حبه ، أى لا يكون بُرْئِي من حبها
أَنْ أَتَدَاوَى مِنْهَا بِهَا كما لا يَدْفَعُ المَاءُ شَرْقَ مَنْ شَرْقَ بِالماء .

(١) ديوان البحرى ٥١٨ ، ١٤٩٣ .

(٢) فى الديوان « ياصباح من » .

(٣) فى الديوان « فاشتق الربى » .

(٤) م « أى فلما برأ » .

(٥) مجمع الأمثال ١ / ٩١ .

(٦) زيادة لازمة .

(٧) البيت له فى اللسان ١٢ / ٤٤ .

وقال البحتري :

فَسَقَى الْغَضَا وَالتَّازِلِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ^(١)
 وَقِصَارِ أَيَّامٍ بِهِ سُرِقَتْ لَنَا حَسَنَاتُهَا مِنْ كَاشِحٍ وَرَقِيبِ^(٢)
 خُضْرًا تَسَاقِطُهَا الصَّبَا فَكَأَنَّهَا وَرَقٌ يُسَاقِطُهُ اهْتِرَازُ قَضِيبِ^(٣)
 كَانَتْ فُنُونٌ بَطَالَةٍ فَتَقَطَّعَتْ عَنْ هَجَرٍ غَانِيَةٍ ، وَوَحْطِ مَشِيبِ
 فقوله : « خضر تساقطها الصبا » - معنى في غاية الحسن ، وتمثيل في
 نهاية اللطف .

ومن حلو معانية ، ومشهور إحسانه قوله :

بَعْضَ هَذَا الْعِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ لَيْسَ ذِمُّ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ^(٤)
 مَا بَكَيْنَا عَلَى زُرُودٍ وَلَكِنْ نَا بَكَيْنَا أَيَّامَنَا فِي زُرُودٍ
 وقال أيضاً :

لَيَالِينَا بَيْنَ اللُّوَى فَمُخَجَّرٍ سُقِيتِ الْحَيَا مِنْ صَيِّبِ الْمُرْنِ مُنْطَرِ^(٥)
 مَضَى بِكَ وَضَلُ الْغَانِيَاتِ وَنَشْوَةُ الشَّ بَابٍ ، وَمَعْرُوفُ الْهَوَى الْمُتَنَكَّرِ
 فَإِنْ أَتَذَكَّرُ حُسْنَ مَا فَاتَ لَمْ أَجِدْ رُجُوعًا لِمَا فَارَقْتُهُ بِالتَّذَكُّرِ
 نَفْضَتْ الْأَسَى عَنِّي أَصْطَبَارًا وَرُبَّمَا أَمِيتُ فَكُمْ أَصْبِرُ ، وَلَمْ أَتَصَبَّرِ

(١) ديوان البحتري ١٧٦ ، ١ / ٢٤٦ دار المعارف .

(٢) في الديوان « سُرِقَتْ لَنَا » ١

(٣) لا يوجد هذا البيت في طبعي الديوان القديمتين .

(٤) ديوان ٦٩١ ، ١ / ٦٣٢ .

(٥) ديوانه ٢١٤ ، ٢ / ١٠٦١ طبع للمعارف .

وقال أيضاً :

عَهْدُ لِعَلْوَةٍ بِاللُّوَى قَدْ أَشْكَلَا مَا كَانَ أَحْسَنَ مُبْتَدَأُهُ وَأَجْمَلَا^(١)
أَنْسَى لِيَالَيْنَا هُنَاكَ وَقَدْ حَلَا مِنْ لَهْوِنَا فِي ظِلِّهَا مَا قَدْ حَلَا^(٢)
عَيْشٌ غَرِيرٌ لَوْ مَلَكَتُ لِمَا مَضَى رَدًّا إِذَا لَرَدَّدْتُهُ مُسْتَقْبَلَا

قوله : « عيش غرير » . أى رقيق ناعم . قال جرير :

بِضْ تَرَبَّيْهَا النَّعِيمُ ، وَخَالَطَتْ عَيْشًا كَحَاشِيَةِ الْفِرْنَدِ غَرِيرَا^(٣)

الْفِرْنَدُ : الحرير . والفِرْنَدُ : ماء السيف . والحاشية : جانب الثوب .
وإنما أراد الفِرْنَدُ نفسه .

وقال أبو تمام :

لِيَالَيْنَا بِالرَّقَّتَيْنِ وَأَهْلَهَا سَقَى الْعَهْدَ مِنْكَ الْعَهْدُ وَالْعَهْدُ وَالْعَهْدُ^(٤)
سَحَابٌ مَتَى يَسْحَبُ عَلَى النَّبْتِ ذَيْلُهُ فَلَا رَجُلٌ يَنْبُو عَلَيْهِ ، وَلَا جَعْدُ^(٥)
ضَرَبْتُ لَهَا بَطْنَ الزَّمَانِ وَظَهْرَهُ فَلَمْ أَلْقَ مِنْ أَيَّامِهَا عِوَضًا بَعْدُ

قوله : « الْعَهْدُ وَالْعَهْدُ وَالْعَهْدُ » . فالْعَهْدُ جمع عُهْدَةٍ ، وجمع عَهْدٍ : عِهَادٌ ،
وهو المطر يَأْتِي إثرَ مَطَرٍ . فأراد سَقَى الْعَهْدَ الذى عهدناك هذا المطر^(٦) بِأَسْرِهِ :
أَوَّلُهُ ، ووسطه ، وآخره . وأراد سَقَتِكَ العهداء كلها . ومثله قوله :

(١) ديوان البحترى ١٤٢ ، ١٦٥١ .

(٢) م « وقد خلا . . ما قد خلا » .

(٣) ديوانه ٢٨٩ .

(٤) ديوان أبي تمام ١٢١ وشرح التبريزى ٢ / ٨٥ .

(٥) م « ولا رجل » وقال التبريزى ٨٧ « يقول : لا سهل يمتنع من إخراج النبات إذا سقاء هذا

السحاب ، ولا حزن » .

(٦) م « هذا الأمطر بأسره » .

* سَقَى عَهْدَ الصَّبَا سَيْلَ الْعِهَادِ^(١)

وهذا مستقيم . والأول ليس بالجيد .

وقد فسر هذا قوم بما يبعد عن المعنى ، ولا يليق به ، وخطأوا فيه^(٢) .

قال أبو تمام :

سَلَامٌ تَرْجُفُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ ، وَالْعِرَاقِ^(٣)
عَلَى الْبَلَدِ الْحَبِيبِ إِلَى غَوْرًا وَنَجْدًا ، وَالْأَخِ الْعَذْبِ الْمَذَاقِ^(٤)
/ لَيَالِي نَحْنُ فِي وَسَنَاتِ عَيْشٍ كَأَنَّ الدَّهْرَ عَنْهَا فِي وَثَاقِ
وَأَيَّاماً لَنَا وَلَهُ لِدَانًا غَنِينَا فِي حَوَاشِيهَا الرُّقَاقِ^(٥)
كَأَنَّ الْعَهْدَ عَنْ عُفْرِ لَدَيْنَا وَإِنْ كَانَ التَّلَاقُ عَنْ تَلَاقِ^(٦)

وهذا كلام حلو غذب .

وقوله : « سَلَامٌ تَرْجُفُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ » . لأنه فارق العراق وهو كاره ،
فسلم سلام مودع متأسف ، شديد النفس للشوق والأسف ؛ فلذلك قال :
« ترجف الأحشاء منه » .

* * *

(١) ديوان أبي تمام ٧٨ « عهد الحصى » وعجزه : « وروض حاضر منه وباد » .

(٢) راجع الأقوال التي نقلها التبريزي في شرحه ونقلها ناشره في الجزء الثاني ٨٤ - ٨٧ .

(٣) ديوانه ٢١٤ وشرح التبريزي ٤٢٥/٢ .

(٤) في الشرح « والفتى الحلو المذاق » .

(٥) م « وأيام لها ولنا لدان » .

(٦) في شرح التبريزي عن المعرى : « يقال : لقيته عن عفر ، قليل هو مقدار شهر ، وقيل : لا حد له . يقول : نحن في أيام القرب لا يعمل بعضنا بعضاً ، فإذا لقيته باكرأ ثم وحت إلى لقائه ، فكان التلاقي عن وقت بعيد ، وقد قرب المدة بقوله : وإن كان التلاقي عن تلاق ؛ لأن ذلك يجوز أن يكون في أقصر حين » .

وبيت أبي تمام النادر في هذا الباب قوله :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها ، وكأنهم أحلام^(١)

وبيت البحتري قوله :

والعيش ما فارقت فذكرته لهفاً ، وليس العيش ما تنساه^(٢)

وبيت أبي تمام أسيرٌ ، وبيت البحتري اللطف معنى .

وهما في سائر ما مرَّ لهما في هذا الباب - متكافئان .

ومن حلو كلام البحتري في معنى الأيام قوله :

ما أحسن الأيام إلا أنها يا صاحبي إذا مضت لم ترجع^(٣)

وأحلى منه وأبدع - قول أبي حية النميري :

إذ الأيام مقبلة إلينا وظل أراك الدنيا ظليل^(٤)

وفي هذا الباب لأبي تمام إساءة في قصيدته التي أولها قوله :

* أما إنه لولا اللوى ومعاهده *

وذلك قوله :

فيا مشهداً يشتهمُ البينُ بأسمِهِ إذا عُدَّ أيامُ الهوى ومشاهدهُ

ويا ليلة لو يعرفُ الدهرُ طيبها لصيرها ثغراً تناعى مراصدهُ

(١) ديوان أبي تمام ٢٧٩ وسبق ص ١٦٠ .

(٢) ديوان البحتري ٢٩٦ و ٢ / ١٢٨٦ طبع المعارف .

(٣) ديوانه ٧٢٧ « لولا أنها » .

(٤) م « إذا » والبيت له في أمالي المرتضى ٤٤٥/١ « مقبلة علينا »

وهذا من أقبح ما يكون من الكلام ، وأهجن^(١) ما يكون من المعاني ،
وأبعد ما تكلفه أهل الاستعارة من الأغراض .

يقول : ولو علم الدهر طيبَ هذه الليلة لَجَعَلَهَا ثَغْرًا له مَرَاصِدُ .
والمَرَاصِدُ : مواضع الحرس .

وقوله : تناغى . يريد حراس المَرَاصِدِ يخاطب بعضهم بعضاً ، ويُنذِرُ
واحدٌ آخرَ . وأصلُ المُنَاغَاةِ : الكلامُ الرَّخِيمُ الخَفِيُّ ، مثلُ مُنَاغَاةِ الصَّبِيِّ .
وربما فعل ذلك أهل المَرَاصِدِ المتقاربة : يُوجِي بعضهم إلى بعض ، وينبِّه
بعضهم بعضاً على ما يَتَخَوَّفُونَهُ ويتوقَّعُونَهُ . يقول : فلو علم الدهر طيبَ هذه
الليلة لجعلها ثغراً يحرسه من أن تلحقه آفة أو جائحة تُزِيلُهُ وتُبْطِلُهُ .

وهذا مما ينبغي أن تَسْمَعَهُ وتضحك منه ، كما أن جَيْدَهُ يُسْمَعُ وَيُعْجَبُ
منه . ومن أجل هذا التفاوت العظيم في شعره - تفاوت الناس في التعصب
له ، والتعصب عليه . فما ينبغي أن يُقْبَحَ إحسانه^(٢) ، ولا [أن] تُحَسَّنَ
إِسَاءَتُهُ .

(١) م « وأهجنه وما يكون » .

(٢) م « يقبح لإحسانه ولا تحسن » .

ما جاء عنهما في طرق الخيال

/ هذا باب الفضل فيه للبحثى على أبي تمام . وما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون ؛ هو أشعر الناس والحاس الحل والخيال^(١)

ولم يأت عن أبي تمام فيه إلا أبيات يسيرة منها قوله في قصيدة :

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا لَا بَلْ أَزَارَكُ فِكْرٌ إِذَا نَامَ فِكْرُ النَّاسِ لَمْ يَنْمِ^(٢)
ظَبْيٌ تَقَنُّصَتْهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَأَ مِنْ الْحُلْمِ^(٣)
ثُمَّ اغْتَدَى وَبِنَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ بَاقٍ ، وَإِنْ كَانَ مَعْشُولًا مِنْ السَّقَمِ

قوله : « زَارَ الْخَيَالُ لَهَا بَلْ أَزَارَكُ » - ليس بالجيد ؛ لأنه إذا أزاره^(٤) الفكر فقد زار . فما وجه الاستدراك ؟ فكأنه أراد أن الخيال لم يعتمد الزيارة ، وإنما أزاره^(٥) الفكر . ومثله قام زيد ، لا بل أقمته . وكأن قائل هذا يريد ما اعتمد زيد القيام بل أقمته أنا^(٦) ويروى : « إذا نام فكر الخلو » .

وقوله : - « لَمْ يَنْمِ » . لم يرد حقيقة النوم ، وإنما أراد لم يسكن ، ولم يفتر ، كما يقال^(٧) : فلان لا ينام عن هذا الأمر ، أى لا يفتر عنه ، ولا يقصر .

(١) كذا بالأصل .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٦٨ وشرح التبريز ١٨٥ / ٣ وأمالى المرتضى ٥٤٢ / ١ وأمالى النقال ٢٢٩ / ١ وحاشية ابن الشجرى ١٧٦ وطيف الخيال ١٧ وفي الديوان وشرحه « فكر الخلق » .

(٣) في الديوان وشرحه « فى آخر » .

(٤ ، ٤ ، ٤) م « زاره » .

(٥) راجع نقد الشريف المرتضى لهذا الكلام فى كتاب طيف الخيال ١٧ - ٢٠ ، ٩ - ١٣ .

(٦) م « كما قال » .

وقوله : « من آخر الليل » . ولم يقل من أول الليل . يريد أنه لا ينام بالليل ، وأنه يسهره ، وأنه يهوم في آخره تهوياً فيطرقة الخيال في ذلك الوقت .

وقوله : « وإن كان مغسولاً من السقم » . [أى] وإن كان حُلواً من الأسقام ، أى كأنه ممزوج بالعسل . ويرويه قوم : / « وإن كان مغسولاً من السقم » . وليس بشيء .

وهذه أبيات حسان : وغرض صحيح .

وقال أبو تمام أيضاً :

عَادَكَ الزُّورُ لَيْلَةَ الرَّغْلِ مِنْ رَمَةٍ بَيْنَ الْجَمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِي^(١)
نَمْ ، فَمَا زَارَكَ الْخِيَالُ وَلَكِنْ نَكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ

- وقد أكثر أصحاب أبي تمام الفخر بهذا البيت ، والتنويه بذكره ، وأفرطوا في استحسانه ، وقالوا^(٢) : كشف عن العلة في طُروق الخيال ، وبَيَّنَّ عن المعنى .

والبيت حسن . وإنما أخذ معناه من قول جرّان العود :

أَهْلًا بِطَيْفِكَ مِنْ زَوْرِ أَتَاكَ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولُ^(٣)

ففعوله : وهو مشغول . أى . إنه لم يزرك على الحقيقة . فبنى من هذا قوله : « ما زارك الخيال » وبنى من قوله : « أتاك به حديث نفسك » - ولكنك

(١) ديوان أبي تمام ٤٥٩ ؛ وأما المرتضى ١ / ٥٤٢ وطيف الخيال ٢٠ : ١٣ والزهرة ٢٦٢ .

(٢) م « وقال » .

(٣) ديوان جرّان العود ٥٥ « سقي الزورك » . . وحسانة ابن الشجري ١٧٧

بالفكر زرت [طيف] الخيال . فالمعنى كله لجران ، وإنما غير أبو تمام اللفظ^(١)
وقد قال الكميت :

فَلَمَّا أَنْتَبَهْتُ وَجَدْتُ الْخِيَالَ أَمَانِي نَفْسِي وَأَفْكَارَهَا
أَي وَجَدْتُ الْخِيَالَ أَنَا الْجَالِبُ لَهُ بِأَمَانِي . وهذا ذلك المعنى بعينه .

وقد أورد أبو تمام المعنى على حَنَوٍ ما قاله جِرَانُ سواء فقال :
استزارته فكرتي في المنام فَأَتَانِي فِي خَفِيٍّ وَكُنْتَامٍ^(٢)
/ قد ذكر أن فكرته أتنه بالطيف زائراً كما قال جِرَانُ : «أناك به حديث
نفسك» .

ووصل أبو تمام بيته بأن قال :
الْبَيْلَى أَخْفَى بِقَلْبِي إِذَا مَا جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْآيَامِ^(٣)
يَا لَهَا زَوْرَةٌ تَنْزَهَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ^(٤)
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ
ليس لهذه الأبيات حلاوة ، ولا عليها طلاوة^(٥) .

وقال أبو تمام :
حَمَمْنَا الطَّيْفَ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ خُطُوبٌ شَيَّبَتْ رَأْسَ الْوَلِيدِ^(٦)

-
- (١) راجع نقد المرتضى لهذا في طيف الخيال ٢١ .
(٢) ديوان أبي تمام ٤٦٠ .
(٣) حماسة ابن الشجري ١٧٧ وأمال المرتضى ٥٤٢/١ وفي ديوانه «قاليلي أخفى بقلبي إذا جرحته النوى» .
(٤) في الديوان «يا لها ليلة» .
(٥) راجع نقد المرتضى في طيف الخيال ٢١ ، ١٨ .
(٦) ديوان أبي تمام ١٠٤ وشرح التبريزي ٢ / ٢٢ .

رَأَانَا مُشْعَرِي أَرْقٍ وَحُزْنٍ وَبُغْيَتُهُ لَدَى الرَّكْبِ الْهَجُودِ^(١)
 سُهَادٌ يَرْجَحِنُ الطَّرْفُ مِنْهُ وَيُولِغُ كُلَّ طَيْفٍ بِالصُّدُودِ

يرجحن : أى يتناقل فى حركته كالمعنى فى سيره الثقيل إذا عدل يمنة
 وشامة مثل السحابة المرجحنة لكثرة مائها . وإنما يريد ثقل أجفانه عند
 النظر من طول السهر .

ولا أعرف لأبى تمام فى طرق الخيال غير ما ذكرته .

فأما البحترى فإنه أولع بذكر الخيال فقال فيه ، وأكثر ، وأجاد ،
 وأبدع ، وتصرف فى معان لم يأت أحد بمثلها ، وقد استفتح قصائد كثيرة
 بذكر الخيال ؛ لشدة شغفه به ، فأحسن فى ابتدائه كلها ، / وزاد على
 الإحسان . فمن ذلك قوله :

أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ حَبِيبٌ جَاءَ يُنْهَدَى مِنْ حَبِيبِ^(٢)

وقوله :

أَجِدُّكَ مَا يَنْفُكُ يَسْرِي لِزَيْنَبَا خِيَالُ إِذَا آبَ الظَّلَامُ تَأَوُّبَا^(٣)

وقوله :

قَدْ كَانَ طَيْفُكَ مَرَّةً يُغْرِى بِي يَعْتَادُ رَكْبِي طَارِقًا وَرِكَابِي^(٤)

(١) فى شرح التبريزى « يقول : لم يجئنا طيفها لأننا لم نَم وإنما يطلب من ينام » .

(٢) ديوان البحترى ٣٨٩ ، ١ / ٩٨ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٨٢ ، ١ / ١٩٦ وحاسة ابن الشجرى ١٧٨ .

(٤) ديوانه ٢٢٠ ، ١ / ٨٨٩ وفى م « فإن كان » .

وقوله :

طَيْفٌ أَلَمَّ فَحَيًّا عِنْدَ مَشْهَدِهِ قَدْ كَانَ يَشْفِي الْمَعْنَى مِنْ تَلَدُّدِهِ^(١)

وقوله :

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ الْمُعَاوِدِ أَلَمَّ بِنَا مِنْ أَفْقِهِ الْمُتَبَاعِدِ^(٢)

وقوله :

عَجَبًا لَطِيفِ خَيَالِكَ الْمُتَعَاهِدِ وَلَوْضَلِكِ الْمُتَقَارِبِ الْمُتَبَاعِدِ^(٣)

وقوله :

حُلْ لِلْخَيَالِ إِذَا أَرَدْتَ فَعَاوِدِ تَذْنِي الْمَسَافَةِ مِنْ هَوَى مُتَبَاعِدِ^(٤)

وقوله :

هَجَرْتُ وَطِيفُ خَيَالِهَا لَمْ يَهْجُرِ وَنَأَتْ بِحَاجَةٍ مُغْرَمٍ لَمْ يُقْصِرِ^(٥)

وقوله :

/ أَلَمْتُ ، وَهَلْ إِلْمَامُهَا لَكَ نَافِعُ وَزَارَتْ خَيَالًا وَالْعُيُونُ هَوَاجِعُ^(٦)

وقوله :

بَيْتٌ أَبَدِي وَجَدًا ، وَأَنْكَبُ وَجَدًا مِنْ خَيَالٍ قَدْ بَاتَ لِي مِنْكَ يُهْدَى^(٧)

وقوله :

بَرْحَ بِي الطَّيْفِ الَّذِي يُسْرِى وَزَادَنِي سُكْرًا إِلَى سُكْرٍ^(٨)

(١) ديوان البحري ٥٨٠ .

(٢) ديوانه ٥٢ .

(٣) ديوانه ٤٦٤ .

(٤) ديوانه ٢٩٨ .

(٥) ديوانه ١١٩ . ٢٤ / ٨٦٠ .

(٦) ديوانه ٧١ ، ٢٤ / ١٣٠٢ دار المعارف .

(٧) ديوانه ٧٣٧ « خيال » .

(٨) ديوانه ٦٢٩ . ٢٤ / ١٠١٠ دار المعارف .

وقوله :

سَرَى مِنْ خَيَالِ الْمَالِكِيَّةِ مَا سَرَى فَتَيَّم ذَا الْقَلْبِ الْمُعْنَى وَأَسْهَرَا^(١)

وقوله :

يَهْدِي الْخَيَالُ لَنَا ذِكْرَى إِذَا طَافَا وَافَى يُخَادِعُنَا وَالصُّبْحُ قَدْ وَافَى^(٢)

وقوله :

مَرَّحَبًا بِالْخَيَالِ مِنْكَ الْمُطِيفِ فِي شُمُوسٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِكُشُوفِ^(٣)

وقوله :

أَمَّا الْخَيَالُ فَإِنَّهُ لَمْ يَطْرُقِ إِلَّا بِعُقْبٍ تَشُوفٍ وَتَشَوِّقِ^(٤)

وقوله :

هَذَا الْحَبِيبُ فَمَرَّحَبًا بِخَيَالِهِ أَنَّى أَهْتَدَى وَاللَّيْلُ فِي سِرْبَالِهِ^(٥)

/ وقوله :

خَيَالٌ مُلْمٌ ، أَوْحِيْبٌ مُسَلَّمٌ وَبَرَقٌ مُجَلَّى ، أَوْ حَرِيقٌ مُضَرَّمٌ^(٦)

وقوله :

أَأَرَاكَ الْحَبِيبُ خَاطِرَ وَهْمٍ أَمْ أَزَارَتْكَ أَضَالِيلُ حُلْمٍ^(٧)

(١) ديوان البحرى ٧٦٢ ، ٢ / ٩٣١ دار المعارف .

(٢) ديوانه ٣٢٧ ، ١٣٨٠ .

(٣) ديوانه ٢٧١ ، ١٣٦٣ .

(٤) ديوانه ٦٢٣ ، ١٤٧٩ .

(٥) ديوانه ٤٢٦ .

(٦) ديوانه ٩٦ « ويرق تجلى » .

(٧) ديوانه ٣١٦ وفى م « لا أراك » .

وقوله :

خَيَالٌ يَغْتَرِينِي فِي الْمَنَامِ لِسَكْرَتِي اللَّحْظِ ، فَاتِنَةُ الْكَلَامِ^(١)

وقوله :

طَيْفٌ تَأَوَّبَ مِنْ سُعْدَى فَحَيَّانِي أَهْوَاهُ وَهُوَ بُعِيدَ النَّوْمِ يَهْوَانِي^(٢)

وقوله :

طَيْفٌ لِعَلْوَةٍ مَا يَنْفَكُ يَأْتِينِي بِصُبُوحٍ إِلَى عَلَى خَلْفٍ فَيُضَيِّبُنِي^(٣)

وقوله :

طَيْفُ الْخَيَالِ أَلَمَ مِنْ عُدُوَائِهِ وَبَعِيدِ مَوَاضِعِ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ^(٤)

وقوله :

أَحْبَبَ إِلَى بَطِيفِ سُعْدَى الْآتِي وَطُرُوقِهِ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ^(٥)

وقوله :

/ خَيَالٌ مَآوِيَّةَ الْمُطِيفِ أَرْقَ عَيْنًا لَهَا وَكَيْفُ^(٦)

وقوله :

أَرْجُ لِرِيًّا طَلَبَةً رِيَّاهُ لَا يَبْعُدُ الطَّيْفُ الَّذِي أَهْدَاهُ^(٧)

(١) ديوان البحري ٦١٧ « فاتنة القوام » .

(٢) ديوانه ٥٠٠ .

(٣) ديوانه ٤١٧ « على بعد ويصيني » .

(٤) ديوانه ٦٥٧ « طيف الحبيب وبعد موقع » .

(٥) ديوانه ٤٥٤ ، ١ / ٣٦٣ دار المعارف « في أعجب » .

(٦) ديوانه ٤٧٢ .

(٧) ديوانه ٢٩٦ .

وما أحسن ما قال مُسلم بن الوليد :

طيف الخيال حميدنا منك إلماما داويت سُقماً . وقد هيَّجت أسقاماً^(١)

مضت الابتداآت

وهذا ما جاء عن البحترى من وصف الخيال في وسط الكلام . قال :

فلا وُضِلَ إِلَّا أَنَّ يُطِيفَ خيالها بنا تحت جُوشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعِ^(٢)
 أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهُدُوِّ فَسَامَحَتْ بِوَضِلٍ مَتَى تَطْلُبُهُ فِي الْجَدِّ تَمْنَعِ^(٣)
 وَمَا بَرِحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ فَانْقَضَى وَأَعْجَلَهَا دَاعِي الصَّبَاحِ الْمُلْمَعِ^(٤)
 فَوَلَّتْ كَأَنَّ الْبَيْنَ يَخْلِجُ شَخْصَهَا أَوَّانَ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايَ وَأَضْلَعِي^(٥)
 وَرُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ ، وَفُرْقَةٍ لِأَسْمَاءَ لَمْ تُحْزَرْ وَلَمْ ، تُتَوَقَّعِ^(٦)
 أَسْرٌ بِقُرْبٍ مِنْ مُلِمٍّ مُسَلِّمٍ وَأَشْجَى بَيْنَيْنِ مِنْ حَبِيبٍ مُودِّعٍ
 وَكَائِنْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ تَفَرُّقٍ تَرْجِيهِ أَحْلَامُ الْكَرَى ، وَتَجْمَعِ^(٧)
 وَمِنْ لَوْعَةٍ تَعْتَادُ فِي إِثْرِ لَوْعَةٍ وَمِنْ أَدْمَعٍ تَرْفُضُ فِي إِثْرِ أَدْمَعٍ

/ فانظر إلى هذه العبارة الحسنة ، وإخباره إياك بالشئ على ما كان .

(١) ديوان مسلم بن الوليد ٦١ .

(٢) ديوان البحترى ٨٩ و ١٢٣٨/٢ طبع المعارف .

(٣) حسنة ابن الشجرى ١٧٧ وأمالى القالى ١ / ٢٢٨ .

(٤) قال ابن الشجرى في حسنة ١٧٨ « لم يورد لفظة "الملمع" على سبيل اضطرار القافية إليها ، ولكن لها معنى صحيح لا يقوم غيرها فيه مقامها ؛ لأن أوائل الصباح وقيل ايضاض الصبح وانتشاره — يكون البياض مزوجاً بالسواد ملمعاً به ، لأن بياض الصبح لم يظهر كل الظهور ، فكأنه أراد أن الطيف فارقه في أول الصبح وقبل انتشاره » .

(٥) م « تولت كأن » .

(٦) م « لم تحدد » وفي الديوان « لم تحذر » ..

(٧) م « ترجيه » .

ونحو ذلك في الحسن والصحة قوله :

وَإِنِّي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَى بَوْدِهَا لَأَرْتَاحُ مِنْهَا لِلْخِيَالِ الْمُورِقِ^(١)
يَعِزُّ عَلَى الرَّاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا لِيَالٍ لَنَا نَزْدَارُ فِيهَا وَنَلْتَقِ
فَكَمْ غُلَّةٌ لِلشُّوقِ أَطْفَأَتْ حَرَّهَا بِطَيْفٍ مَتَى يَطْرُقُ دُجَى اللَّيْلِ يَطْرُقُ
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفَنَ عَيْنِي تَعَلُّقًا بِهِ عِنْدَ إِجْلَاءِ النَّعَاسِ الْمُرْتَقِ

فقله : « أضم عليه جفن عيني تعلُّقًا » - من أحسن كلام ، وأصح
معنى وأصدق وأكثره ، وكثيراً ما ينال أكثر الناس ذلك عند إجلاء النوم ،
وابتداء اليقظة إذا كان في رؤيا يَلَدُّهَا .

وقال أيضاً :

أَجِدُّكَ مَا يَنْفَكُ . يَسْرِي لِزَيْنَبَا خِيَالُ إِذَا آبَ الظَّلَامُ تَأَوَّبَا^(٢)
سَرَى مِنْ أَعَالِي الشَّامِ يَجْلِبُهُ الْكَرَى هُبُوبَ نَسِيمِ الرُّوضِ تَجْلِبُهُ الصَّبَا
وَمَا زَارَنِي إِلَّا وَلِهْتُ صَبَابَةً إِلَيْهِ ، وَإِلَّا قُلْتُ أَهْلًا وَمَرْحَبَا^(٣)
وَلَيْلَتَنَا بِالْجِزْعِ بَاتَ مُسَاعِفًا يُرِينِي أَنَاةَ الْخَطْوِ نَاعِمَةَ الصَّبَا
أَضَرَّتْ بِضَوْءِ الْبَدْرِ وَالْبَدْرُ طَالِعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا

قوله : « إِذَا آبَ الظَّلَامُ تَأَوَّبَا » . آبَ : أى رجع ، وتَأَوَّبَ^(٤) : تراجع .
يعنى [أن] الطيف إذا عاد ، الظلام عاد . وليس ذلك من التأوُّب الذى
هو سَيْرُ النَّهَارِ كُلِّهِ .

(١) ديوان البحترى ٧٧ ، ١٥٠٨ وحاسة ابن الشجرى ١٧٨ .

(٢) ديوانه ٨٢ و ١ / ٥١ طبع المعارف وحاسة ابن الشجرى ١٧٨ - ١٧٩ .

(٣) م « زادنى . . إليك وإلا » .

(٤) م « وتلوب » .

وقوله : « سرى من أعالي الشام » - بيئت في غاية الحسن والحلاوة .

وقال :

أَمَّا رَاعَكَ الْحَيُّ الْحَلَالُ بِهَجْرِهِمْ وَهُمْ لَكَ غَدَّوًا بِالتَّفَرُّقِ أَرْوَعُ^(١)
بَلَى ، وَخَيَالٍ مِنْ أَثِيلَةٍ كُلَّمَا تَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ تَعَرَّضَ يُطْمِعُ
إِذَا زَوْرَةٌ مِنْهُ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى تَنَبَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَنْفَرَعُ^(٢)
تَرَى مُقْلَتِي مَا لَا تَرَى فِي لِقَائِهِ وَتَسْمَعُ أَذْنِي مِنْهُ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ^(٣)
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخَيُّلٍ بَاطِلٍ تُرَدُّ بِهِ نَفْسُ اللَّهْفِ قَتَرَجُ^(٤)

ولست أقول في هذا إلا ما كان البحرى يقول ، وحدثنا به أبو علي محمد بن العلاء السجستاني : إنه كان إذا شرب وسكر أنشد مثل هذه الأبيات وأشباهاها من شعره ، وقال : ألا تسمعون ؟ ألا تعجبون ؟

وقال :

أَخْيَالٌ عَزَّةٌ كَيْفَ زُرْتِ وَعِنْدَنَا أَرْقُ يُشَرِّدُ بِالْخَيَالِ الزَّائِرِ^(٥)
طَيْفٌ أَلَمٌ بِنَا وَنَحْنُ بِمَهْمِهِ قَفَرٍ يَشُقُّ عَلَى الْمَلِمِ الْخَاطِرِ^(٦)
حَتَّى إِذَا تَزَعُوا الدُّجَى وَتَسْرِبُلُوا مِنْ نَوْرِ هَلْهَلَةِ الصَّبَاحِ النَّائِرِ^(٧)

(١) ديوان البحرى ٣٠٤ ، ٢ / ١٢٦٨ دار المعارف وطيف الخيال ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) م « زورة ينوي » وفي الديوان « من فقد له » .

(٣) في الديوان « أذنى رجع » .

(٤) ديوانه ٦٥١ ، ٢ / ١٠١٦ طبع المعارف وطيف الخيال ٢٨ ، ٢٩ « أخيال علوة » .

(٥) م « ألم لها » وفي الديوان : « بمهمه مرت » .

(٦) في الديوان « من فضل » . الغائر « والنائر : المنير » .

وَرَنُوا إِلَى شُعْبِ الرَّحَالِ بِأَعْيُنٍ يَكْسِرُونَ مِنْ نَظَرِ النَّعَاسِ الْفَاتِرِ^(١)
 أَهْوَى فَأَسْعَفَ بِالتَّحِيَّةِ خِلْسَةً وَالشَّمْسُ تَلْمَعُ فِي جَنَاحِ الطَّائِرِ
 / سِرْنَا وَأَنْتِ مُقِيمَةٌ ، وَلَرُبَّمَا كَانَ الْمُقِيمُ عِلَاقَةً لِلْسَّائِرِ

وهذا - والله - الكلام العربي ، والمذهب الذي يبعد على غيره أن
 يأتي مثله .

وقال :

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خَيْالِهِ شَفَى قُرْبُهُ التَّبْرِيحَ ، أَوْ نَقَعَ الصَّدَى
 إِذَا أَنْتَزَعْتَهُ مِنْ بَدَى أَنْتِبَاهَةً عَدَدْتُ حَبِيبًا رَاحَ مِنِّي ، أَوْغَدَا^(٢)
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَيْنَا ، وَلَا مِثْلَ شَانِنَا نَعَدُّ أَيْقَاطًا ، وَنَنْعَمُ هُجْدَا

وقال :

أَقَامَتْ عَلَى الْهَجْرَانِ مَا إِنْ تَجُوزُهُ وَخَالَفَهَا بِالْوَصْلِ طَيْفٌ لَهَا يَسْرِي^(٣)
 فَكَمْ فِي الدُّجَى مِنْ فَرَحَةٍ بِلِقَائِهَا وَكَمْ تَرَحَّةٍ بِالْبَيْنِ مِنْهَا لَدَى الْفَجْرِ
 إِذَا اللَّيْلُ أَعْطَانَا مِنَ الْوَصْلِ بُلْغَةً ثَنَّنَا تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ إِلَى الْهَجْرِ^(٤)
 وَلَمْ أَنْسَ إِسْعَافَ الْكَرَى بِدُنُوهَا وَزَوْرَتِهَا بَعْدَ الْهُدُوِّ وَمَا تَذْرَى

وقال :

إِنَّ رِيًّا لَمْ تَسْقِ رِيًّا مِنَ الْوَصْ لِ وَلَمْ تَذْرِمَا جَوَى الْعُشَاقِ^(٥)

(١) في الديوان « ورموا » .

(٢) ديوان البحري ١٣٣ ، ٦٧٠/٢ وطيف الخيال ٢٩ ، ٣٢ وأمال المرتضى ١ / ٥٤٣ وفي م
 « سقى قربة » .

(٣) ديوانه ٦٢١ ، ٢ / ١٠٠٤ وطيف الخيال ٣٠ ، ٣٣ وحاسة ابن الشجري ١٨٠ .

(٤) في الديوان « تبشير النهار » .

(٥) ديوانه ٤٣٨ ، ١٤٦١ وحاسة ابن الشجري ١٨٠ وطيف الخيال ٢٣ ، ٢١ .

بَعَثَتْ طَيْفَهَا إِلَى وَدُونِي وَخَذْتُ شَهْرَيْنِ لِلْمِهَارَى الْعِتَاقِ
 زَارَ وَهْنًا مِنَ الشَّامِ فَحَيًّا مُسْتَهَامًا صَبًّا بِأَعْلَى الْعِرَاقِ
 فَقَضَى مَا قَضَى . وَعَادَ إِلَيْهَا وَاللُّجَى فِي بُرُودِهَا الْأَخْلَاقِ
 قَدْ أَخَذْنَا مِنَ التَّلَاقِ بِحَظٍّ وَالتَّلَاقِ فِي النَّوْمِ عِدْلُ التَّلَاقِ
 وهذا حسن جدًا .

والطف وأحسن وأحلى قوله :

وزائر زَارَ مِنْ أَعَقَّتِهِ يَمِيلُ وَزَنًا بِأُنْسِهِ ذُعْرُهُ^(١)
 كَأَنَّهُ جَاءَ مُنْجِرًا عِدَّةً وَبِتُ فِي الرَّاقِبِينَ أَنْتَظِرُهُ
 لَمْ أَنْسَهُ مُوشِكًا عَلَى وَجَلٍ مُدَامِجًا لِلْحَدِيثِ يَخْتَصِرُهُ^(٢)
 كَأَنَّمَا الْكَاشِحُونَ قَدْ خَرَصُوا مَكَانَهُ ، أَوْ أَنَاهُمْ خَبْرُهُ^(٣)

وقال :

تَذَرِينَ كَمْ مِنْ زُورَةٍ مَشْكُورَةٍ مِنْ زَائِرٍ وَهَبَ الْخَطِيرَ وَمَا دَرَى^(٤)
 غَابُ الْوُشَاةُ فَبَاتَ يَسْهَلُ مَطْلَبُ لَوْ يَشْهَدُونَ طَرِيقَهُ لَتَوَعَّرَا
 كَانَ الْكَرَى حَظُّ الْعُيُونِ وَلَمْ أَخْلُ أَنْ الْقُلُوبَ لَهُنَّ حَظُّ فِي الْكَرَى
 دَمْعٌ تَعَلَّقَ بِالشُّوْنِ فَلَمْ يَزَلْ بَرَقَ الْغَرَامُ يَسُوقُهُ حَتَّى جَرَى^(٥)
 قَامَتْ تَمَنِّيْنِي الْوِصَالَ لِتَبْتَلِي جَلَلِي ، وَحَاجَةٌ أَكْمَةٌ أَنْ يُبْصِرَا^(٦)

(١) م « من أعقته » والأبيات في ديوانه ٢ / ١٠٣٣ دار المعارف وطيف الخيال ٢٤ ، ٢٣ .

(٢) م « على وجل . . مختصره » .

(٣) راجع نقد المرتضى في طيف الخيال ٢٤ ، ٢٣ .

(٤) ديوان البحري ٣٧٦ ، ٢ / ٩٧٤ وطيف الخيال ٢٥ ، ٢٤ .

(٥) في الديوان « في الشئون فلم يزل يرح » .

(٦) في الديوان « باتت » .

مَنْبِتِنَا عَلَّاءَ ، وَمَا أَنهَلْتِنَا وَالْوَقْتُ لَيْسَ يُحِيلُ حَتَّى يُشْهَرَا
تَاللَّهِ لَمْ أَرْ مُذْ رَأَيْتُ كَلْبِلَتِي فِي الْعَلْتِ إِلَّا لَيْلَتِي فِي عُكْبَرَا
أَهْوَى الظَّلَامَ وَأَنْ أُمْلَأَهُ حَرَّ الصَّبَاحِ نِقَابَهُ أَوْ أَسْفَرَا

وهذا - لعمري - هو القول الذي لو ورده الظمان لروى ؛ لكثرة مائه (١).

وقال :

بَيْتٌ أَبْدَى وَجْدًا ، وَأَكْتُمُ وَجْدًا لِيَخِيَالٍ قَدْ بَاتَ لِي مِنْكَ يُهْدَى (٢)
أَقْسِمُ الظَّنَّ فِيهِ أَنِّي تَخَطَّى الرُّ رَمَلٌ مِنْ عَالَجٍ ، وَأَنِّي تَهْدَى
خَطَا مَا أَزَارَنَاهُ طُرُوقًا أَمْ تَوَخَّيْهِ لِلزُّبَارَةِ عَمْدًا (٣)
لَا تَخِيبُ الْبِلَادُ تَخْطُرُ فِيهَا رُسُلُ الشُّوقِ مِنْ خَيَالَاتٍ سُعْدَى
وَعَدْتُنَا فَمَا وَفَتْ بِوِصَالٍ وَوَقَّتْ حِينَ أَوْعَدْتَ أَنْ تَصُدَّا (٤)
قُرْبَ الطَّيْفِ مُنْتَوَاهَا فَأَصْبَحَ تُ حَدِيثًا بِنَاقِضِ الْعَهْدِ عَهْدًا (٥)

قوله : « لَا تَخِيبُ الْبِلَادُ تَخْطُرُ فِيهَا » - بيت حسن جدًا ؛ جعل
الخيالاتِ رُسُلًا للشوق .

وقال في قصيدته التي أولها :

* بَانَ عَهْدُ الصَّبَا وَبَاقِي جَدِيدُهُ (٦) *

(١) يحيل : أى يصير حولا ، وانظر تعقيب المرتضى في طيف الخيال ٢٥ .

(٢) ديوان البجترى ٧٣٧ ، ١ / ٥٦٩ دار المعارف .

(٣) بعده في الديوان :

جاء يسرى فأشرق أرض نجد لسراء وواصل الغيث نجدا

(٤) في الديوان « أن تصدى » .

(٥) في الديوان « الطيف منهاها » .

(٦) ديوانه ٥٧٤ ، ١ / ٥٩٦ وعجزه « بين إعواز طالب ووجوده » وفي م « بان عهد » .

مِنْكَ طَيْفٌ أَلَمَ وَالْأَفْقُ مَلَأَ نُ مِنَ الْفَجْرِ ، وَأَعْتَراضِ عَمُودَةٍ^(١)
 زَائِرٌ أَشْرَقَتْ لِرُؤُوسِهِ أَغْ وَارُ أَرْضِ الْعِرَاقِ بَعْدَ نُجُودَةٍ^(٢)
 أَرَبُ النَّفْسِ كُلُّهُ وَمَتَاعُ الْ عَيْنِ فِي خَلْدِهِ ، وَفِي تَوْرِيدِهِ
 مُعْطِيًا مِنْ وَصَالِهِ فِي كَرَى النَّوْ مِ الَّذِي كَانَ مُعْطِيًا مِنْ-صُدُودَةٍ^(٣)
 يَقْطَاطُ الْمُحِبُّ سَاعَاتُ بَوْمَا هُ ، وَنَعْمَاءُ عَيْشِهِ فِي هُجُودَةٍ^(٤)

/ وقال :

وَمَا أَنْفَكَ دَاعِي الْبَيْنِ حَتَّى تَزَايَلْتَ قِبَابُ بَنَاهَا حَاصِرٌ وَخِيَامٌ^(٥)
 عَشِيَّةً مَا بِي عَنْ شُبَيْثٍ تَرَحَّلُ [فَأَمْضَى] وَلَالِي فِي شُبَيْثٍ مَقَامٌ^(٦)
 فَمَا نَلْتَقَى إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِبٍ يُحِلُّ لَنَا جَدْوَالٍ وَهُوَ حَرَامٌ^(٧)
 إِذَا مَا تَبَاذَلْنَا النَّفَائِسَ خِلْتَنَا مِنَ الْحِدِّ أَيْقَاطًا وَنَحْنُ نِيَامٌ

وهذا قول ليس بينه وبين القلب حجاب .

وقال :

أَرْجَمُ فِي لَيْلَى الظُّنُونِ وَأَرْتَجِي أَوَائِلَ حُبٍّ أَنْخَلَفْتَنِي أَوَائِلُهُ^(٨)
 وَلَيْلَةَ هَوْمَنَا عَلَى الْعَيْسِ أَرْسَلْتُ بِطَيْفِ خَيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
 قَلُولًا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشْبِيُّ بِعِطْفَى غَزَالٍ بِتٌ وَهْنَا أُغَارِلُهُ

(١) م « من الفخر » !

(٢) في الديوان « أشرفت لزورته » .

(٣) في الديوان « كان مانعاً من » .

(٤) في الديوان : « بؤساء نعماء عيشه » .

(٥) ديوانه ٣٦٣ طيف الخيال ٣٢ ، ٣٧ وفي م « ميام بناها » .

(٦) الزيادة من الديوان .

(٧) في الديوان « وهى حرام » .

(٨) ديوانه ١٥ وطيف الخيال ٣٣ ، ٣٨ وحاسة ابن الشجرى ١٨٠ .

وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي حَمِيدَةٍ وَلِلصُّبْحِ مِنْ خُطْبٍ تُذَمُّ غَوَائِلُهُ

وهذا كله إنما حسن هذا الحسن ، وقبلته النفوس لأنه اعتمد أن يخبر بالامر على ما هو ، مع حسن عبارته . وبراعة نسجه ، وجودة تلخيصه . ومتخير ألفاظه .

وقد ذهب البحتري مذهباً آخر ، وأحسن فيه كل الإحسان . وهو أن شبه الزائر الذي زار بالخيال ؛ لشدة فرحه . وخوفه أن لا يكون له حقيقة . وقال في قصيدته التي أولها :

« بُوْدَى لَوْ يَهْوَى الْعُلُولُ وَيَعْشَقُ^(١) »

وزورٍ أتاني طارقاً فحسبته خيلاً من آخر الليل بطرق^(٢)
أقسم فيه الظن : طوراً مكذباً به أنه حق . وطوراً أصدق
أخاف وأرجو بطل ظني وصدقته فليله شكى حين أرجو وأفرق
وقد ضمننا وشك التلاقي ولفنا عناق على أعناقنا ثم ضيق
فلم تر إلا مخبراً عن صباية يشكوى ، وإلا عبرة تتدفق^(٣)
فأحسن بنا والدفع بالدفع واشج تمازجه . والخد بالخد ملصق^(٤)
ومن قبل قبل التشاكي وبعده نكاد بها من شدة اللثم نشرق^(٥)
فلو فهم الناس التلاقي وحسنه لحبب من أجل التلاقي التفرق

(١) ديوان البحتري ١٤٨ ، ١٥٣٤ وعجزه « فيعلم أسباب الهوى كيف تعلق » .

(٢) طيف الخيال ٦٠ ، ٨٨ .

(٣) في الديوان « عبرة تفرق » .

(٤) م « يمازجه » .

(٥) م « يكاد بها . . . يشرق » .

وقال في نحو هذا :

حَبِيبُ سَرَى فِي خَفِيَّةٍ وَعَلَى دُغْرِ
تَشَكَّكْتُ فِيهِ مِنْ مُرُورٍ وَخِلْتُهُ
وَأَفْرَطْتُ مِنْ وَجْدٍ بِهِ فَدَرَى بِنَا
يَجُوبُ الدُّجَى حَتَّى التَّقِينَا عَلَى قَدَرٍ^(١)
خَيَالاً أَتَى فِي النَّوْمِ مِنْ طَيْفِهِ يَسْرِي
عَلَى سَاعَةِ الْهَجْرَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي^(٢)

وقال :

أَمَّا مُعِينٌ عَلَى الشُّوقِ الَّذِي غَرِبَتْ
/ كَيْفَ اللَّقَاءِ وَقَدْ أَضْحَتْ مُخِيمَةٌ
تَهَاجَرُ أَمَّمٌ لَا وَضَلَ يَخْلِطُهُ
وَقَدْ يُزِيرُ الْكَرَى مَنْ لَا زِيَارَتُهُ
بِتَنَا عَلَى رِقْبَةِ الْوَاشِينَ مُكْتَنِفِي
إِمَّا سَأَلْتَ بِشَخْصِينَا هُنَاكَ فَقَدْ
وَلَمْ يَعُدْنِي لَهَا طَيْفٌ فَيَفْجَوْنِي
بِهِ الْجَوَانِحُ ، وَالْبَيْنُ الَّذِي أَفْدَا^(٣)
بِالشَّامِ لَا كِتَاباً مِنْهَا ، وَلَا صَدَدًا^(٤)
إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفِينَا إِذَا هَجَدَا
قَصْدٌ ، وَيُدْنِي الْهَوَى مِنْ بَعْدٍ مِنْ بَعْدًا^(٥)
صَبَابَةً نَتَعَاطَى الْبَثَّ وَالْكَمْدَا
غَابَا ، وَأَمَّا خَيَالَانَا فَقَدْ ، شَهِدَا
إِلَّا عَلَى أَبْرَحِ الْوَجْدِ الَّذِي عُهِدَا

لو كان قال : «إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفِينَا إِذَا هَجَدْنَا» - كان عندي أجود .
فكأن المعنى [إذا] هجدت رأيتها في النوم فكأن نفسي ونفسها اجتمعتا ،
وكذلك إذا هجدت ترى مثل ما رأيت ، ويكون «طيفينا» محمولا على
معنى نَفْسَيْنَا ؛ لِأَنَّ^(٦) النفس هي التي ترى ما ترى في النوم ، وهي التي
تمثل أيضاً ما تتمثله في اليقظة .

(١) ديوان البحري ١٥١ ، ١٠٥٢/٣ وطيف الخيال ٦٠ ، ٨٨ .

(٢) في الديوان «ساعة اللقيان» .

(٣) ديوانه ٤٦ ، ١٧٧/٣ وطيف الخيال ٣٧ ، ٤٧ .

(٤) في الديوان «لا كتباً منا» .

(٥) في الديوان «من بعد ما بعدا» .

(٦) م «أن» .

وقد يسوغ مع هذا أيضاً قوله : « إذا هجدا » - أن يريد النفسين ؛
 لأن نفس الإنسان هي التي تنام كما قال الله - عز وجل - : « وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ
 فِي مَنَامِهَا » ^(١) فهذا سائق ^(٢) ولكن الغلط وقع عليه في قوله :
 هَجَرْتَنَا يَقْظَى ، وكادت على عا دتها في الصدود تهجر وسنى ^(٣)
 إنما أراد طيفها ، وهو يرى طيفها في نومه يقظى كانت أو نائمة .

وقال :

/ طَيْفٌ تَأَوَّبَ مِنْ سَعْدَى فَحَيَّانِي أَمْوَاهُ ، وَهُوَ بُعِيدَ النَّوْمِ يَهْوَانِي ^(٤)
 فَيَا لَهَا زَوْرَةً يُشْفَى الْغَلِيلُ بِهَا لو أَنَّهَا جَلَبَتْ يَقْظَى لِيَقْظَانِ
 مَهْزُوزَةٌ إِنْ مَشَتْ لَمْ تُلَفْ هِزَّتُهَا في الْخَيْرَانِ ، وَلَمْ تُوجَدْ مَعَ الْبَانِ
 يُدْنِي الْكَرَى شَخْصَهَا مِنِّي ، وَيُوقِظُنِي وَجَدْ فَيُبْعِدُ عَنِّي شَخْصَهَا الدَّانِي ^(٥)

وقال :

أَمَّا الْخِيَالُ فَإِنَّهُ لَمْ يَطْرُقِ إِلَّا بِعُقْبِ تَشَوُّفٍ وَتَشَوُّقٍ ^(٦)
 قَدْ زَارَ مِنْ بَعْدِ فَنَهْنَهَ مِنْ جَوَى ضَرِمَ ، وَسَكَنَ مِنْ فُؤَادٍ مُقْلَقٍ ^(٧)
 وَلَرُبَّمَا كَانَ الْكَرَى سَكَنًا لَهَا بَعْدَ الْفِرَاقِ إِلَى اللَّقَاءِ فَتَلْتَقِي ^(٨)

(١) سورة الزمر : ٤٢ .

(٢) راجع تعقيب المرتضى في طيف الخيال ٣٨ .

(٣) ديوان البحري ٣٥٧ وطيف الخيال ٣٤ وفي م « هجرتي » .

(٤) ديوانه ٥٠٠ وطيف الخيال ٥٣ .

(٥) في الديوان « مني ويعلمني هجر فيبعد » .

(٦) ديوانه ٦٢٣ ، ١٤٧٩ وطيف الخيال ٤٢ ، ٥٨ .

(٧) في الديوان « من بعد فسكن من حشا ضرم » .

(٨) في الديوان وطيف الخيال « سبياً لنا » .

وقال :

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ الْمُعَاوِدِ أَلَمْ بَنَّا مِنْ أَفْقِهِ الْمُتَبَاعِدِ^(١)
يُحْيِي هُجُودًا مُنْتَشِينَ مِنَ الْكَرَى وَمَا نَفَعَ إِهْدَاءَ السَّلَامِ لِهَاجِدِ
إِذَا هِيَ مَالَتْ لِلْعِنَاقِ تَقَطَّعَتْ تَعَطَّفَ أَمْلُودٌ مِنَ الْبَانِ مَائِدِ
إِذَا وَصَلْتَنَا لَمْ تَصِلْ عَنْ نَعْمَدِ وَإِنْ هَجَرَتْ أَبَدَتْ لَنَا هَجَرَ عَامِدِ

وقال [من قصيدته التي أولها]

* قَالَتْ : الشَّيْبُ أَتَى قُلْتُ : أَجَلٌ^(٢) *

خَطَرْتُ فِي النَّوْمِ مِنْهَا خَطَرَةً خَطَرَةَ الْبَرْقِ بَدَا ثُمَّ أَضْمَحَلِ^(٣)
أَيُّ زَوْرِ لَكَ لَوْ قَصْدًا سَرَى وَمُلِمُّ مِنْكَ لَوْ حَقًّا فَعَلِ
يَتَرَاى وَالْكَرَى فِي مُقْلَتِي فَإِذَا فَارَقَهَا النَّوْمُ بَطَلَ

وقال [من قصيدته التي أولها]

* شَدَّ مَا أَغْرَيْتَ ظُلُومٌ بِهَجْرِي^(٤) *

طَرَقْتَنَا فِي الْخَيَالَاتِ سُقْمٌ أُمُّ بَكْرٍ فَاسْتَعَفَتْ أُمُّ بَكْسِرِ^(٥)
فِي بُدُوٍّ مِنَ الشَّبَابِ عَلَيْهَا وَرَقٌ مِنْ جَدِيدِهَا الْمُسْبِكِرِ^(٦)
كَمَلْتُ أَرْبَعٌ لَهَا بَعْدَ عَشْرِ وَمَدَى الْبَدْرِ أَرْبَعٌ بَعْدَ عَشْرِ

(١) ديوان البحري ٥٣ ، ١ / ٥٠٧ دار المعارف وطيف الخيال ٤٢ ، ٥٩ .

(٢) ديوانه ٢٣١ وعجزه « سبق الوقت ضرراً وعجل » .

(٣) طيف الخيال ٤٣ .

(٤) ديوانه ٣٦٩ ، ٢ / ٩٧٠ « ما أغرمت » وعجزه « بعد وجلى بها وغلة صدرى » .

(٥) في الديوان « وفي الخيالات نعى » .

(٦) في الديوان « جديده » والمسبكر : التام .

خَلَّفَتْ جَارَهَا بِحُزْوَى وَبَاتَتْ
لَوْ دَرَتْ مَا أَتَتْ لَمَنْتُ بِنُجْجٍ
بَيْنَ سَحَرَى شَرَوَى الضَّجِيعِ وَنَحْرَى
لَمْ يُكْذَّبْ ، وَنَائِلِ غَيْرِ نَزَرٍ^(١)

وقال :

قُلْ لِلْخِيَالِ إِذَا أَرَدْتَ فَعَاوِدِ
فَلَأَنْتَ فِي نَفْسِي وَإِنْ عَنَيْتَنِي
بَاتَتْ بِأَحْلَامِ النِّيامِ تُغَرِّنِي
ضَاهَتْ بِحُلَّتَيْهَا تَلْهُبُ خَدَّهَا
بَلَدَنِي الْمَسَافَةَ مِنْ هَوَى مُتَبَاعِدِ^(٢)
وَبَعَثَتْ لِي الْأَشْجَانَ أَحْلَى وَافِدِ
رُودُ التَّثْنَى كَالْقَضِيبِ الْمَائِدِ
حَتَّى غَدَتْ فِي أَرْجُوانِ جَاسِدِ

وقال :

بِعَيْنَيْكَ إِعْوَالي وَطُولُ شَهِيْقِي
عَلَى أَنْ تَهْوِيَا إِذَا عَارَضَ أَطْبَى
سَرَى جَائِبًا لِلخَرْقِ يَخْشَى وَلَمْ يَكُنْ
فَبَاتَ يُعَاطِبُنِي عَلَى رِقْبَةِ الْعِدَا
وَيْتُ أَهَابُ الْمِسْكِ مِنْهُ وَأَتَقَى
أَرَى كَذِبَ الْأَحْلَامِ صِدْقًا وَكَمْ صَغَتْ
وَمَا كَانَ مِنْ حَقٍّ وَبُطْلٍ فَمَقْدُ مَنَفَى
وَإِخْفَاقُ عَيْنِي مِنْ كَرَى وَخُفُوقِ^(٣)
سُرَى طَارِقٍ فِي غَيْرِ وَقْتِ طُرُوقِ^(٤)
مَلِيًّا بِإِسْرَاءِ وَجُوبِ خُرُوقِ
وَيَنْعَزُجُ رِيْقًا مِنْ جَنَاهُ بِرِيقِي
رُدَاعَ عَبِيرِ صَابِكِ وَخُلُوقِ^(٥)
إِلَى خَبَرِ أَذْنَائِ غَيْرِ صَدُوقِ
حَرَارَةِ مَتَبُولِ وَخَبَلِ وَمُشَوِّقِ

وحسبك بهذا حُسْنًا وحلاوة .

(١) في الديوان و بنجح لم يكدر .

(٢) ديوانه ٢٩٨ ، ١ / ٥٥٠ وطيف الخيال ٤٤ .

(٣) ديوانه ٥٢٢ ، ١٥٢٩ وطيف الخيال ٤٥ .

(٤) أطبى : دعا .

(٥) رداع العير : أثره في الجسد ، وصانك : لاصق .

وقال :

أَحْبَبُ إِلَى بَطِيفٍ سَعْدَى الْآثَى وَطُرُوقُهُ فِي أَعْجَبِ الْأَوْقَاتِ^(١)
 أَنِّي أَهْتَدَيْتَ لِمُخْرِمِينَ تَصَوَّبُوا لِسُفُوحِ مَكَّةَ مِنْ رُبَى عَرَفَاتِ
 ذَكَّرْتَنَا عَهْدَ الشَّامِ وَعَيْشَنَا بَيْنَ الْقَنَانِ السُّودِ وَالْهَضْبَاتِ^(٢)
 إِذْ أَنْتَ شَكْلُ مُخَالِفٍ وَمُوَافِقٍ وَاللَّهْرُ فِيكَ مُمَانِعٌ وَمُؤَاتِ
 لَوْلَا مُكَائِرَةُ الْخُطُوبِ وَنَحْتُهَا مِنْ جَانِبِي لَكُنْتُ مِنْ حَاجَاتِي^(٣)

وما علمت أحداً من القدماء قال في طُرُوقِ الخيال أحسن من قولِ قيس
 ابنِ الخطيم . قال :

أَنِّي سَرَيْتِ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرُ قَرِيبٍ^(٤)
 مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ نَوَّيْنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مَحْسُوبِ
 / ثُمَّ جَاءَ الْبَحْتَرِيُّ فَأَبْرَأَ عَلَى قَيْسٍ وَكُلُّ أَحَدٍ . وَلَمْ أَسْتَقْصِ هَهُنَا كُلَّ
 مَا قَالَهُ فِيهِ لِكَثْرَتِهِ .

وما أحسن ما قال عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ :

بِصْطَادٍ يَقْظَانِ الرُّجَالَ حَلِيشُهَا وَتَطِيرُ بَهْجَتُهَا بِرُوحِ الْحَالِمِ

(١) ديوان البحترى ٤٥٤ ، ١/٣٦٣ و طيف الخيال ٤٥ .

(٢) في الديوان « بين القباب البيض » .

(٣) م « لولا مكابرة » .

(٤) ديوان قيس بن الخطيم ٥ وديوان الماعاني ١ / ٢٧٦ وأمالى اليزيدى ٧٩ والتشبهات ٧٥

وحملامة ابن الشجرى ١٨٩ ومجموعة الماعاني ١٤٥ وأمالى المرتضى ١ / ٣٩٢ ، ٥٤١ ، ٥٤٥ وأمالى القتالى

٢ / ٢٧٣ والأول فى اللسان ١ / ٤٤٥ .

وقال البحتري :

إِذَا نَسِيتُ هَوَى لَيْلِي أَشَادَ بِهِ طَيْفٌ سَرَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِذْ جَنَحَا^(١)
 دَنَا إِلَى عَلَيَّ بَعْدَ / فَأَرَقَنِي حَتَّى تَبْلُجَ ضَوْءُ الصُّبْحِ فَاتَّضَحَا
 عَجِبْتُ مِنْهُ تَخَطَّى الْقَاعَ مِنْ إِضْمٍ وَجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْتٍ وَمَا بَرَحَا
 قال : « تَخَطَّى الْقَاعَ مِنْ إِضْمٍ ، وَجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْتٍ » . فكيف
 يقول : وما بَرَحَا ؟

أراد ما برح على الحقيقة .

فإن قيل : هي لم تبرح على الحقيقة فأما خيالها إذا طرَقَ وهي بعيدة
 نائية فقد برح .

قيل : خيالها إنما هو صورتها التي تتصور في النفس . والصورة أيضاً
 غير نازحة على الحقيقة . فقولهم : طرق الخيال ، وزار الخيال - مَجَازٌ .

وينجوز أن يكون قوله : « وما برحاً » أى ما برحت هي ، وجعل خيالها
 بدلاً منها ، ووضعها في موضعها ؛ لأنه هي . ألا ترى إلى قول جرير :

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ^(٢)

قيل : إنه أراد خيالها فوضعها في موضعها ؛ لأن خيالها ليس هو شيئاً
 غير صورتها .

/ وقد استجنى الناس قوله : « فارجعي بسلام » . وإنما قال هذا لأنه
 عَاتِبٌ عليها ، ألا ترى إلى قوله بعد هذا :

(١) ديوان البحتري ٥٦ ، ١ / ٤٤٠ دار المعارف وطيف الخيال ٤٦ .

(٢) ديوانه ٥٥١ .

لَوْ كَانَ عَهْدُكَ كَالَّذِي عَاهَدْتَنَا لَوَصَلْتَ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامٍ^(١)

أو لم يمنعه طرده الخيال أن قال بعد هذا :

تُجْرِي السُّوَاكَ عَلَى أَغْرٍ كَأَنَّهُ بَرَدٌ تَحْدَرُ مِنْ مُتُونٍ غَمَامٍ

وهذا وإن كان الناس قد تقدموه بتشبيه الثغر [بالبَرَد] فإن هذا لفظ

وسبك في غاية الجودة والحلاوة والبراعة .

وأول من طرد الخيال طَرَفَةً فقال :

فَقُلْ لِيَخِيَالَ الْحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا فَإِنِّي وَاصِلٌ حَبْلٌ مِّنْ وَصَلٍ^(٢)

وهذا أغدر من جرير ؛ لأنه قال : « فَإِنِّي وَاصِلٌ حَبْلٌ مِّنْ وَصَلٍ » ،

فدل على أن الحَنْظَلِيَّةَ هجرته وواصله غيرها فطرد خيالها .

وقد دعا الأعشى على الخيال فقال :

هَذَا النَّهَارُ بَدَا لَهَا مِنْ أَمْرِهَا مَا بَالُهَا بِاللَّيْلِ زَالَ زَوَالُهَا^(٣)

أى أزاله كزواله .

وما أظن جريراً ، ولا الأعشى قبله كرهًا الخيال على الحقيقة ، وإنما

أراد أن زيارته في غير وقتها شاغلة لنا عن حالنا التي نحن عليها .

(١) في الديوان « كالذي عاهدتنا » .

(٢) ديوان طرفة ٢٠ .

(٣) ديوان الأعشى ٢٢ « من هما » وفي اللسان ٣٣٢/١٣ - ٣٣٤ « قيل معناه : زال الخيال

زوالها . قال ابن الأعرابي : وإنما كره الخيال لأنه يهيج شوقه . وقد يكون بالرفع « زال زوالها » على

الإقواء . قال أبو عمرو ؛ وهذا مثل للعرب قديم تستعمله العرب بالرفع ، فسمعه الأعشى ، فجاء به على

استعماله ، والأمثال تؤدي على ما فرط به أول أحوال وقوعها . والمعنى على النصب : زال عنا طيفها بالليل

كزوالها هي بالنهار » .

وقال البحتري :

/ أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ حَبِيبٌ جَاءَ يُهْدِي مِنْ جَبِيبٍ^(١)
تَخْطِي رَقَبَةَ الْوَاشِينَ وَهَنًا وَبُعْدَ مَسَافَةِ الْخَرَقِ الْمَجُوبِ^(٢)
يُكَاذِبُنِي وَأَصْدُقُهُ وَمِنْ كَلَفِ مُصَادَقَةِ الْكَذُوبِ

(١) ديوان البحتري ٣٨٩ ، ١ / ٩٨ دار المعارف وطيف الخيال ٤٩ .

(٢) م «الوشين حتى وهنا» .

ما قالاه في الشَّيب والشَّبَاب
ووصف الكبر والعزوف عن الصبا ، ونحو ذلك

وأفتح هذا الباب بما لهما من ابتدآت القصائد في نحو معانيه .

قال أبو تمام :

نَسَجَ الْمَشِيبُ لَهُ لِفَاعاً مُغْدِفاً يَقَقاً فَقَنَعَ . مِذْرَوِيَهُ وَنَصَفَا^(١)

قوله : «لِفَاعاً» يريد لباساً . يقال : لَفَعَ المشيبُ رأسه : إذا شمله وعلاه .

والمُغْدِفُ : المسبل . يقال : أَغْدَفْتُ السُّتْرَ إذا أسبلته . وَمِذْرَوَاهُ

ها هنا : فَوْداً . وَمِذْرَوَا كُلِّ شَيْءٍ : ناحيته . وقد استعملنا كثيراً في أطراف
الألبيتين حتى صارا كالاسم لهما .

وقوله : «نَصَفَا» أي قَنَعَ جانبي رأسه حتى بلغ النصف منه .

وقد قيل : إنما أراد بقوله : «نَصَفَا» - النَصِيفَا ، وهو قناع لطيف :

يكون مثل نصفِ القِنَاعِ الكبير . وقد ذكره النابغة فقال :

* سَقَطَ النَّصِيفُ ، وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ^(٢) *

فإن ذلك لا وجه له^(٣) بعد ذكر القناع . وإنما أراد أبو تمام ما أراد .

الآخر بقوله :

/أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا وَاكْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ مَشِيبِ قِنَاعَا

فالمعنى مُكْتَفٍ بقوله «قَنَعَ مِذْرَوِيَهُ» . وقوله «نَصَفَا» أي بلغ نصف رأسه .

(١) ديوان أبي تمام ٤٠١ «له قناعا» .

(٢) ديوان النابغة ٣٦ وعجزه «فتناولته واتقتنا باليد» .

(٣) م «ذلك لا وجه له بعد» .

وقال أبو تمام :

يَضْحَكُنَّ مِنْ أَسْفِ الشَّبَابِ الْمُذِيرِ يَبْكِينَ مِنْ ضَحِكَاتِ شَيْبِ مُقْمِرٍ^(١)

وهذا بيت رديء . وما سمعت بضحك من الأسف إلا في هذا البيت ،
وكأنه أراد قول الآخر :

وَشَرُّ الشَّدَائِدِ مَا يُضْحِكُ *

فلم يهتد لمثل هذا الصواب .

وقوله : « مِنْ ضَحِكَاتِ شَيْبِ مُقْمِرٍ » - ليس بالجيد أيضاً ، ولو
كان ذكر الليل على الاستعارة لحسن أن يقول مقمر ؛ لأنه كان يجعل سواد
الشعر لَيْلًا ، وبياضه بالمشيب إقماره ؛ لأن قائلًا لو قال : أقمر ليل
رأسك ، كان من أصح الكلام وأحسنه . وإن لم يذكر الليل أيضاً حتى
يقول : قد أقمر عارضاك ، أو فوداك - لكان حسناً مستقيماً ، وهو دون
الأول في الحسن ؛ وذلك أنه قد علم أنهما كانا مظلّمين فاستنارا^(٢)

وسقى الله البحرى الغيث إذ يقول :

لِيَالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَ مَا أَضَاءَ بِإِصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرِقٍ^(٣)

ولما أراد أبو تمام قول دعبل :

* ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى^(٤) *

فأفسد المعنى .

(١) ديوان أبي تمام ٢٩٨ « فبكين » .

(٢) راجع نقد المرتضى لهذا في الشهاب ص ٦ .

(٣) ديوان البحرى ٥١٨ .

(٤) صدره : لا تعجى يا سلم من رجل ، وانظر ديوان دعبل ١٧٨ .

وقال :

أَبَدْتُ أَسَى أَنْ رَأَيْتَنِي مُخْلِيسَ الْقُصْبِ وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ^(١)
/ يقال : رَأْسٌ مُخْلِسٌ . وَخَلِيسٌ : إِذَا اخْتَلَطَ بِهِ الشَّيْبُ . وَالْقُصْبُ :
هِيَ خُصْلَةُ الشَّعْرِ .

« وآل ما كان من عجب إلى عجب » . أَيْ عُجْبٌ وَمَحَبَّةٌ . « إِلَى عَجَبٍ »
أَيْ عَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ .

وقال في العُزُوفِ عن الصَّبَا :

أَبَى : فَلَا شَنْبًا يَهْوَى ، وَلَا فَلَجًا وَلَا أَحْوَرَارًا يُرَاعِيهِ ، وَلَا دَعَجًا^(٢)
وهذان ابتداءً آن صالحان .

وللبحتري في هذا الباب ابتداءات كثيرة تصرّف فيها أحسن تصريف ،
وَأَفْتَنَ فِيهَا أَحْلَى افْتِنَانٍ . وذلك قوله :
أَبْعَدَ الْمَشِيبِ الْمُنْتَضَى فِي الذَّوَائِبِ أَحَاوِلُ لُطْفِ الْوُدِّ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ^(٣)
وقال :

رَأَتْ وَخَطَّ شَيْبٌ فِي عِذَارِي فَصَدَّتْ وَلَمْ تُنْظِرْنِي مِنْ جَوَى قَدْ أَجَدَّتْ^(٤)
وقوله :

خَلَسَ الشَّيْبُ ، أَوْ تَعَجَّلَ وَرْدُهُ وَاسْتَعَارَ الشَّبَابَ مَنْ لَا يَرُدُّهُ^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٥ وشرح التبريزي ١١٥/١ والشهاب ١٠ .

(٢) ديوانه ٦٨ وشرح التبريزي ١ / ٣٣٣ .

(٣) ديوان البحتري ١٥٢ ، ١ / ١٠٨ دار المعارف وفي م « المنقضي » .

(٤) ديوانه ٧٥٢ « شيب من قريب . . ولم يستظره بي نوى قد » ، ١ / ٣٦٩ دار المعارف .

(٥) ديوانه ٤٧٣ ، ١ / ٥٠٩ .

وقوله :

أَمَّا الشَّبَابُ فَقَدْ مُبِغَتْ بِغَضُّهِ وَحَطَطَتْ رَحْلُكَ مُسْرِعاً مِنْ نَقْضِهِ^(١)

وقوله :

تَرَكَ الشَّبَابَ لِلْأَبْسِ وَبَيَّضَا وَنَضَا مِنَ السُّتَيْنِ عَنْهُ مَا نَضَا^(٢)

/ وقوله :

لَأَبْسُ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ نَاضٍ وَمُليحٌ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ رَاضٍ^(٣)

وقوله :

شَرَحُ الشَّبَابِ أَخُو الصَّبَا وَأَلِيفُهُ وَالشَّيْبُ تَرْجِيَةُ الْهَوَى وَخُفُوفُهُ^(٤)

وقوله :

هَـ هُوَ الشَّيْبُ لَائِمًا فَأَفِيقِي وَأَتْرُكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ^(٥)

وقوله :

قَالَتْ : الشَّيْبُ أَتَى قُلْتُ : أَجَلٌ مَبَقَ الْوَقْتُ خِرَارًا وَعَجَلٌ^(٦)

وقوله :

تَقْضَى الصَّبَا إِلَّا تَلَوُّمُ رَاحِلٍ وَأَغْنَى الْمَشِيبُ عَنْ مَلَامِ الْعَوَازِلِ^(٧)

(١) ديوان البحري ٢٨٨ ، ٢ / ١١٩٥ دار المعارف « عن نقضه » .

(٢) ديوانه ٢٩٠ ، ٢ / ١١٩٨ دار المعارف ، « ترك السواد » وأمالى المرتضى ١ / ٦٦٢ ،

١٣٥ / ٢ .

(٣) ديوانه ٣٩٢ ، ٢ / ١٢٠٧ وأمالى المرتضى ١ / ٦١٩ .

(٤) ديوانه ٦٤ .

(٥) ديوانه ٤٣٥ « إذ كان » وأمالى المرتضى ١ / ٦٠ .

(٦) ديوانه ٣٣١ « الشيب بنا » .

(٧) ديوانه ٦٣٨ .

وقوله :

أَكَانَ الصَّبَا إِلَّا خَبَالًا مُسَلَّمًا أَقَامَ كَرَجْعِ الطَّرْفِ ثُمَّ تَصَرَّمًا^(١)

وقوله :

لَا جَدِيدُ الصَّبَا وَلَا رَيَّعَانَةٌ رَاجِعٌ بَعْدَمَا تَقْضَى زَمَانُهُ^(٢)

وقوله :

/ بَانَ عَهْدُ الصَّبَا وَبَاقِي جَدِيدُهُ بَيْنَ أَغْوَانٍ طَالِبٍ وَوُجُودِهِ^(٣)

وقوله :

خَطَّتُهُ فَلَمْ تَحْفِلْ بِهِ الْأَعْيُنُ الْوُطْفُ وَكَانَ الصَّبَا إِلْفًا فَوَدَّعَهُ الْإِلْفُ

وقال في العُزُوفِ عن الصَّبَا :

إِلَيْكَ مَا أَنَا عَنْ لَهْوٍ وَلَا طَرْبٍ مُنِيتِ مِنِّي بِقَلْبٍ غَيْرِ مُنْقَلِبٍ^(٤)

وقال :

أَطَاعَ عَاذِلَهُ فِي الْحَبِّ إِذْ نَصَحَا وَكَانَ نَشْوَانٌ مِنْ سُكْرِ الصَّبَا فَصَحَا^(٥)

وقال :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَوَاعِظٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرٌ^(٦)

(١) ديوان البحري ١٢٦ .

(٢) ديوانه ٣١٩ « تقضى أونه » .

(٣) ديوانه ٥٧٤ « بات » .

(٤) ديوانه ٤٩٩ ، ١ / ١١٩ دار المعارف « من لهو » .

(٥) ديوانه ٥٦ ، ٦ / ٤٤٠ « سكر الهوى » .

(٦) ديوانه ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٣ « ويبلغ منه » .

وقال :

أَنْزَاعاً فِي الْحَبِّ بَعْدَ نَزْوَعٍ وَذَهَاباً فِي الْغَىِّ بَعْدَ رُجُوعٍ^(١)

وقال :

لَايَةً حَالٍ أَغْلَنَ الْوَجْدَ كَاتِمَةً وَأَقْصَرَ عَنِ دَاعِي الصَّبَابَةِ لَائِمَةً^(٢)

وقال :

إِنِّي تَرَكْتُ الصُّبَا عَمْدًا فَلَمْ أَكْدِ مِنْ غَيْرِ شَيْبٍ وَلَا عَذْلٍ وَلَا فَنَدٍ^(٣)

/ وهذا باب أبرّ فيه البحترى على أبي تمام .

قوله : « أَبْعَدَ الْمَشِيبِ الْمُنْتَضَى »^(٤) . ويقال : نَضَا الْحَنَاءَ عَنِ الْيَدِ
يَنْضُو ، وَنَضَا ثَوْبَهُ عَنْهُ يَنْضُوهُ ، أَيْ نَزَعَهُ ، وَأَنْتَضَى السِّيفُ : انْتَزَعَهُ مِنْ
غَمْدِهِ . فجعل الشيب منتضى في النوائب أى مشهوراً فيها على الاستعارة ،
كَأَنَّهُ جَعَلَهُ سَيْفًا مُلًّ فِي رَأْسِهِ .

وأجود من هذا قوله :

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينِنِي مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ كَانَ لِمَفْرِقٍ^(٥)

(١) ديوان البحترى ٤٢٠ « آراعا » ! وفسرها ناشره بالمرح والنشاط ! ، ٢ / ١٢٧٩ .

(٢) ديوانه ٤٧٨ وفي م « عن راغى » .

(٣) ديوانه ٤٢٤ ، ١ / ٥٧٣ دار المعارف « ولم » .

(٤) سبق ص ١٩٢ .

(٥) ديوانه ٧٧ « الشيب لاح بمفرق » .

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب ووصف الشيب وذمه

قال أبو تمام :

غَدَا الهمُّ مُخْتَطًّا بِفَوْدَى خُطَّةٍ طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهْيَعٌ^(١)
هُوَ الزُّورُ يُجْفَى ، وَالْمَعَاشِرُ يُجْتَوَى وَذُو الْإِلْفِ يُقْلَى ، وَالْجَدِيدُ يُرَقَّعُ
لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ
وَنَحْنُ نُرَجِّيه عَلَى الْكُرْهِ وَالرُّضَا وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ^(٢)

وهذه كلها معانٍ جيدة صحيحة مستقيمة .

وقال :

شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوْدَعْتَنِي فِي صَمِيمِ الْأَحْشَاءِ حُزْنًا صَمِيمًا^(٣)
يَسْتَشِيرُ الهمُّومَ مَا أَكْثَرُ مِنْهَا صُعْدًا ، وَهِيَ تَسْتَشِيرُ الهمُّومًا^(٤)
/ غُرَّةٌ مُرَّةٌ . أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِيمًا^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٩٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٢٤ وأمالى المرتضى ١ / ٦٠٩ والشهاب في الشيب والشباب المرتضى ٦ ومجموعة المعاني ١٢٥ .

(٢) في شرح التبريزي : « ونحن نرجيه » وتقل شرحها عن أبي العلاء المعري : « نرجيه : نحمله ونسوقه على أن يسير . يقول : نحن على سخطه راضون به ؛ لأنه لا بد من وإن كنا نبغضه ، فثله مثل الأنف الأجذع يعلم الفتى أنه قبيح وقد ثبت أنه من وجهه » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٩١ وشرح التبريزي ٣ / ٢٢٣ « القواد ثكلا صميا » وأمالى المرتضى ١ / ٦٠٩ والشهاب ٧ وحجامة ابن الشجري ٢٤١ .

(٤) م « تستير . . . وهي تستير » .

(٥) « غرة همة » وفي شرح التبريزي « ويرى » : وقالوا : غرة همة على معنى التضاد ، أي =

رِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا مِثْلَمَا سُمِّي اللَّدِيغُ سَلِيمًا^(١)
حَلَمْتَنِي - زَعَمْتُمْ - وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا^(٢)

وهذه كلها أيضاً [أبيات] جيدة ، والأغراض فيها^(٣) حسنة مستقيمة .

وقوله : « تستشير الهموم ما اكنن منها » - يريد أنها لما بدت حزننت ،
واهتممت ، فصار اهتمامي يزيد فيها ؛ لأن الهم - على كل حال - يشيب .
وقوله : « وهي تستشير الهموما » - قول صحيح أيضاً ؛ لأنه كلما بدا
منها شيء زاد همه ، فالهم يجلبها ، وهي تجلب الهم .

وأخذ البحرى قوله :

غُرَّةٌ مُرَّةٌ . أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِيْمًا !

فقال :

عَجِبْتُ لِتَفْوِيفِ الْقَدَالِ ، وَإِنَّمَا تَفْوِيفُهُ لَوْ كَانَ غَيْرَ مُقَوِّفٍ^(٤)

وقال البحرى :

وَكُنْتُ أَرْجَى فِي الشَّبَابِ شَفَاعَةً وَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةٍ بِشَفِيعَةٍ^(٥)

= اسمها غرة ، وهي ضد ذلك في الحقيقة . والهمة من قولك : فرس بهيم ، وهو الذي لا يخالط لونه غيره ،
كانه أبهم عن الشيات ، أى أغلق دونه . وجائز أن يحمل نفسه بهيما لأنه أراد الشر ، وأنه أيام كان
أسود لم يمكن له غرة ، أى شيب .

(١) في الديوان وشرحه « دقة » .

(٢) في شرح التبريزي « أى زعمت أن شيلة الشيب قد صيرتني حليماً وتم بها عقل ، وأنا أرى أنى
قبلاً هذا كنت حليماً كاملاً » .

(٣) م « فيه » .

(٤) ديوان البحرى ٦٧٦ وقد نقله الشريف المرتضى في الشهاب ٧ ثم نازعه في دعوى الأخذ ،

وقبل بيت أبى تمام . وفى م « عجب » .

(٥) - ديوان البحرى ٣٧٢ ، ١٢٧٦ / ٢ دار المعارف . والأبيات في أمالي المرتضى ١ / ٦١٨ .

مَشِيبٌ كَبْتُ السَّرْعَى بِحَمْلِهِ مُحَدَّثُهُ ، أَوْضَاقَ صَدْرٍ مُذِيعِهِ^(١)
تَلَاخَقَ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئِهِ لِحَثِّ اللَّيَالِي قَبْلَ أَتَى سَرِيعِهِ
وهذا أيضاً في وصف الشيب حسن جداً .

وقال البحتري :

/ رُدِّي عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتُ فَاعِلَةً
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرُ مُلْتَفِتًا
وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مَنْ جَارَى مَنِيتَهُ
وَالْعَرْمُ لَوْ كَانَتْ الشَّعْرَى لَهُ وَطْنًا
إِنَّ الصَّبَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلَا أَرَبِي^(٢)
إِلَى بَنَاتِ الرَّدَى تَرْكُضْنَ فِي طَلْبِي^(٣)
وَلَا نَجَاءَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْهَرَبِ
صُبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كَثْبِ^(٤)

وقال :

لَا يَسُ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ نَاضٍ
وَإِذَا مَا أَمْتَعَضْتُ مِنْ وَلَعِ الشَّيْبِ
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مُرُو
بَاكَرْتُ لِمَتَى ، وَنَاكَرْتُ مِنْهَا
شَعَرَاتُ أَقْصَهُنَّ وَيَرْجِعُ
وَأَبَتْ تَرْكِي الْغُدِّيَاتِ وَالْآ
وَمُلِيحٌ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ رَاضٍ^(٥)
بِإِرْأَسِي لَمْ يَثْنِ ذَاكَ اِمْتِعَاضِي^(٦)
فِيهِ إِلَّا عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاضٍ
سُوءَ هَذِي الْأَبْدَالِ وَالْأَعْوَاضِ^(٧)
نَ رُجُوعَ السُّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ
صَالَ حَتَّى خَضِبْتُ بِالْمِقْرَاضِ^(٨)

(١) ديوانه « كنت السر » ومعناها واحد .

(٢) ديوان البحتري ٤٩٩ : ١ / ١١٩ « أين الهوى » وأمال المرتضى ١ / ٦١٩ والشباب ١٤ .

(٣) في الديوان : « بنات الصبي » .

(٤) في الديوان « حطت عليه . . من صيب » .

(٥) ديوانه ٣٩٢ وأمال المرتضى ١ / ٦١٩ والشباب ١٤ .

(٦) في الديوان « لم يعد ذلك » .

(٧) م « باكرت . . وناكرت » وفي الديوان « ليس سوء الأخلاق » .

(٨) راجع ما قاله المرتضى عن هذا البيت في الشباب ١٤ .

غَيْرَ نَفْعٍ إِلَّا التَّعَلُّلَ مِنْ شَخْصٍ صِرْ عَدُوًّا لَمْ يَعُدَّهُ ابْنُ غَضِي
وَرَوَاءَ الْمَشِيبِ كَالْبَخْصِ فِي عَيْدٍ نَبِي فَقُلْ فِيهِ فِي الْعُيُونِ الْمِرَاضِ^(١)
طَبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَاسَوٍ وَدَ مِنْ صَبَغٍ بُرِدِهِ الْفَضْفَاضِ
فَهَلِ الْحَادِثَاتُ يَأْبَنُ عُوفٍ تَارِكَاتِي وَلُبْسَ هَذَا الْبَيَاضِ

/ وهذا هو الذي يأخذ بمجامع القلب : ويستولى على النفس . ومن حذق الشاعر أن يُصوِّر لك الأشياء بصورها . ويعبر عنها بالفاظها المستعملة فيها ، واللائقة بها . وذلك مذهب البحري وصناعته ؛ ولهذا ما كثر الماء والروْنَقُ في شعره . وقالوا : لِشِعْرِهِ دِيبَاجُهُ . وما قيل ذلك في شعر أحد من المتأخرين غيره .

وقال :

وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ عَهْدَ الشَّبَابِ بَرِ وَعُلُوَّةٍ إِذْ عَيَّرْتَنِي الْكِبَرُ^(٢)
وقوله « ما أنس لا أنس » جُزِمَ : لأنه شرطٌ وجزاء .
كَوَائِبُ شَوْقٍ عَلِقْنَ الصَّبَا فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرُ^(٣)
وَإِنِّي وَجَدْتُ - فَلَا تَكْنِبِينَ - سَوَادَ الْهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّعْرِ
وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْ نِ : إِمَّا الشَّبَابُ ، وَإِمَّا الْعُمُرُ

(١) في اللسان ٨ : ٢٦٩ « البخص : لحم قاق فوق العينين أو تحتهما كهيئة النخعة » .
(٢) ديوان البحري ٩٩ ، ٢ / ٨٤٨ دار المعارف ، وأمال المرتضى ١ : ٦٢٥ والشهاب ١٥ .
(٣) في الديوان « كواكب شيب » .

قوله :

ولا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْ نِ : إِمَّا الشَّبَابَ ، وَإِمَّا الْعُمُرَ

عليه في هذا البيت مُعَارَضَةٌ . وهو أن يقال : إِنَّ مَنْ مَاتَ شَابًّا فَقَدْ فارق الشَّبابَ ، وهو مفارق للعمر لا محالة ، فهو أيضاً تارك لهما جميعاً ، وقوله : إِمَّا الشَّبَابَ وَإِمَّا الْعُمُرَ - لا يوجب إلا أحدهما .

والْعُمُرُ للبحثرى أن يقال : إِنَّ مَنْ مَاتَ شَابًّا فَإِنَّمَا فارق الشَّبابَ وحده ؛ لأنه لم يُعَمَّرْ فيكون مفارقاً للعمر . ألا تراهم يقولون : فلان عُمُرٌ : إذا أَسَنَّ . وفلان لم يُعَمَّرْ : إذا مات شَابًّا أو وهو في حدود الشَّباب . ومن شاب وعَمَّرَ ثم مات لم يكن مفارقاً للشَّباب في حال موته [لأنه قد قطع أيام الشَّباب وتقدمت مفارقتة له ، وإنما يكون في حال موته]^(١) مفارقاً للعمر وحده . فإلى هذا ذهب البحثرى : وهو صحيح . ولم يرد بالعمر ههنا : الكبير ، كما قال زُهَيْرٌ :

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِيبُ ثَمِيَّتُهُ ، وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فَيَهْرَمُ^(٢)

ومثله قول آخر :

مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسُ وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا^(٣)

(١) الزيادة من الشَّباب ١٥ وأمال المرتضى ١ : ٦٢٦ .

(٢) ديوان زهير ٢٩ وشرح القصائد العشر ١٢٢ وقد قال المرتضى عقب نقله لهذا في الأمال

١ : ٦٢٦ وما رأيت أشدَّ تهافتاً في الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين . ومعنى البيت غير ما توهمه ، وهو أظهر من أن يحتج حتى يحتاج فيه إلى هذا التخلخل والتعسف . . ثم عاد فتقل كلامه الطويل في الشَّباب ١٥ - ١٦ .

(٣) لامية بن أبي الصلت ، كما في اللسان ٩ : ٢٢١ وعبطة : شاباً .

وهذا أجود من بيت زهير ومن بيت البحتري ؛ لأنه جمع المعنيين في
المصراع الأول ، وهو مستغن عن المصراع الثاني .

ولولا قوله :

«مَشِيبٌ كَبَتْ السَّر» .

و «فَهَلْ الْحَادِثَاتُ يَا أَبْنِ عُوَيْفٍ» - لفضلت أبا تمام عليه ، ولكني
أجعلهما متكافئين .

كره النساء للمشيب

قال أبو تمام :

أَلَمْ تَرَ آرَامَ الظُّبَاءِ كَأَنَّمَا رَأَتْ بِي سَيِّدَ الرَّمْلِ وَالصُّبْحُ أَذْرَعُ
لَثْنُ جَزَعِ الْوَحْشِيِّ مِنْهَا لِرُؤْيَيْ لَانْسِيَّهَا مِنْ شَيْبِ رَأْسِي أَجَزَعُ^(١)

وهذا غاية في حسنه وصحة معناه .

قوله : « سَيِّدُ الرَّمْلِ » يريد الذئب . وقوله : « وَالصُّبْحُ أَذْرَعُ » أى
أوله مختلط بسواد الليل ، يريد وقت طلوع ، الفجر . وكل ما اسودَّ أوله ،
وابيضَّ آخره فهو أَذْرَعُ ، وشاةٌ دَرَعَاءٌ للتي اسودَّ رأسها وعنقها ، وسائرُها أبيض .
وإنما قال ذلك لأنَّ الظباء تخاف الذئب في ذلك الوقت ، لأنَّ لونه
يخفى فيه لُغُبَتِهِ ، فلا تكاد تراه حتى يخالطها . وهو الوقت الذى تنتشر^(٢)
فيه الظباء ، وتخرج من كنسها لطلب المرعى^(٣) . والغنم يخرجها أهلها
بعد هذا الوقت .

وقال أبو تمام :

لَعِبَ الْبَيْنُ بِالْمَفَارِقِ ، بَلْ جَدُّ دَ ، فَأَبْكِي تُمَاضِرًا وَلَعُوبًا^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٩٠ وشرح التبريزي ٢ : ٣٢٢ والشهاب ٨ .

(٢) م « الذى تمثر » والتصويب من الشهاب .

(٣) نقل المرتضى هذا التأويل ثم أجازة وقال إن البيت يحتمل سواء ، راجع تفصيل ذلك فى الشهاب

٨ - ٩ .

(٤) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزي ١ : ١٦٦ - ١٦٧ وأمالى المرتضى ١ : ٦١٠ والشهاب ٩ وفى

جميعها « لعب الشيب » .

خَضَبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعَقْدِ دَمًا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبًا
 كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلَّا الْقَظِيمَيْنِ : مِيتَةً ، وَمَشِيبًا
 يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحِسَانِ ذُنُوبًا^(١)
 وَلَيْتَ عَيْنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَذْ كَرَنَ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيَا
 أَوْ تَصَدَّعْنَ عَنْ قَلِيٍّ لَكَفَى بِالْشَّيْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ حَسِيبًا
 لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا

وهذا البيت الأخير من شعره الجيد المشهور .

ومن يتعصب عليه يقول : إنه ناقض في هذه الأبيات ؛ لقوله : « فَأَبْكِي
 تَمَاضِيرًا وَلَعُوبًا » وقوله : « خَضَبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعَقْدِ دَمًا » . ثم قال :
 « نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي ، عِنْدَ الْحِسَانِ ذُنُوبًا
 وقوله : « وَلَيْتَ عَيْنَ مَا رَأَيْنَ » .

وقالوا كيف يَبْكِيَنَّ دَمًا على مَشِيْبِهِ ثم يَعْبِنُهُ ؟

وليس ها هنا تناقض ؛ لأن الشيب إنما أبكى تَمَاضِيرًا ولَعُوبًا أسفًا
 على شبابه ، والحسان اللواتي عَيْنُهُ غَيْرُ هَاتَيْنِ المرأتين ، فيكون من أَشْفَقَ
 عليه من الشَّيْبِ منهن وأَسْفَى على شبابه - بَكَى ، كما قال الأَخْطَلُ :
 لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ إِنَّ الْمَشِيْبَ لَأَرْذَلُ الْأَبْدَالِ^(٢)
 ولم تك هذه حال من عابه^(٣) . وهو مستقيم صحيح^(٤) .

(١) ويروى : « عند النواتي » .

(٢) ديوانه ١٥٨ .

(٣) م « ومن لم تك هذه حاله عابه » .

(٤) راجع نقد المرتضى في أماليه ١ : ٦١١ وفي الشهاب ٩ .

وقول الأخطل : بَكَتْ لَهُ . أى الشباب . ولكن أبا تمام لم يررض أن يقول : بكت فيكون أمراً قريباً مشبهاً . حتى قال : « بكت الدم » على مذهبه في الخروج عن الحد في كل شيء .

وقال :

رَاحَتْ غَوَانِي الْحَيِّ عَنْكَ غَوَانِيَا يَلْبَسُنْ نَابِياً تَارَةً وَصُدُودَا^(١)
 مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ تَرَكَتْ عَمِيدَ الْقَرِيَتَيْنِ عَمِيدَا^(٢)
 أَرْبِينَ بِالْمُرْدِ الْغَطَارِفِ بُدْنًا غِيدًا أَلْفَنَّهُمْ لِدَانًا غِيدَا
 أَحْلَى الرُّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعًا مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُلُودَا

قوله : « أَرْبِينَ بِالْمُرْدِ » . هو من أَرَبَ بالشئ إذا لَزِمَهُ وَأَقَامَ عَلَيْهِ ، يقال : أَرَبَ بِهِ ، وَأَلَبَّ إِذَا لَزِمَهُ . يريد أنهم أَرْبِينَ^(٣) هَوَى المُرْدِ ، وَأَقَمْنَ عَلَيْهِ .

ورواه قوم « أَرْبِينَ بِالْمُرْدِ » . من الرُّبَا الذى معناه الزِّيَادَةُ يقال^(٤) : قد أَرَبَى الرجل إذا زَادَ . فيقول : « أَرْبِينَ بِالْمُرْدِ أى زِدْنِ عَلَيْنَا بِهِم ، أى جعلن المُرْدَ زيادة اخترننا علينا^(٥) » فما يقبل الرجل الزيادة فى الشئ

(١) ديوان أبى تمام ٨٧ وشرح التبريزى ١ : ٤١٣ وأمالى المرتضى ١ : ٦١١ والشهاب ١٠ .
 (٢) فى شرح التبريزى عن أبى العلاء المعرى : « سابغه الشباب : أى قد جرى شباها فى جميع جسدها . استعار السبوغ للشباب . وعميد القريتين : رئيسهما ، والقريتان : مكة والطائف . وعميدا : من قولك عمده الحب : إذا ذهب بقلبه . وإنما بنى الطائى هذا الكلام على قوله عز وجل : (وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقد استعملوا فى صدر الإسلام نحواً من ذلك فقالوا : ليس فلان بعظيم القريتين ، أى ليس هو برئيس » .

(٣) « أربين » .

(٤) م « فقال » .

(٥) نقل المرتضى شرح الأملئ هذا من غير أية إشارة إليه فى أماليه ١ / ٦١١ .

الذى يُعْطَاهُ فَاضِلاً مِنْ حَقِّهِ ، ويرغب فيه يقال : قد أَرَبَى . فإلى هذا ذهب من قال : أَرَبَيْتَ ، لا إلى قولهم : أنا أَرَبُأُ بك عن كذا ، لأن هذا مَهْمُوزٌ مَعْنَاهُ : أنا أَرْتَفِعُ بك ، أو أَرْفَعُكَ عن كذا ، من الرَبِيئَةِ والأَرْتِبَاءِ وهو الذى يصعد لأصحابه إلى شَرْفٍ عَالٍ فيرصد أعداءهم^(١) إذا قصدوهم فيراهم من بعد فيُنْذِرُ بهم . فكأن قوله : « أَرَبَيْتَ بِالْمُرْدِ » أى أَخَذَ الْمُرْدَ رِباً علينا لِمَا فيهم من الزيادة التى اخترن^(٢) علينا وتركنا .

والمعنى الأول أقرب لفظاً .

وعلى أى الوجهين كانت اللفظة فهى غير حسنة . ولا لائقة . ولا هذا الموضع موضعها بالباء كانت [أم] بالياء .

وقيل : أخذ قوله^(٣) « أَحَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً » من قول الأعشى :
وَأَرَى الْغَوَايِ لَا يُوَاصِلُنَّ أَمْرًا فَقَدْ الشَّبَابَ . وَقَدْ يَصِلُنَّ الْأَمْرَدَا^(٤)
وقال مَنْصُورُ النَّمْرِى :

كَرِهْنُ مِنَ الشَّيْبِ الذِّى لَوْ رَأَيْتَهُ بَيْنَ رَأَيْتَ الطَّرْفَ عَنْهُنَّ أَزُورَا^(٥)

ونحو هذا قول آخر :

أَرَى شَيْبَ الرُّجَالِ مِنَ الْغَوَايِ بِمَوْقِعِ شَيْبِهِنَّ مِنَ الرُّجَالِ^(٦)

(١) م « أَعْدَاءَهُمْ » .

(٢) م « اخترنا » .

(٣) فى أمالى المرتضى ١ : ٦١٢ « ويقال : إنه أخذ قوله أحلى إلخ » .

(٤) ديوان الأعشى ١٥١ والشهاب ١٠ .

(٥) فى أمالى المرتضى « رأيت بين رأين » .

(٦) فى أمالى المرتضى ١ : ٦١٢ « كوقع شيبهن » .

وقال البحتري :

تَعِيبُ الْغَانِيَاتُ عَلَيَّ شَيْبِي وَمَنْ لِي أَنْ أُمَتَّعَ بِالْمَعِيبِ^(١)
وَوَجَدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَقَضَى حَمِيدًا - دُونَ وَجَدِي بِالْمَشِيبِ

وهذا من فاخر هذا الباب وعجيب مذاقه ، ومن إحسان أبي عبادة المشهور .

وقال البحتري أيضاً :

أَعْدَاوَةٌ كَانَتْ فَمِنْ عَجَبِ الْهَوَى أَنْ يَضْطَفِي فِيهِ الْعَدُوُّ حَبِيبًا^(٢)
أَمْ وَضَلَّةٌ صُرِفَتْ فَعَادَتْ هَجْرَةً أَنْ عَادَ رَيْعَانُ الشَّبَابِ مَشِيبًا
أَرَأَيْتِهِ مِنْ بَعْدِ جَثَلٍ قَاجِمٍ جَوْنَ الْمَفَارِقِ بِالنَّهَارِ خَضِيبًا^(٣)
فَعَجِبْتُ مِنْ خَالَتَيْنِ خَالَفَ مِنْهُمَا رَيْبُ الزَّمَانِ وَمَا رَأَيْتُ عَجِيبًا
إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُهُ سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأَدْرَكَ الْمَطْلُوبَا

قوله : «جَوْنَ الْمَفَارِقِ» . والجَوْنُ هاهنا : الأبيض ؛ فلذلك قال :
«بِالنَّهَارِ خَضِيبًا» وخَضِيبُ البياض غير معروف ولا جرت بمثله عادة .
وإنما الخضاب بالسواد والصفرة . وذلك أن الخضاب إنما هو صِبْغٌ ، والبياض
ليس بصبغ ولكن هو المصبوغ . والبحتري إنما جعله خضاباً لأنه لون حدث
بعد لونٍ قَبْلَهُ فلهذا مَا جَعَلَهُ كَالْخَضَابِ .

(١) ديوان البحتري ٢٨٩ ، ١ / ٩٩ والشهاب ١٦ «يعيب» وأما المرتضى ١ : ٦٢٠ وفي م
«أمتع بالمشيب» .

(٢) ديبانه ٢٥٢ ، ١ / ١٨٤ والشهاب ١٧ .

(٣) هذا البيت والأبيات بعده نقلها المرتضى في أماليه ١ : ٦٢٠ .

(٤) حتى هذا الشرح نقله من غير عزو .

وقال :

رَأَتْ فَلَنَاتِ الشَّيْبِ فَأَبْتَسَمَتْ لَهَا وَقَالَتْ : نُجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِأَسْعَدِ^(١)
 أَعَانِكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي إِلَيْكَ فَأَلْحَى الشَّيْبَ إِذْ كَانَ مَبْعَدِي
 تَزِيدِينَ هَجْرًا كُلَّمَا أَرْدَدْتُ لَوْعَةً طِلَابًا لِأَنَّ أَرْدَى فِيهَا أَنَا ذَا رَدِي^(٢)
 مَتَى أَذْرِكَ الْعَيْشَ الَّذِي فَاتَ آتِفًا إِذَا كَانَ يَوْمِي فِيكَ أَحْسَنَ مِنْ غَدِي^(٣)

وهذا معنى في غاية الحسن والحلاوة .

وقوله : « فابتسمت لها » . يريدنا استهزأت . وهذا [جرت عادة النساء أن يضحكن من الشيب ويستهنئن لا أن] يبكين كما قال أبو تمام ولم يقنع إلا ببكاء الدم^(٥).

وقال البحتري :

عَنْتَ كِبِيدِي قَسْوَةً مِنْكِ مَا إِنْ قَزَالٌ تُجَدِّدُ فِيهَا نُذُوبًا^(٦)
 وَحُمِلْتُ عِنْدَكَ ذَنْبَ الْمَشِيءِ بِرَحْمَتِي كَأَنِّي أَبْتَدَعْتُ الْمَشِيءَا
 وَمَنْ يَطَّلِعْ شَرَفَ الْأَرْبَعِينَ يُلَاقِ مِنَ الشَّيْبِ زُورًا غَرِيبًا^(٧)

عهدي بالشيخوخ من أهل العلم بالشعر إذا تذكروا ما قيل في الشيب لا يقدمون على قوله :

* وَحُمِلْتُ عِنْدَكَ ذَنْبَ الْمَشِيءِ *

(١) ديوان البحتري ٢٣١ ، ٢ / ٧٧١ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٧ .

(٢) م « تردين هجرا » .

(٣) في الديوان « متى ألحق » .

(٤) الزيادة من الشهاب ١٧ .

(٥) راجع ص ٢٠٤ وانظر نقد المرتضى لذلك ١٧ - ١٨ .

(٦) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٨ .

(٧) في الديوان « يحى من الشيب » .

وقال :

وَقَدْ دَعَانَا نَاهِيَا فَأَسْمَعَنِي وَخَطُّ عَلَى الرَّأْسِ مُخْلَسٌ شَعْرُهُ^(١)
صَغُرَ قَدْرِي فِي الْغَانِيَاتِ وَمَا صَغُرَ صَبًا نَصْغِيرُهُ كِبَرُهُ

وقال :

أَيْشَنِي الشَّبَابَ أَمْ مَا تَوَلَّى مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ^(٢)
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بِيضُ أَسْوَةَ الْعَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سُودُ^(٣)
وَأَعُدُّ الشَّقِيَّ جِدًّا وَلَوْ أَنَّهُ طَى غَنَمًا حَتَّى يُقَالَ سَعِيدُ
مَنْ عَدَّتْهُ الْعُيُونُ وَأَنْصَرَفَتْ عَدُّ أَلْتِفَاتًا إِلَى سِوَاهُ الْخُدُودُ

وقال :

رَاعَنِي مَا يَرُوعُ مِنْ وَافِدِ الشَّيْءِ بِ طُرُوقًا ، وَرَابِنِي مَا يَرِيبُ^(٤)
شَعْرَاتُ سُودٍ إِذَا حُلْنَ بِيضًا حَالَ عَنْ وَضَلَةِ الْمَحَبِّ الْحَبِيبُ^(٥)
مَرُّ بَعْدِ السَّوَادِ مَا كَانَ يَحْلُو مُجْتَنَاهُ مِنْ عَيْشِنَا وَيَطِيبُ^(٦)

وقال :

أَجْدُكَ مَا . وصل الغواني بمطمع وَلَا الْقَلْبَ مِنْ رِقِّ الْغَوَانِي بِمَعْتَقِ^(٧)
وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينَنِي مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ كَانَ بِمَقْرِقِي^(٨)

(١) ديوان البحري ٢ / ١٠٣٤ دار المعارف الشهاب ١٨ .

(٢) ديوانه ٧٦٧ ، ١٤ / ٥٠٢ « يسود » . أم يتولى « وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٣ والشهاب ١٨ .

(٣) في الديوان « إنما العيش » .

(٤) ديوانه ١ / ١١٢ الشهاب ١٨ وديوانه ١ : ٩٢ .

(٥) في الديوان : « وصله الحبيب الحبيب » .

(٦) في الشهاب « بعد الشباب » .

(٧) ديوانه ٧٧ والشهاب ١٩ .

(٨) في م « بياض الشيب » .

وقال :

عَمُرُ الْغَوَايِ لَقَدْ بَيْنَ مِنْ كَثْبٍ ، هَضِيمَةٌ فِي مُحِبٍّ غَيْرِ مَحْبُوبٍ^(١)
إِذَا مَدَدَنَ إِلَى أَغْرَاضِهِ سَبَبًا وَقَيْنَ مِنْ كُرْهِهِ الشُّبَّانَ بِالشُّيْبِ

وقال :

خَلِيَاءُهُ وَجَدَهُ اللَّهْوُ مَادَا مَ رِدَائِهِ الشُّبَّابِ تَضَا جَدِيدًا^(٢)
إِنَّ أَبَامَهُ مِنْ الْبَيْضِ بَيْضٌ مَا رَأَيْنَ الْمَفَارِقَ السُّودَ سُودًا

وقال :

قَدْ كُ مِنْنِي فَمَا جَوَى السُّقْمِ إِلَّا فِي ضُلُوعٍ عَلَى جَوَى الْحُبِّ تُحْنِي^(٣)
لَوْ رَأَتْ حَادِثَ الْخِضَابِ لَأَنْتَ وَأَرَنْتَ مِنْ أَخْمِرَارِ الْبِرْنَا^(٤)
كَلَّفُ الْبَيْضِ بِالْمُعْمَرِ قَدْرًا حِينَ يَكْلَفُنَ ، وَالْهَضَغُ سِنَا^(٥)
يَتَشَاغَفُنَ بِالْفَرِيرِ الْمُسَمَى مِنْ تَضَابِ دُرْنِ الْجَلِيلِ الدُّكْنَى

وقال :

تَرَكَ السُّوَادَ لِلْأَبْسِيهِ وَبَيَّضَا وَنَضَا مِنَ السُّتَيْنِ عَنْهُ مَا نَضَا^(٦)
وَشَاهُ أَغِيدَ فِي تَصَرُّفٍ لَحْظِهِ مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضَا
وَكَاثَهُ وَجَدَ الصُّبَا وَجَدِيدَهُ دَيْنَا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى^(٧)

(١) ديوان البحري ٣٢٦ ، ١ / ٩٣ دار المعارف والشهاب ١٩ .

(٢) ديوانه ١ : ١٨٣ ، ١٠٠٪ ٥٩٠ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٩ .

(٣) ديوانه ٣٥٨ والشهاب ١٩ وفي أمالى المرتضى « فاجري » .

(٤) البرنا : الخضاب .

(٥) في الديوان « بالمعمر » .

(٦) ديوانه ٢٩٠ ، ١ / ١١٩٨ وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٢ ، ٢ : ١٣٥ والشهاب ١٩ .

(٧) في الديوان « وكأته أنى » .

أَسْيَانُ أَثَرِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ وَأَسَافَ مِنْ وَصْفِ الْحِسَانِ وَأَنْفَضَا^(١)

شَاه : سَبَقَهُ أَغْيَدُ الشَّبَابِ النَّاعِمِ ، وَغَلِبَهُ عَلَى وَدِّ الْحِسَانِ .

وَأَسَافَ الرَّجُلُ إِذَا ذَهَبَ مَا فِي يَدِهِ فَانْتَقَر ، وَكَذَلِكَ أَنْفَضَ^(٢) .

وقال :

أَخِي : إِنَّ الصُّبَا أَسْتَمَرَ بِهِ سَيْرُ اللَّيَالِي فَانْهَجَتْ بُرُودُهُ^(٣)

تَصَدُّ عَنِّي الْحِسَانُ مُبْعِلَةً إِذْ أَنَا لَا قُرْبَهُ وَلَا صَدْدُهُ^(٤)

شَيْبٌ عَلَى الْمَفْرَقَيْنِ بَارِضُهُ يَكْثُرُنِي أَنْ أُبَيِّنَهُ عَدْدُهُ

تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابَ ظَالِمَةً بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهُ^(٥)

لَا عَجَبٌ إِنْ مَلَيْتِ خُلَّتْنَا فَانْتَقَدَ الْوَصْلَ مِنْكَ مُفْتَقِدُهُ

مَنْ يَتَطَاوَلَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الْعِي شِ تَقَعَّقَ مِنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ^(٦)

أَنْهَجَتْ بُرْدُهُ : يَرِيدُ بُرُودَهُ . وَ فَعْلٌ لَا يَجْمَعُ عَلَى فَعْلٍ .

وَالْبَارِضُ : أَوَّلُ مَا يَطْلُعُ مِنَ النَّبَاتِ وَهُوَ غَضُّ . يَرِيدُ أَنْ أَوَائِلَ الشَّيْبِ

قَدْ زَادَتْ عَلَيْهِ فِي الْكَثْرَةِ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى عَدْدِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ يَعْدُ الشُّعْرَاتِ

الْبَيْضِ فِي أَوَّلِ طُلُوعِ الشَّيْبِ .

(١) فِي الدِّيَّوَانِ وَأَمَالِي الْمُرْتَضَى « مِنْ وَصَل » .

(٢) فِي الشَّهَابِ « الْأَسْيَانُ وَالْأَسْوَانِ » : الْحَزِينِ . وَمَعْنَى أَسَافَ : ذَهَبَ مَالُهُ ، وَكَذَلِكَ أَنْفَضَ ،

وَجَمَلُهُمَا الْبَحْتَرَى هَهُنَا فِي مَنْ ذَهَبَ مِنْ يَدِهِ وَصَلَ الْحِسَانُ وَمِيلَهُنَ إِلَيْهِ » .

(٣) دِيَّوَانُ الْبَحْتَرَى ١٥٦ ، ٢ / ٧٣٥ وَأَمَالِي الْمُرْتَضَى ١ : ٦٢٤ وَالشَّهَابُ ٢٠ .

(٤) فِي الدِّيَّوَانِ « عَنِّي الْحَسَنَاءُ » وَفِي م « إِذَا » .

(٥) فِي الدِّيَّوَانِ « خَمْسِينَ حَيْثُ » .

(٦) فِي الدِّيَّوَانِ « مَنْ يَتَجَاوَزُ » .

وقوله : « تَقَعَّقَ مِنْ مَلَّةٍ عَمَدُهُ » أى عظامه يجيء لها صوت إذا قام أو قعد من الكبر والضعف^(١).

وقوله : « مِنْ مَلَّةٍ » : أى من تملّى العيش . يريد طوله ودوامه . ومنه تمليت حبيك^(٢).

وأخذ قوله^(٣) :

تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابَ ظَالِمَةٌ بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهُ^(٤)

[من] قول بشار :

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ
لَمَعَتْ إِلَى تَسْوَمُنِي شُرْخَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ^(٥)

(١) قال المرتضى : « ورأيت الآملى قد أخطأ فى معنى البيت الأخير .. والأمر بخلاف ما توهمه . ومعنى « تقعقع من ملّة عمده » أن من تطاول عمره تعجل ترحله وانتقاله عن الدنيا ، وكفى عن ذلك بتقعقع العمدة ، وهذا مثل معروف للعرب ، يقولون : من يتجمع يتقعقع عمده ؛ يريدون أن التجمع داعى التفرق وأن الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذى يتقعقع منه العمدة . والآملى على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب ، إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه ، وجهل أن معنى بيت البحتري يطابقه فهو أطرف » . ثم نقل كلامه هذا فى الشهاب .

(٢) قال المرتضى : « فأما قوله ”من ملّة“ فإنما أراد به : من ملل ، وملّة – فله – من الملل ، وكيف يكون من تملّى العيش ، ولم يسمع فى تمليت ”ملّة“ وهذا خطأ على خطأ » . ثم كرر هذا الكلام وبسطه فى الشهاب كذلك .

(٣) م « دمه قوله » .

(٤) م « ثم لا تجده » .

(٥) ديوان بشار ٢ : ٢٤ وزهر الآداب ١ : ٤١٩ وفى الأغاني « بعثت إلى » .

نزول الشيب قبل حينه

قال أبو تمام :

أَبَدْتُ أَسَى أَنْ رَأَيْتُنِي مُخْلَسَ الْقُصْبِ وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ^(١)
 سِتُّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَاتَّبَعُهَا إِلَى الْمَشِيبِ فَلَمْ تَظْلِمْ وَلَمْ تَحُبِّ^(٢)
 فَلَا يُورِّقُكَ إِيْمَاضُ الْفَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ^(٣)

يقال : رأس مُخْلَسٌ وَخَلِيسٌ : إذا اختلط به الشيب .

وَالْقُصْبُ جمع قُصْبَةٍ وهى خصلة الشعر . « وآل ما كان من عجب »
 بى ومحبة « إلى عجب » أى تعجب من شئ .

وقال :

شَابَ رَأْسِي . وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الْـ رَأْسٍ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ^(٤)
 وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُوَيْسٍ وَنَعِيمٍ - طَلَائِعُ الْأَجْسَادِ
 طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عَدَّ مِرْتُ شَيْئاً أَنْكَرْتُ لَوْنِ السَّوَادِ
 زَارَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَمِيمٍ عَمَّرْتُ مَجْلِسِي مِنْ الْعُودِ
 نَالَ رَأْسِي مِنْ ثَغْرَةِ الْهَمِّ لَمَّا لَمْ يَنْلُهُ مِنْ ثَغْرَةِ الْمِيلَادِ

(١) ديوان أبي تمام ١٥ وشرح التبريزي ١ : ١١٥ وأمالى المرتضى ١ : ٥٩٩ والشهاب ١٠

وسبق ص ١٩٢ .

(٢) م « ولم تجب » وفي شرح التبريزي « يقول : تدعوني إلى المشيب ست وعشرون سنة فأجيبها ، ولم تدعني إلى الشيب في غير وقته فتكون ظالمة لى جائزة على ، فإنى قاسيت من الدهر ما لو شبت معه في المهد لم ينكر » . « الحوب : الإثم » .

(٣) البيت في مجموعة الممانى ١٢٥ وفي م « فلا يروقك » .

(٤) ديوان أبي تمام ٧٥ وشرح التبريزي ١ : ٣٦٠ وأمالى المرتضى ١ : ٦١٢ والشهاب ١١ ومجموعة الممانى ١٢٥ .

فالأبيات الثلاثة الأولى من فلسفته الحسنة الصحيحة المستقيمة ، ومن مشهور إحسانه . وقد عابه قوم بقوله : « شيب الفؤاد » . وليس عندي بعيب ؛ لأنه لما كان الجالب للشيب القلب المَهمومُ نسب الشيب إليه على الاستعارة . وقد أحسن عندي ، ولم يسيء^(١) .

وقوله : « عَمَّرْتُ مَجْلِسِي مِنَ الْعَوَادِ » - معنى لا حقيقة له ؛ لأننا ، رأينا ، ولا سمعنا أحداً جاءه عواد يعودونه من الشيب ، ولا أن أحداً أمرضه الشيب ، ولا عزاه المعزون عن الشباب^(٢) .

وقال ابن حازم الباهلي :

أَلَيْسَ عَجِيباً بِأَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ^(٣)
فَمِنْ بَيْنِ بَاكِ لَهُ مُوجَعٌ وَبَيْنَ مُعْزٍ مُغْدٍ إِلَيْهِ
وَيَسْتَلْبُهُ الشَّيْبُ شَرْخَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

(١) راجع تعليق المرتضى في الشهاب ١١ .

(٢) قال المرتضى في أماليه ١ : ٦١٣ : « وهذا من الآملى قلة نقد الشعر ، وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ، ولم يرد أبو تمام العيادة الحقيقية التي ينشئ فيها العواد مجالس المرضى ذوي الأرجاع ، إنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة إلى الفرض خفية ؛ فكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارني كثر المتوجعون لي والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من مفارقتي ، فكأنهم في مجلسي عواد لي لأن من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع . وكنتي بقوله : « عمرت مجلسي من العواد » عن كثرة من تفجع له وتوجع من مشيبه . وهذا من أبي تمام في نهاية البلاغة والحسن ، وما المريب إلا من عابه وطن عليه . » وكلام المرتضى هذا في نهاية التفاهة والقبح ، وكأنه أحس بسقوط فأعاده في الشهاب ١٢ ، وزعم أنه كاف شاف ولكن « يمكن فيه وجه آخر ، وهو أن يريد بقوله : « عمرت مجلسي من العواد » الإخبار عن وجوب عيادته واستحقاقه لذلك بما نزل به ، فجعل ما يجب أن يكون كائناً - واقعاً . وهذا له نظائر كثيرة في القرآن وفي كلام العرب وأشعارهم ، قال الله عز وجل : « ومن دخله كان آمناً » وإنما المعنى : أنه يجب أن يأمن ، فجعل قوة الوجوب وال لزوم كأنه حصول وقوع ! ! ! وهذا الوجه أشد تفاهة من سابقه وأشنع قبحاً .

ولقد أثبت المرتضى بنقده هذا على أنه أجدر بالوصف الذي وصف به الآملى : من قلة النقد الشعر وضعف البصيرة بدقائق معاني الشعراء .

(٣) أمال القالي ١ : ١٠٩ و أمال المرتضى ١ : ٦٠٨ والشهاب ١١ .

فَأَحَبُّ أَبَوْتَمَامٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ عَادَاتِ بَنِي آدَمَ ، وَيَكُونَ أُمَّةً وَحْدَهُ .

وقوله : « نَالَ رَأْسِي مِنْ ثُغْرَةِ الْهَمِّ ... » بيت رَدِيٌّ ، بعيد المعنى .
ولكنه يقرب ويتخلص إذا وقع التَّائِي للعبارة عنه ، فأقول : إِنَّ الثُّغْرَةَ هِيَ :
الفرجة والثلمة تكون في الشيء ؛ ولذلك سُمِّي كُلُّ بَلَدٍ جَاوَرَ عَدُوًّا - ثُغْرًا
كَأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَكْشُوفٌ لِلْعَدُوِّ فَلِذَلِكَ قِيلَ : قَدْ سَدَّ الشَّجَرُ بِالرِّجَالِ . وَأَصْلُهُ
- وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ ثُغْرِ الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقَابِلُكَ مِنْ أَسْنَانِهِ ، وَأَوَّلُ
مَا يَظْهَرُ عِنْدَ الْكَلَامِ ، وَأَوَّلُ مَا يَسْقُطُ . فَبَرَى مَوْضِعَهُ مَثْلُومًا ، فَشَبَّهَ الثُّغْرَ
الَّذِي هُوَ الْبَلَدُ بِهِ . وَقَالُوا : قَدْ أَثْغَرَ الصَّبِي وَأَثْغَرَ . وَسُمِّيَتْ تِلْكَ الثُّغْرَةُ
فُرْجَةً فِي مَوْضِعِ السِّنِّ وَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ مُنْفَرَجٍ ، وَمِنْهُ ثُغْرَةُ النَّخْرِ .

فَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : « نَالَ رَأْسِي مِنْ ثُغْرَةِ الْهَمِّ » . أَيَّ وَجَدَ الشَّيْبُ مِنَ الْهَمِّ فُرْجَةً
دَخَلَ عَلَى رَأْسِي مِنْهَا . جَاءَ بِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ فِي الِاسْتِعَارَةِ ، وَالْهَمُّ يَشِيبُ لَا مُحَالَةً .
وقوله : « لَمَّا لَمْ يَنْلَهُ مِنْ ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ » . يَذْهَبُ فِي ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ إِلَى
الْوَقْتِ ، الَّذِي يَهْجُمُ عَلَيْهِ ^(١) فِيهِ الشَّيْبُ مِنْ عَمَرِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَجِدُ السَّبِيلَ فِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى الْحُلُولِ بِرَأْسِهِ ، فَجَعَلَهُ ثُغْرَةً حِينْتِئذٍ ، فَيَقُولُ : إِنْ الْمَشِيبُ
حَلَّ بِرَأْسِهِ مِنْ جِهَةٍ هَمُومَةٍ وَأَحْزَانَةٍ لَمَّا لَمْ يَبَاغِ السِّنُّ الَّذِي يُوجِبُ حُلُولَهُ
بِهِ مِنْ جِهَةٍ كَبِيرَةٍ ^(٢) .

وَكَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ أَنَّ يَقُولُ : مِنْ ثُغْرَةِ الْكِبَرِ ، أَوْ مِنْ ثُغْرَةِ السِّنِّ ،
لَا مِنْ ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ ^(٣) .

(١) م « يهجم على » .

(٢) من أول شرح الآمدي إلى هنا نقله المرتضى في أماليه ١ : ٦١٢-٦١٣ من غير إشارة إلى مصدره !

(٣) أما هذه الجملة فقد نقلها المرتضى في الشهاب ١٢ منسوبة للآمدي لأنه أراد نقدها بقوله :

« وهذا منه ليس بصحيح ؛ لأن العبارات الثلاث بمعنى واحد ، ويقوم بعضها مقام بعض ؛ لأن الميلاد
عبارة عن السن ، فن تقدمت سنة تقادم ميلاده ، ومن قربت سنة قصرت قصر وقرب زمن ميلاده » !

وكان يجب أيضاً أن يقول : حَلُّ برأسي ، أو تَزَلُّ (١) ؛ فإن هذه اللفظة هي المستعملة في مثل هذا دون قوله : « نال » . كأنه يجعل الشيب لم يَزَلْ يَتَرَصَّدُهُ ، وَيَتَطَلَّبُ فُرْصَةً منه ينتهزها في الدخول عليه وذلك لبعده - كان - عن الأفراح والمسار (٢) ، وكثرة أحزانه وهمومه . وليس لِثُغْرَةِ الصَّبِيِّ - وهو إِنْغَارُهُ إِذَا - سقط - سنه - هاهنا وجه ؛ لأنَّ الإنسان قد يشيب وهو حديث السن فأما في ذلك الوقت فلا .

وقال :

نَسَجَ الْمَشِيبُ لَهُ قِنَاعًا مُغْدِفًا يَقَقُّ فَقَنَعَ مِذْرَوِيَهُ وَنَصَفَا (٣)
نَظَرُ الزَّمَانِ إِلَيْهِ قَطَعَ دُونَهُ نَظَرَ الشَّفِيقِ تَحَسُّرًا وَتَلَهُّفًا
مَا أَسْوَدَ حَتَّى أَبْيَضَ كَالكَرَمِ الَّذِي لَمْ يَأْنِ حَتَّى جِيَءَ كَيْمَا يَقْطِفَا
لَمَّا تَفَوَّتَ الْخُطُوبُ سَوَادُهَا بِبَيَاضِهَا عَيْثُتْ بِهِ فَتَفَوَّفَا
مَا كَانَ يَخْطُرُ قَبْلَ ذَا فِي فِكْرَةٍ فِي الْبَدْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ أَنْ يُكْسِفَا

قوله : نَظَرُ الزَّمَانِ إِلَيْهِ . أى نَظَرُهُ بِالشَّيْبِ قَطَعَ دُونَهُ نَظَرَ الشَّفِيقِ عَنْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ فَيَتَحَسَّرَ عَلَيْهِ وَيَتَلَهَّفُ . وَإِنَّمَا أَرَادَ « قَطَعَ دُونَهُ » خَفِيفَةً فَثَقَلَهَا لِيَسْتَوِيَ لَهُ الْوِزْنُ . وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ التَّثْقِيلَ ، أَيْ أَنَّ الشَّفِيقَ الَّذِي كَانَ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَيُوَاصِلُهُ إِعْجَابًا بِهِ - صَارَ لَا بِمَلَأَ طَرَفَهُ لَمَّا شَابَ

(١) ونقل المرتضى هذه الجملة وعقب عليها بقوله : « والأمر بخلاف ما ظنه ؛ لأن الجميع واحد ،

وما نال رأسه فقد حل به ونزل » !

(٢) م « والمسار » .

(٣) ديوان أبي تمام ٤٠١ والشهاب ٤ وسبق الأول ص ١٩٠ .

تَحَسُّرًا وَتَأَسُّفًا ، كُلَّمَا نَظَرَ إِلَيْهِ أَعْرَضَ عَنْهُ إِعْرَاضَ آسَفٍ عَلَيْهِ ، لَا إِعْرَاضَ
بِغُضَةٍ وَشَنَاءَةٍ ، فَجَعَلَ ذَلِكَ الْإِعْرَاضَ عَنْهُ فِي أَوْقَاتِهِ تَقْطِيعًا لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ .

وقوله : « ما اسودَّ حتى ابيضَّ » . يريد سرعة مشيبه .

وقوله : « كَالْكَرْمِ الَّذِي لَمْ يَأْنِ حَتَّى جِيءَ كَيْمَا يُقْطَعَا »^(١) - كلام في
غاية القُبْحِ وَالْعَثَاثَةِ وَالْبَرْدِ^(٢) . كَأَنَّهُ جَعَلَ مَجِيءَ الْقَاطِفِ إِلَى الْكَرْمِ الَّذِي لَمْ
يُدْرِكْ لِيَقْطَعْهُ كَحُلُولِ الشَّيْبِ بِرَأْسِهِ قَبْلَ أَوَانِهِ لِيَفْنِيَ عَمْرَهُ .

وقوله : « لَمَّا تَفَوَّتِ الْخُطُوبُ سَوَادُهَا بِبَيَاضِهَا » . أَذَى لَمَّا اخْتَلَفَتْ
عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَوَفَّتْ رَأْسَهُ أَى خَلَطَتْ سَوَادَهُ بِبَيَاضِ الشَّيْبِ .
وقوله : « ما كان »^(٣) يَخْطُرُ قَبْلَ ذَا فِي فِكْرَةٍ . . . « بَيْتٌ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ فِي
غَايَةِ الْاضْطِرَابِ وَالسَّخَافَةِ »^(٤) .

وقال البحتري :

أَقُولُ لِلِّمَنِي إِذْ أَسْرَعَتْ بَنِي إِلَى الشَّيْبِ أَخْسَرِي فِيهِ وَخَيْبِي^(٥)
مُخَالَفَةً بِضَرْبٍ بَعْدَ ضَرْبٍ وَمَا أَنَا وَأَخْتِلَافَاتِ الضُّرُوبِ^(٦)
وَكَانَ جَدِيدُهَا فِيهَا غَرِيبًا فَصَارَ قَدِيمُهَا حَقُّ الْغَرِيبِ^(٧)

(١) م « يقطعا » .

(٢) قال المرتضى في الشهاب ، « ولعمري إنه لفظ غير مطبوع ، وفيه أدنى ثقل ، ومثل ذلك يغفر
لما لا يزال يتوالى من إحسانه ويترادف من تجويده » !

(٣) م « ما كاد » .

(٤) قال المرتضى « وليس الأمر على ما ظنه ؛ إذ البيت جيد ، وإنما ليس رونق الطبع فيه ظاهراً .
وليس ذلك بعيب » !

(٥) ديوان البحتري ٣٨٩ ، ١ / ٩٩ دار المعارف والشهاب ٢٠ .

(٦) م « واختلاف » .

(٧) في الديوان « وكان حديثها » .

قوله : وكان جليدها فيها غريباً - من قول أبي تمام :

طَالَ إنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عُمُ مَرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ^(١)

وبيت أبي تمام أجود .

وقول البحتري : «مُخَالَفَةٌ بِضَرْبٍ بَعْدَ ضَرْبٍ» - في غاية الحسن والصحة

والبراعة .

وقال البحتري :

هَلْ أَنْتَ صَارِفٌ شَيْبَةً إِنْ غَلَسَتْ فِي الْوَقْتِ ، أَوْ عَجِلَتْ عَنِ الْعِيَادِ^(٢)
جَاءَتْ مُقَدِّمَةً أَمَامَ طَوَالِعِ هَذِي تُرَاوِحُنِي ، وَتِلْكَ تُغَادِي
وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لِمَةٍ يُشْرِي جَدِيدَ بَيَاضِهَا بِسَوَادِ
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الصُّبَا بِمُخْلَفٍ لَهُوَ ، وَلَا زَمَنُ الصَّبَا بِمُعَادِ^(٣)
وَأَرَى الشَّبَابَ عَلَى غَضَارَةِ حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ عَدَدًا مِنْ الْأَعْدَادِ

قوله : « يشري » أى يبيع « جديد بياضها بسواد » يريد الخضاب ؛

لأنه قال : « لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الصُّبَا بِمُخْلَفٍ »^(٤).

(١) ديوان أبي تمام ٧٥ وسبق ص ٢١٢ .

(٢) ديوان البحتري ١٦٢ ، ٧٣١ / ٢ دار المعارف وآمال المرتضى ١ : ٦٢٢ والشهاب ٢٠ :

(٣) م « بمخلف بهوى » وفي الديوان « بمخلف فينا » .

(٤) أسقط المرتضى قول الأمدى : « لأنه قال . . » ثم نقده بقوله : في الشهاب ٢١ « ووجدت

الأمدى قد نزل في معنى قوله : « يشري » لأنه قال : معنى يشري : يبيع ، وأراد أن الغيب من ياع جديد بياضه بالسواد ، وأراد بالسواد الخضاب ، فكأنه ذم الخضاب . والأمر بخلاف ما ذكره ، وما جرى الخضاب ذكر ، ولا هنا موضع للكتابة عنه . ومعنى يشري هنا : يبتاع ، لأن قولهم : شريت ، يستعمل في البائع والمبتاع جميعاً . وهذا من الأضداد ، نص أهل اللغة على هذا في كتبهم . فكأنه شهد بالغيب لمن يبتاع الشيب بالشباب ويتعوض عنه . وإنما ذهب على الأمدى لفظة « يشري » تقع على الأمرين المضادين فتصحل ذكر الخضاب الذى لا معنى له هنا !

وقوله : « عَدَدًا مِنَ الْأَعْدَادِ » ، أى عَدَدًا قليلا يسيرًا ^(١) .

وقال :

مَا كَانَ شَوْقِي بِبِدْعِ يَوْمَ ذَاكَ وَلَا دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الْهَوَى سَفِيحًا ^(٢)
وَلَمَّةٌ كُنْتُ مَشْغُوفًا بِجِدَّتِهَا فَمَا عَفَا الشَّيْبُ لِي عَنْهَا ، وَلَا صَفَحَا

وهذا من إحسانه المشهور :

ووجدت في ديوان أبي تمام في الخضاب ، وهو يشبه كلامه ، وأظنه

منحولاً ^(٣) :

فَإِنْ يَكُن الْمَشِيبُ طَرَا عَلَيْنَا وَأَوْدَى بِالْبَشَاشَةِ وَالشَّبَابِ
فَإِنِّي لَسْتُ أَذْفَعُهُ بِشَيْءٍ يَكُونُ عَلَيْهِ أَثْقَلُ مِنْ خِضَابِ
أَرَادَ بَأْنِ ذَاكَ وَذَا عَذَابٍ فَيَنْتَقِمُ الْعَذَابُ مِنَ الْعَذَابِ ^(٤)

وقال البحتري :

لَوْ رَأَتْ حَادِثَ الْخِضَابِ لَأَنْتَ وَأَرَنْتَ مِنْ أَحْمِرَارِ الْيَرْنَا ^(٥)

وقال :

قَالَتِ الشَّيْبُ أَتَى قُلْتُ : أَجَلُ سَبَقَ الْوَقْتَ ضِرَارًا وَعَجَلُ ^(٦)

(١) نقلها المرتضى وعقب عليها بقوله : « وقد أصاب في ذلك إلا أنه ما ذكر شاهده ووجهه »

ثم ذهب ليسرد شواهد !

(٢) ديوان البحتري ٥٦ و ١ / ٤٤٠ دار المعارف وآمال المرتضى ١ : ٦٢٥ والشهاب ٢١ .

(٣) في الشهاب ١٣ « وله ، وقيل : إنه منحول في ذكر الخضاب » .

(٤) في الشهاب « أردت بأن » .

(٥) ديوانه ٣٥٨ وسبق من ٢٠٩ .

(٦) ديوانه ٣٣١ والشهاب ٢١ ونفى الأول من ١٩٣ .

وَمَعَ الشَّيْبِ عَلَى عِلَالِهِ مُهَلَّةٌ لِلْمَرْءِ حِينًا وَالْغَزَلُ^(١)
خَيَّلَتْ أَنَّ التَّصَابِي خَرَقُ بَعْدَ خَمْسِينَ ، وَمَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ

وقال :

تَزِيدُنِي الْأَيَّامُ مَغْبُوطَ عَيْشَةٍ فَيَنْقُصُنِي نَقْصُ اللَّيَالِي مُرُورُهَا^(٢)
وَالْحَقَنِي بِالشَّيْبِ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَنَاقِلُ فِي عَرْضِ الشَّبَابِ أَسِيرُهَا
مَضَتْ لِي سَوَادَ اللَّيْلِ أَوَّلَى بَطَالَتِي فَدَعَنِي بِصَاحِبِ وَخَطَ شَيْبِي أَخِيرُهَا^(٣)

يقول : إذا زادتني الأيام شيئاً من غبطة العيش اجتمعت مع الليالي
على انتقاصه ، أي ارتجاعه . والمناقل : جمع منقلة ، وهي المرحلة من
مراحل السفر^(٤) .

وعقر الدار ، وعقرها - بالفتح والضم - أضلها .

وهذا من بارع لفظه وفصيحته وبليغته .

ومن هذا الباب ، ويصلح أن يُثَبَّتَ في الباب الذي بعده - قول آخر :
نَزَلَ الشَّيْبُ بِعَارِضَةٍ يَ ، وَضِقتُ ذَرْعًا بِالشَّيْبِ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بُ بَكَا الْمُحِبُّ عَلَى الْحَبِيبِ

(١) في الديوان الشهاب « مهلة لهر » .

(٢) ديوان البحري ٦٠٤ ، ٢ / ٩٩٨ والشهاب ٢٢ .

(٣) في الديوان « مضت في سواد الرأس » وفي الشهاب « في سواد الشعر » .

(٤) عقب المرتضى على هذا بقوله : « وغير هذا التأويل الذي ذكره أولى منه ، وهو أن يكون المراد
أن الأيام إذا زادتني غبطة في العيش نقصني ذلك مرورها . ويريد بقوله : « نقص الليالي » كما تنقص
الأيام من الليالي ؛ لأن الأيام تأخذ من الليالي وتنقصها . وهذا التأويل أشبه بالصواب من تأويله »
والحق ما ذهب إليه المرتضى .

دَاءٌ عِيَاءٌ لَيْسَ مِنْهُ مَا أَشْتَكِيهِ إِلَى الطَّبِيبِ
مَا لِلْمَشِيبِ بَكَيْتُ لَ كِنْ خَشْيَةَ الْأَجْلِ الْقَرِيبِ

وما أحسن ما قال عمرو بن المُبَارَك الخُزَاعِيُّ في هذا :

مَنْ لِأُذُنِي بِمَلَامٍ وَلِكَفِّي بِمُدَامٍ
رَقُّ عَظْمُ الْجَهْلِ مِنْهُ وَأَنْحَنِي مَتْنُ عُرَامِي
وَتَمَشِّي السِّيفُ مِنْ شَيْءٍ بِي إِلَى شَيْبِي التُّوَامِ
نَظْمَكَ الدُّرُّ إِلَى الدُّرِّ رَةِ فِي سِلْكِ النَّظَامِ

ومما لا شيء أجود منه في معناه قول الآخر . ولا تشبينه شهرته :

أَلْقَى عَصَاهُ ، وَأَرْخَى مِنْ عِمَامَتِهِ وَقَالَ ، ضَيْفٌ ، فَقُلْتُ : الشَّيْبُ قَالَ : أَجَلٌ^(١)
فَقُلْتُ : أَخْطَأْتُ دَارَ الْحَيِّ . قَالَ لَقَدْ تَمَّتْ لَكَ الْأَرْبَعُونَ الْوَفْرَ ثُمَّ نَزَلَ^(٢)
فَمَا شَجِيتُ بِشَيْءٍ مَا شَجِيتُ بِهِ كَأَنَّمَا أَعْتَمُ مِنْهُ مَقْرِفِي بِجَبَلٍ

وقد تصرف البحتري في هذا الباب تصرفاً حسناً .

ولولا قول أبي تمام : « فَلَ يُورِّقُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ » .

وقوله : « شَابَ رَأْسِي » . والبيتان بعده - لفضلت البحتري عليه في

فتنانه ، وبراعة لفظه ، وسلامة معناه . لكنني أجعلهما متكافئين .

(١) لعل بن جبلة ، وربما رويت للعليل ، كما في الشهاب ٢٢ .

(٢) في الشهاب « قَالَ وَلَمْ مَضَتْ لَكَ » .

البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا

قال أبو تمام :

أَصْبَحَتْ رَوْضَةُ الشَّبَابِ هَشِيمًا وَغَدَتْ رِيحُهُ الْبَلِيلُ مَسُومًا^(١)

وقال البحتري :

خَلَقُ الْعَيْشِ فِي الْمَشِبِّ وَإِنْ كَا نَ نَضِيرًا ، فِي الشَّبَابِ جَدِيدُهُ^(٢)
لَيْتَ أَنَّ الْأَيَّامَ قَامَ عَلَيْهَا مَنْ إِذَا مَا أَنْقَضَى زَمَانُ يُعِيدُهُ
وَلَوْ أَنَّ الْبَقَاءَ يَخْتَارُ فِينَا كَانَ مَا تَهْدِمُ اللَّيَالِي تَشِيدُهُ
شَيَّبَتْنِي الْخُطُوبُ إِلَّا بَقَايَا مِنْ شَبَابٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَرِيدُهُ^(٣)
لَا تُنْقِبُ عَنِ الصُّبَا فَخَلِيقُ إِنْ طَلَبْنَاهُ أَنْ يَعِزَّ وَجُودُهُ^(٤)

وهذا من الحلاوة والحسن على ما تراه .

وقال ، وقد مضت في باب آخر^(٥) :

أَبْشُرْنِي الشَّبَابُ أَمْ مَا تَوَلَّى مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بِيضُ أَسْوَةٌ الْعَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سُودُ

ومن جيد هذا الباب قول كثير :

وَكَانَ الصُّبَا خِزْنَ الشَّبَابِ فَأَصْبَحَا وَقَدْ تَرَكَايَ فِي مَغَانِيهِمَا وَخَلَدَى

(١) ديوان أبي تمام ٢٩١ وشرح التبريزي ٢ : ٢٢٣ .

(٢) ديوان البحتري ١٨٨ ، ٨٥٢ « ولو كان » والشهاب ٢٣ .

(٣) م « شيبني المشيب » وفي الديوان « سيختي الخطوب » .

(٤) م « إن بقاء » .

(٥) باب كره النساء للمثيب ص ٢٠٨ .

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَطَائِفُ جَنَّةٍ نَأْوِيَنِي أَمْ لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ وَجْدِي

وقال البحتري :

أَوَاخِرُ الْعَيْشِ أَخْبَارٌ مُكَرَّرَةٌ وَأَقْرَبُ الْعَيْشِ مِنْ لَهْوٍ أَوَائِلُهُ^(١)
يَجْرِي الشَّبَابُ إِذَا مَا تَمَّ تَكْمِلُهُ وَالشَّيْءُ يُنْفِذُهُ نَقْصًا تَكَامُلُهُ^(٢)
وَيُعَقِّبُ الْمَرْءَ بُرْمًا مِنْ صَبَابَتِهِ تَجْرُمُ الْعَامُ يَمْضِي ثُمَّ قَابِلُهُ^(٣)
إِنْ فَرَّ مِنْ عَنَتِ الْأَيَّامِ حَازِمُهَا فَالْحَزَمُ فَرُّكَ مِمَّنْ لَا تُقَاتِلُهُ^(٤)
وَإِنْ أَرَابَ صَدِيقِي فِي الْوِدَادِ فَكَمْ أَمْسَيْتُ أَحَدَرُ مَا أَصْبَحْتُ أَمْلُهُ

وقال :

أَمَّا الشَّبَابُ فَقَدْ فَنَيْتُ بِغَضِّهِ وَحَطَّطْتَ رَحْلَكَ مُسْرِعًا عَنْ نُقْضِهِ^(٥)
وَأَقَامَ مُشْتَاقٌ ، وَأَقْصَرَ عَاذِلٌ أَرْضَاهُ فِيكَ الشَّيْبُ إِذْ لَمْ تُرْضِهِ^(٦)
شَعْرٌ صَحِجْتُ الدَّهْرَ حَتَّى جَازَنِي مُسَوِّدُهُ الْأَقْصَى إِلَى مُبَيِّضِهِ^(٧)
فَعَلَى الصَّبَا الْآنَ السَّلَامُ وَلَوْعَةٌ تَشْنِي عَلَيْهِ الدَّمْعَ فِي مُرْقَضِهِ^(٨)
وَلَيَقَنَّ تَفَّاحُ الْخُدُودِ فَلَسْتُ مِنْ تَقْبِيلِهِ غَزَلًا وَلَا مِنْ غَضِّهِ^(٩)
أَيُّ فَعْلِيهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِ لَوْعَةٌ .

(١) ديوان البحتري ٧٨٩ والشهاب ٢٣ .

(٢) في الديوان « يتفد نقصاناً » .

(٣) في الديوان « يأتي ثم » .

(٤) في الديوان « أفرك » .

(٥) ديوانه ٢٨٨ ، ١٩٥/٢ دار المعارف والشهاب ٢٣ وفيها « فقد سبقت » .

(٦) فيها « وأفاق مشتاق » وفي م « أن لم » .

(٧) في الديوان « جازي » .

(٨) م « من مرقضه » .

(٩) وليقن : أي وليحفظ .

وقال :

وَصَالَ سَقَانِي الْخَبْلَ صِرْفًا وَلَمْ يَكُنْ لِيَبْلُغَ مَا أَدَّتْ عَقَابِيلُهُ الْهَجْرُ^(١)
 وِبَاقِي شَبَابٍ فِي مَشِيبٍ مُغْلَبٌ عَلَيْهِ اخْتِئَاءُ الْيَوْمِ يَكْثُرُهُ الشَّهْرُ^(٢)
 وَلَيْسَ طَلِيقًا مَنْ يَرْوَحُ أَوْغَدًا يَسُومُ التَّصَابِي ، وَالْمَشِيبُ لَهُ أَسْرُ
 تَطَاوَحَنِي الْعَصْرَانِ فِي رَحْوَيْهِمَا يُسَيِّبُنِي عَصْرٌ ، وَيَقْلَعُنِي عَصْرُ^(٣)
 مَتَاعٌ مِنَ الدُّنْيَا اسْتَبَدَّ بِجِدَّتِي وَأَعْظَمُ جُزْمِ الدَّهْرِ أَنْ يُمْتَعَ الدَّهْرُ^(٤)

قوله : « وَصَالَ سَقَانِي الْخَبْلَ صِرْفًا » . يريد أنه لما جاده المشيبُ
 حزن على الوصل ، وأسف أسفًا شديدًا ؛ لأنه ليس يجد له مثل ما كان ،
 ولأنَّ محبوبه إن واصل [واصل] تكلفا ، وإن^(٥) ذلك لا بقاء له ، وإنه
 ذاهب حتى إن عقابيله - وهي أواخره وبقاياها - لو كان مكانها الهجر لما بلغ
 من خبله ما بلغت .

وقوله : « مُغْلَبٌ عَلَيْهِ اخْتِئَاءُ الْيَوْمِ » . فالاختِئَاءُ : الانخزال والتهيبُ
 من الشيء ، والخشوع له . يريد كاختِئَاءِ اليوم إذا كثره الشهر فكثرت ؛
 لأنَّ يومًا لا يكون كشهري في المكاثرة والمفاخرة^(٦) .

وقال :

تَقْضَى الصُّبَا إِلَّا نَلُومَ رَاحِلٍ وَأَغْنَى الْمَشِيبُ عَنْ مَلَامِ الْعَوْدِلِ^(٧)
 وَتَأْبَى صُرُوفُ الدَّهْرِ سُودًا شُخُوصَهَا عَلَى الْبَيْضِ أَنْ يَحْظِينَ مِنْهُ بِطَائِلِ

(١) ديوان البحري ٢٤٢ ، ٢ / ٨٧٠ دار المعارف والشهاب ٢٣ وفي م « عقابيله الدهر » .

(٢) بث الوليد ١١٣ .

(٣) في الديوان والشهاب « ويملقني عصر » وفي م « تشي عصر » .

(٤) في الديوان « متاع من الدهر » وفي الشهاب « لم يمتع » .

(٥) م « ولو » .

(٦) راجع الشهاب ٢٤ .

(٧) ديوانه ٦٢٨ والشهاب ٢٤ .

يُحَاوِلُنَ عِنْدِي صَبْوَةً وَإِخَالِنِي عَلَى شُغْلٍ مِمَّا يُحَاوِلُنَ شَاغِلٍ
رَمَى رَزَايَا صَائِيَاتٍ كَأَنِّي لِمَا أَشْتَكِي مِنْهَا رَمَى جَنَادِلٍ

وقال :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ كَانَ يَنْزَجِرُ وَوَاعِظٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرٌ^(١)
أَبْيَضٌ مَا أَسْوَدَ مِنْ قَوْدِيهِ وَارْتَجَعَتْ جَلِيَّةُ الصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ السَّحَرُ
وَلِلْفَتَى مُهَلَّةٌ فِي الْعَيْشِ وَاسِعَةٌ مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاحِي رَأْسِهِ الشَّعْرُ^(٢)

قوله : « ارتجعت جليئة الصبح ما قد أغفل السحر » - قريب من قوله :
تَزِيدُنِي الْأَيَّامُ مَغْبُوطَ عَيْشَةٍ فَتَنْقُصُنِي نَقْصَ اللَّيَالِي مُرُورُهَا^(٣)

وقال :

أَيَا صَاحِبِي إِمَّا أَرَدْتَ صَحَابَتِي فَكُنْ مُقْصِرًا ، أَوْ مُغْرَمًا مِثْلَ مُقْصِرٍ^(٤)
فَإِنِّي إِنْ أَزِمْتَ غُدُوءًا لِطِبْنِي أَغْلَسَ ، وَإِنْ أَجْمَعْتَ رَوَاحًا أَهَجِّرُ
وَمَا يَقْرُبُ الطِّيفُ الْعُلَمُ رَكَائِبِي وَلَا يَغْتَرِبُنِي الشُّوقُ مِنْ حَيْثُ يَغْتَرِي
مُسْقِينَا جَنَى السُّلُوفَانِ أَمْ شَغَلَ الْهَوَى عَلَيْنَا بَنُو الْعِشْرِينَ مِنْ كُلِّ مَعْشَرٍ

وما قيل في هذا الباب كقول ابن حازم^(٥) الباهلي ، ومنصور النعمري .

(١) ديوان البحري ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٢ دار المعارف والشهاب ٢٤ وفيها « وبالغ منه » .

وسبق ص ١٩٤ .

(٢) في الديوان « مهلة في الحب » .

(٣) سبق ص ٢١٩ وقد قال المرتضى بعد ذلك « إن الأمر بخلاف ما ظنه ، ولا نسبة بين الموضعين لأن أحد البيتين تضمن أن الذي يزیده هو الذي ينقصه . والبيت الآخر تضمن أن الصبح ارتجع بوضوح وجليته ما أغفله السحر وتركه من السواد الرقيق اليسير . فالمرتجع غير المعطى وهنا » .

(٤) ديوانه ٢١٥ . ٢ / ١٠٦١ .

(٥) م « ابن الحازم » .

قال ابن حازم :

عَهْدَ الشَّبَابِ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي حَزَنًا مَا جَدَّ ذِكْرُكَ إِلَّا جَدًّا لِي تُكَلُّ^(١)
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا مِنْ الشَّبَابِ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ بَدَلُ^(٢)
يَكْفِيكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَانِيَةٍ وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٣)

وقال منصور :

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ^(٤)
بَانَ الشَّبَابُ وَفَاتَنِي بِشِرَّتِهِ صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامٍ لَهَا خُدَعُ
مَا كِدْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ غُرَّتِهِ حَتَّى أَنْقُضِي فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ

وأنشد إسحق الموصلي :

لَعَمْرِي لئنْ حُلْتُ عَنْ مَنْهَلِ الصَّبَا لَقَدْ كُنْتُ وَرَادًا لِمَشْرِبِهِ الْعَذْبِ^(٥)
لِيَالٍ أَمْشِي بَيْنَ بُرْدَى لَاهِيَا أَمِيسُ كَغُضَنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرُّطْبِ
سَلَامٌ عَلَى سَبْرِ الْقِلَاصِ مَعَ الرُّكْبِ وَوَصَلَ الْغَوَانِي وَالْمُدَامَةِ وَالشَّرْبِ^(٦)
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةُ سِوَى نَظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ

(١) الأغاني ١٢ : ١٩ وأمال المرتضى ١ : ٦٠٦ .

(٢) حجة ابن الشجري ٢٢٩ .

(٣) في الزمرة ٢٢٨ « كفلك بالشيب » .

(٤) الأغاني ١٢ : ١٥٩ وأمال المرتضى ١ : ٦٠٦ والزمرة ٢٤٢ وق م « إذا رأيت شباباً » .

(٥) الشعر لإسحاق في الكامل ٢ : ٦٦٥ ومعجم الأبيات ٦ : ٦٢ وأمال ابن الشجري ١٨٤ وهو

غير منسوب في البيان والتبيين ٣ : ٢٤٢ والآمنة والأمكة ٢ : ٢٤٨ وأمال المرتضى ١ : ٦٠٦ ومعنى

حلت : منعت .

(٦) الشرب : جمع شارب .

الاعتذار من الشيب

قال البحرى :

رُبَّ عَيْشٍ لَنَا بِرَأْمَةٍ رَطَبِ وَلَيَالٍ فِيهَا طَوَالٍ قِصَارِ^(١)
 قَبْلَ أَنْ يُقْبَلَ الْمَشِيبُ وَتَبْدُو هَفَوَاتُ الشَّبَابِ فِي إِذْبَارِ^(٢)
 كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلَكِنْ أَعُوزَ الْعُذْرُ مِنْ بَيَاضِ الْعِذَارِ
 كَانَ حُلُوءًا هَذَا الْهَوَى وَأَرَاهُ صَارَ مُرًّا وَالسُّكْرُ قَبْلَ الْخُمَارِ^(٣)

قوله : « كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ » مقبول ونافع ناجع سوى العذر من الشيب . أو كل عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ موجودٌ ممكن ، غير العذر من الشيب ، فإنه غير موجود^(٤) . وهذا أليق وأشبهه .

وقال :

وَحُمِلْتُ عِنْدَكَ ذَنْبَ الْمَشِيبِ بِحَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ الْمَشِيبَا^(٥)

(١) ديوان البحرى ٤٤٥ ، ٢ / ٩٨٦ دار المعارف والشهاب ٢٥ والزهرة ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) فى الديوان « المشيب وتبدو » .

(٣) فى الديوان « عاد مرا » .

(٤) الشهاب ٢٥ .

(٥) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف .

مدح الشيب والتعزى عنه

قال البحتري :

عَبَّرْتَنِي الشَّيْبَ وَهِيَ بَلَقَتْهُ فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ^(١)
لَا تَرْنِي غَارًا فَمَا هُوَ بِالشَّيْبِ بِلَِّ وَلَكِنَّهُ جِلَاءُ الشَّبَابِ
وَبَيَاضُ الْبَازِيٍّ أَصْدَقُ حُسْنًا لَوْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ^(٢)
قوله « بَدَتْهُ » . أراد بدأته فترك الهمز . يقال : بدأت بالأمر ،
وأبدأته .

وقوله : « وَلَكِنَّهُ جِلَاءُ الشَّبَابِ » - من معانيه التي تستحسن .

وقال أبو تمام :

أَبَدَتْ أَسَى إِذْ رَأَتْنِي مُخْلَسَ الْقُصْبِ وَعَادَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبِ^(٣) -
سِتُّ وَعَشْرُونَ . تَدْعُونِي وَأَتَّبِعُهَا إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظْلِمَ وَلَمْ تَحُبِ^(٤)
فَلَا يُورِّقُكَ لِيَمَاضٍ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ أَبْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ

وقد مرت في باب « [نزول] الشيب قبل حينه »^(٥) .

(١) ديوان البحتري ٥٦٣ ، ١ / ٨٤ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ / ٦٠٠ والشهاب ٢٥ وفي

م « وهي جنته » .

(٢) في الديوان وأمالى المرتضى « إن تأملت »

(٣) ديوان أبي تمام ١٥ وشرح التبريزي ١ / ١١٥ وأمالى المرتضى ١ / ٥٩٩ والشهاب ١ / ٠

وعيون الأخبار ٤ / ٥٣ .

(٤) م « فلا يورقك » .

(٥) راجع ص ٢١٢ .

وقوله : « فَإِنَّ ذَاكَ أَبْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ » - أحسن من قول البحتري :
« جَلَاءُ الشَّبَابِ » ، وأجود وأبرع وأصح معنى .

وقال البحتري :

هَذَا هُوَ الشَّيْبُ لَا تِمًّا فَأَفِيقِي وَأَتْرِكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ^(١)
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى وَتَلَاقَى مِنْ أَشْنِيَاكِ الْمَشُوقِ
عَذَلْتَنَا فِي عِشْقِهَا أَمْ عَمِرُوا هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْمَعْشُوقِ
وَرَأَتْ لِمَّةً أَلَمَ بِهَا الشَّيْبُ بُ فَرِيعَتُ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقِ
وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَقَاصِي لِأَبْصَرُ تِ أَنْيَقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أَنْيَقٍ^(٢)
وَسَوَادُ الْعُيُونِ لَوْ لَمْ يُكْمَلْ بِبَيَاضِ مَا كَانَ بِالْمَرْمُوقِ^(٣)
وَمَزَاجُ الصُّهْبَاءِ بِالمَاءِ أَمَلَى بِصَبُوحِ مُسْتَحْسَنِ وَغُبُوقِ
أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ أَوْ سَحَابٍ يَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ

هذا إنما يُخْرِجُهُ الشَّاعِرُ وَأَشْبَاهُهُ مَخْرَجُ النَّادِرَةِ فَيُسْتَحْسَنُ .

وأخذ قوله : « أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ » من قول الآخر :

أَشْيَبُ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حَقَّوَهُ وَلَمْ يَمُضْ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَلِيلٌ^(٤)

(١) ديوان البحتري ٤٣٥ ، ١٤٨٥ وأمال المرتضى ١ : ٦٠٦ والشهاب ٢٥ وحاسة ابن

الشجري ٢٤٣ .

(٢) م « غير الأنيق » .

(٣) في الديوان « لو لم يحسن » .

(٤) البيتان من غير نسبة في حاسة ابن الشجري ٢٤٤ ومجموعة المعاني ٢٥ والفرزدق ، كما في
عيون الأخبار ٤ : ٥٢ ونقله للمرتضى في أماليه ١ : ٦٠٦ هذا وقد قال المرتضى عقب نقله لكلام الأمل
في الشهاب ٢٦ : « وقد قلنا إنه لا ينبغي أن يقال أخذ فلان كذا من فلان ، وإنما يقال في البيت :
نهما يتشاهان ويتشاكلان وإن هذا نظير ذلك ولا يراد على هذا » .

تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي السَّوَادِ لَوَامِعٌ وَمَا خَيْرَ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نُجُومٌ^(١)

وقال آخر في مدح الشيب :

لَا يَرُعُكَ الْمَشِيبُ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ فَالشَّيْبُ حِلْيَةٌ وَوَقَارٌ^(٢) .
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ضَحِكْتَ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

وما أحسن ما قال امرؤ القيس ، وأجوده وأصحّه في التعزّي عن المشيب :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنُودٌ وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طَوْلٌ عُمُرٍ وَمَلْبَسًا^(٣)

وقال آخر . ومن هذا أَخَذَ هُوَ وَغَيْرُهُ :

وَالشَّيْبُ إِنْ يَحُلُّ فَإِنْ وَرَاءَهُ عُمُرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسٌ^(٤)

(١) قال المرتضى بعد كلامه السابق . ويشبه قول البحري : « ولعمري . . . قول الشاعر :

لا يرعك . . . » دون أن يشير إلى نقله من الأندلس .

(٢) البيتان لعل بن الجهم ، كما في حاشية ابن الشجري ٢٤٤ وهما من غير نسبة في أمالي النقال

١ : ١١٢ « جلة ووقار » ونقلهما المرتضى في أماليه ١ : ٦٠٢ والشهاب ٢٦ وأحسن ما سمعت ١٢٤ .

(٣) ديوان امرئ القيس ١٠٨ .

(٤) البيت لفيلان بن سلعة ، كما في عيون الأخبار ٤ : ٤٢ ولشاعر ثقيف في الجاهلية ، كما

قال عبد الملك بن مروان ، كما في خبر رواه أبو الفرج الأصفهاني ١١ : ١٠٢ وغير منسوب في أمالي

النتال ١ : ١١٢ وأمالي المرتضى ١ : ٥٩٦ والشهاب ٨٥ .

ذكر الكبير وشكوى الدهر وتغير الحال

قال أبو تمام (١) :

.....
.....

وقال البحتري :

فَإِنْ سَتُّ سِتُّونَ أَسْتَقَلَّتْ	فَلَا كَرَّتْ بَطْلَعَتِهَا الْخُطُوبُ (٢)
لَقَدْ سَرَّ الْأَعَادَى فِيَّ أَنِّي	بِرَأْسِ الْعَيْنِ مَحْزُونٌ كَثِيبُ
وَأَنِّي الْيَوْمَ عَنْ وَطْنِي شَرِيدُ	وُسِّتْتُ دُونَ بُغْيَتِي الْحُرُوبُ (٣)
عَلَى حِينٍ أَسْتَسِمُّ الْوَهْنُ عَظْمِي	وَأَعْطَى فِيَّ مَا أَحْكَمَ الْمَشِيبُ
وَقَدْ يَرُدُّ الْمَنَاهِلَ مِنْ يُحَلَا	عَلَى ظَمًا ، وَيَغْنَمُ مَنْ يَخِيبُ
وَأَيْسَرُ فَائِتٍ خَلْفًا سَرِيعًا	رَقَابُ الْمَالِ يُرْزَوُّهَا الْكُسُوبُ
فَمَنْ ذَا يَسْأَلُ الْبَجْلَى عَمَّا	يَذُمُّ مِنْ اخْتِيَارِي أَوْ يُعِيبُ
يُعْنِفُنِي عَلَى بَغَّتَاتِ عَزْمِي	وَكُنْتُ وَلَا يُعْنِفُنِي الْأَرِيبُ
وَقَدْ أَكْدَى الصُّوَابُ عَلَى حَتَّى	وَدِدْتُ بَأَنَّ شَانِيئِي الْمُصِيبُ
لَعَلَّ [أَخَاكَ] يَرْقُبُ أَنْ تُطَاطِي	لَهُ مِنِّي النَّوَائِبُ إِذْ تَنْوِبُ (٤)
فَأَيْنَ النَّفْسُ ذَاتُ الْعَزْمِ عَمَّا	تَسْكَعُ فِيهِ وَالصَّدْرُ الرَّحِيبُ (٥)

(١) بياض بالأصل .

(٢) ديوان البحتري ٤٨٤ ، ١ / ٢٥٨ دار المعارف والأريمة الأول في الشباب ٢٦ .

(٣) هذا البيت ملحق ، فمجز صدره : « بلا جرم ومن مالى حريب » وصدر عجزه « تعاطفت

الحوادث حول حطى » .

(٤) الزيادة من الديوان .

(٥) في الديوان « ذات الفضل » .

وقال :

سَيْثُلِجُ صَدْرِي الْيَأْسُ ، وَالْيَأْسُ مِنْهُلُ
قَنِعْتُ عَلَى كُرْهِ ، وَطَاطَأْتُ نَاطِرِي
وَلَجَلَجْتُ فِي قَوْلِي وَكُنْتُ مَتَى أَقْلُ
يَظُنُّ الْعِدَى أَنِّي فَنَيْتُ وَإِنَّمَا
نَضَوْتُ الصَّبَا نَضَوَ الرَّدَاءُ وَسَاءَ نِي
مَضَى جَعْفَرُ وَالْفَتْحُ بَيْنَ مَرْمَلِ
أَطْلُبُ أَنْصَارًا عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَمَا
أَوْلَيْتُكَ سَادَاتِي الَّذِينَ بَرَأِيَهُمْ
مَضَوْا أَمَّا قَصْدًا وَخُلِفْتُ بَعْدَهُمْ

وهذا من إحصائه المشهور .

وقال :

وَمُعِيرِي بِالْدَّهْرِ يَعْلَمُ فِي غَدِ
أَبْنَى إِنِّي قَدْ نَضَوْتُ بَطَالَتِي
نَظَرْتُ إِلَى الْأَرْبَعُونَ فَأَصْرَخْتُ
وَأَرَى لِدَاتِ أَبِي تَتَابَعَ كُرْهُهُمْ
وَمِنَ الْأَقَارِبِ مَنْ يُسَرُّ بِمِيتَتِي

أَنَّ الْحَصَادَ وَرَاءَ كُلِّ نَبَاتٍ (١)
فَتَحَسَّرْتُ ، وَصَحَوْتُ مِنْ سَكَرَاتِي
شَيْبِي ، وَهَزْتُ لِلْحَنُوءِ قَنَاتِي
فَمَضَوْا ، وَكَرَّ الدَّهْرُ نَحْوَ لِدَاتِي
سَفَهَا وَعِزُّ حَبَاتِهِمْ بِحَيَاتِي

(١) ديوان البحري ٦٤٥ ، ١٧/١ دار المعارف . والآيات الأربعة التي تليه في الشهاب ٢٦ .

(٢) ديوانه ٤٥٥ ، ١/٣٦٤ والشهاب ٢٦ .

وقال :

عَقَلْتُ فَوَدَّعْتُ التَّصَابِي وَإِنَّمَا تَصَرُّمٌ لَهْوِ الْمَرْءِ أَنْ يَكْمُلَ الْعَقْلُ^(١)
أَرَى الْحِلْمَ بُؤْسَى فِي الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا جَبَّكَ بِهِ الْجَهْلُ
وهذا إحسان البحتری الذي لا يفی ببراعة معناه شيء .

باب

فى ذكر الزمان : وذكر ظلمه واعوجاجه ، وتعذر الرزق
على ذوى الحزم والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز ،
وفى التعزى والصبر والقناعة . وما قالاه فى ضد ذلك
من بعد الهمة . والنهوض فى طلب الرزق ، والسير
على الإبل . وقطع الفيافى . وفى مواعظ وآداب .

وأفتح هذا الباب بأبيات الابتدآت فى نحو هذه المعانى .

ولا أعرف لأبى تمام فى شىء من هذا [شعراً] .

ووجدت للبحتري فى ذم الزمان هذه الأبيات :

لَا الدَّهْرُ مُسْتَنْفَدٌ وَلَا عَجَبٌ تَسُومُنَا الْخَسْفَ كُلُّهُ ذُرْبَةٌ^(١)

[وقال]^(٢) :

مَنْ قَائِلٌ لِلزَّمانِ مَا أَرَبُهُ فِي خُلُقِي مِنْهُ قَدْ خَلَا عَجَبُهُ^(٣)

وقال :

مَعَ الدَّهْرِ ظَلَمٌ لَيْسَ يُقْطَعُ دَائِبُهُ وَحُكْمٌ أَبَتْ إِلَّا أَنْوَجَا جَوَانِبُهُ^(٤)

(١) ديوان البحتري ٢٠٤ ، ١٠ / ٢٠٧ دار المعارف .

(٢) زيادة لازمة .

(٣) ديوانه ١٩٧ ، ١٠ / ٢٧٧ .

(٤) ديوانه ١٥٨٨ / ٢١٩ « يقلع راتبه » .

[وقال (١)] :

إِسَاءَةُ دَهْرٍ بَرَّحَتْ بِي نَوَائِبُهُ وَخَطْبُ زَمَانٍ بِالْكَلامِ أَخَاطِبُهُ^(٢)

وقال :

تَخَلَّ مِنْ الْأَطْمَاعِ إِمَّا تَخَلَّتْ وَوَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ مَا قَدْ تَوَلَّتْ^(٣)

وقال :

اعْجَبْ لِظُلْمِ زَمَانِنَا الْمُتَوَاتِرِ وَلِأَوَّلِ مِمَّا يُرِيكَ وَآخِرِ^(٤)

وقال :

نَوَازِلُ دَهْرٍ أَيُّهِنَّ أَنْزَلُ بِعَزْمِي أَمْ مِنْ أَيُّهِنَّ أُرَائِلُ^(٥)

وقال :

لَيْسَ الزَّمَانُ بِمُعْتَبٍ فَزَرِينِي أَلْقَى تَجَهُمَ خَطْبِهِ بِعَجِينِي^(٦)

وقال :

نَسَعَى وَأَيْسَرَ هَذَا السَّعَى يَكْفِينَا لَوْلَا تَكَلُّفُنَا مَا لَيْسَ يَغْنِينَا

وقال :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ خَبِيسٍ^(٧)

وقال في النهوض لطلب الرزق :

أَشْرُقُ أَمْ أَغْرُبُ يَا سَعِيدُ وَأَنْقُصُ مِنْ زَمَاعِي أَمْ أَزِيدُ^(٨)

(١) زيادة لازمة كذلك .

(٢) ديوانه ٦٦٠ ، ١ / ٢٨٥ .

(٣) ديوان البحرى ١٧٨٣ / ٣٦٧ .

(٤) ديوانه ٦٦١ « نواب دهر . . أو من » .

(٥) ديوانه ٢١١ « الزمان بمعنى . . أرى » .

(٦) ديوانه ١٦٧ ، ٢ / ١١٥٢ .

(٧) ديوانه ٤١٤ ، ١ / ٥٨٠ .

(٨) ديوانه ٩٤٥ / ٢ دار المعارف .

ماقالاه من هذه المعاني في وسط الكلام
في ذم الزمان ومجاهدته والصبر على نوبه

قال أبو تمام :

أُسِيءَ عَلَى دَهْرِي الثَّناءَ فَقَدْ قَضَى عَلَى بَجْوِي صَرْفَهُ الْمُتَّابِعُ^(١)
أَبْرَضُحُنَا رَضِخَ النُّوى وَهُوَ مُصَمَّتٌ وَيَأْكُلُنَا أَكْلَ الدِّبَا وَهُوَ جَائِعٌ^(٢)
وَإِنِّي إِذَا أَلْقَى بَرَبْعِي رَحْلَهُ لِأَزْعَرُهُ فِي سَرِيهِ وَهُوَ رَاتِعٌ^(٣)
أَخُو مَنْزِلِ الْهَمِّ الَّذِي لَوْ بَغَى الْقِرَى لَدَى حَاتِمٍ لَمْ يَقْرِهِ وَهُوَ طَائِعٌ^(٤)
إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ اللَّيَالِي بِنَكْبَةٍ تَمَزَّقْنَ عَنْهُ وَهُوَ فِي الصَّبْرِ دَارِعٌ^(٥)
[لَهُ هِمٌّ مَا إِنْ تَزَالَ سُيُوفُهَا قَوَاطِعَ لَوْ كَانَتْ لَهُنَّ مَقَاطِعُ]

قد روى : « وَيَأْكُلُنَا أَكْلَ الدِّبَا وَهُوَ جَائِعٌ » وهو عندي أشبه وأصح إن شاء الله ؛ و « يَأْكُلُنَا أَكْلَ الرُّبَا » لأن الرُّبَا يأكل النُّعم . وَيَمَحَقُ الْمَالُ .

وقوله : « لَوْ كَانَتْ لَهُنَّ مَقَاطِعُ » : أى شئ يقطعه .

(١) ديوان أبي تمام ٤٧٨ « الدهر » .

(٢) الدِّبَا : أصغر ما يكون من الجراد والنمل ، كما في اللسان ١٨ : ٢٧٢ .

(٣) في الديوان « عن سريه » .

(٤) في الديوان « أخو منزل » .

(٥) في الديوان « وهو بالصبر شارع » .

وقال :

لَقَدْ سَاسَنَا هَذَا الزَّمَانُ سِيَاسَةً سُدَى لَمْ يَسُسْهَا قَطُّ عَبْدٌ مُجَدِّعٌ^(١)
تَرُوحُ عَلَيْنَا كُلُّ يَوْمٍ وَتَغْتَدِي خُطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ يُصْرَعُ
حَلَّتْ نُطْفٌ مِنْهَا لِنِكْيسَ، وَذُو الْحِجَا يُدَافُ لَهُ سَمٌّ وَزَ الْعَيْشِ مَنَقَعُ

قد عاب الناس عليه قوله : « كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ يُصْرَعُ » وهو - لعمري - قبيح .

وقال :

كَمْ فَتَى ذَلَّ لِلزَّمَانِ وَقَدْ أَلْقَى مَقَالِيدَهُ إِلَيْهِ الْقَبِيضُ^(٢)
لَوَذَعِيُّ يُهْلِلُ الْمَشْرِقِيَّ^(٣) عَضْبُ عَنْهُ وَالزَّاعِيَّ النَّحِيضُ^(٤)
أَتَارَتْنِي الْأَيَّامُ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ وَكَانَتْ وَطَرُفُهَا لِي غَضِيضُ
كَيْفَ يُحْمِي بَرَأْسَ عَلِيَاءَ مُنِيرِ وَجَنَاحُ السُّمُو مِنْهُ مَهِيضُ^(٥)
هَيْمَةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ . وَجَدُّ آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضُ

قوله : « أَتَارَتْنِي الْأَيَّامُ » . أى أدامت نظرها إلى ؛ يقال : أَتَارَتْ إِلَيْهِ النَّظَرُ : إِذَا أَحَدَدَتْهُ .

والقبيض : اسم لِحِجْلَةٍ^(٥) الخلق . واللوذعي الحديدُ الفؤاد .

(١) ديوان أبي تمام ١٩٠ وشرح التبريزي ٢ : ٢٢٤ وفي م « لوساسنا » سدى : مرسله مهملة ؛ لأنه حرم المستحق وأعطى غير المستحق ، إلى غير ذلك مما تقتضى السياسة غيره . ومجدع : جدع أنفه وأذناه . كما في شرح التبريزي .

(٢) ديوانه ١٧١ وشرح التبريزي ٢ : ٢٨٩ .

(٣) م « والزاعبي » .

(٤) في الديوان « علياء مضح » .

(٥) م « الجهلة » .

والمَشْرِفِيُّ : السيف منسوب إلى المشارف ، قرى تعمل فيها السيوف .
والنَّحِيضُ : الذى قد ذهب نَحْضُهُ أى^(١) لحمه ، وإنما يعنى سنان الرمح
أنه قد دُقَّ وحُدَّ .

والزَّاعِبِيُّ : الرمح . قيل : هو منسوب إلى رجل كان يُقَوِّمُ الرماح يقال
له زَاعِبٌ ، وقال قوم زاعب : موضع لا تعرف حقيقته . ويقال : التَّزَعُّبُ :
السرعة والنشاط . فيجوز أن يكون قيل زاعبي لحركته وتثنيه .

* * *

وقال البحتري :

وَمَا جَزَعُ الْجَزُوعِ مِنَ اللَّيَالِي بِمُخْرِزِهِ وَلَا جَلْدُ الْجَلِيدِ^(٢)
جَحَدْنَا سُهْمَةَ الْحَدَثَانِ فِينَا لَوْ أَنَّ الْحَقَّ يَبْطُلُ بِالْجُحُودِ^(٣)
فِيَا وَيْحَ الْحَوَادِثِ كَيْفَ تُعْطَى شَقِيَّ الْقَوْمِ مِنْ حَظِّ السَّعِيدِ^(٤)
وَكَيْفَ تَجُورُ إِنْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ فَتَحِيلُ لِلْغَوِيِّ عَلَى الرَّشِيدِ^(٥)
وَمَا بَرَّاحَتُ صُرُوفِ الدَّهْرِ حَتَّى أَرْتَنَا الْأُسْدَ قَتْلَى لِلْقُرُودِ

وهذا مما لا مزيد على حسنه وجودته لفظاً ومعنى .

وقال :

يَغْتَرُّ بِالدَّهْرِ ذُو الْإِضَاعَةِ وَاللَّهْرُ عَدُوٌّ مَطْلُوبَةٌ إِحْنُهُ^(٦)

(١) م « إلى لحمه » .

(٢) ديوان البحتري ٧٩٤ ، ١ / ١٨٥ دار المعارف .

(٣) وبعده :

ونكر أن تطرقنا النسايا كأننا قد خلقنا للخلود

(٤) م « فياربح » .

(٥) في الديوان « إن همت بحكم » .

(٦) ديوانه ٣٣٤ .

فِي زَمَنِ رَنَّقَتْ حَوَادِثُهُ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِحَادِثٍ زَمَنُهُ
رَضِيَتْ مِنْ سَيِّئِ الزَّمَانِ بَأَنَّ يَعْشُرُهُ غَيْرُ زَائِدٍ حَسَنُهُ

رَنَّقَتْ حَوَادِثُهُ : دَنَتْ وَرَفَرَفَتْ كَمَا يُرْتَقُ النَّسْرُ .

وهذا أيضاً حسن .

وقال :

أَرَانَا عُنَاةً فِي يَدِ الدَّهْرِ نَشْتَكِي تَأَكَّدَ عَقْدٍ مِنْ عُرَاهُ وَثِيقٍ^(١)
وَلَيْسَ طَلِيقُ الْيَوْمِ إِنْ رَجَعْتَ لَهُ صُرُوفُ اللَّيَالِي فِي غَدٍ بِطَلِيقٍ^(٢)
تَفَاوَتَتْ الْأَيَّامُ فِينَا فَأَفْرَطَتْ بِظَمَانٍ بَادَ لَوْحُهُ وَغَرِيقُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا الْحَادِثَاتُ أَصْبَنَنِي بِهَافِضَةٍ صُمَّ الْعِظَامُ دَقُوقٌ -
شَمَخْتُ فَلَمْ أَبْدِ اخْتِشَاعًا لِشَامِتٍ وَلَمْ أَبْتَعِثْ شَكْوَى لِغَيْرِ شَقِيقٍ^(٣)
أَرَى كُلَّ مُؤَذِّ عَاجِزًا عَنْ أَذِيَّتِي إِذَا هُوَ لَمْ يُنْصَرْ عَلَى بِمُوقٍ

فقد ترى هذه الفصاحة والبلاغة ، والألفاظ الحلوة المتمكنة ، والمعاني القريبة العجيبة .

وأجود من قوله : « وَكُنْتُ إِذَا مَا الْحَادِثَاتُ أَصْبَنَنِي... » والبيت بعده
قَوْلُ الْعَكَّوكِ^(٤) :

أَلَا رَبُّ هُمْ يُمْنَعُ النَّوْمُ دُونَهُ أَقَامَ كَقَبْضِ الرَّاحَتَيْنِ عَلَى الْجَمْرِ^(٥)

(١) ديوان البحري ٥٢٣ ، ١٥٢٠ .

(٢) في الديوان « طليق القوم من رجعت » .

(٣) م في الديوان « فلم أبد اختفاء » .

(٤) م « عكوك » .

(٥) م « كفيض » .

بَسَطْتُ لَهُ وَجْهِي لِأَكْبِتُ حَاسِدًا وَأَبْدَيْتُ عَنْ نَابِ ضَحْوَكَ وَعَنْ ثَغْرِ
وَشَوْقِ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ فِي الْحَشَا مَلَكَتُ عَلَيْهِ طَاعَةَ الدَّمْعِ أَنْ يَخْرَى

* * *

وقال البحتري :

أَطْلُ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وَتَهْوِينَ شَأْنَهَا فَمَا الْعَاقِلُ الْمَغْرُورُ فِيهَا بِعَاقِلٍ^(١)
يُرْجَى الْخُلُودَ مَعَشَرُ ضَلَّ رَأْيُهُمْ وَدُونَ الذِي يَرْجُونَ غَوْلُ الْغَوَائِلِ
وَلَيْسَ الْأَمَانِي فِي الْبَقَاءِ وَإِنْ مَضَتْ بِهَا عَادَةٌ إِلَّا أَحَادِيثُ بَاطِلٍ
إِذَا مَا حَرِيْزُ الْقَوْمِ بَاتَ وَمَالُهُ مِنْ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بَادِي الْمُقَاتِلِ
وَمَا الْمُفْلِتُونَ أَجْمَلَ الدَّهْرِ فِيهِمْ بِأَكْثَرِ مِنْ أَعْدَادٍ مَنْ فِي الْعَبَائِلِ
يُسَارُ بِنَا قَصْدَ الْمَنُونِ وَإِنَّا لَنَشْعَفُ أَحْيَانًا بَطَى الْمَرَاحِلِ
عِجَالًا عَنِ الدُّنْيَا بِأَسْرَعَ سَعِينَا إِلَى آجِلٍ مِنْهَا شَبِيهِ بِعَاجِلٍ^(٢)
أَوَاخِرُ مِنْ عَيْشٍ إِذَا مَا أَمْتَحَنَتْهَا تَأَمَّلْتَ أَمْثَالًا لَهَا فِي الْأَوَائِلِ
وَمَا عَامِلُ الْمَالِىِ وَإِنْ أَفْرَطَتْ بِهِ عَجَائِبُهُ إِلَّا أَخُو عَامٍ قَابِلٍ
غَفَلْنَا عَنِ الْأَيَّامِ أَطْوَلَ غَفْلَةٍ وَمَا خَوْفُهَا الْمَخْشَى عَنَّا بِغَافِلٍ^(٣)
تُغْلَغَلُ رُؤَادُ الْفَنَاءِ وَتَنْتَبِتُ دَوَاعِي الْمَنُونِ عَنْ جَوَادٍ وَبَاخِلِ

وقال :

إِذَا عَاجِلُ الدُّنْيَا أَلَمَ بِمُفْرِحٍ فَمِنْ خَلْفِهِ فَجَعُ سَيِّئُلُوهُ آجِلٍ^(٤)
وَكَانَتْ حَيَاةُ الْحَيِّ سَوْقًا إِلَى الرَّدَى وَأَيَّامُهُ دُونَ الْمَمَاتِ مَرَاحِلٍ^(٥)

(١) ديوان البحتري ٦٣٨ « منها بعاقل » .

(٢) في الديوان : « من الدنيا » .

(٣) في الديوان « وما خونها » .

(٤) ديوانه ٤٩٠ ، ١٧٣١ .

(٥) م « الحى شوقا » .

وما لُبِثُ مَنْ يَغْدُو فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لَهُ أَجَلٌ فِي مُدَّةِ الْعُمُرِ قَاتِلُ
وللمرءِ يَوْمٌ لَا مَحَالَةَ مَالُهُ غَدٌ وَسَطٌ عَامِ مَالِهِ الدَّهْرُ قَابِلُ
كَفَانَا اعْتِرَافًا بِالْفَنَاءِ وَرِقَبَةً لِمَكْرُوهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْخُلْدِ آمِلُ

* * *

وقال :

أَنَاةٌ أَيُّهَا الْفَلَكَ الْمَدَارُ أَنَهَبُ مَا تُطَوِّفُ أَمْ خِيَارُ^(١)
سَتَفَنِي ، مِثْلَ مَا تُفْنِي وَتَبْلِي كَمَا تَبْلِي فَيَذَرُكَ مِنْكَ ثَارُ
تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَذْمُرُ فِي تَصْرِفِهِ الدَّمَارُ
وَمَا أَهْلُ الْمَنَازِلِ غَيْرُ رَكْبٍ مَنَائِيهِمْ رَوَاحُ وَأَبْتِكَارُ
لَنَا فِي الدَّهْرِ آمَالٌ طَوَالُ تُرَجِّيهِمَا ، وَأَعْمَارُ قِصَارُ^(٢)

وقال :

أُخِي : مَتَى خَاصَمْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَشِدْ لَهَا ، وَمَتَى حَدَّثْتَ نَفْسَكَ فَاصْذِقْ
أَرَى عِلَالَ الْأَشْيَاءِ شَتَّى ، وَلَا أَرَى التَّ تَجْمَعُ إِلَّا عِلَّةً لِلتَّفْرِقِ
أَرَى الْعَيْشَ ظِلًّا تَوَشَّكَ الشَّمْسُ نَقْلَهُ فَكَيْسَ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ كَيْسَكَ أَوْمِقُ^(٣)
أَرَى الدَّهْرَ غَوْلًا لِلنُّفُوسِ وَإِنَّمَا يُقَى اللَّهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ مَنْ يُقَى
وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا حَلِيلَةً وَأَمِقِ مُجِبٌ مَتَى تَحْسُنُ بِعَيْنَيْهِ تَطْلُقِ
تَرَاهَا عِيَانًا وَهِيَ صَنْعَةٌ وَاحِدٍ فَتَحْسَبُهَا صُنْعِي لَطِيفٍ وَأُخْرَقِ^(٤)

(١) ديوان البحرى ٦٩٤ ، ٢ / ٩٥٩ .

(٢) نقلها المرتضى في أماليه ١ : ٢٧٩ والثاني ، والثالث وما بعده في مجموعة المعاني ٦ .

(٣) ديوانه ١٥٥٢ م « فكش . . . كلسك أومق »

(٤) في أمالي المرتضى ٢ : ٢٢٩ « وقد قيل : إن السبب في خروج البحرى عن بغداد في آخر

أيامه . كان هذه الأبيات : لأن بعض أعدائه شنع عليه بأنه تنوى من حيث قال : « فتحسبها صنعي لطيف وأخرق » وكانت العامة حينئذ غالبية على البلد ، فخاف على نفسه فقال لابنه أبي الغوث : قم يا بني حتى نطوق عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فيها بيلدنا ، فخرج ولم يعد .

فانظر أشعار أهل الزهد وتأملها ، هل ترى فيها من هذا النحو شيئاً ؟
هيهات ؛ هذا مذهب يتقدم كل مذهب .

وقال :

أَرَى غَفْلَةَ الْأَيَّامِ إِعْطَاءَ مَانِعٍ نَصِيبَكَ أَحْيَانًا وَحِلْمَ سَفِيهِ^(١)
إِذَا مَا نَسَبَتْ الْحَادِثَاتِ وَجَدَتْهَا بَنَاتِ الزَّمَانِ أَرْضَعَتْ لِبَنِيهِ^(٢)
مَتَى آرَتْ الدُّنْيَا نَبَاهَةَ خَامِلٍ فَلَا تَنْتَظِرُ إِلَّا خُمُولَ نَبِيهِ

وقال :

أَغْشَى الْخُطُوبَ قِيَامًا جِئْتُ مَارِئِي فِيمَا أُسِيرُ أَوْ أَحْكَمُنْ تَأْدِيبِي^(٣)
إِنْ تَلْتَمِشْ تَمْرَ أَخْلَافِ الْخُطُوبِ وَإِنْ تَلَبَّثْ مَعَ الدَّهْرِ تَسْمَعِ بِالْأَعْجَابِ^(٤)

وما أحسن ما قال ابن عيينة :

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلَا ابْتَكَّرَا إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فِيهِ إِنْ أَعْتَبَرَا
وَلَا أَتَتْ سَاعَةٌ فِي الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ حَتَّى تُؤَثِّرَ فِي قَوْمٍ لَهَا أَثَرَا
إِنَّ اللَّيَالِيَّ وَالْأَيَّامَ أَنْفُسَهَا عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِهَا لَمْ تَكْتُمِ الْخَبْرَا

أنشد المبرد هذه الأبيات^(٥) . وذكر أن الطائي أخذ هذا المعنى وجمعه في

ألفاظ يسيرة فقال :

عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وَإِنَّهُ لَمِنْ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ

(١) ديوان البحري ٢٢٥ « يصيبك أحياناً » .

(٢) في الديوان « أرضعت لبنه » .

(٣) ديوانه ٣٢٧ .

(٤) في الديوان « أخلاف الأمور » .

(٥) في الكامل ١ : ٣٥٩ .

أراد أن قوله : «عَمَرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ» - من قوله : «إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فِيهِ إِنْ أَعْتَبَرَا» . كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ مَا يَأْتِي فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ كَأَنَّهُ نَصَحٌ^(١) مِنْهُ وَتَنْبِيهِ .

وكذلك قوله : «وَلَا أَتَتْ سَاعَةٌ» وقوله : «إِنَّ اللَّيَالِيَ وَالْأَيَّامَ» . فجعل هذا كله كنصيح^(٢) من الزمان لما يُرِينَاهُ مِنَ الْعِبَرِ .

قال أبو العباس : وزاد عليه بقوله : «نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ»^(٣) . وما قاله الناس في هذا المعنى أكثر من أن يحتاج البطأنى إلى أن يأخذه من وهذه الأبيات .

(١) م «فيه» .

(٢) م «لنصح» .

(٣) نص كلام المبرد : «فزاد بقوله : ناصح لا يشفق على قول ابن عينة - شيئاً طريفاً» . وهكذا يفعل الحاذق بالكلام .

في المواعظ والآداب

وقال [البحتري] :

مَتَى تَسْتَزِدْ فَضْلاً مِنْ الْعُمَرِ تَعْتَرِفْ بِسَجْلِيكَ مِنْ شَهْدِ الْخُطُوبِ وَصَابِهَا^(١)
تُشَدُّبُنَا الدُّنْيَا بِأَخْفَضِ سَعِيهَا وَغُولُ الْأَفَاعِي بَلَّةٌ مِنْ لُعَابِهَا
يُسَرُّ بِعُمَرَانَ الدِّيَارِ مُضَلَّلٌ وَعُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوْ أَنْ مَجِيئُهَا فَكَيْفَ أَرْتَضَائِهَا أَوْ أَنْ ذَهَابِهَا
أَقُولُ لِمَكْذُوبٍ عَنِ الدَّهْرِ رَاغٍ عَنْ تَخْيِيرِ آرَاءِ الْحِجَا وَانْتِخَابِهَا^(٢)
سِيرْدِيكَ أَوْ يُتَوِيكَ أَنَّكَ مُحْبَسٌ إِلَى شُقَّةٍ يُبْلِيكَ بَعْدُ مَا بَهَا^(٣)

فهذا ، والله ، الوعظ. الذي لو سمعه أبو العتاهية لَضَلَّتْ مقاليدُه .

وقوله : « مُحْبَسٌ » أى موقوف إلى أن تصير إلى هذه الشقة ، من قولك :
أَحْبَسْتُ^(٤) فرساً في سبيل الله ، وَأَحْبَسْتُ داراً ، أى وَقَفْتُ داراً . فَمَا
حَبَسْتُ ، فَإِنْ ذَاكَ مِنْ حَبَسَتْ الرَّجُلَ فِي الْحَبْسِ . وَحَبَسْتَهُ عَنْ طَرِيقِهِ ،
وَنَحْوُ هَذَا :

(١) ديوان البحتري ٣١٢ ، ٢٣١ دار المعارف .

(٢) في الديوان « زَاغ » .

(٣) في الديوان : « أَنْكَ مَخْلَس » .

(٤) م « أَحْبَسْتُ » .

في الصبر والقناعة

قال أبو تمام :

عِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى بِشَارِبٍ مُرْقِدٍ مَا غَمَضَا^(١)
لَا تَطْلُبَنَّ الرِّزْقَ بَعْدَ شِمَاسِهِ فَتَرُومُهُ سَبْعًا إِذَا مَا غِيضَا
مَا عُوضَ الصَّبْرَ أَمْرُو إِلَّا رَأَى مَا فَاتَهُ دُونَ الَّذِي قَدْ عُوضَا

« شارب مُرْقِد » مثل غير جيد ولا حسن ، ولا زال الناس يعيبونه .

وقال :

لَا تَأْخُذْنِي بِالزَّمَانِ فَلَيْسَ لِي تَبَعًا ، وَلَسْتُ عَلَى الزَّمَانِ كَفِيلًا^(٢)
مَنْ زَاخَفَ الْأَيَّامَ ثُمَّ عَبَا لَهَا غَيْرَ الْقَنَاعَةِ لَمْ يَزَلْ مَقْلُولا
مَنْ كَانَ مَرَعَى عَزَمِهِ وَهَمُومِهِ رَوْضُ الْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولا
لَوْ جَاَزَ سُلْطَانُ الْقُنُوعِ وَحُكْمُهُ فِي الْخَلْقِ مَا كَانَ الْقَلِيلُ قَلِيلًا^(٣)
الرِّزْقُ لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولًا^(٤)

يريد من لم يقنع وكان أبداً يتمنى - لَمْ يَزَلْ مَهْزُولا .

(١) ديوان أبي تمام ١٨٥ وشرح التبريزي ٢ : ٣٠٣ « أي عندي من جهة الأيام من المحن ما لو تصور بشارب دواء منيم لم يغمض غما وتفكراً » .

(٢) ديوانه ٢٤٣ وشرح التبريزي ٣ : ٦٧ .

(٣) في الديوان « في الأرض » .

(٤) وفيه « لا تحرص » .

وقوله : « لو جَازَ سُلْطَانُ الْقُنُوعِ » . وهو يريد القناعة ؛ لأن المتأخرين في هذا الموضع يستعملون القنوع .

« مَا كَانَ الْقَلِيلُ قَلِيلًا » أى لو كان حكم القناعة جائزًا نَافِذًا في الخلق .
أى لو قنع الخلق ما كان القليل قليلًا . أى ما كان أحد يَسْتَقِيلُ القليل ، بل كان عنده بالقناعة كثيرًا . أفصح بمدح القناعة فقال :

الرُّزْقَ لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولًا

وإنما أخذ هذا من قول [عُرْوَةَ بن] أَدْبَنَةَ :

أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعِينِنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعِينِنِي^(١)

ثم نقض أبو تمام هذا كله بأن قال في إثر هذا البيت - بغير فاصلة تفصل بينهما - يَصِفُ النَّاقَةَ وَقَطَعَهُ عَلَيْهَا الْفَلَاةُ إِلَى الْمَدُوحِ ، فقال :

لِلَّهِ دَرَكٌ أَيْ مَعْبَرٌ قَفَرَةٌ لَا تُوحِشُ ابْنَ الْبَيْضَةِ الْإِجْفِيلًا
بِنْتُ الْفَضَاءِ مَتَى تَخِذْ بِكَ لَا تَدَعِ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ عَلَى الْفَلَاةِ غَلِيلًا^(٢)
أَوْ مَا تَرَاهَا لَا تَرَاهَا هِزَّةٌ . تَشَأَى : الْعُيُونُ ذَوَالِقًا وَذَمِيلًا^(٣)
لَوْ كَانَ كَلْفُهَا عُيَيْدٌ حَاجَةٌ يَوْمًا لَزَنِي شَدَقْمًا وَجَدِيلًا^(٤)

« ابن البَيْضَةِ » : الظليم . وَالْإِجْفِيلُ : السَّريع الأنَّجِفَال يعنى الذهاب .

يقول : لَا تُوحِشُهُ هَذِهِ النَّاقَةُ لَكثْرَةِ قَطْعِهَا الْفِيَا فِي وَإِلْفِ الظُّلْمَانِ^(٥) لَهَا .

(١) الأغاني ٢١ : ١٦٢ والشعر والشعراء ٢ : ٥٦٠ . وأمال المرتضى ١ : ٤٠٨ ، ٤١٥ .

(٢) في الديوان « بنت القفار » .

(٣) راجع رواياته المختلفة في شرح التبريزي وهامشه ٣ : ٦٩ .

(٤) إعجاز القرآن ١٦٦ والموشح ٣١١ .

(٥) م « وإلف الظمان » .

ودل على أنه الظليم بقوله : « ابن البيضة » ولو كان جرى له ذكر لما كان لذكر البيضة معنى ، إذ كل ظليم وكل طائر فهو ابن البيضة .
 وقوله : « أَوْ مَا تَرَاهَا هِزَّةً » أى من سرعة مرّها وأهتزازها فى سيرها لا تكاد ترى صورتها .

تَشَأَى الْعُيُونُ : تسبقها . ذَوَالِقًا : جمع ذليقة ، والدَّالِقَةُ : السرعة والمضاء .

ويروى « ذَوَالِقًا » بالدال غير معجمة ، جمع دَالِقَةٍ ، والدالِق : الخارج ، يقال : سيفٌ دَالِقٌ إذا كان خارجاً مِنْ غِمْدِهِ .

وكان ينبغى أن يقول : تَشَأَى الْعُيُونُ اندلاقاً وذميلاً ، أو ذلاقة – معجمة الدال – وذميلاً ، لأن قوله : « وَذَمِيلًا » لا يكون مَنْسُوقًا على ذَوَالِقٍ . وأظنه جعل الذَّمِيلَ ، مَنْسُوقًا على هِزَّةٍ .

والذَّمِيلُ هاهنا رَدِيءٌ ؛ لأنه ضَرْبٌ من سير الإبل لَيِّنٌ ، وهو يَصِفُ السرعة .

وعُبَيْدٌ : يعنى البَيْطَارَ الذى ذكره الأَعْشى فى شعره ، فقال يصف ناقةً (١) :
 لَمْ تَعْطِفْ عَلَى حُورٍ وَلَمْ يَفْطَحْ عُبَيْدٌ عُروَقَهَا مِنْ خُمَالٍ (٢)
 وكان يعالج الإبل : أى لو كلفها عبید حاجة ، أى سيراً عليها لحاجة « لَزَنَّا شَدَقْمًا وَجَدِيلًا » وهما فحلان من فحول العرب النَجِيبَةُ المذكورة – لما يرى من سرعتها ونجابتها .

(١) م « نصف » .

(٢) ديوانه ٦ وفى اللسان ١٣ : ٢٣٥ « والخمال : داء يأخذ فى مفاصل الإنسان وقوائم الخيل والشاة والإبل ، تطلع منه ، ويدأى بقطع العرق ، ولا يبرح حتى يقطع منه عرق أو يهلك – ثم أنشد بيت الأعشى هذا ، وقال : أى لم يكن لما لبن فتعطف على حوار لترضعه » .

وهذا غاية ما يكون من سُخْفِ المعنى وركاكته ؛ لَأَنَّ زَنًّا من ألفاظ
الجهال والصبيان . وإنما أراد لو سار عليها عبيد ، هذا العالم بأمر الإبل ،
في بعض حاجة - لصغر عنده ؛ أَوْ لَهَا نَ عَلَيْهِ أَمْرٌ شَدَقَمَ وَجَدِيل . فلم يهتد
بلفظ من هذا النحو فقال : « لَزَنَّا شَدَقَمًا وَجَدِيلًا » . أتراه كان يقول لهما :
يا زانيين ، أويا بني الزانيين . إن هذا من حماقات الطائي المُحَكِّمَةِ ، وسخفه
العجيب مع ما في أبياته هذه من نقض المعنى الذي ذكره في الأبيات قبلها من
الحث على القناعة ، والقعود عن الحركة والاضطراب .

وقال البحتري :

لَعَمْرُكَ كَيْفَ نَرُصِفَ مَا عَدَانَا مِنْ الدُّنْيَا ، وَنَسْخَطُ مَا يَجِينَا^(١)
عَنَانًا مَا عَسَاهُ يَزُولُ عَنَّا وَأَنْصَبَنَا تَكْلُفُ مَا كُفِينَا^(٢)
يُقَيِّضُ لِلْحَرِيصِ الْغَيْظُ بَحْنًا [وَتَنْجِيهِ الْحُطُوطُ] لِمَنْ قُضِينَا
وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَإِنْ أَسْتَطَلَّنَا إِلَيْهِ النَّهَجُ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَا
فَلَا تُغَرِّزُ مِنَ الْأَيَّامِ وَأَنْظُرْ إِلَى أَقْسَامِهَا عَمَّنْ زُوِينَا^(٣)

وقال :

نَسْعَى وَأَيْسَرُ هَذَا السَّعَى يَكْفِينَا - لَوْلَا تَكْلُفُنَا مَا لَيْسَ يَغْنِينَا
نَرُوضُ أَنْفُسَنَا أَقْصَى رِيَاضَتِهَا عَلَى مُوَاتَاةِ دَهْرِ لَا يُوَاتِينَا
فَلَيْتَ مُسْلِفَنَا الْأَعْمَارَ أَنْظَرْنَا مُجَامِلًا فَتَأْتِي فِي تَقَاضِينَا

وهذا كله ما لا مزيد على حسنه وصحته وحلاوته .

(١) ديوان البحتري ٥٥٣ « بمرءك . . ما أتانا . . ما يجينا » .

(٢) في الديوان « ما عناه يزال عنا » .

(٣) في الديوان « أقسامنا » .

وقال :

ضَيِّقَ الْعُذْرَ فِي الضَّرَاعَةِ أَنَا . لَوْ قَنَعْنَا بِقَسَمِنَا لَكَفَانَا^(١)
مَا لَنَا نَعْبُدُ الْعِبَادَ إِذَا كَا . نَ إِلَى اللَّهِ فَقَرُّنَا وَغِنَانَا

وقال :

لَوْ أَنَّنِي أَزْفَى التَّجَارِبَ حَقَّهَا . فِيمَا أَرَتُ لَرَجَوْتُ مَا أَخْشَاهُ^(٢)
وَالشَّيْءُ تُمْنَعُهُ تَكُونُ بِفَوْتِهِ . أَجْدَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي تُعْطَاهُ
خُفْضُ أَسَى عَمَّا شَاكَ طِلَابُهُ . مَا كُلُّ شَائِمٍ بَارِقٍ يُسْقَاهُ

وقال :

وَكَيْفَ تُعَاطِي الرَّاحِ وَالرَّأْسَ مُخْلَسٌ . مَشِيبًا، وَشُرْبُ الرَّاحِ مِنْ بَعْدِ جَعْفَرٍ^(٣)
قَنِعْتُ ، وَجَانَبْتُ الْمَطَامِعَ لَابِسًا . لِبَاسٍ مُجِيبٌ لِلنَّزَاهَةِ مُؤَثِّرٌ
وَأَيَّاسِنِي عِلْمِي بِأَلَا تَقْدُمِي . مُفِيدِي ، وَلَا مَزِرٍ بِحَظِّي تَأْخُرِي^(٤)
وَلَوْ فَاتَنِي الْمَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ . بِسَعْيٍ لَا ذَرَكْتُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّرْ

وقال :

أَجِدْكَ مَا تَنْفَكُ تَشْكُو قَضِيَّةً . نُرْدُ إِلَى حُكْمٍ مِنَ الدَّهْرِ جَائِرٍ^(٥)
يَنَالُ الْفَتَى مَا لَمْ يُؤْمَلْ وَرُبَّمَا . أَتَاخَتَ لَهُ الْأَقْدَارُ مَا لَمْ يُحَازِرْ^(٦)

وهذا في غاية الحسن والصحة والبراعة : وإنما أخذه والله أعلم - من قول

أبي العتاهية :

(١) ديوان البحري ٤٢٤ وفي م « سيق العذر » .

(٢) ديوانه ٢٩٦ .

(٣) ديوانه ٢١٥ « تعاطى الهوى » .

(٤) في الديوان « وآسنى علمي » .

(٥) ديوانه ٣٥٠ ، ٢ / ٩٦ .

(٦) م « تحاذر » .

قَدْ يَسْلَمُ الْمَرْءُ مِمَّا قَدْ يَحَازِرُهُ وَقَدْ يَصِيرُ إِلَى الْمَكْرُوهِ بِالْحَذَرِ^(١)

وأخذه أبو العتاهية من قول الآخر :

وَحَذِرْتُ مِنْ أَمْرِ فَعَرَّ بِجَانِبِي مُتَنَكِّبًا ، وَلَقِيتُ مَا لَمْ أَحْذِرْ

وقال البحتري :

إِنْ تُجَرَّبُ بَنِي الزَّمَانِ تُجِدْهُمْ إِخْرَةً فِيهِ لِلشُّفَارِ الْكَلِيلَةِ^(٢)

وَالْفَتَى كَادِحٌ لِنَعْلَةٍ دَهْرٍ يَرْتَضِيهَا ، أَوْ عِيشَةٍ مَمْلُوءَةٍ^(٣)

خَائِفٌ أَمَلٌ لِيَصْرِفَ اللَّيَالِي وَاللَّيَالِي مَخُوفَةٌ مَأْمُوءَةٍ

رَاحَ أَهْلُ الْآدَابِ فِيهَا قَلِيلًا وَحُظُوظُ الْأَقْسَامِ فِيهَا قَلِيلَةٌ^(٤)

فَعَلَيْكَ الرُّضَا بِمَا رَضِيَتْهُ لَكَ هَذِي الْمَطَالِبُ الْمَجْهُولَةُ^(٥)

لَنْ تَنَالَ الْمُزَوَّرَ عَنْكَ يَتَذَبُّ رِ ، وَلَنْ تَصْعَدَ السَّمَاءَ بِحِيلَةٍ^(٦)

وَإِذَا مَا أَعْتَبَرْتَ ظَاهِرَ حَالِي كَانَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الْجَلِيلَةِ^(٧)

كَمْ نَكَّرْتُ غِبًّا أَمْرٍ فَكَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ فِيهِ عِنْدِي جَمِيلَةً^(٨)

لَيْسَ إِلَّا فَضْلُ الْعَزِيمَةِ تُمْضِيهَا ، وَإِلَّا الْمَطِيَّةُ الْمَرْحُوءَةُ

وهذا كلام يعجى من رفته وحسنه .

(١) ديوان أبي العتاهية ١١٥ .

(٢) ديوان البحتري ٤٧٥ .

(٣) م « لنعلة » .

(٤) م « فيها قايلا » .

(٥) في الديوان : « المطالب المجهولة » .

(٦) م « ينال » والديوان « المزوى » .

(٧) في الديوان : « كان خطياً من الخطوب » .

(٨) م « جليله » .

قوله : «فَعَلَيْكَ الرِّضَا» مدح للقناعة ، ولم يبحث على القعود عن المطالب ، وإنما أراد عليك الرضا بما رَضَيْتَهُ لك مَطَالِبُكَ ، هذه المطالب التي أنت بسبيلها ، ولن تقدر على نيل ما ازور عنك ولذلك قال :
ليس إلا فضل العزيمة تمضيها ، وإلا المطية المرحولة
وعلى أنه قال :

كَمْ تَكَرَّهْتُ غَيْبَ أَمْرٍ فَكَانَتْ نِعْمَةً اللَّهُ فِيهِ عِنْدِي جَمِيلَةً
يجوز أن يكون أراد غيب أمرٍ مِنْ تَجَشُّمِ الْأَشْفَارِ ، وبُعْدِ المطالب ،
فأحمدت عاقبته فحسن أن يقول : «ليس إلا فضل العزيمة» .

وأبو تمام صرح بذكر القعود عن الطلب بقوله :
الرِّزْقَ لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رُسُولًا
فكان ذكره للناقة والرحيل عليها مُنَاقِضَةً ظاهرةً قبيحةً في أبيات متصل بعضها ببعض .

وقال البحتري :
تَطْلُبُ الْأَكْثَرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ تَبْلُغُ الْحَاجَةَ فِيهَا بِالْأَقْلِ^(١)
وقال :

أَسِيفٌ إِذَا أَشْفَقْتُ أَدْنُو لِمَطْمَعٍ خَفٍ ، وَأَرَانِي مُشْرِياً يَوْمَ أَقْنَعُ^(٢)
إِذَا شِئْتَ حَازَ الْحِظَّ دُونَكَ وَاهِنٌ وَنَازَعَكَ الْأَقْسَامَ عَبْدٌ مُجَدِّعٌ

(١) ديوان البحتري ٣٢٢ «تطلب . . . تبلغ» .

(٢) ديوانه ٣٠٥ ، ١٢٦٨/٢ دار المعارف «أسف إذا . . حين أقنع» .

أَجْدَكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا أَرْتَقَابُهُ وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ
وَقَدْ تَتَنَاهَى الْأُسْدُ مِنْ دُونِ صَيْدِهَا شِبَاعًا، وَتَغْشَى صَيْدَهَا وَهِيَ جُوعٌ^(١)
قوله : «أَسِيفَ إِذَا أَسْفَفْتُ» . يقال : أَسَافَ الرَّجُلُ يُسِيفُ : إِذَا
ذَهَبَ مَالُهُ .

يقول : إنه^(٢) يفتقر إذا دنا لمطمع ، ويستغنى إذا قنع .
وقوله : «وَقَدْ تَتَنَاهَى الْأُسْدُ مِنْ دُونِ صَيْدِهَا شِبَاعًا» . يمدح القناعة ، وأن
مِنْ سَبِيلِ الْإِنْسَانِ إِذَا وَجَدَ الْبَلْغَةَ اكْتَفَى إِلَى أَنْ يَحْتَاجَ .

وقال :

حُلِّيْ سَعَادُ غُرُوضِ الْعَيْسِ أَوْ سِيرِي وَأَنْجِدِي فِي التِّمَاسِ الْحِظَّ أَوْ غُورِي^(٣)
كُلُّ الَّذِي نَتَرَجَّاهُ وَنَأْمُلُهُ مُضْمَنٌ فِي ضَرُورَاتِ الْمَقَادِيرِ
فَمَا يُقَرِّبُ تَقْدِيمِي شَوَاسِعَهَا وَلَا يُبَاعِدُ مَا أَدْنَيْنَ تَأْخِيرِي
تَغْدُو الْكِلَابُ وَلَا فَضْلُ يُعَدُّ لَهَا سِوَى الَّذِي بَانَ مِنْ نَقِصِ الْخَنَازِيرِ

وقال أبو تمام :

مَا يَحْسِمُ الْعَقْلُ وَاللَّيْلُ تَسَاسُ بِهِ مَا يَحْسِمُ الصَّبْرُ فِي الْأَحْدَاثِ وَالنُّوبِ^(٤)
الصَّبْرُ كَاسٍ وَبَطْنُ الْكَفِّ عَارِيَةٌ وَالْعَقْلُ عَارٍ إِذَا لَمْ يُكْسَ بِالنَّشْبِ
كَمْ دُقَّتْ فِي الدَّهْرِ مِنْ عُسْرِ وَمِنْ يُسْرِ وَفِي بَنَى الدَّهْرِ مِنْ رَأْسٍ وَمِنْ ذَنْبٍ

(١) م «ويشقى» .

(٢) م «إنه لم يفتقر» .

(٣) ديوان البحري ١٠٢٦ / ٢ .

(٤) ديوان أبي تمام ٤٧٠ وفي م «يساس لها» .

بِأَيِّ وَخْدٍ قِلَاصٍ وَاجْتِنَابٍ فَلَا إِدْرَاكَ رِزْقٍ إِذَا مَالَجَ فِي الْهَرَبِ^(١)

ذكر أنه لا يحسم العقل ما يحسم الصبر . والصبر على شدة الزمان . وأحداثه

لا يكاد يقع إلا بالعقل ، وكل الأخلاق الشريفة فبالعقل تكون .

وقوله : « الصبر كاس وبطن الكف عارية » - من جماعاته في الطباق

يريد أن الصبر مجانب لخلو اليد ، وأنا ضد الفقر والعدم ؛ لأن الفقر

والعدم لا يكون معهما صبر ،^(٢) فجعل كاسياً من أجل ذكر بطن الكف

بالعري ، ثم جعل العقل أيضاً عارياً إذا لم يكن مكسواً بالنشب ، وكسوة

الصبر والعقل استعارة تتجاوز كل فحش .

وأعجب من هذا ذوقه الرأس والذنب في بني الدهر . وما علمنا أحداً ذاق

ذنب غيره ولا رأسه^(٣) .

وأراد بالنوق الاختبار ، واستعمله في أقبح موضع وأشنع .

ولا خفاء بفضل البحري في هذا الباب على أبي تمام .

(١) في الديوان « إذا ما كان في الهرب » .

(٢) لقد ضل الأمل عن الصواب في تأويل البيت ، ولم يرد أبو تمام أن الصبر مجانب لخلو اليد وأنه ضد الفقر والعلم فلا يكون معهما ؛ بل أراد أن الصبر نافع في حالة الفقر وسائر لصاحبه . وآية ذلك أنه قال في البيت السابق : إن الصبر يحسم في أحداث الزمان ونوبه ما لا يحسم العقل الذي تساس به الدنيا .

(٣) لم يلعب أبو تمام إلى هذا المعنى السخيف الذي ذهب إليه الأمل ؛ وإنما ذهب إلى ما تنطق به ألفاظ بيته : من أنه ذاق من حلو العيش ومره ما ذاق ؛ واختبر بني الزمان طرا ، الرؤساء منهم وغير الرؤساء ، وهم الذين عبر عنهم بالأذئاب . ولم يخرج أبو تمام في تعبيره هذا عن سنن العرب في كلامها ، فهم يسمون عبارات طرق العلم في موضع العلم . ويقولون : فقت الشيء بمعنى علمته وخبرته . وشممت رائحة الفضل من فلان : أى علمته ، ووزقت بني فلان فأحليت ما فقت من نجلتهم . أى ما بلوته واختبرته . ويقول : فقت القوس أى نزلت فيها لأختبر لينها من شدتها ، كما قال الشماخ .

فذاق فأعطته من اللين جانباً كفى ولها أن يفرق النيل حاجز

وقال ابن مقبل :

يهزرن للمشي أوصالا منعمة هر الشمال ضحى عيدان يبريتنا
أو كاهترار ردينى مذاوقه أيدي التجار فزادوا حته ليتا

ويقول بشار :

* إذا كان ذوقا أخوك من الهوى *

ذم ذوى الغنى على البخل ، وذكر مساعدة الدهر
لذوى الجهل وتحامله على أهل الفضل والعقل

قال أبو تمام :

مَضَى الْأَمْلاكُ وَأَنْقَرَضُوا ، وَأَمْسَى سُرَاةُ مُلُوكِنَا وَهُمْ تِجَارُ^(١)
وَقُوفًا فِي ظِلَالِ النَّمِّ تُخْمِي دَرَاهِمُهُمْ وَلَا يُخْنِي الدُّمَارُ^(٢)
فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ وَأَلْقَى عَنْ مَنَاكِيبِهِ الدُّثَارُ
لَعَدَلَ قِسْمَةَ الْأَرْزَاقِ فِينَا وَلَكِنْ دَهْرُنَا هَذَا حِمَارُ

قوله : «وَأَلْقَى عَنْ مَنَاكِيبِهِ الدُّثَارُ» - لفظ ردىء ، وليس من المعنى الذى
قصده فى شيء . وصدر البيت لائق بالمعنى فلو كان أتبعه بما يكون فى معناه
بأن يقول : فلو ذهبت سنات الدهر عنه ، واستيقظ من رقدته ، أو انتبه من
نومته ، أو انكشف الغطاء عن وجهه - لكان المعنى يمضى مستقيماً . وقد ذكرته
فيما مضى من أغاليطه مشروحاً^(٣).

وقال : - وهو من إحسانه المشهور - :

مَسَاطِيٓءُ أَهْلِ الْعَسْكَرِ الْيَوْمَ عَسْكَرًا مِنْ الذَّنْبِ مَحَاةٌ لِنَيْلِكَ الْمَعَالِمِ^(٤)
وَمَالِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَى الدَّهْرِ خِلْتُهُ سِوَى أَمَلِي إِيَّاكُمْ لِلْعِظَائِمِ^(٥)
وَلَأِنِّي مَا حُورِفْتُ فِي طَلَبِ الْغِنَى وَلَكِنَّكُمْ حُورِفْتُمْ فِي الْمَكَارِمِ

(١) ديوان البحري ١٤١ وشرح التبريزي ١٥٤/٢ «وَأَمْسَى» .

(٢) فيها «وقوف» دراهمها .

(٣) راجع الجزء الأول ص ٢٢٣ .

(٤) ديوان أبي تمام ٢٩٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٩ ويرى : «من الذل» و «من النم» .

(٥) فى الديوان وشرحه «إلى الرزق» .

ومن جيد معانيه في هذا النحو قوله :

إِنْ شِئْتَ أَنْ يَسُودَ ظَنُّكَ كُلُّهُ فَاجْلُهُ فِي هَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ^(١)

وقال :

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيُكْدِي الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ^(٢)
وَلَوْ كَانَتْ الْأَقْسَامُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَا هَلَكُنْ إِذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ^(٣)

وهذا معنى ما على صحته وحسنه من مزيد .

وقال :

وَمَا الْقَفْرُ بِالْبَيْدِ الْقَوَاءِ بَلِ الْي نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِنُوهَا الْقَفْرُ^(٤)
وَمَنْ قَامَرَ الْأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا فَأُخِجَ بِهَا أَنْ تَنْجِلِي وَلَهَا الْقَمَرُ^(٥)

وهذا أيضًا جيد بالغ ، ومن إحسانه المشهور . ثم وصله بأن قال :

فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ فَفِي سُوءِ الْقَضَاءِ لِي الْعُذْرُ
قَضَاءُ الَّذِي مَا زَالَ فِي يَدِهِ الْغِنَى ثَنَى غَرَبَ آمَالِي فِي يَدِي الْقَفْرُ
رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي مِنْ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رِضًا مَنْ لَهُ الْأَمْرُ
وَأَشْجَيْتُ آمَالِي بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لِي عَوَاقِبُهُ ، وَالصَّبْرُ مِثْلُ أَسْعِدِ صَبْرُ^(٦)

(١) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٣ / ٢٤٩ .

(٢) ديوانه ٢٨٦ وشرح التبريزي ٣ / ١٧٨ .

(٣) ويروي « ولو كانت الأرزاق » .

(٤) ديوانه ٤٧٥ « بالبيد القفار » .

(٥) م « به أن » .

(٦) في الديوان « فأشجيت أياي » .

قوله : « فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ » . يريد شخوصه إلى مصر ؛ لأنها كانت عنده أحسن مطالبه فأخفق فيها ، فذمها بأن قال : وما القفرُّ بالبيدِ القواءِ بلِ التي نَبَتْ بِي وفيها ساكنوها هي القفرُّ وقوله : « رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى » - من أغاليطه وإحالاته في المعاني . وإنما كان ينبغي أن يقول : « رَضِيتُ وكيف لا أَرْضَى » . وقوم يحتجون بأنه^(١) قال : رَضِيتُ وقد أَرْضَى . على ما نسر به قول الله عز وجل : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ » بأن قالوا معناه : قد أتى على الإنسان .

وقد ذهب إلى هذا قوم في « قَد » إذا وليت الفعل الماضي ، أما إذا وليت المستقبل فإنها تكون بمعنى « ربما » وتخرج عن هذا التأويل . وأكثر أهل العربية ، وجميع أهل اللغة يقولون : المعنى : أَلَمْ يَأْتِ عَلَى الْإِنْسَانِ . بمعنى التقرير والتوبيخ . ويدفعون أن تكون « هل » بمعنى « قد » ؛ لأن ذلك لم يَأْتِ في كلام العرب .

وقد بيّنت هذا في « الجزء » الذي جمعت فيه أغاليط أبي تمام من هذا الكتاب^(٢) .

وقال :

وَحَادِثَاتٌ أَعْجَبُ خَسَا وَزَكَ مَا الدَّهْرُ فِي فِعْلِهَا إِلَّا أَبُو الْعَجَبِ^(٣)
يَمْلِكُنْ قَوْدَ الْكِمَاةِ الْمُعْلَمِينَ لَهَا وَيَسْتَقِذْنَ لِفُرْسَانٍ عَلَى الْقَصَبِ^(٤)
الْخَسَا : الْفَرْدُ ، وَالزَّكَ : الزَّوْجُ . وَفُرْسَانُ الْقَصَبِ : يَعْنِي الصَّبِيَّانِ .

(١) م « بأن قال » .

(٢) راجع الجزء الأول ص ٢٠١ . ٢٠٥ .

(٣) ديوان أبي تمام ٤٧٠ « في قله » .

(٤) في الديوان « يغلبن قوم . . بها » .

وهذه ألفاظ في غاية الخلقة والسخافة . ولو قال : ويستقدن لأهل الجبن
والرعب ، أو الرهب - كان أحسن وتعمل^(١) :

وقال فيها :

في كل يوم صواقيري مقللة تستنبط الصفر لي من معدن الذهب^(٢)
ما كنت كالسائل الأيام مجتهدا عن ليلة القدر في شعبان أو رجب
أى ما التمسست إلا من حيث يجب الالتماس ، ولكني خبت .

بل سافع بنواصي الأمر مشتمل على قواصيه في بدئي وفي عقبي^(٣)
بغربة كأغتراب الجود إن برقت بأوبة ودقت بالخلف والكذب
إذا عمدت لشأو خلت أنى قد أدركته - أدركتني حرفة العرب^(٤)
قوله : « سافع بنواصي الأمر » - من قوله : جل اسمه : « لنسفعاً
بالتأصية » والسفع بالشئ هو أن يؤخذ ويخذب جذباً فيه عنف .

وكان ينبغي أن يقول : بنواصي الحزم أو العزم . فأما الأمر فإنه^(٥) ...
وقوله :

بغربة كأغتراب الجود إن برقت بأوبة ودقت بالخلف والكذب
فشبه غيابه بغيبة^(٦) الجود الذى يقال يقدم ولا يقدم ، يؤكد بهذا
عدم الجود ، وأنه كلما طمع فيه من أحد كان بعيداً كالغائب الذى يقال :
يقدم ثم لا يقدم .

(١) م « ويعمل » .

(٢) ديوان أبى تمام ٤٧١ « يوم أظايرى . . تستنبط الصبر » والصواقير : المماول . والصقر :
النحاس .

(٣) م « شافع » والديوان « فى يده وفى عقب » .

(٤) فى الديوان : « إذا عنيت لشأو قلت . . حرفة الأدب » .

(٥) كذا بالأصل .

(٦) م « عياته بعية » .

وَدَقَّتْ : من الودق ، وهو قطر المطر .

يقول هذا وهو قد قدم^(١) من غيباته إلا أنه جعل نفسه كمن لم يقدم ؛ لأنه قدم بالخيبة ؛ فلذلك قال بعد هذا :
 ما آبَ مَنْ آبَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَلَمْ يَغِبْ طَالِبٌ لِلنُّجْعِ لَمْ يَخِبْ
 وهذا تعسف ، والخرس أحسن منه .

وقوله : « إِنْ بَرَقَتْ بِأَوْبَةٍ » يعنى الغيبة . واستعارة البرق لا تحسن إلا باستعارة^(٢) السحاب معه . وكان الجيد أن يقول : بَرَقَتْ سَحَابُهَا بِأَوْبَةٍ ، لو استقام له .

وقوله : « أَذْرَكْتَنِي حِرْقَةَ الْعَرَبِ » - معنى ما قاله غيره ، ولا جعل أحد العرب مُحَارِفِينَ سواه . ودليل [عدم] حرقتهم ما هو إلا أنهم قهروا الأمم حتى صار المُلْكُ فيهم ، وهم على تلك العِزَّة الجاهلية إلى هذا الوقت .

وما زال الناس ينكرون هذا المعنى عليه ويعيبونه . ولو كان قال : « حِرْفَةُ الْأَدَبِ » كان أولى بالصواب ، وبما يستعمله الناس ، ولأنه أديب غير مدفوع ، وليس في القصيدة أيضاً [ذكر] للأدب .

وقد رواه قوم « الأدب » إنكاراً لذكر العرب هاهنا . وَغَيْرُهُ فِي عِدَّةٍ مِنَ النسخ القديمة . والذي في نسخة « أبي سعيد السكري » ، و « أبي العلاء » ، محمد ابن العلاء ، وغيرهما : « العرب » .

وإنما ذاك لشدة عشقه بالعربية ، وَأَنْ يَقْتُلَ طَائِفًا .

(١) م « قد تقدم » .

(٢) م « بالاستعارة » .

وقد أنكره عليه ابنُ عمار وغيره. وهذا دليل على أنه ما قال إلا «حرفة العرب».

وقال البحتري :

أَوْجَلْتَنِي بَعْدَ أَمْنٍ غِرَّتِي	وَأَغْتَرَارُ الْأَمْنِ يَسْتَدْعِي الْوَجَلَ ^(١)
لَمْ أَوْهَمْ نَعْمَتِي تَغْلِيْرُ بِي	غَدْرَةَ الظِّلِّ سَجَا ثُمَّ أَنْتَقَلَ
زَمَنٌ تَلْعَبُ بِي أَخْدَانُهُ	لَعِبَ النُّكْبَاءُ بِالرَّمْحِ الْخَطِلِ ^(٢)
وَأَرَى الْعُدْمَ - فَلَا تَحْفَلُ بِهِ	- عَقَبَةُ نَقْضِي، وَكَلَمًا يَنْدَمِلُ
أَكْبَرْتُ نَفْسِي - وَقَدْ مَا أَكْبَرْتُ	أَنْ تُلْقَى النِّيلَ مِنْ كَفِّ الْأَشْلِ ^(٣)
وَمِنَ الْمَعْرُوفِ مُرٌّ مَقِرٌّ	يَلْفِظُ الطَّاعِمُ مِنْهُ مَا أَكَلَ ^(٤)
نَطْلُبُ الْأَكْثَرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ	نَبْلُغُ الْحَاجَةَ فِيهَا بِالْأَقْلِ ^(٥)

وهذا من إحسان أبي عبادة المتداول.

وقال :

تَغَاظِي رِجَالٌ عَنِ الْمَكْرُمَاتِ	وَقَدْ مَثَلَتْ نُصْبَ أَعْيَانِهَا ^(٦)
وَلَمْ تَلْتَفِتْ لِيُوجِبِ الْحُقُوقِ	وَوَاجِبُهَا خَلْفَ آذَانِهَا
فَتَحْتُ يَدِي ثَانِي الْعِطْفِ عَنْ	كَلُوبِ الْمَوَدَّةِ خَوَانِهَا
وَقَدْ عَلِمْتُ خَلْتِي أَنَّنِي	أَفَارِقُهَا عِنْدَ هِجْرَانِهَا

(١) ديوان البحري ٣٣٢ ، ١٧١٦ .

(٢) الخطل : السريع . وانظر اللسان ١٣ / ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٣) في الديوان : « وكرها أكبرت » .

(٤) م « منه وأكل » !

(٥) سبق في ص. ٢٥٠ .

(٦) ديوان البحري ٥٩٩ « تعالى رجال » .

وقال :

وَعَيَّرْتَنِي سِجَالَ الْعُدْمِ جَاهِلَةً وَالنَّبْعُ عُرْيَانُ مَا فِي فَرْعِهِ ثَمَرٌ^(١)
وَمَا الْفَقِيرُ الَّذِي عَيَّرْتَ آوَنَةً بَلِ الزَّمَانُ إِلَى الْأَحْرَارِ يَفْتَقِرُ^(٢)
عَزَى عَنِ الْحِطِّ أَنَّ الْعَجْزَ يُذَرِّكُهُ وَهَوْنُ الْعُسْرِ عَلِمِي فِي مَنْ الْيُسْرُ
لَمْ تَبْقَ مِنْ جُلٍّ هَذَا النَّاسِ بَاقِيَةٌ يَنَالُهَا الْوَهْمُ إِلَّا هَذِهِ الصُّورُ^(٣)
جَهْلٌ ، وَبِخْلٌ وَحَسْبُ الْمَجْدِ وَاحِدَةٌ مِنْ تَيْنٍ حَتَّى يُعْقَى خَلْفَهُ الْأَثَرُ^(٤)
إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ
عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقَرُ^(٥)

ذكر « علي بن يحيى المنجّم » عن شيخه أن هذا البيت للمخيم^(٦) الراسبي ،
أحد الشعراء في دولة الرشيد ، وكان صاحب محمد منصور بن زياد فكسب معه
مالاً عظيماً ، ثم صاحب محمد بن يحيى بن خالد البرمكي بعد موت ابن
منصور^(٧) فلم يحمدته فهجاه .

وأخذ بيت بأسره قبيح لأبي عبادة : ومثله لا يضطر إلى هذا .

وقد كان « علي بن يحيى » انحرف عن^(٨) البحترى لأن البحترى هجاه
بأمر المتوكل بأبيات ليس مثلها يضر ، ولكنه ذكر صورته فقال :

(١) ديوان البحترى ٦٧٢ ، ٢ / ٩٥٤ دار المعارف .

(٢) في الديوان « مفتقر » .

(٣) في الديوان : « ينالها الفهم » .

(٤) وفيه « وحسب المرء » .

(٥) وفيه : « من مقاطعها وما على لم أن تفهم » والبيت مع سابقه في أخبار أبي تمام ٥٠ - ٥١ .

(٦) م « للمختم » .

(٧) م « ابن مثور » !

(٨) م « أعرف من البحترى » !

كُلُّ ، أَخْلَاقٍ عَلَيَّ تَرْتَضِيهَا وَتُلْذِمُهُ^(١)
هُوَ قِرْدٌ حِينَ يَبْدُو غَيْرَ أَنَا لَا نَكْمُهُ
مُقْلَتَاهُ وَحِجَابَا هُ وَشِدْقَاهُ وَخَطْمُهُ

فضحك المتوكل حتى استلقى . وبلغ على بن يحيى قعاب^(٢) هذا على
البحري لما حدث بينهما من التباعد .

إلا أني لم أرىهم ينكرون استعارة البيت الذي يعرجى مجرى المثل إذا
جاء موضعه . إلا أن ذلك يكون في شوارد الأمثال التي لا يكاد يعرف
قائلوها .

وقال :

أَضِيعُ فِي مَعْشَرٍ ، وَكَمْ بَلَدٍ يُعَدُّ عَوْدُ الْكِبَاءِ مِنْ حَطْبَةٍ^(٣)
لَنْ يَنْصُرَ الْمَجْدَ حَقُّ نَصْرَتِهِ إِلَّا الْمَكِينُ الْمَكَانِ مِنْ رُتْبَةٍ^(٤)
يُخْدَعُ عَنْ عَرْضِهِ الْبَخِيلُ وَلَا يُخْدَعُ وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ نَشْبَةٍ^(٥)
أَوْثَقُ مَنْ يُضْطَفَى عُرَاهُ وَإِنْ حَلَّ بَعِيدًا مَنْ حَلَّ فِي حَسْبَةٍ^(٦)
لَا يَصْرِمُ الْمُحَدَّثُ الْكَهَامُ وَلَوْ أَخْلَصَهُ الْهَالِكِيُّ مِنْ جَرِيَةٍ^(٧)
نَنْسَى أَيْادِي الزَّمَانِ فِينَا فَمَا نَذْكُرُ مِنْ دَهْرِنَا سِوَى نُوبَةٍ

(١) ديوان البحري ٤ / ٢١٠٦ : « نجتويها وتلذمه » .

(٢) م « يحيى دمعاً هذا » .

(٣) ديوانه ٣٠٢ ، ١ / ٢٤٢ دار المعارف .

(٤) م « لم ينصر المجد حين » .

(٥) م « الغنى » .

(٦) في الديوان « بعيداً ولارك في حبه » ، « بعيداً شرواك في حبه » .

(٧) « من حربه » .

وفي اللسان ١٢ / ٣٩٨ « والهالكي : الحساد ، وقيل : الصيقل . قال ابن الكلبي : أول من عمل

الحديد من العرب الهاك بن عمرو بن أمية بن خزيمة ، وكان حاداً نسب إليه الحساد ، فقيل : الهالكي » .

وقال :

أَيَذْهَبُ هَذَا الدَّهْرُ لَمْ يَرَ مَوْضِعِي وَلَمْ يَدْرِ مَا مِقْدَارُ حَلِّي وَلَا عَقْدِي^(١)
وَيَكْسُدُ مِثْلِي وَهُوَ تَاجِرٌ سُودِدِ يَبِيعُ ثَمِينَاتِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ^(٢)
سَوَائِرِ شِعْرِ جَامِعِ بَدَدِ الْعُلَى تَعْلَقْنَ مِنْ قَبْلِي ، وَأَتَعَبْنَ مَنْ بَعْدِي
يُقَدِّرُ فِيهَا صَانِعٌ مُتَعَمِّلٌ لِأَحْكَامِهَا تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ^(٣)
خَبَلٌ لَوْ فِي الْمَرْخِ أَقْدَحُ إِذْ أَبِي رِجَالٌ مُوَاتَاتِي ، إِذَنْ لَخَبَا زَنْدِي^(٤)
وَمَا عَارَضْتَنِي كُذِبَةٌ دُونَ مَذْجِهِمْ فَكَيْفَ أَرْنِي دُونَ مَعْرِوْفِهِمْ أَكْدِي
أَأْضِرُّ أَكْبَادَ الْمَطَايَا إِلَيْهِمْ مُطَالَبَةٌ مِنِّي وَحَاجَاتُهُمْ عِنْدِي ؟

وهذا صِدْقُ أَبِي عِبَادَةَ عَنْ نَفْسِهِ ، وما كَانَ لَهُ بِدَمِنْ أَنْ يَنْفِثَ ،
وما قَالَ قَوْلًا هُوَ أَصْدَقُ مِنْ هَذَا .

وقال :

وَمَا جَهِلْتُ فَلَا تَجْهَلْ مُحَاجَزَتِي لِصَاحِبِ الْبَابِ يَرْمِي عَنْهُ صَاحِبُهُ^(٥)
الْأَرْضُ أَوْسَعُ مِنْ دَارِ الْإِظْ بِهَا وَالنَّاسُ أَكْثَرُ مِنْ خِلِّ أَحَارِبِهِ^(٦)
أَعَاتِبُ الْمَرْءَ فِيمَا جَاءَ وَاحِدَةً ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْهِ لَا أَعَاتِبُهُ

(١) ديوان البحري ١٨٢ ، ٢ / ٧٤٧ دار المعارف .

(٢) في الديوان « والمجد » .

(٣) سقط هذا البيت من طبعة بيروت .

(٤) المرخ : شجر كثير الوري سريعه ، كما في اللسان ٢٢/٣ وفي م « ذا الوري » .

(٥) ديوانه ٧٨٧ ، ١ / ٢٢٦ .

(٦) في الديوان « دار أظ بها . . . أكثر . . . أجاذبه » . وأظ بها : أقيم ، كما في اللسان

وَلَوْ أَخَفْتُ لَثِيمَ الْقَوْمِ جَنَّبَنِي أَذَاتَهُ ، وَصَدِيقُ الْكَلْبِ ضَارِبُهُ
وَلَنْ تُعِينَ أَمْرًا يَوْمًا وَسَائِلُهُ مَا لَمْ تُعِنَهُ عَلَى حُرِّ ضَرَائِبِهِ^(١)

وقال :

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَصْدِقَاءُ تَعُودُ عِدًّا ، وَحَالَاتٌ تَحُولُ^(٢)
وَقَدْ تَغْفُو الظُّنُونُ بِمَنْ يُرَجَّى فَتُخْلِفُ مِثْلَ مَا تَغْفُو الطُّلُولُ
وَمَا فَقِدَ الْجَمِيلُ لِقُرْبِ عَهْدٍ فَتَسْأَلُ عَنْهُ ، بَلْ نُسِيَ الْجَمِيلُ
وَيَلُومُ سَائِلُ الْبُخْلَاءِ حِرْصًا وَإِسْفَاقًا كَمَا لَوْمُ الْبَخِيلِ^(٣)

وقال :

لَمْ أَلْقَ مَقْدُورًا عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ فِي الْحِظِّ إِمَّا نَاقِصًا أَوْ زَائِدًا^(٤)
وَعَجِبْتُ لِلْمَخْدُودِ يُحْرَمُ نَاصِبًا كَلِفًا ، وَلِلْمَجْدُودِ يَغْنَمُ قَاعِدًا
وَتَفَاوَتْ الْأَرْزَاقُ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَا يَأْتِلِينَ نَوَازِلًا وَصَوَاعِدًا
مَا خَطَبُ مَنْ حُرِمَ الْإِرَادَةُ وَإِدْعَا خَطَبُ الَّذِي حُرِمَ الْإِرَادَةُ جَاهِدًا^(٥)

وهذا كله في غاية الجودة والحسن والصحة والبراعة والحلاوة .

فأقول في الموازنة بينهما : إنهما^(٦) أحسنا جميعاً في هذا الباب وأجادا ،
وأجعلهما متكافئين مع ما فيه لأبي تمام من الإساءة .

(١) في الديوان « إن لم تعنه » هنا وقد سها الناسخ فأعاد هنا كتابة تعليق الآمدي على الأبيات السابقة .

(٢) ديوانه ٣٠١ « في كل دهر » .

(٣) م « وإشفاقاً » .

(٤) ديوانه ٦٤٦ ، ٢ / ٨٢١ دار المعارف .

(٥) م « خطت النى » !

(٦) م « أيهما » .

ما قالاه في طلب الرزق والنهوض إليه

قال أبو تمام :

سَيَبْتَغِي الرُّكَّابَ وَرَاكِبِيهَا فَتَى كَالسَّيْفِ هَجَعْتُهُ غِرَارُ^(١)
أَطْلَ عَلَى كُلِّ الْآفَاقِ حَتَّى كَانَ الْأَرْضَ فِي عَيْنَيْهِ دَارُ^(٢)

غِرَار : قليل . وهذا البيت حسن جدًا ، ولو كان في مدح خليفة ضبط .
الدنيا ، وأحسن سياستها ، ومراعاة كل ناحية منها - كان أحسن وأليق .

وإنما سرق المعنى من قول منصور النمرى بمدح الرشيد :

وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِيَّةِ طَرَفُهَا مَوَاءٌ عَلَيْهِ قَرِيبُهَا وَبَعِيدُهَا

وقال :

سَلِي هَلْ عَمَرْتُ الْقَفْرَ وَهُوَ سَبَابُ^(٣) وَغَادَرْتُ رَبْعِي مِنْ رِكَابِي سَبَابًا^(٤)
تَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَّقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَ^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٤١ وفي شرح التبريزي ١٥٥ / ٢ عن المعري « هذا معنى لطيف ، وهو نحو من التورية ، لأنه ذكر السيف ، ثم ذكر الغرار ، وهو يريد به النوم القليل ، والسيف له غرار . فهذا المعنى الذي قصده الطائي » .

(٢) م « على طلي » وقال المعري - فيما نقل التبريزي - : « كل : جمع كلية ، واستعارها للاتفاق ؛ لأن من اطلع على كلية الشيء فقد خبره ، إذ كانت للكلية لا تكون إلا في الباطن » .

(٣) ديوانه ١٧ وشرح التبريزي ١٤٧/١ « والركاب : الإبل المركوبة . والسباب : القفر من الأرض . يقول : غمرت القفر بسفري ، وصار منزل كالقفر لتركى له » وفي م « وهي » .

(٤) في التبريزي « وغربت » .

خُطُوبٌ إِذَا لَاقَيْنَهُنَّ رَدَدْنِي جَرِيحًا كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْكَتَائِبَ^(١)
 وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَاتِبِ أَصْبَحَتْ خَلَائِقُهُ طُرًّا عَلَيْهِ نَوَائِبًا
 وَقَدْ يَكْهَمُ السَّيْفُ الْمُسَمَّى مَنِيَّةً وَقَدْ يَرْجِعُ الْمَرْءُ الْمُظْفَرُ خَائِبًا
 فَاقَّةٌ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ صَارِمًا وَاقَّةٌ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ ضَارِبًا^(٢)
 قوله : « فاقَّةٌ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ صَارِمًا » - ليس بالجيد ؛ لأن الشجاع

المظفر قد يقطع السيف الكهأ في يده ، ألا ترى إلى قول البحتري :
 وَمَا السَّيْفُ إِلَّا بِزُغَادٍ لَزِينَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهُ^(٣)
 وكان الأجود له أَنْ يقول : فاقَّةٌ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ مَغْنَمًا ، أو مَضْرِبًا .
 يعنى المرء المظفر . واقَّةٌ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ ضَارِبًا . يعنى السيف ؛ لأنه قد
 جعل آفته في أَنْ صَارَ كَهَامًا (أى) أنه لم يجد ضاربًا يضرب به . ولم يذهب
 إلى نحو قول الفرزدق :

كَذَلِكَ سَيْفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ^(٤)
 لأن هذا معنى آخر .

وقال أبو تمام :

وَأُخْرَى لَحَنَتْنِي حِينَ لَمْ أَتَّبِعِ الْهَوَى قِيَادِي ، وَلَمْ يَنْقُضْ زَمَاعِي نَاقِضُ^(٥)
 أَرَادَاتِ بَأَنَ يَخْوِي الرِّغَبَاتِ وَادِعُ وَهَلْ يَقْرُسُ اللَّيْثُ الطَّلِي وَهُوَ رَابِضُ
 وهذا بيت الباب كله . فإنه لا يعرفه أجود منه ، ولا أليق ، ولا أحسن .

(١) ويرى : ولقيت كتابا .

(٢) راجع روايات الليث في شرح التبريزي ومات ١ / ١٤٨ .

(٣) ديوانه ٥٢ وقى م « إلا ابن غاد » .

(٤) ديوانه ١٨٦ « ويقتل أحيانا نياط » .

(٥) ديوانه ١٨٣ وشرح التبريزي ٢ / ٢٩٦ « لم أمتع الهوى » .

وعلى أنه معنى مأخوذ من مثلي للأسد : قيل له : لم أنت غليظ الرقبة ؟
فقال : لا ألزم خذري وأتكل في فريستي على غيري .
وقد سمعت فيه شعراً أيضاً منظوماً ، ولكن أبا تمام أحسن العبارة عن المعنى جداً .

وقال :

إِنْ خَيْرًا [مِمَّا] رَأَيْتُ مِنَ الصَّفِّ ح. عن النَّائِبَاتِ وَالْإِغْمَاضِ : (١)
غُرْبَةً تَقْتَدِي بِغُرْبَةِ قَيْسِ بْنِ ن. زُهَيْرٍ وَالْحَارِثِ بْنِ مُضَاضِ
غَرَضِي نَكْبَتَيْنِ مَافَتَلَا رَأَى يَا فَخَافَا عَلَيْهِ نَكْتُ أَنْتِقَاضِ (٢)
مَنْ أَبْنُ الْبُيُوتِ أَصْبَحَ فِي ثَوَى ب. مِنْ الْعَيْشِ لَيْسَ بِالْفَضْفَاضِ
وَأَلْفَتِي مَنْ تَعَرَّفَتْهُ اللَّيَالِي وَالْفَيَافِي كَالْحَيَّةِ النَّضْنَاضِ (٣)
صَلَتَانِ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ حَلُّوا فِي حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَفَاضِ (٤)
كُلُّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرْفِ اللَّيَالِي فَتَكَّةٌ مِثْلُ فَتَكَةِ الْبَرَّاضِ
أَبْنُ الْبُيُوتِ : أقام بها ولزمها . والفَضْفَاضُ : الواسع . والحَيَّةُ النَّضْنَاضُ :
هو الخفيف الكثير الحركة .

وقد عيب عليه قوله : « مُسْتَفَاض » ، وقالوا : إنما هو مستفيض ، وقيل :
إنه أراد مستفاض فيه ، وليس ذلك بشيء . (٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٨٧ وشرح التبريزي ٣٠٩ / ٢ .

(٢) ويرى « غرضاً » .

(٣) تعرفته الليالي : أخذت ما عليه من اللحم ، ولم يثنو على الهزال إذا كان في طلب المجد
والسمو ويذو السن . كما في شرح التبريزي ٣١١ / ٢ .

(٤) في التبريزي « من عزمه » وصلتان : ماض في أمره .

(٥) نقل التبريزي عن المعري : « وأهل اللغة يزعمون أن الصواب أن يقال : حديث مستفيض ،
والقياس لا يمنع أن يقال : مستفاض ، وهو من فوض الماء ، فإذا قيل : مستفيض فعناء منتشر ، وإذا
قيل مستفاض فعناء مشور » .

وقد قاله البحترى أيضاً في قصيدته التي على هذا الوزن :
 أَفَرَطْتُ لَوْنَهُ ابْنِ أَيُّوبَ وَالشَّائِعُ مِنْ ذِكْرِ أَفْنِيهِ الْمُسْتَفَاضِ^(١)
 وقد نطق بها غير واحد من المتأخرين . وهي رديئة .

وذكرها «الطُّرْمَاحُ» على غير هذا الوجه ، فقال يصف حمار وحش :
 وَيُظَلُّ الْمَلِيُّ يُوفِي عَلَى الْقَرِّ نِ عَذُوبًا كَالْحُرْضَةِ الْمُسْتَفَاضِ^(٢)
 القرن : الجيل . عَذُوبًا : رافعاً رأسه لا يذوق شيئاً .

شبهه بالحُرْضَةِ ، وهو رجلٌ يجيء به أصحابُ الميسر . رَذُلٌ من الرجال ساقط . ، ويشلون عينه ، ويدفعون إليه القِدَاحَ فيفيض بها لهم ، فقليل له : الْمُسْتَفَاضُ ؛ لأنه جعله مفيضاً . والإفاضة بالقдах هي أن يدفعها دفعة واحدة من الرِّبَابَةِ إلى قُدَّام ، فيخرج من مَخْرَجِهَا الضيق قَدَحٌ واحد ، ويقوم الرقيب فيأخذه ، وينظر : فإن كان لا حظ له رَدَّه إلى الرِّبَابَةِ ، و [قال] للحُرْضَةِ : أَعِدْ الْجَلْجَلَةَ والإفاضة . وإن كان السهم من ذوات الحظوظ دفعه إلى صاحبه وقال له : اعتزل . فإن كان القَدْحُ أخذ نصيباً واحداً وهو عُشْرُ الجزور ، وإن كان غيره أخذ على قدر أنصباته .

ولقيس بن زهير ، والحارث بن مُضَاض [في] اغترابهما حديث ، وكذلك لِلْبَرَّاضِ فِي فَتَكَتِهِ . وأنا أذكر جميع ذلك بعد الفراغ من [هذا]^(٣) الباب بإذن الله .

(١) ديوان البحترى ٣٩٢ « من أفن رأيه » .
 (٢) اللسان ٨ / ٤٠٤ والمعاني الكبير ١١٤٩ / ٣ والميسر والقдах ١٢٩ وجمهرة أشعار العرب ١٩١ « الملئ : للقادر » وفي م « عروقاً » .
 (٣) م « الفراغ باباً من الباب » .

وقال أبو تمام :

أَعَاذِلْتَا : مَا أَحْشَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا وَأَحْشَنُ مِنْهُ فِي الْمِلْمَاتِ رَاكِبُهُ^(١)
دَعَيْنِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أَعَانِيهَا فَأَهْوَالُهُ الْعُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ^(٢)
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الزَّمَاعَ عَلَى السُّرَى أَخْوَالُ النَّجْحِ عِنْدَ النَّائِبَاتِ وَصَاحِبُهُ؟^(٣)
دَعَيْنِي عَلَى أَخْلَاقِي الصَّمُّ لِلَّتِي هِيَ الْوَفْرُ ، أَوْ سِرْبُ تَرْنُ فَوَادِيهِ^(٤)
فَإِنَّ الْحَسَامَ الْهِنْدَوَانِيَّ إِنَّمَا خُشُونَتُهُ مَالَمْ تُفَأَّ مَضَارِبُهُ
وَقَلْقَلَ نَأْيٌ مِنْ خُرَّاسَانَ جَأَشَهَا فَقُلْتُ أَطْمَئِنِّي أَنْضِرُ الرُّوضُ عَازِبُهُ^(٥)
وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَمْسَةِ عَرَّمُوا عَلَى مِثْلِهَا ، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَابُهُ
لَأْمُرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

وَحَسْبُكَ بِهَذَا كُلُّهُ جُودَةٌ وَحَسَنًا.

وهذا البيت الأخير إنما أخذ معناه من قول الشاعر ، وأنشده في
الحماسة :

فَكَانَ عَلَى الْفَتَى الْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَّتِ الْمَنُونُ^(٦)

(١) ديوان أبي تمام ٤٣ وشرح التبريزي ١ / ٢٢٤ .

(٢) أعانها : أقاسها .

(٣) في شرح التبريزي : « الزماع : المضاء على الأمر . يقول : ألم تعلمي أن من باشر الأسفار ورك الخلفض وابتدل نفسه — أنجح ونال الطلبة ؟ »

(٤) م « اخلاق الضمر التي » و يروي « الصمل » أي الشديدة : والوفر : المال . يقول : دعيني أرتحل . فإما أن أتمول وإما أن يقوم على سرب نساء يندبن .

(٥) يقول : « أحزنها يعني إلى خراسان ، فقلت اسكني فإن الروض أنضره ما بعد ولم يكن قريباً فينال » .

(٦) سبق تخريجه في الجزء الأول ص ٢١ .

وقال [أبو تمام] وسبيله أن يقدم في أول الباب ؛ لأنه من إحسانه

المشهور :

وَلَكَّنِي لَمْ أَخَوِ وَفَرًّا مُجْمَعًا فَفُزْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدَّدٍ^(١)
 وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ نَوْمًا مُسَكَّنًا أَلَدُّ بِهِ إِلَّا بِنَوْمٍ مُشَرَّدٍ
 وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدَيْبَاجَتَيْهِ . فَاعْتَرَبَ تَتَجَدَّدُ
 فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَلَاَحَةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
 قوله : «لَمْ أَخَوِ وَفَرًّا مُجْمَعًا ...» إلا بشمل مبدد ؛ يريد أنه لم
 يخو ذلك إلا في الغربة مع مفارقة وطنه وأحبابه ، وأنه لم يتم نوما ساكنا
 إلا بعد نوم مشرد في الأسفار . وهذا مبني على قول عروة بن الورد :

* ولم تدر أنني للمقام أطوف *^(٢)

وقوله : «فإني رأيت الشمس» ... مشروق من قول الكميت :

* وَلَوْ لَمْ تَغِبْ شَمْسُ النَّهَارِ لَمُلَّتِ *

وقال أبو تمام :

هُنَّ الْبَجَارِيُّ [أ] يَا بُجَيْرُ أَهْدَى لَهَا الْأَبْوَسُ الْغَوِيرُ^(٣)
 يَوْمُ مَقَامٍ عَلَى وَفَارٍ وَسَائِرَ الدَّهْرِ فِيهِ سَيْرُ
 فِي ثُبَّةٍ إِنْ سِرْنَ جَنُ أَوْ يَمَمُوا شَقَّةَ فَطِيرُ
 قَدْ ضُجَّ مِنْ فَعْلِهِمْ جَدِيلُ بِنَسْلِهِ وَأَشْتَكِي غُرَيْرُ
 هَذَا عُبَيْدٌ ، وَذَا زِيَادُ وَذَا لَبِيدٌ ، وَذَا زُهَيْرُ
 يَا لَكَ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزْمٍ لَوْ أَنَّهُ فِي عَصَاكَ سَيْرُ

(١) ديوان أبي تمام ١٠٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٣ .

(٢) الكامل ١ / ١٧٣ وعيون الأخبار ١ / ٢٢٤ والصناعتين ٢٢٠ وصدرة : « تقول سليبي :
 لو أقمت بأرضنا » .

(٣) سبق في الجزء الأول ص ٢٥ .

رُبَّ قَلِيلٍ جَدًّا كَثِيرٌ كَمْ مَطَرٍ بَدُوهُ مُطِيرٌ
صَبْرًا عَلَى النَّائِبَاتِ صَبْرًا مَا صَنَعَ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ

فهذه معان مستقيمة صحيحة ، ونسيج جيد ، ولفظ حسن إلا قوله :
« هُنَّ الْبَجَارِيُّ يَا بُجَيْرٌ » ، فإنه لفظ متعسف مستكره . والبجاري : جمع
بُجْرِيَّة وهو ما يمر بالإنسان^(١) من البُجَرِ والمَصَائِب . من قوله عليه السلام :
« أَشْكُو إِلَى اللَّهِ عُجْرِي وَبُجْرِي » فالْبُجْرُ : جمع بُجْرَة .

ثم قال : « أَهْدَى لَهَا الْأَبْوُسَ الْغَوِيرُ » . وهذا هو المثل : « عَسَى
الْغَوِيرُ أَبْوَسًا »^(٢) .

يقول : جاءها البؤس من حيث لم تعلم أن هناك بؤسًا .^(٣) والْبَجَارِيُّ
هي البؤس أنفسها . فكان ينبغي أن يقول : أَهْدَى لِي الْأَبْوُسَ الْغَوِيرُ ،
لا أَهْدَى لَهَا .

وإن كان أراد أَهْدَى لَهَا يعني نفسه ، ولم يجر لها ذكر فهو رديء .

وقال البحتري :

وَأَحَبُّ آفَاقِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى أَرْضُ [يَنَالُ] بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ^(٤)
كَمْ مَشْرِقٍ / قَدْ نَقَلْتُ نَوَالَهُ فَجَعَلْتُهُ لِي عُدَّةً فِي الْمَغْرِبِ

(١) م « ما يمر الإنسان من البحرك » .

(٢) مجمع الأمثال ٣ / ١٧ وجمهرة الأمثال ١٤٣ .

(٣) م « بؤس » .

(٤) ديوان البحتري ١٢٣ / ١ ، ٢٨٣ وفي م « وأحق » .

وقال :

أُمْسِي زَمِيلًا لِلظَّلَامِ وَأَعْتَدِي رِدْفًا عَلَى كَفَلِ الصَّبَاحِ الْأَشْهَبِ^(١)
فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِفًا لِلْمَشْرِيقِ الذِّ أَقْصَى ، وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ^(٢)
وَإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةً مُغْدِمٍ فَالْبَسْ لَهَا حُلَّ النَّوَى وَتَغَرَّبِ
وَلَقَدْ أَبَيْتُ مَعَ الْكَوَكِبِ رَاكِبًا أَعْجَازَهَا بِعَزِيمَةٍ كَالْكَوْكَبِ
وَاللَّيْلُ فِي لَوْنِ الْغُرَابِ كَأَنَّهُ هُوَ فِي حُلُوكِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْعَبِ
حَتَّى تَبْدَى الصُّبْحُ مِنْ جَنَبَاتِهِ كَالْمَاءِ يَلْمَعُ فِي خِلَالِ الطُّحْلِبِ^(٣)
وَالْعِيشُ تَنْصِلُ مِنْ دُجَاهُ كَمَا أَنْجَلَى صَبَغُ الشَّبَابِ عَنِ الْقَذَالِ الْأَشْيَبِ^(٤)

وهذا من إحسان أبي عبادة الذي يتقدم على [كل] إحسان في

معناه .

وما قيل في وضوح الصبح أجود ولا أَلطف معنى ، ولا أبرع من قوله :
« كالماء يلمع في خِلَالِ الطحلب » .

وقوله : « فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِفًا لِلْمَشْرِيقِ الْأَقْصَى » - أجود من قول
أبي تمام :

« تَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذَكَرَ مَشْرِقٍ » ؛ لَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ لَا يَكُونَ سَمْعُ^(٥)
أَهْلِ بَلَدٍ يَذْكُرُونَ الْمَشْرِقَ ، وَلَيْسُوا جُهَاًلًا بِهِ .

(١) ديوان البحترى ٦٠١ ، ١ / ٧٩ دار المعارف .

(٢) سبق ص ٢٦٣ .

(٣) في الديوان « حَتَّى تَجَلَّى الصُّبْحُ فِي جَنَبَاتِهِ » . من و راء الطحلب « وفي م » في خِلَالِ الطحلب .

(٤) في الديوان « وَالْعَيْنُ تَنْصِلُ » .

(٥) م « يَسْمَعُ » .

وقوله : « حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا » . يجوز أن ينساها فلا يذكرها ،
وأن ينسى أباه فلا يذكره ، وليس ماله بـ « بَرُو »^(١) ، لأن غرضه فيه معروف ، ولكن
قول البحترى أجود .

وقال البحترى :

أَشْرُقُ أُمُّ أَغْرَبُ يَا سَعِيدُ وَأَنْقُصُ مِنْ زَمَاعِي أُمُّ أَزِيدُ^(٢)
عَدْتَنِي عَنْ نَصِيبَيْنِ الْعَوَادِي فَحَظُّي أَبْلَهُ فِيهَا بَلِيدُ^(٣)
أَرَى الْجِرْمَانَ أَبْعَدُهُ قَرِيبُ بِهَا ، وَالنُّجَحَ أَقْرَبُهُ بَعِيدُ
تَقَاذِفُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ كَانِي بَيْنَهَا خَبِرُ شُرُودُ^(٤)

قوله : « خَبِرُ شُرُود » - معنى غريب طريف .

وقال :

وإِنْ أَغْتَرَابَ الْمَرْءُ فِي غَيْرِ بُغْيَةٍ يُطَالِبُهَا مِنْ حَيْفِ دَهْرٍ يُطَالِبُهُ^(٥)
فَلَيْسَ بِمَعْدُورٍ إِذَا رُدَّ سِرُّهُ عَلَيْهِ بِأَنْ تَعْيَا عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ
وَيُعْطِيهِ مُرْجُوُ الْعَوَاقِبِ مُسْرِعًا إِلَيْهِ رَكُوبُ الْأَمْرِ تُخْشَى عَوَاقِبُهُ
أَرْجَى وَمَا نَقَعَ الرَّجَاءُ إِذَا أَلْتَقَتْ مَنَاحِسُ أَمْرِ مُجْهِفٍ وَمَعَاطِبُهُ
وَمِمَّا يُعْنَى النَّفْسُ كُلُّ عَنَائِهَا تَوْفَعُهَا الصَّنْعُ الْبَعِيدُ تَقَارِبُهُ^(٦)

وهذا البيت يصلح أن يكون في باب الصبر والقناعة ، ومعناه من أتقن
المعاني وأحسنها .

(١) كذا بالأصل ولعلها « وليس ما قاله بردى » .

(٢) ديوان البحترى ٤١٤ ، ١ ، ٥٨٠ وسبق الأول ص ٢٣٤ .

(٣) في الديوان « فقلبي أبله » ، « فنجحي أبله » .

(٤) وفيه « جمل شرود » .

(٥) ديوانه ٥٨٨ ، ١ ، ٢١٩ .

(٦) في الديوان « الصنع البطيء » .

وقال :

عَسَتْ الْإِضَافَةُ أَنْ تَنَالَ بِهَا سَعَةً وَنَكَلٌ ضَارِباً شِبَعُهُ^(١)
 وَالْفَسْلُ تَسْلُبُهُ عَزِيمَتُهُ أَذْنَى وَجُودٍ كِفَايَةٍ تَسْعُهُ^(٢)
 لَا يَلْبَثُ الْمَمْنُوعُ تَطْلُبُهُ حَتَّى يَثُوبَ إِلَيْكَ مُمْتَنِعُهُ^(٣)
 وَالنَّيْلُ دَيْنٌ تَسْتَرْقُ بِهِ فَارْتَدُّ لِرِقِّكَ عِنْدَ مَنْ تَضَعُهُ^(٤)
 قوله : « نَكَلٌ ضَارِباً شِبَعُهُ » . أى أَقْعَدُهُ حَتَّى نَكَلَ عَنِ الْمَطْلَبِ .

وقال :

أَسِيرٌ إِذْ كُنْتُ فِي طُولِ الْمَقَامِ بِهَا أَكْدَى لَعَلِّي أَجْدَى عِنْدَ مُرْتَحِلِي^(٥)
 وَرُبَّمَا حُرِمَ الْغَارُونَ غَنَمَهُمْ فِي الْغَزْوِ ، ثُمَّ أَصَابُوا الْغَنَمَ فِي قَفَلٍ^(٦)
 شَرْقٍ وَغَرْبٍ فَعَهْدُ الْعَاهِدِينَ لِمَا . طَالَبْتُ فِي ذَمْلَانَ الْأَيْتُقِ الدُّمْلُ^(٧)
 وَلَا تَقُلْ أُمِّ شَتَّى وَلَا نَسَقُ فَاَلْأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ ، وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ^(٨)
 قوله : « وَلَا تَقُلْ أُمِّ شَتَّى وَلَا نَسَقُ » . أى لَا يَصُدُّكَ عَنِ السَّفَرِ أَنْ
 تقول : كيف أَلَاقَى أُمًّا مَتَفَرِّقِينَ مُتَبَاعِدِينَ ، غَيْرَ مُقْتَرِنِينَ ، وَلَا مُتَسِقِينَ ،
 وَأَتَرَكَ أَهْلِي وَبِلَدِي ؛ فَإِنْ تَرَبَّةُ الْأَرْضِ وَاحِدَةٌ ، وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ .
 وصدر هذا البيت ردىء : وعجزه فى غاية الحسن والبراعة .

(١) سقط هذا البيت من الديوان ص ٢٢٧ . وهو فى طبعة مصر ٨٣ / ٢ .

(٢) فى طبعى الديوان « فاطلب لِرِقِّكَ » .

(٣) ديوان البحترى ٢٢٧ .

(٤) فى الديوان « فى القفل » .

(٥) فى الديوان « بما طاليت » .

(٦) « شَتَّى وَلَا فَرْقَ » .

ولولا أن محاسن أبي تمام في هذا الباب هي أبياته الأربعة والجميع من معانيها مسروقة - لفضلته على البحترى إلا في بيت الطحلب فإنه معنى ما علمتُ أحداً سبق إليه ، ولا قيل في وضوح الصبح أبرغ منه . فأجعلهما متكافئين .

ومما * ذكر فيه سرى الإبل

قال أبو تمام :

لَا تُذِيلَنَّ صَغِيرَ هَمِّكَ وَانْظُرْ كَمْ بَدَى الْأَثَلِ دَوْحَةً مِنْ قَضِيبٍ^(١)
رُبَّ خَفِضٍ تَحْتَ السُّرَى وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ ، وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ
فَأَسْأَلِ الْعَيْسَ مَا لَدَيْهَا وَأَلْفَ بَيْنَ أَشْبَاحِهَا وَبَيْنَ السُّهُوبِ^(٢)

وقال :

فَتَى النَّكَبَاتِ مَنْ يَأْوِي إِذَا مَا قَطَفَنَّ بِهِ إِلَى خُلُقٍ وَسَاعٍ^(٣)
يُشِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ ثَغْرِ يَهِيمُ بِهَا عَدِيٌّ بِنُ الرُّقَاعِ
أَبْنٌ مَعَ السُّبَاعِ الْمَاءُ [حَتَّى] لَخَالَتَهُ السُّبَاعُ مِنْ السُّبَاعِ
فَلَبَّ الْحَزْمَ إِنْ حَاوَلْتَ يَوْمًا بَأَنَّ تَسْطِيعَ غَيْرِ الْمُسْتَطَاعِ^(٤)
فَلَمْ تَرَحَّلْ كَنَاجِيَةِ الْمَهَارِي وَلَمْ تُرَكِّبْ هُمُومَكَ كَالزَّمَاعِ

قوله : « قَطَفَنَّ » أى أبطأ فى الانصراف والانكشاف عنه ، وتشاقلن فى
المضى ، مأخوذ من قولهم : دَابَّةٌ قَطُوفٌ ، وهو الذى يقصر خطوه فيبطل ذهابه .

* م « وما » .

(١) ديوان أبى تمام ٣٦ وشرح التبريزى ١ / ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) ويروى : « بين أشخاصها » .

(٣) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزى ٢ / ٣٣٦ ويروى « أطفن » يقول : « هو صاحب النكبات
والشدائد يرتكبها ويأوى إلى خلق واسع إذا ضيق من مذهب وأحطن به » .

(٤) م « فليت الحزم » وفى شرح التبريزى « ويروى : قلب الحزم ، يقول : إنه أردت أن
تقدر على مالا يقدر عليه ، فأوجب عزمك واتبعه ولا تخالفه ، فإن الحزم يؤدبك إلى النجاح . . . وقال
المرزوقى . . معنى البيت : أجب الحزم وعليك به فيما تطلبه من المهمات . فإن الحزم يعين على كل شيء
حتى على مالا يتأتى ولا يسهل » .

يقول : فإنه مع هذه الحال يأوى إلى خلق واسع ، وصبر على المِحنِ حتى تنكشف .

وقوله : « يُثِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ ثَغْرِ » . أى بطأ كل بلدة مخوفة ، وتشير مطيته غبار كل بقعة . ونسب العجاجة إلى عدي بن الرقاع لأن عديا وصف العير والأتان وما يثيرانه من الغبار في السهل من الأرض ، فإذا صارا إلى الحزن لم يوجد لها فيه نفع ، فشبهه بملاءة ينشuranها مرة ، ويطويانها أخرى فقال :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مُلَاعَةً سَوْدَاءَ دَاجِيَةً هُمَا نَسَجَاهَا^(١)
تُطَوَّى إِذَا عَلَوْا مَكَانًا نَاشِرًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أَسهَلَتْ نَشَرَاهَا

وهذا من تشبيهات العرب الموصوفة . فجعل أبو تمام عديا ممن هام بهذه العجاجة ، أتى بوصفها إعجابا بها ، وأن ناقتة أيضا تثير عجاجة في كل ناحية كهذه العجاجة .

وهذا تمحل منه لمعنى غير لائق بما هو بسبيله من ذكر سيره ؛ لأنه إن كان أراد أنه أيضا يثير النقع في السهل ، ولا يثيره في الحزن فكل سائر فيهما هذه حاله ، فما وجه ذكره عجاجة عدي ، وإنما حسن من عدي ، وصح التشبيه لأن الجمار إذا طلب الأتان فليس يجريان على استقامة بل تراهما بيناهما في الحزن صارا إلى السهل . ثم يعودان إلى الحزن ، فتراهما مُسهلين ومُحزنين لجولانتهما ، فترى عجاجتهما تشور حيناً ، وتلبد حيناً ، فصح التشبيه وحسن . والمسافر إنما يمر على سنن واحد فليس يكاد يخرج من سهل إلى حزن ، ومن حزن إلى سهل في وقت واحد تدركه

(١) الطرائف ٩٦ وأمال المرتضى ١٠٢/١ ونقد الشعر ٤٢ ومعجم الشعراء ٢٥٣ وفي م «نشرهما» .

منه العيون فيكون الغبار مشبهاً للملاءة تنشر وتطوى . وإنما يقع ذلك في أوقات متراخية يسقط . معها هذا المعنى .

وقال أبو تمام :

وَرَكِبَ يُسَاقُونَ الرُّكَّابَ زُجَاجَةً مِنْ السَّيْرِ لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفَّ قَاطِبٍ^(١)
فَقَدْ أَكَلَتْ مِنْهَا الْغَوَارِبُ بِالسُّرَى وَصَارَتْ لَهَا أَشْبَاحُهُمْ كَالْغَوَارِبِ^(٢)
يَرَى بِالْكَعَابِ الرُّودِ طَلْعَةَ ثَائِرٍ وَبِالْعِرْمِيسِ الْوَجْنَاءِ غُرَّةَ آيِبٍ^(٣)
كَأَنَّ بِهِ ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنْ الْأَرْضِ ، أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
قوله : « لم تقصد لها كف قاطب » . أى سيراً لا يلين ولا يفتر ،
كما تُقَطَّبُ الرِّاحُ أَنْ تُمَزَّجَ وَتُكْسَرَ بِالماءِ وتلين .

وقال :

فَاطْلُبْ هُدُوءًا بِالتَّقْلُقِ وَاسْتَشِرْ بِالْعِيسِ مِنْ تَحْتِ السَّهَادِ هُجُودًا^(٤)
مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عِلَلِ السُّرَى وَخُذْ يَبِيتُ النُّومُ مِنْهُ شَرِيدًا^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ٤١ وفى شرح التبريزى ١ / ٢٠٩ عن الصولى : « أى يسكرون المطى بالتعب فكأنهم سقوها زجاجة ، أى شراباً فى زجاجة . وقاطب : أى مازج . أى ليست هى على الحقيقة زجاجة فيها شراب يناولها السائق صاحبه بقصده » .
(٢) فى الديوان وشرحه « فقد أكلوا » ، يقول : أتعبوا حتى ذابت أسنمتها ، وصاروا لها كالأسنة فوقها » .

(٣) نقل التبريزى عن الصولى قوله : « هذا الرجل من حبه للسفر فى طلب العلى . إذا رأى الكعاب الحسناء فكأنما يرى طلعة ثائر قد جاء ليثأر منه ، لبغضه للكعاب وحبه للسفر ، إلى أن يبلغ مراده وينال حاجته . ويرى بالعرمس . وهى الناقة الصلبة - من حبه لها طلعة قادم عليه ، حتى يبلغ إلى أبى دلف هذا الممدوح . . . » .

(٤) ديوانه ٨٨ وشرح التبريزى ١ / ٤١٦ « بالعيس : أى بركوب العيس . ومن تحت السهاد : أى من تحت الصبر على السهاد . أى اطلب بالحركة فى الأسفار سكوناً ودعة فيما بعد ، وبالأرق نوماً » .
(٥) فى شرح التبريزى : « علل السرى : يعنى إسراء بعد إسراء ، أخذه من علل الشرب . ومن روى على علل السرى - بكسر العين - أى ما يحدثه السرى من هزالها وغير ذلك » .

يَخْدِي بِمُنْصَلِتٍ يَظَلُّ إِذَا وَنَى ضَرْبَاؤُهُ حَلَسًا لَهَا وَقُودًا^(١)
 جَعَلَ الدُّجَى جَمَلًا وَودَّعَ رَاضِيًا بِالْهُونِ يَتَّخِذُ الْقُعُودَ قُعُودًا^(٢)

وقال :

وَرَأَيْتَ ضَيْفَ الْهَمِّ لَا يَرْضَى قِرَى إِلَّا مُدَاخَلَةَ الْقِفَارِ دِلَالًا^(٣)
 شَجْعَاءَ جَرَّتْهَا الذَّمِيلُ تَلُوكُهُ أَصْلًا إِذَا رَاحَ الْمَطِيُّ غِرَاثًا^(٤)
 أَجْدًا إِذَا دَنَتْ الْمَهَارَى أَرْقَلَتْ رَقْلًا كَتَحْرِيقِ الْغُضَا حَشْحَاثًا^(٥)

مُدَاخَلَةُ الْقِفَارِ : مُوثَقَةُ الْخَلْقِ .

وَالدَّلَاثُ : السَّرِيعَةُ ، وَالْمُنْدَلِثُ : الْمَسْرَعُ ، يُقَالُ : أَنْدَلَتْ أَنْدِلَاثًا .

و « شَجْعَاءَ جَرَّتْهَا الذَّمِيلُ »^(٦) مثل ، أَى إِذَا اجْتَرَّتْ الْإِبِلُ الْعَلْفَ مِنْ
 بَطُونِهَا وَلَا كَتَهُ فَلَيْسَ لِهَذِهِ النَّاقَةُ جَرَّةٌ [إِلَّا الذَّمِيلُ] وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ

(١) الْمُنْصَلِتُ : الْمَاضِى فِي الْأَمْرِ . وَضَرْبَاؤُهُ : نَظَرَاؤُهُ يَقُولُ : هَذَا الرَّجُلُ قَدْ أَلْفَ ظُهُورَ الْعَيْسِ
 فَكَأَنَّهُ قَتُودَ لَهَا وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ : بَنُو فُلَانٍ أَحْلَسُوا الْحَيْلَ . وَفِي م « لِمُنْصَلِتٍ » .

(٢) نَقَلَ التَّبْرِيزِيُّ عَنِ الْمَرْزُوقِيِّ قَوْلَهُ : « وَالْمَعْنَى أَنَّهُ امْتَطَى اللَّيْلَ وَخَلَفَ مِنْ كَانَ يَرْضَى بِالْهُوَانِ
 وَيَلْزَمُ بَيْتَهُ ، وَلَا يَسْمَى فِي كَسْبِ الْمَالِ وَتَحْصِيلِهِ ، بَلْ اتَّخَذَ جُلُوسَهُ قُعُودًا لَهُ ، أَى اقْتَتَلَهُ وَرَضَى بِهِ مَرْكَبًا »
 وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : اتَّخَذَ اللَّيْلَ جَمَلًا : أَى سَرَى اللَّيْلَ كُلَّهُ وَرَكَبَهُ فِي حَاجَتِهِ . رَاجِعِ اللِّسَانَ ١٣ / ١٣١
 وَجَمْعُ الْأَمْثَالِ ١ / ١٣٥ .

(٣) دِيَوَانُهُ ٦٤ وَشَرَحَ التَّبْرِيزِيُّ ١ / ٣١٧ وَالْقِفَارُ : خَرَزُ الظَّهْرِ . وَالدَّلَاثُ : النَّاقَةُ الْخَرِيشَةُ
 عَلَى السَّيْرِ .

(٤) قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ : « الشَّجْعَاءُ : الطَّوِيلَةُ ، وَقِيلَ : هِيَ الَّتِي بِهَا جُنُونٌ مِنْ نَشَاطِطِهَا ، وَالْجَرَّةُ :
 مَا تُخْرِجُهُ النَّاقَةُ مِنْ جَوْفِهَا إِلَى فَمِهَا وَتَجْتَرُ بِهِ . وَالذَّمِيلُ : السَّيْرُ السَّرِيعُ . وَتَلُوكُهُ : تَمَضَّيْتُهُ . وَالْأَصْلُ :
 الْعَشِيَّةُ . وَالْفَرَاثُ : الْجِيَاعُ . يَصِفُ نَاقَةً فَيَقُولُ : هِيَ نَشِيطَةٌ تَجْتَرُ بِالذَّمِيلِ إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الَّذِي تُكَلُّ فِيهِ
 الْإِبِلُ ، وَهُوَ الْعَشِيَّةُ مَتَى سَارَتْ النَّهَارَ كُلَّهُ ، أَى تَسِيرُ سَيْرًا سَرِيعًا . وَجَعَلَ الْاجْتِرَارَ مِثْلًا لِلْحَقِّ الْكَلَالِ
 وَانْقِطَاعِ الْقَوَى وَالْأَشْرَ ، يَقُولُ : هِيَ تُصَلُّ السَّيْرَ بِالسَّيْرِ بَاقِيَا نَشَاطِطِهَا إِذَا حَسَرَتْ الْإِبِلُ وَكَلَّتْ قَوَاهَا .
 وَيُفْسِرُهُ الْبَيْتُ الَّذِي بَعْدَهُ » .

(٥) الْأَجْدُ :: الْقَوِيَّةُ الْمَوْثِقَةُ الْخَلْقِ . وَالْإِرْقَالُ : الْإِسْرَاعُ . وَالْغُضَا : شَجَرٌ يَوْقُدُ بِهِ ، وَهُوَ مِنْ
 أَجْوَدِ الْوُقُودِ عِنْدَ الْعَرَبِ . وَحَشْحَاثًا : سَرِيعًا . وَفِي م « جَشْحَاثًا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) م « وَالشَّجْعَاءُ وَجَرَّتْهَا الذَّمِيلُ » .

كما قال في وصف الخيل :

* تَعْلِيْقُهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ * ^(١)

جعل ذلك مكان الشعر في المَخَالِي إذا عُلِّقَتْ عليها .

يقول : إذا وَنَتِ الرُّكَّابُ وَغَرِثَتْ ، أى احتاجت إلى العَلَفِ ، فإنَّ هذه الناقة لاقتدارها على السير ، وَصَبَّرَهَا عَلَى ^(٢) الرَّمْلِ - تَلُوكُ الذَّمِيلَ كَأَنَّهُ طَعَامُهَا .

وهذه القطع كلها جياذ صحيحة المعاني والألفاظ .

وقال :

سَأَخْرِقُ الْخَرَقَ يَا بَنِي خَرَقَاءَ كَأَنَّ
مُقَابِلِي فِي الْجَدِيلِ صُلْبُ الْقَرَا
تَأْمِكِهِ نَهْدِهِ مَدَاخِلِهِ مَلْمُومِهِ
مُخَزَّنِيهِ أَجْدِيهِ

« ابن خرقاء » : يريد بغيراً .

وَالْهَيْتُ . الظِّلْمُ . شُبَّهَ [بِهِ] لِنَشَاطِهِ وَسُرْعَتِهِ .

وَالنَّجْدُ : الْعَرَقُ . أَيْ هُوَ كَالْهَيْتِ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي يُقَدَّرُ فِيهَا
فُتُورُهُ .

مُقَابِلُ : كَرِيمُ الْآبَاءِ وَالْأُمَمَاتِ . فِي الْجَدِيلِ : وَهُوَ فَحْلٌ كَرِيمٌ .

لُوحِكَ : شُدَّ وَوُثِّقَ . وَالْكَتْدُ : مَا يَتَصَلُّ بِالْحَارِكِ مِنَ الْعُنُقِ .

(١) ديوان أبي تمام ٢٨١ صدره « بسوامي لحق الأياطل شرب » .

(٢) م « عن » .

(٣) ديوانه ٩١ وشرح التبريزي ١ / ٤٣٤ .

والتَّامِكُ : المرتفع ، وكذلك النَّهْدُ^(١) .

والمَلْمُومُ : الذى قد استوى لحمه وشحمه من سنمه ، ولم يبق له عظم شاخص .

والمُخْزَلُ : المرتفع ، يقال : أَخْزَلُ أى ارتفع فى السير .

وهذه معانٍ صحيحة . ولكن النَّسْجَ لا حلاوة له ، ولا طلاوة عليه .

وقال :

وَإِلَى جَنَابِ أَبِي الْحُسَيْنِ تَشَنَّتْ بِزِمَامِهَا كَالْمُضْعَبِ الْمَخْطُومِ^(٢)
جَاءَتْكَ مِنْ مُعْجِ خَوَائِفِ فِي الْبَرَى وَعَوَارِفِ بِالْمَعْلَمِ الْمَأْمُومِ
مِنْ كُلِّ نَاجِيَةٍ كَأَنَّ أَدِيمَهَا حِيصَتْ ظَهَارَتُهُ بِجِلْدِ أَطُومِ
تُثْنِي مِلَاطِيهَا إِذَا مَا اسْتُكْرِهَتْ سَعْدَانَةٌ كَادَارَةِ الْقُرْزُومِ
طَلَبْتُكَ مِنْ نَسْلِ الْجَدِيلِ وَشَدَقَمِ كَوْمٌ عَقَائِلُ مِنْ عَقَائِلِ كُومِ
يَنْسِينَ أَصْوَاتَ الْحُدَاةِ وَنَبْرَهَا طَرِبًا لِأَصْوَاتِ الصَّدَى وَالْبُومِ
فَأَصْبَنَ بَحْرَ نَدَاكَ غَيْرُ مُصَرِّدِ وَرَدًا ، وَأُمُّ نَدَاكَ غَيْرَ عَقِيمِ
لَمَّا وَرَدَنَ حِيَاضَ سَيْبِكَ طُلْحًا خَيْمَنَ ، ثُمَّ شَرِبْنَ شَرْبَ الْهِيمِ

قوله : « تَشَنَّتْ » : أى أخذت أهبتها للسير ، وشمرت ، من قولهم : تَشَنَعَ الْفَارُسُ ، إِذَا لَبَسَ سِلَاحَهُ .

(١) م « النهو » وهو تحريف .

(٢) ديوان أبي تمام ٣٠٦ وفى شرح التبريزي ٣ / ٢٦٢ « ويروى : كالبازل المخطوم » يقال

تشنت الناقة . إذا ترفعت فى سيرها . وإذا شهبوا الإناث بالفحول فذلك مبالغة عندهم .

وَمُعْجٌ : جمع مُعْجَةٍ . والمُعْجُ : التغلُّبُ في الجَرْى ، يقال : مرَّ الحمارُ
بِمُعْجٍ مُعْجًا ، إذا جرى في كلِّ وجه بسرعة ، وِحِمَارٌ مُعْجَجٌ .

والخَوَانِفُ : جمع خُفٍّ ، وهى الناقة التى تضرب بيدها فى السير من
نشاطها وفيه بعض الميل .

والمَعْلَمُ : الطريق . والمأموم : الذى يُؤْتَمُّ . عَارِفَةٌ بالطريق الذى يجب
أن ترومه لطول دأبها ، وكثرة سيرها فى الطرق المختلفة .

وقوله : « حَبِصَتْ » خِيطَتْ بجلد أطوم ، يقال : إن الأطوم :
السَّخْفَاءُ البحرى الذى يجعل من جلده الذَّبْلُ^(١) . ويشبه جلد البعير الأملس
به . ويقال : الأطوم : سمكة فى البحر غليظة ، وقيل بل هى بقرة يتخذ من
جلدها الخِفَافَ للحَمَّالين . قال الشَّماخُ يصف ناقة :

وَجِلْدُهَا مِنْ أَطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ طَلْحٌ كضَاحِيَةِ الصَّيْدَاءِ مَهْزُولٍ^(٢)

قيل فى تفسيره : الأطوم : سمكة بحرية تُخَصَفُ الخِفَافُ والنَّعَالُ بجلدها .

ويؤَيِّسُهُ : يُدَلِّلُهُ ، والتَّاييسُ : التَّدْلِيلُ .

والطَّلْحُ : والقُرَادُ هاهنا ، والطَّلْحُ : الضَّئِيلُ المهزول .

والصَّيْدَاءُ : حصى . والصَّيْدَانُ^(٣) : حِجَارَةٌ .

وضاحية : ما ضَحَا لِلشَّمْسِ منها وظهر .

وقال الأخفش فى تفسير هذا البيت : الأطوم : طَى البشر بالصخر

الأسود ، ويقال : الأطوم : الصَّدَفُ .

وقوله : « تَتْنِي مِلَاطِيهَا » أى تُبَاعِدُ بينهما .

ومِلَاطَاهَا : وعَضْدَاهَا .

(١) المراد بالذبل هنا : الأسورة والأمشاط ، راجع اللسان ١٣ / ٢٧٢ .

(٢) ديوان الشماخ ٧٩ « بضاحية الصيذاء » وفى اللسان ٤ / ٣٨٥١ « بضاحية » .

(٣) اللسان ٤ / ٢٥١ .

سَعْدَانَةٌ : والسَّعْدَانَةُ من البعير : هي الْبَلْدَةُ^(١) . أى تباعد بين عضديها كِرْكِرَةً^(٢) ، أو بَلْدَةً مستديرة كإدارة الْفُرُورِ . وهي الخشبة الْمُدَوَّرَةُ الَّتِي يَحْتَذُو عَلَيْهَا الْحَدَّاءُ^(٣) . وذلك محمود في الإبل أن يتباعد عَضْدُ الْبَعِيرِ من زَوْرِهِ في السير .

وَالْكُرْمُ : الْعِظَامُ الْأَسْنِمَةُ ، واحدتها كَوْمَاءُ .

وقوله :

يَنْسِينَ أَصْوَاتَ الْحَدَاةِ [وَنَبْرَهَا] طَرِبًا لِأَصْوَاتِ الصَّدَى وَالْبُومِ^(٤)
أى ألفت صوت الصدى والبوم لكثرة سيرها في الفيافي ، حتى صارت تطرب لذلك وتنسى أصوات الحداة .

وهذا من مبالغاته البعيدة الباطلة .

ولو قال : إلفاً لأصوات الصدى كان أشبه بالصواب قليلاً من الطرب .
وهذه أبيات صالحة على ما فيها من التكلف .

وقال :

الْهَمُّ ، وَالْعَيْسُ ، وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعًا ثَلَاثَةٌ أَبَدًا يُقَرَّنُ فِي قَرْنٍ^(٥)
حَوْبًا حَلًّا ، قَاسِمِي الْهَمِّ يَا ابْنَتَهُ فَقَدْ خُلِقْتَ لِغَيْرِ الْخَوْضِ وَالْعَطَنِ^(٦)

(١) البلدة : ثغرة النحر . راجع اللسان ٤ / ٦٣ .

(٢) في اللسان ٦ / ٤٥٢ : الكركرة : رحي زور البعير والناقة ، وهي إحدى الثغرات الخمس وهي زور البعير الذي إذا برك أصاب الأرض وهي ناتئة عن جسمه كالقرصة ، وجعلها كراكر .

(٣) اللسان ١٥ / ٣٧٥ .

(٤) م : المصدق والبوم !

(٥) ديوان أبي تمام ٢٣٤ وشرح التبريزي ٣ / ٣٣٨ .

(٦) في الديوان وشرحه : أقول لحرى الوحناء لا تنى فقد .

قوله : « حَوِيًّا حَلَا » زَجَرُ من زَجَرَ الإِبِلَ^(١) ، كَأَنَّهُ زَجَرَ نَاقَتَهُ ، وقال لها : قاسمِني الهم يا ابنته : يا بنت الهم ، سيري وانطلقى فقد خُلِقْتُ لغير الحوض والعطن ، أَى خُلِقْتُ لقطع الأسفار لا للإقامة .
وانمظ. هذا البيت الأخير ردىء ، ونسجُه قبيح .

وأخذ البحتري معنى الأول فقال :

يَا خَلِيلِيَّ بالسَّوَاغِيرِ مِنْ وَدْبٍ نِ مَعْنِي وَبُخْتَرِ بْنِ عَتُودِ^(٢)
اطْلُبَا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَاللُّجَى وَالْبِيدِ

وقال البحتري :

بَنَاتُ الْعَيْدِ تَعْتَادُ الْفَيَافِي إِذَا شِئْنَا اسْتَمَرَّ بِهَا الدَّمِيلُ^(٣)
وَمَا طَرَفًا زَمَانِ الْمَرْءِ إِلَّا مَقَامٌ يَرْتَضِيهِ ، أَوْ رَحِيلُ
وقال :

وَإِذَا مَا تَنَكَّرْتُ لِي بِبِلَادٍ أَوْ خَلِيلُ فَإِنِّي بِالْخِيَارِ^(٤)
وَحَدَانُ الْقِلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلَنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَشْعَارِ
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضَّ نَ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي^(٥)
كَالْقَيْسِ الْمُعْطَفَاتِ بَلِ الْأَسَدِ هُمْ مَبْرِيَّةٌ بَلِ الْأَوْتَارِ^(٦)

وهذا من أوصاف الإبل إذا أضمرها السير [وهي] في غاية الحسن والصحة والحلاوة في اللفظ. والنسج .

(١) اللسان ١ / ٢٣٠ .

(٢) ديوان البحتري ٦٩٢ ، ١ / ٦٣٣ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٣٠١ .

(٤) ديوانه ٤٤٥ ، ٢ / ٩٨٧ .

(٥) م يترقرن .

(٦) م الأوتاد .

ومثله في الجودة والحسن قوله :

وَهِيَ الْعَيْسُ دَهْرَهَا فِي ارْتِحَالٍ مِنْ حُلُولٍ ، أَوْ فُرْقَةٍ مِنْ جَمِيعٍ ^(١)
 رَبٌّ مَرَّتْ مَرَّتْ تُجَاذِبُ قُطْرَهُ سَرَابًا كَالْمَنْهَلِ الْمَشْرُوعِ ^(٢)
 وَسُرَى تَنْتَجِيهِ بِالْوَحْدِ حَتَّى تَصْدَعُ اللَّيْلَ عَنْ بَيَاضِ الصَّدِيعِ
 كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيُحْسِبَنَّ أَحْيَا نَا نُسُوعًا مَجْدُولَةً مِنْ نُسُوعِ ^(٣)

وقال :

سَوْفَ أُعْطِيَ السُّلُوَّ وَالصَّبْرَ مَا أَمْ نَعُ مِنْ طَارِفِ الْهَوَى أَوْ تَلِيدِ ^(٤)
 بِالْمَهَارَى يَلْبَسُنْ لَوْنًا جَدِيدًا مُسْتَفَادًا فِي كُلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ
 فَهِيَ طُولُ النَّهَارِ بِيَضٍ وَطُولُ الْ لَيْلِ فِي أَقْمَصِ مِنَ اللَّيْلِ سُودِ
 طَالِبَاتٍ فِي الْغَوْثِ غَيْثًا سَكُوبًا وَحَمِيدًا فِي آلِ عَبْدِ الْحَمِيدِ
 وهذا كل جيد بالغ ، وعذب حلو ، ومعان لطيفة لائقة .

وقد أجاد كل واحد منهما وُصفَ إبله على الطريقة التي قصدها
 واعتمدها ، وإن كانت معاني البحري فيما ذهب إليه من الضمر حلوة
 جدًا .

فأقول : إنهما في الباب متكافئين .

(١) ديوان البحري ٤٢١ ، ٢ / ١٢٧٩ دار المعارف .

(٢) البيت ليس في ديوانه ، وهو في طبعة مصر ٩١ / ٢ .

(٣) في الديوان « في النُسُوع » كالبري جمع برة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال
 وما أشبهها . والبري : جمع برة وهي الحلقة من صفر أو غيره تجعل في لحم أنف البعير . والنُسُوع جمع
 نسع ، وهي السير يضفر على هيئة أعتة النعال تشد به الرحال ، وقال ابن الأثير : هو سير مضفور يحمل
 زماماً للبعير وغيره ، كما في اللسان ١٠ / ٢٣٠ .

(٤) ديوانه ٧٦٩ / ١ دار المعارف .

ولأبي تمام في وصف الإبل أشياء رديئة لم أكتبها ، وفيها قصيدة يصف فيها ناقة حج عليها - رديئة جدًا أولها :

لَعَلَّكَ ذَاكِرُ الطَّلِّ الْقَدِيمِ وَمُوفٍ بِالْعُهُودِ عَلَى الرُّسُومِ^(١)

له فيها ألفاظ مختلفة ، ومعان من معاني السوق . وقد تقدم في الباب^(٢) قوله :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِبُهُ
لَأْمُرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

في أبيات [ما هي^(٣)] من ذلك الباب ، ثم قال بعدها ما هو من هذا الباب في وصف الإبل . وسبيلها أن تثبت في هذا الباب في أوله :

عَلَى كُلِّ مَوَارٍ الْمِلَاطِ تَهْدَمَتْ عَرِيكَتُهُ الْعَلِيَاءُ ، وَأَنْضَمَ حَالِبُهُ^(٤)
رَعْتُهُ الْفَيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةُ رَعَاهَا وَمَاءُ الرُّوضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ
فَأَضْحَى الْفَلَا قَدْ جَدَّ فِي بَرِّي نَحْضِهِ وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَاكَ يُلَاعِبُهُ
فَكَمْ جَزَعٍ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةً غَارِبٍ وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ أُنْمَكَتُهُ مَذَانِبُهُ

قوله : «مَوَارٍ الْمِلَاطِ» : فالميلاط . : عَضُدُ البعير . ومَوَارٍ : يريد حركته في السير .

وعريكته العليا : يعني سَنَامُهُ . تَهْدَمَتْ من طول السفر ، وكذا انضم حاليه^(٥) .

(١) ديوان أبي تمام ٤٢٣ .

(٢) في باب طلب الرزق ص ٢٦٧ .

(٣) م « في أبيات هو من » .

(٤) ديوانه ٤٤ وشرح التبريزي ١ / ٢٢٩ .

(٥) م « جاني » .

وقوله : « يلاعبه » : لفظة ضعيفة المعنى ، وإنما جاء بها من أجل قوله :
[جَدَّ] في بَرِّي نَحْضِهِ ؛ ليطابق بين الجد واللعب .

أى إن الفلا جدَّ في أخذ لَحْمِهِ في سيرنا هذا السير ، فجعل مكان هذا
القول : « وكان زماناً قبل ذاك يُلاعِبُهُ » على مذهبه في عشق « الطَّبَّاق » الذى
لا بُدَّ له من أن يأتى به وإن حصل المعنى ضعيفاً رَكِيكاً ، وربما كان مُحَالاً .
وقوله : « أَتَمَكَّتُهُ » أى أَسَمَنْتُ تَامِكُهُ ، وهو سنامه .

والمَدَانِبُ : مجارى الماء ، وهى أَبَدًا مُعْشِبَةٌ .

ولئن كانا جميعاً أحسنا في هذا الباب فما وصفا مطيئهما بالسرعة

وصف « مسلم بن الوليد » إذ يقول :

إلى الأمام تَهَادَانَا بِأَرْحَلِنَا خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْيَاحِ ظُلُمَانٍ^(١)
كَأَنَّ إِفْلَاتَهَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا أَفْلَاتُ صَادِرَةٌ عَنْ صَوْتِ مَرْنَانٍ^(٢)
تَنْسَابُ فِي اللَّيْلِ لَا تَرَعَى لِهَاجِسَةٍ كَأَنَّنِي رَاكِبٌ فِي رَأْسِ ثُعْبَانٍ^(٣)

(١) ديوان مسلم بن الوليد ٧٦ طبع الهند والأول والثاني في ديوان المعاني ٢ / ١٢٢ وأمالى المرتضى
٩ / ٥٥٤ وجاء في شرح الديوان يقول : إلى الأمام . يعنى هارون الرشيد - تهادانا بأرحلنا . أى حملنا
بأرحلنا . خلق من الريح ، يعنى النوق . فى أشباح ظلمان أى فى أبداء ظلمان ، وهى ذكور النعام . شبه
النوق بسرعتها فى السير بالريح . وذكر وثيمة فى كتاب الهدى : أن الإبل خلقها الله من الريح حين
خلق الخلائق فى أول الزمان ، والشعراء المولودون قد كثروا من ذلك . والأشباح : الشخصوس ، واحداً شبح
بفتح الباء . وفى م « تهادينا بأرحلنا » وانظر ديوانه طبع دار المعارف ١٢٦ .

(٢) م « والبحر يأخذ » وفى الديوان : « صادرة عن قوس حسان » يقول : كأن إفلات هذه
الناقة ، أى انبعاثها فى السير انبعاث ظلية رماها رام فأخطأها ، وقد سمعت وتر القوس وشعرت بالسهم
فهى تفر ، شبه ناقته بها فى السرعة . وقوله : عن قوس حسان ، يقال لضرب من القسي : حسانية ،
منسوبة إلى رجل أو بلد ، وصادرة : راجعة عن الماء . يريد أنها أرادت شرب الماء فأصابها راميةً تعملها
بهم فأخطأها ففترت مسرعة .

(٣) فى الديوان : « ينساب . لا يرعى » أى لا يرعى - سمعه لحركة فى الليل من صوت ، كأنه
راكب فى رأس ثعبان ، يصف ، ما هو فيه من مزاوله السير فى أفلاة بالليل .

وقد أفرط. الذى يقول ، وأحسن فى إفراطه :

مَرْوَحٌ بِرِجْلَيْهَا إِذَا هِيَ هَجَرَتْ وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَطِيرَ زِمَامُهَا

وقال « الشماخ » :

* تَكَادُ تَطِيرُ مِنْ رَأْيِ الْقَطِيعِ ^(١) *

وقال « الحطيئة » :

وَإِنْ نَظَرْتُ يَوْمًا بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهَا إِلَى عِلْمٍ بِالْغُورِ قُلْتُ لَهُ أَبْعِدْ ^(٢)

(١) ديوان الشماخ ٥٩ وصدرة : « مروح تفتلى بالبيد حرف » .

(٢) ديوان الحطيئة ٢٣ « فى النور قالت له » .

باب الشحوب والتغير من الأسفار

قال أبو تمام :

نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَمَا اسْتَمَمْتُ لَحْظَهَا حَتَّى تَمَنَّتْ أَنَّهَا لَمْ تَنْظُرْ^(١)
وَرَأْتُ شُحُوبًا رَابَهَا فِي وَجْهِهِ مَاذَا يَرِيْبُكَ مِنْ جَوَادٍ مُضْمَرٍ^(٢)
غَرَضُ الْحَوَادِثِ لَا تَزَالُ مُلِمَّةٌ تَرْمِيهِ عَنْ شَرِّ بِأَمٍّ حَبْوَكِرٍ^(٣)
سَدِكَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ حَتَّى إِنَّهَا لَتَكَادُ تَفْجُوهُ بِمَا لَمْ يُقْدَرِ^(٤)

وهذا ما لا غاية وراءه في الحسن والصحة والبراعة .

قوله : « سَدِكَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ » ، أَيْ لَزِمَتْهُ ، وَغَرِيَتْ بِهِ .

وقال البحتري نحو هذا البيت الأخير ولكن على وجه آخر وأحسن

وأجلى ، قال :

وَلَوْ فَاتَنِي الْمَقْدُورُ مِمَّا أَرُوهُ بِسَعْيٍ لَا ذَرَكْتُ الَّذِي لَمْ يُقْدَرِ^(٥)

وقال أبو تمام :

نَكِرَتْ فَتَى أَلْوَى بِنَضْرَةٍ وَجْهِهِ وَبِمَائِهِ - نَكَدُ الْخُطُوبِ وَلُومُهَا^(٦) .

(١) ديوان أبي تمام ٢٩٦ .

(٢) في الديوان « شحوبا رابها في جسمه » .

(٣) وفيه : « عن شلق » وأم حبوكر : أعظم اللوامي ، كما في اللسان ٥ / ٢٢٤ .

(٤) م « سدكت بها » .

(٥) ديوان البحتري ٢١٥ .

(٦) ديوان أبي تمام ٣١٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٧٢ .

لا تُنْكِرِي شَيْمِي فَإِنِّي زَائِدِي حَزْمًا حِصَارُ النَّائِبَاتِ وَشَيْمُهَا^(١)
 فَلَقَبْلُ أَظْهَرَ صَقْلُ سَيْفِ أَثَرُهُ فَبَدَا وَهَذَبَتْ الْقُلُوبُ هُمُومَهَا
 وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا
 حِصَارُ النَّائِبَاتِ : بِيضُهَا ، وَشَيْمُهَا : سُودُهَا . يريد أنه يزيد في حزمه
 ومعرفته بالأمور - ما يقاسيه من الخير والشر .

وقال :

لَا يَطْرُدُ الْهَمُّ إِلَّا الْهَمُّ مِنْ رَجُلٍ مُقْلَقِلٍ لِبَنَاتِ الْقَفْرِ النَّعْبِ^(٢)
 لَا تُنْكِرِي مِنْهُ تَخْدِيدًا تَجَلَّلَهُ فَالسَّيْفُ لَا يُزْدَرَى إِنْ كَانَ ذَا شُطْبِ^(٣)
 وهذا كله جيد بالغ حسن نادر .

* * *

وقال البحتري :

مَا تُنْكِرُ الْحَسَنَاءُ مِنْ مُتَوَغِّلٍ فِي اللَّيْلِ يَخْلِطُ أَيْنَهُ بِسُهُودِهِ^(٤)
 قَدْ لَوَّحَتْ مِنْهُ السُّهُوبُ وَأَثَرَتْ فِي يَمْنَتَيْهِ وَعَنْسِهِ وَقُتُودِهِ
 فَلِفِضَّةِ السَّيْفِ الْمُحَلَّى حُسْنُهُ مُتَقَلِّدًا وَمَضَاوَهُ لِحَدِيدِهِ
 تَمَّ الْبَابُ .

* * *

وهذا ما قلت أذكره في آخر الباب من حال قيس بن زهير ، والحارث
 ابن مُضاض ، والبراض .

(١) في الديوان « لاتنكري هي » وفي م « حزما » .
 (٢) ديوان أبي تمام ١٥ وشرح التبريزي ١ / ١١٥ « الم الأول : ما يجده الرجل في صدره بما
 يوجب رجوله . والم الثاني : الهمة . مقلقل : من القلقلة وهي الحركة العنيفة . وبنات القفر : الإبل ،
 جعلها بنات القفر لأنها تقطع بها . والنعب : جمع نعوب ، والنبيان : تحريك الناقة وأسمها في السير ،
 وذلك من النشاط » .

(٣) م « تخديدا تجلله كالسيف » يقال تخدد لحم الرجل : إذا هزل فصارت فيه طرائق ، وأصل
 ذلك من الخد ، وهو حفر مستطيل في الأرض . لا يزدرى : لا يحتقر . وشطب السيف : طرائقه التي فيه .
 (٤) ديوان البحتري ٦٥٨ ، ٢ / ٦٩٤ والأين : النعب .

فأما قيس بن زهير العبسي فإن بني بذر الفزاريين قتلوا أخاه مالكا فنشبت الحرب بين عبس وذبيان ابني^(١) بغض.

وكان سبب ذلك رهان داحس والغبراء فقتل قيس حنيفة بن بذر وحمل ابن بذر وغيرهما . ودامت^(٢) الحرب بينهما دهرًا طويلًا حتى كادوا يفنون .

وتشاءمت العرب بقيس ، وكان سيدًا حكيمًا أريبًا حليمًا . فقال : لا أقم ببلاذ قتلت بها سادات قومي ولم أحلم ، ولم أقارب ، ولم أصلح فقال :

تَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتًا عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ مَا يَرِيمُ^(٣)
وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
وَلَكِنْ الْفَتَى حَمَلَ بِنَ بَذْرِ بَغَى ، وَالْبَغَى مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلٌّ عَلَى قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ

ثم خرج ضاربًا في البلاد على وجهه مُتَخَلِّيًا من كل أهل ومال ، وصار إلى بعض نواحي عمان فهلك هناك . وله في هلاكه خبر . فهذه غربة قيس .

وأما غربة الحارث بن مُضَاض الجُرْهُمِي فإنه كان سيد جرهم في زمانه ، وكان إلى قومه حجابة بيت الله الحرام بمكة فغلبتهم عليه خزاعة ، فخرجوا وتفرقوا في البلاد .

(١) م « ابن » والتصويت من العقد الفريد ١٥٠ / ٥ .

(٢) م « فأدامت » .

(٣) في معجم البلدان لياقوت ١١٥ / ٣ « جفر الهباءة ؛ اسم بذر بأرض الشربة ، قتل بها حنيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان ، قال قيس بن زهير وهو قتلها . ثم ذكر البيت الأول » . وذكر الأبيات في « الهباءة » ٤٤١ / ٨ وزاد في آخرها :

ومارست الرجال ومارسني / فموج على ومستقيم
الموازنة - ثان

وفي ذلك يقول الحارث :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنَيْسُ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ^(١)
بَلَى ، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَازَالَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
ويقال : بل قائل هذه الأبيات بكر بن غالب بن الحارث بن مضاض .

فَأَمَّا فَتَكَةُ الْبَرَّاضِ ، فهو برَّاضُ بن قَيْسِ بن رَافِعِ الْكِنَانِيِّ ، أحد
بنى مالك بن كنانة بن خُزَيْمَةَ بن مُذْرِكَةَ بن إِيَّاسَ . وفتكته كانت بِعُرْوَةِ^(٢)
الرَّحَّالِ بن عتبة بن جعفر بن كِلَابٍ ، وكانت من أَجَلِهِ وقعة « الْفِجَارِ
الْعُظْمَى »^(٣) .

وسبب ذلك أَنَّ الْبَرَّاضَ [و] كان رجلاً شريراً فاتكاً - صار إلى
النُّعْمَانِ بن الْمُنْذِرِ . ولا حضر الموسم جهاز اللَّطِيْمَةِ إلى « سوق عُكَاظَ » ،
وهي من كُلِّ الْمَتَاعِ . ولا يقال [لها] لطيمة إلا إذا كان فيها مسك وطيب ،
فقال النُّعْمَانُ : مَنْ يُجِيرُهَا ؟ قال الْبَرَّاضُ : أَنَا أَجِيرُهَا على قومي بنى
كِنَانَةَ (قال : وعلى العرب أجمعين^(٤)) قال البراض : وعلى بنى كنانة .
قال نعم ، على العرب والعجم ، وعلى الجن والإنس . فسار فيها عروة ، وأتبعه
البراض حتى إذا كان بذي طلال قريباً من خيبر حملَ عليه فقتله ، وكانت
الْحَرْبُ .

(١) له في اللسان ١٦ / ٢٦٤ ولعمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض في سيرة ابن هشام ١٢٠ / ١ .

(٢) م « لعروة الرجال بن عمه » .

(٣) المقد الفريد ٥ / ٢٥٣ .

(٤) كذا في الأصل وفي المقد : « بن كنانة . فقال النعمان : ما أريد إلا رجلاً يجيرها على
أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرجال . وهو يومئذ رجل هوازن : أكلب خليع يجيرها لك ، أبيت اللعن ؟
أنا أجيرها لك على أهل الشيع والقيصوم من أهل نجد وتهامة . فقال البراض : أعل بنى كنانة تجيرها
يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم » .

باب

مضت أنواع النسيب^(١) كلها . وهذا باب أرسم فيه^(٢) الأبواب التي خرجا فيها من النسيب إلى المديح .

اعلم أنهما جميعاً قد تعملاً في بعض قصائدهما النسيب . وصلا به النسيب بالمديح ، وأعرضا في كثير من أشعارهما عن هذا المعنى ، وابتدآ بالمدح منقطعاً عما قبله . وكلا الوجهين قد فعله شعراء الجاهلية والإسلام . وكانوا كثيراً ما يقولون إذا فرغوا من النسيب وأرادوا المدح أو غيره من الأغراض : « فَدَعُ ذَا » . فتجنبها المتأخرون واستقبحوها . وكذلك قولهم : « فَعَدُّ عَنْ ذَا » . وهي عندهم أحسن .

فمما قطعه أبو تمام مما قبله :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ^(٣)

ثم خرج إلى المدح فقال :

اللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ فَتَعَثَّرَتْ فِي كُنْهِهِ الْأَوْهَامُ

وقال :

حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ ، وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا^(٤)

(١) في الأصل الشيب .

(٢) م « فيها » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٧٩ .

(٤) ديوانه ٢٩١ ، وفي م « وزعمتم » ومضى في ص ١٩٧ .

ثم قال :

مَنْ رَأَى بَارِقًا سُرَى صَامِتِيًّا جَادَ نَجْدًا سُهُولَهَا وَالْحُزُونََا

وقال :

أَوَمَا رَأَتْ بُرْدَى مِنْ نَسْجِ الصَّبَا وَرَأَتْ خِضَابَ اللَّهِ وَهُوَ خِضَابِي^(١)

ثم قال :

لَا جُودَ فِي الْأَقْوَامِ يُعْلَمُ مَا خَلَا جُودًا حَلِيفًا فِي بَنِي عَتَابِ

وقال :

لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا^(٢)

ثم قال :

كُلُّ يَوْمٍ تُبْدَى صُرُوفُ اللَّيَالِي خُلْفًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبًا^(٣)

وقال :

كَأَنَّ لَهُ دَيْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ ثَارًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبٍ^(٤)

ثم قال :

رَأَيْتُ لِعِيَّاشٍ خَلَائِقَ لَمْ تَكُنْ لِتَكْمُلَ إِلَّا فِي اللَّبَابِ الْمُهَذَّبِ

وقال :

حَلَّتْ نُطْفٌ مِنْهَا لِنَيْكِسٍ، وَذُو الْحِجَا يُدَافُ لَهُ مِمِّ مِنَ الْعَيْشِ مُنْقَعٌ^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٩ وشرح التبريزي ٨٢ / ١ .

(٢) ديوانه ٢٦ وشرح التبريزي ١٦٨ / ١ .

(٣) ويرى : « ضياء » و « عجيا » .

(٤) ديوانه ٢٤ وشرح التبريزي ١٥٩ / ١ .

(٥) ديوانه ١٩٠ وشرح التبريزي ٢٢٥ / ٢ .

ثم قال :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءَ مَجْدُ أَبِي يُوسُفَ وَذُ النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلَّعُ

وقال :

فَلَمْ تَرْحَلْ كَنَاجِيَةِ الْمَهَارَى وَلَمْ تُرْكِبْ هُمُومَكَ كَالزَّمَاعِ^(١)

ثم قال :

بِمَهْدَى بْنِ أَصْرَمَ عَادَ عُودِي إِلَى إِبْرَاقِهِ ، وَأَمْتَدَّ بَارِعِي

ومن ذلك قول البحتري :

تَوَهَّمْتُهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى كَرَى النَّوْمِ ، أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الْخَمْرُ^(٢)

ثم قال :

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِنَاقِصَةِ الْجَدَا إِذَا بَقِيَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَالْقَطْرُ

وقال :

وَمَنْ يَطْلُعُ شَرَفَ الْأَرْبَعِينَ يُلَاقِي مِنَ الشَّيْبِ زَوْرًا غَرِيبًا^(٣)

ثم قال :

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ تَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيبًا

وقال :

تَأْبَى رِيَاهُ أَنْ تُجِيبَ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَخِيرٌ لِيُجِيبَ حَتَّى يَفْهَمَا^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ١٩٣ وشرح التبريزي ٢ / ٢٢٨ وفي م « هويا » .

(٢) ديوان البحتري ٨٦ ، ٢ / ٨٤٤ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف « يحيى من الشيب »

(٤) ديوانه ٢٢٩ ، ٣ / ١٩٥٩ .

ثم قال :

اللهُ جَارُ بَنِي الْمُدَبِّرِ كُلَّمَا ذُكِرَ الْمَكَارِمُ مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمًا^(١)

وقال :

وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي جَمِيلَةٍ وَلِلصُّبْحِ مِنْ خَطْبٍ تُدَمُّ غَوَائِلُهُ^(٢)

ثم قال :

وَقَدْ قُلْتُ لِلْمُعَلِّي إِلَى الْمَجْدِ طَرْفُهُ دَعِ الْمَجْدَ فَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ شَاغِلُهُ^(٣)

وقال في وصف الغيث :

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ حَلَى وَمِنْ حُلَى مَا يُمْتَعُ الْعَيْنَ مِنْ وَشْيٍ وَدِيْبَاجٍ^(٤)

ثم قال :

إِلَى عَلِيٍّ بَنِي الْفَيَاضِ بَلَّغَنِي سُرَايَ مِنْ حَيْثُ لَا يُسْرَى وَإِذْ لَا جِي^(٥)

وقال :

مَا كَانَ هَجْرُكَ مَكْرُوهًا أَحَاذِرُهُ وَلَا وَصَالُكَ مَعْرُوفًا أَرْجِيهِ^(٦)

ثم قال :

بَنُو ثَوَابَةٍ أَقْمَارُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَلْبِثِ اللَّيْلُ أَنْ يَنْجَابَ دَاجِيهِ

(١) في ديوان البحري ٤ / ١٩٥٩ « ذكر الأكارم »

(٢) ديوان البحري ٥٢ / ٣٤ / ١٦١٢ « على حميدة » .

(٣) في الديوان ٥٢ « طوقه » .

(٤) ديوانه ٣٨٧ / ١٤ / ٤١١ « ما صاغ من قبر ومن ورق وحاك ما حاك » .

(٥) م « لا تسرى » .

(٦) ديوانه ١٧٥ / ٤٤ / ٢٤٢٣ .

وقال :

أَمِيلُ بِقَدْبِي عَنْكَ ثُمَّ أَرُدُّهُ وَأَعْذُرُ نَفْسِي فَيْكِ ثُمَّ أَلُومُهَا^(١)

ثم قال :

إِذَا الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ عُدَّتْ خِلَالَهُ حَسِبْتُ سَمَاءً كَاثَرْتُكَ نُجُومُهَا^(٢)

وقال :

وَهَلْ هِيَ إِلَّا لَوْعَةٌ مُسْتَسِيرَةٌ يُذِيبُ الْحَشَا وَالْقَلْبَ وَجَدًّا غَلِيلُهَا^(٣)

ثم قال :

وَلَوْلَا مَعَالِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ لَأَضَحَّتْ دِيَارُ الْحَمْدِ وَحَشَا طُلُوبُهَا^(٤)

فهذا الجنس من الخروج إلى المدح هو الأعم في أشعارهما .

وأما الوجه الذي يجعلون^(٥) له سبباً يَصِلُ النسيب بالمدح فعلى معاني شتى :

منها الخروج بذكر وَصْفِ الْإِبِلِ وَالْمَهَامِهِ إِلَى الْمَدْحِ . وهذا المعنى عام كثير في أشعار الناس .

فمن ذلك قول أبي تمام :

يُصْبِرُنِي إِنْ ضِيقْتُ ذَرْعًا بِحُبِّهِ وَيَجْزَعُ أَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ خِلَانِيَّةُ^(٦)

(١) ديوان البحري ١٠٧ ، ٢ / ٢٠٢٣ .

(٢) في الديوان « مسيت السماء » .

(٣) ديوانه ١٧٧٩ / ٣ طبع المعارف .

(٤) هو أحمد بن محمد بن بسطام المتوفى سنة ٢٩٧ هـ .

(٥) م « يجعلوا له » .

(٦) ديوان أبي تمام ٢٣٠ « يعنني » . ذرعا يحبه « في شرح التبريزي ٢ / ٢٤ » ذرعا بنأيه » .

ثم خرج إلى مدح المعتصم فقال :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ أَتَى عَلَيْهَا الْمَلَا أَدْمَاثُهُ وَجَرَائِلُهُ^(١)
 نَصَرَنَ السُّرَى بِالْوَحْدِ فِي كُلِّ صَحْصَحٍ وَبِالسُّهْدِ الْمَوْصُولِ وَالنَّوْمِ خَاذِلُهُ^(٢)
 رَوَّاحِلُنَا قَدْ بَزَنَّا الْهَمُّ أَمْرَهَا إِلَى أَنْ حَسِبْنَا أَنَّهُنَّ رَوَّاحِلُهُ
 إِذَا خَلَعَ اللَّيْلُ النَّهَارَ رَأَيْتَهَا بِإِرْقَالِهَا فِي كُلِّ وَجْهِ تُقَابِلُهُ^(٣)
 إِلَى قُطْبِ الدُّنْيَا الَّذِي لَوْ بِمَدْحِهِ مَدَحْتُ بَنَى الدُّنْيَا كَفْتَهُمْ فَضَائِلُهُ

المَلَا - للقصور - : الْمُتَسَعُّ من الأرض .

وَالْأَدْمَاثُ : جمع دَمَتْ وهي الأرض اللينة .

وَالْجَرَائِلُ : جمع جَرَّوَل . وهي [الأرض] الخشنة ذات الحجارة .

ومنه قول أبي تمام أيضًا :

الْيَوْمَ يُسَلِّيكَ عَنْ طَيْفِ أَلَمٍ وَعَنْ بَلَى الرُّسُومِ بَلَاءُ الْإِثْنِ الرُّسْمِ^(٤)
 مِنْ الْفِلَاصِ اللَّوَاتِي فِي حَقَائِبِهَا بِضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِنَ الْكَلِمِ
 إِذَا بَلَغْنَ أَبَا كُلْثُومٍ اتَّصَلَتْ تِلْكَ الْمُنَى وَأَخَذَنَ الْحَاجَ مِنْ أَمَمِ

ومن ذلك قوله :

سَبَبَتْ رُكَّابَ الرَّكَّابِ وَرَاكِبِيهَا فَتَى كَالسَّيْفِ هَجَعْتُهُ غِرَارُ^(٥)

(١) في الديوان وشرحه « أئتكَ أمير » وفي م « عليها الملى » .

(٢) م « نصرت » .

(٣) قال الصولي فيما نقل التبريزي « يقول : تجد في السير إذا أقبل الليل كأنها تقابله ؛ لأن سير النهار أحب إليها . و « تقابله » بالباء يدل على أن سير الليل أحب إليها مجدها في الإرقال » .

(٤) ديوانه ٢٦٨ وشرح التبريزي ٢ / ١٨٦ وفي م : « يسلبك » .

(٥) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزي ٢ / ١٥٥ .

أَطْلُ عَلَى طُلَى الْآفَاقِ حَتَّى كَانَتْ الْأَرْضُ فِي عَيْنَيْهِ دَارٌ^(١)
تَوَّمُ أَبَا الْحُسَيْنِ وَكَانَ قَدَمًا فَتَى أَعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ

وقوله :

وَبَسَاطٍ كَأَنَّمَا الْآلُ فِيهِ وَعَلَيْهِ سَحَقُ الْمَلَأِ الرَّحِيضُ^(٢)
يُضْبِحُ الدَّاعِرِيُّ ذُو الْمِرَّةِ الْمِرْ جَمٌ فِيهِ كَأَنَّهُ مَابُوضُ^(٣)
قَدْ فَضَضْنَا مِنْ بِيَدِهِ خَاتَمَ الْخَوِّ فِ ، وَمَا كُلُّ خَاتَمٍ مَفْضُوضُ
بِالْمَهَارَى يَجْلَنَ فِيهِ وَقَدْ جَا لَتْ عَلَى مُسْتَمَاتِهِنَّ الْغُرُوضُ^(٤)
جَازِعَاتٍ سُودَ الْمَهَامِهِ تَهْدِي هَا وَجُوهَ لِمَكْرَمَاتِكَ بِيضُ^(٥)

وقوله :

فَاطْلُبْ هُدُوءًا بِالتَّقَلُّقِ وَأَمْتَشِرْ بِالْعَيْسِ مِنْ تَحْتِ السُّهَادِ هُجُودًا^(٦)
مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عِلَلِ السَّرَى وَخِذَا يَبِيْتُ النَّوْمُ مِنْهُ شَرِيدًا
تَخْدِي بِهِ نَصَلْتِ يَظَلُّ إِذَا وَنَى ضَرِبَاوُهُ جِلْسًا لَهَا وَقُتُودًا

(١) في الديوان وشرحه « على كل » .

(٢) ديوانه ١٨٢ وشرح التبريزي ٢ / ٢٩٠ البساط : الأرض الواسعة . والسحق : البالي .

ويروى : « السحل » وهو الثوب الأبيض . والرحيض : المنسول .

(٣) « الداعري » : الفحل من الإبل . والمرة : القوة ، ويروى « ذو الميعة » وهي النشاط .

والمرجم : الذي يرمى بنفسه الأشياء كأنه يرميها . والمأبوض : الذي عليه إياض ، وهو حبل يشد في مأبض البعير . وهو باطن الركبة .

(٤) المسنات : الإبل العظام الأسممة . يقول : هذه الإبل قد ذهب لحمها فجالت غروضها

لأجل ذلك .

(٥) جازعات : من جزع الوادي إذا قطعه . وعنى بالسود الليالي . ويروى « سود المروارة »

والمروارة : الأرض التي لا شيء بها . أي هؤلاء القوم يسرون بالليالي السود بالمروارة .

(٦) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزي ١ / ٤١٦ .

جَعَلَ الدُّجَى سِتْرًا وَودَّعَ رَاضِيًا بِالْهُونِ يَتَّخِذُ الْقُعُودَ قُعُودًا^(١)
 طَلَبْتُ رَبِيعَ رَبِيعَةَ الْمُمَهِّي لَهَا وَوَرَدَنَ ظِلُّ رِوَاقِهِ الْمَمْدُودَا^(٢)

قوله : « فاطلب هُدُوءًا فِي التَّقَلُّقِ » من قول عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْد :

* ولم تدر أَنِّي للمقام أطوَّف *

وقوله : « الْمُمَهِّي لَهَا » أَي الَّذِي أَكْثَرَتْ مِيَاهُهُ . وَيُرْوَى « الْمُمَهِّي » لَهَا
 أَي الَّذِي يُكْثِرُ لَهَا الْمَاءَ . وَلَيْسَ يَرِيدُ الْمَاءَ بَعِينَهُ ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ الْخِصْبَ وَالسَّعَةَ
 لِأَنَّهُ بِالْمَاءِ يَكُونُ .

وهذا الخروج كله جيد بالغ .

وله على هذا الوجه خروجات رديئة ومتوسطة لم أذكرها . ومنها قوله :
 دَعَّ عَنْكَ هَذَا إِذَا أَنْتَقَلْتِ إِلَى الْـ مَذْحِ وَشُبَّ سَهْلُهُ بِمُقْتَضَبِهِ^(٣)
 فالسهل : مَا يَأْتِيهِ بِهِ خَاطِرُهُ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ وَلَا طَلَبِ .

وَالْمُقْتَضَبُ مَا يَقْتَطِعُهُ خَاطِرُهُ اقْتِطَاعًا بِالْفِكْرِ وَالتَّعَبِ ، وَيُقَالُ : نَاقَةٌ
 قَضِيبٌ ، وَهِيَ الَّتِي رِيضَتْ وَلَمْ تُذَلَّ كُلُّ الدَّلِّ لِلْمَحْمَلِ وَالرُّكُوبِ .

فَأَمَّا قَوْلُ الْبَحْثَرِيِّ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ^(٤) فِي عِتَابِ حُلُوٍ :
 دَعَّ ذَا وَأَخْبِرْنِي بِشَأْنِ صَدِيقِنَا بِشِيرٍ وَهَلْ يُرْضَى لِإِبْشِيرِ شَأْنُ^(٥)

(١) سبقت روايته « الدجى جملا » .

(٢) ويرى : « فتفيات ظلالها الممدودا » و « فوردن ظل ربيعة المهدودا » .

(٣) ديوانه ٥٢ وشرح التبريزي ١ / ٢٧٥ .

(٤) م « المدبر بن عتاب » .

(٥) لعله بشرين الفرج الذي مازحه بأبيات ختمها بقوله : « يجب الدناءة حب الوطن » راجع

ديوانه طبع مصر ٢ / ٣٠١ .

فإنَّ « دَعَّ » ها هنا حسنة ، وليست مثلها في الخروج من النسيب إلى المدح .
ثم قال أبو تمام هو قوله : « دَعَّ عَنْكَ هَذَا » :

لَسْتُ مِنَ الْعَيْسِ أَوْ أَكَلَفَهَا وَخَدًا يُدَاوِي الْمَرِيضَ مِنْ وَصْبَةٍ^(١)
إِلَى الْمُصَفَّى مَجْدًا أَبِي الْحَسَنِ أَذْ صَعْنَ أَنْصِبَاعَ الْكُدْرِيِّ فِي قَرَبِهِ^(٢)
قوله : « يُدَاوِي الْمَرِيضَ » ، يعنى المريض فى حاله لا فى جسمه ؛ لأنه
يُدْنِيهِ مِنَ الْغْنَى .

وَالْأَنْصِبَاعُ : الانحراف فى السير من النشاط والسرعة . : الْكُدْرِيُّ الْقَطَا .
يعنى إذا جنحت فى الطيران وانحرفت نشيطة مسرعة .

ومن هذا الباب قول البحتري :

فَالْعَيْسُ تَرْمِي بِأَيْدِيهَا عَلَى عَجَلٍ فِي مَهْمَةٍ مِثْلَ ظَهْرِ الثُّرَيْسِ رَخْرَاحٍ^(٣)
نَهْدِي إِلَى الْفَتْحِ - وَالنُّعْمَى بِذَلِكَ لَهُ مَدْحًا يُقْصَرُ عَنْهُ كُلُّ مَدَّاحٍ^(٤)
وقوله :

سَيَحْمِلُ هَمِّي عَنْ قَرِيبٍ وَهَمَّتِي قَرَى كُلُّ ذِيَالٍ جُلَالٍ جَلَنْفَعٍ^(٥) .

--- (١) - الذى بعده فى الديوان وشرحه :

إِنِّ لَذُو مَيْمٍ يَلُوحُ عَلَى صَعْدِ هَذَا الْكَلَامِ أَوْ حِيه

وقال التبريزي : لست من العيس : أى لست صاحبها حتى أكلفها سيرا يشق صدر المهموم ويذهب
عدم الفقير . والوصب : الوجع ، أخذه من قول القطامي :

وسارت سيرة ترضيك منها يسكاد وسيجها يشق الصداعا

(٢) فى قربه ، أى فى طلبه للماء ، ومنه ليلة القرب وهى التى يصبحون منها على الماء .

(٣) ديوان البحتري ٥٨ ، ١ / ٤٤٣ .

(٤) م « نهدي . . بذلك له » .

(٥) ديوانه ٨٩ ، ٢ / ١٢٣٨ ، والقرا : أظهر ، والذيال : طويل الذيل ، والجلال : الضخم .

وقال أبو العلاء المعري : ووصفه الحمل بذيال قلما يستعمل ، إنما يوصف بذلك الفرس والثور الوحشى .
والجلنفع : الغليظ الشديد وإنما توصف به الإبل ، وربما استعملوه فى الظلم ، والأثني جلنفعة . راجع
عبث الوليد ١٢٣ .

يُنَاهِبْنَ أَجَوَا زَ الْفِيَا فِي بِأَرْجُلِي عِجَالٍ إِلَى طَى الْفِيَا فِي وَأَذْرُعُ^(١)
 مَتَى تَبْلُغَ الْفَتْحُ بِنَ خَاقَانَ لَا تُنِخْ بِضَنْكَ ، وَلَا تَفْزَعُ إِلَى غَيْرِ مَفْزَعِ
 الْجَلَنَفَعِ : الْمَتْنَاهِي فِي سَنَةِ وَقَوْتِهِ^(٢) .

« يُنَاهِبْنَ أَجَوَا زَ الْفِيَا فِي... » بيت في غاية الحسن ، وجودة اللفظ .

وقول البحترى أيضاً :

وَلَقَدْ تَعَسَّفْتُ الْأُمُورَ وَصَاحِبِي حَزْمٌ يَلْفُ حُزُونَهَا بِسُهُولِهَا^(٣)
 وَنَشَرْتُ أَرْدِيَةَ الصَّبَا وَطَوَيْتُهَا بِالْعَيْسِ بَيْنَ وَجِيفِهَا وَذَمِيلِهَا^(٤)
 شَامَتْ بُرُوقَ مَحَابَةِ قُرَشِيَّةٍ غَرِقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ بَيْنَ سُيُولِهَا^(٥)

وقوله :

وَإِذَا اسْتَضَعَبْتَ مَقَادَةَ أَمْرِ سَهَلَتْهَا أَيْدِي الْمَهَارَى الْقُودِ^(٦)
 حَامِلَاتٌ وَفَدَ الثَّنَاءُ إِلَى أَبِ لَجَ صَبٌّ إِلَى ثَنَاءِ الْوُفُودِ
 عَلِقُوا مِنْ مُحَمَّدٍ خَيْرَ حَبْلِ لِرُوَاقِ الْخِلَافَةِ الْمَمْدُودِ^(٧)

وقوله :

تَشْكِي الْوَجَى وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الدُّجَى غُرَيْرِيَّةُ الْأَنْسَابِ مَرَّتْ بِقَيْعِهَا^(٨)

(١) م « أجواز الفيافي » .

(٢) وكان خليفاً بالآملى أن يزيد بعد ذلك : وهي كلمة في غاية السخف .

(٣) ديوان البحترى ٣٤٥ ، ٣ / ١٧٧١ .

(٤) م في الديوان « أردية الدجى . . . والعيس » .

(٥) في الديوان : « بين سهولها » .

(٦) ديوانه ٦٩٢ ، ١ / ٦٣٤ والمهاري القود : الإبل الطويلة الأعناق .

(٧) يقصد محمد بن عبد الملك الزيات .

(٨) ديوانه ٥ ، ١٢٩٧ وإعجاز القرآن ٩١ وعبث الوليد ١٢١ والوجى : أن يشتكى البعير

باطن خفه . ومكان مرت : قفر لا نبات فيه . والبقيع من الأرض . المكان المتسع فيه أروم شجر من ضروب شتى .

وَلَسْتُ بِزَوَّارِ الْمُدُوكِ عَلَى الْوَنَى لَعْنُ لَمْ تَجُلْ أَغْرَاضُهَا وَنُسُوعُهَا^(١)
 تَوْمَ الْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ بِحَيْثُ تَلَّاقَى غَرْدُهَا وَبَدِيعُهَا^(٢)
 إِذَا أَشْرَفَ الْبُرْجُ الْمُطْلُ رَمِينَهُ بِأَبْصَارِ خُوصٍ قَدْ أَرَنْتُ قُطُوعُهَا^(٣)
 يُضِيءُ لَهَا قَصْدَ السَّرَى لَمَعَانُهُ إِذَا أَسْوَدَّ مِنْ ظُلْمَاءِ لَيْلِ هَزِيعُهَا
 نَزُورُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ سُهوبُ الْبِلَادِ رَحْبُهَا وَوَسِيعُهَا

وهذه ألفاظ ومعان في غاية الصَّحة والحسن ، وكثرة الماء .

وقوله : « عُرَيْرِيَّة » منسوبة إلى فحل من فحول الإبل مذكور يقال له : غُرَيْر .
 وَغَرْدُهَا وبديعها : قصران .

وقال في ابن المدبّر :

إِنِّي لَأَجِيءُ إِلَى عَزَمَاتٍ مُعْدِيَاتٍ عَلَى طَرِيقِ الْهُومِ^(٤)
 يَتَلَاعَبَنَّ بِالْقِيَا فِي وَيُودِي نَ بِنَقِي الْمُسُومَاتِ الْكُومِ^(٥)
 التَّرَامِي بَعْدَ الْوَجِيفِ إِذَا أُسْتُو نِفَ خَرَقُ ، وَالْوَخْدُ بَعْدَ الرِّسِمِ^(٦)
 كُلُّ مَهْزُوزَةٍ الْمُقْدِنِ تَلْقَى رَوْحَةَ الْجَبَابِ خَلْفَهَا وَالظَّلِيمِ^(٧)

(١) في الديوان : « على الوجى » والأغراض : جمع غرض ، وهو حزام الرجل والنسوع : جمع نسع ، وهو سير مضافور تشد به الرحال .

(٢) في الديوان « غربها وبديعها » .

(٣) البرج : قصر للمتوكل مكث به ثلاثة أيام فحم ، فأمر بهدمه . والخوص : غزور العين .
 أرثت : أخلقت وبليت . والقطوع : جمع قطع بكسر القاف ، وهو الطنفسة تحت الرجل على كتفي البعير .

(٤) ديوان البحري ٥٩٤ ، ٤ / ٢١٢٢ « على طروق » .

(٥) النقي : منخ العظام وشحمها ، كما في اللسان ٢٠ / ٢١٤ .

(٦) في الديوان « بعد الوجيفة » . وفي طبعة المعارف « قبل الرسم » .

(٧) قال ناشر الديوان في شرحه « المقلدين : مثني مقذ ، وهو آلة ، من قذ السهم : ألصق به

الريش » وهو خطأ محض . والصواب ما قاله الآملي . وفي طبعة المعارف « تلقى » .

جُنْحًا كَالسَّمَامِ يَحْمِلُنَ رَكْبًا طَلْحًا مِنْ ضُشُولَةٍ وَسُهُومٍ^(١)
 مَالَهُمْ عَرْجَةٌ وَإِنْ نَأَتْ الشُّقَّةُ مَهْمٌ دُونَ الْأَغْرِ^(٢) إِبْرَاهِيمَ

قوله : « مَهْزُوزَةُ الْمُقَدِّينِ » : فَالْمِقْدَانِ : أصول الأذنين . وإنما يريد
 حركة رأسها عند السير ، وما أكثر ما تصف العرب ذلك .

وقوله : « تَلَقَّى رَوْحَةَ الْجَبِّ » إذا سارت مع حمار الوحش ، والظليم ،
 وهو ذكر النعام : فوصلت غُدْوَةً - وَصَلًا بعدها عَشِيًّا . يصفها بالسرعة
 والقوة عا السير .

وَالسَّمَامُ^(٣) : جنس من الطير .

وَجَنَحَ يُجَنِّحُ في طيرانه . أى يميل من النشاط . على أحد جناحيه وكذلك
 تفعل كرائم^(٤) الإبل تنصرف في سيرها .

وقوله :

قَدْ أَقْدِفُ الْعَيْسَ فِي لَيْلٍ كَأَنَّ لَهُ وَشَيْئًا مِنَ النُّورِ ، أَوْ أَرْضًا مِنَ الْعُشْبِ^(٥)
 حَتَّى إِذَا مَا أَنْجَلَتْ أَخْرَاهُ عَنْ أَفْقٍ مُضْمَخٌ بِالصَّبَاحِ الْوَرْدِ مُخْتَضِبِ
 أَوْرَدْتُ صَادِيَةَ الْأَمَالِ فَانْصَرَفَتْ عَنِّي بِهَا ، وَأَخَذْتُ النُّجَجَ مِنْ كَتَبِ^(٦)

(١) م « جناحا كالسما » وهو تحريف ، وفي الديوان « كالسهام . . من سامة وسهوم » .

(٢) في الديوان « غير الأغر » . . .

(٣) م « والشهام » .

(٤) م « جرايم الإبل » !

(٥) ديوانه ٤٩٩ ، ١ / ١١٩ .

(٦) في الديوان « فانصرفت يريها وأخذت »

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ إِسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ مِنْ الْعَلَا . وَالْعَلَا مِنْهُنَّ فِي تَعَبٍ^(١)

أَرَادَ أَوْرَدَتْ^(٢) صَادِيَةَ الْآمَالِ بِهَا أَيْ بِالْعَيْسِ فَانصَرَفَ عَنْ^(٣) الْآمَالِ
الصَّادِيَةِ ، وَهِيَ الْعِطَاشُ . وَأَخَذَتْ النُّجُوحَ مِنْ كَثَبٍ . أَيْ مِنْ قُرْبٍ .

وقوله : « فِي لَيْلٍ كَأَنَّ لَهُ وَشْيًا مِنَ النُّورِ » [أَيْ] فِي لَيْلٍ شَدِيدِ الظُّلْمَةِ ،
فَإِذَا اشْتَدَّتْ ظُلْمَتُهُ أَشْرَقَتْ كَوَاكِبُهُ مَا صَغُرَ مِنْهَا وَ [مَا] كَبُرَ . وَأَحْسَنُ
مَا تَكُونُ السَّمَاءُ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَهَا .

وإلى هذا المعنى ذهب ذو الرمة في قوله :

وَلَيْلٍ كَجَلْبَابِ الْعُرُوسِ أَدْرَعَتْهُ بِأَرْبَعَةٍ ، وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ^(٤)

أَرَادَ الْحَلِيَّ الَّذِي [عَلَى] جَلْبَابِهَا . شَبَّهَ اللَّيْلَ بِهِ فِي حَسَنِ نُجُومِهِ . وَإِنَّمَا
يُرِيدُ أَنَّهُ أَدْرَعَ لَيْلًا شَدِيدِ الظُّلْمَةِ ، مُضِيءٌ الْكَوَاكِبَ .

وَفِي شِدَّةِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ يَقُولُ الْبَحْتَرِيُّ أَيْضًا :

وَاللَّيْلُ فِي صَبْعِ الْغُرَابِ كَأَنَّمَا هُوَ فِي حُلُوكَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَتَغَبَّ^(٥)
حَتَّى تَجَلَّى الصُّبْحُ مِنْ جَنَابَاتِهِ كَالْمَاءِ يَلْمَعُ فِي خِلَالِ الطُّحْلُبِ^(٦)

وَهَذَا مَعْنَى مَا سَمِعْتُ فِي شَعْرِ قَدِيمٍ وَلَا مَحْدَثٍ أَحْسَنَ وَلَا أَرْوَعَ مِنْهُ .

(١) يَقْصِدُ الْوَزِيرَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ بَلِيلٍ .

(٢) م « أَرَادَ أَوْ رَدَّتْ بِمَعْنَى أَوْ رَدَّتْ » .

(٣) م « فَانصَرَفَتْ حَتَّى الْآمَالِ » .

(٤) دِيْوَانُ ذِي الرِّمَّةِ ٢٩ وَدِيْوَانُ الْمَعَانِي ١ / ٢٤٢ وَالصَّنَاعَتَيْنِ ٢٢٣ وَأَخْبَارُ أَبِي تَمَّامٍ ٨٢

وَأَمَّا الْمُرْتَضَى ١ / ٥٤٨ .

(٥) دِيْوَانُ الْبَحْتَرِيِّ ٦٠١ ، ١ / ٨٠ « فِي لَوْنِ الْغُرَابِ كَأَنَّهُ » .

(٦) فِي الدِّيْوَانِ « فِي جَنَابَاتِهِ » . . . يَلْمَعُ مِنْ وَرَاءِ » .

ثم قال :

والعيسُ تنصُلُ مِنْ دُجَاهُ كَمَا أَنْجَلِي صَبَغُ الشَّبَابِ عَنِ الْقَذَالِ الْأَشْيَبِ^(١)
يَطْلُبُنَ مُجْتَمَعَ الْعَلَا مِنْ وَائِلٍ فِي ذَلِكَ الْأَصْلِ الزَّكِيِّ الطَّيِّبِ^(٢)

وقال البحتري :

سَوْفَ أُعْطِيَ السَّلَوُ وَالصَّبْرَ مَا أَمَّ نَعُ مِنْ طَارِفِ الْهَوَى وَتَلِيدِ^(٣)
بِالْمَهَارَى يَلْبَسُنْ ثَوْبًا جَدِيدًا مُسْتَفَادًا فِي كُلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ
فَهِيَ طُولَ النَّهَارِ بِيضٌ وَطُولَ الْإِ لَيْلٍ فِي أَقْمَصٍ مِنَ اللَّيْلِ سُودِ
طَالِبَاتُ فِي الْغَيْثِ غَيْثًا سَكُوبًا وَحِيدًا فِي آلِ عَبْدِ الْحَمِيدِ^(٤)

وقال في محمد بن علي القمي :

لَقَدْ عَلِمْتُ عِيدِيَّةَ الْعَيْسِ أَنْنِي أَهْبُ إِذَا نَامَ الْهَدَانُ وَأَعْنَقُ^(٥)
خَرَجْنَا بِهَا فِي الْبَيْضِ بِيضًا لَمْ نَرَالِدْ دَادِي إِلَّا وَهِيَ مِنْهُنَّ أَمْحَقُ^(٦)
هَشَمْنَ إِلَى ابْنِ الْهَاشِمِيَّةِ أَوْجُهَا عَوَابِسَ لِلظُّلُمَاءِ مَا تَتَطَلَّقُ^(٧)

قوله : « خَرَجْنَا بِهَا فِي الْبَيْضِ » . يريد في الليالي البيض ، وهي التي يكون القمر فيها طالعا من أولها إلى آخرها .

وقوله : « بِيضًا » : يريد الآدم من الإبل ، وهو الأبيض ، فإن خالطته

(١) هذا البيت مقدم في الديوان عن البيت الثاني . وما هنا أنسب .

(٢) وفيه : « الأطيب » .

(٣) ديوان البحتري ٢ / ٧٦٩ ، ٣ / ١٤٩٣ - ١٤٩٤ .

(٤) مضت روايته : « غينا سكونا » .

(٥) ديوانه ٥١٨ « أخب إذا » وجاء في اللسان ١٧ / ٣٢٦ « الهدان : الأحق الجاني الوخم

الثقيل في الحرب . . . وقيل : الهدان . النوم الذي لا يصلح ولا ييكر في حاجة » .

(٦) م « خرجت بها » .

(٧) في الديوان « عوابس للبيداء » .

جمرة فهو أصهب . وأظنه قال هاهنا بيضاً أراد حسننها وصفاء ألوانها وسمنها .

والدآدى : هى الليالى فى آخر الشهر ، وهى مظلمة .

أى لم نصل إليها حتى هزلت مطايانا ، وصارت أمحق منها . وإنما جعل الدآدى ممحقة لأنها آخر الشهر^(١) .

والهدانُ : الرجل البليد الذى ترضيه بالكلمة فيرضى .

وقال :

وَأَرَى الْمَطَايَا لَا قُصُورَ بِهَا عَنْ لَيْلِ سَامِرَاءَ تَدْرِعُهُ^(٢)
يَطْلُبُنْ عِنْدَ فَتَى رِبِيعَةٍ مَا عِنْدَ الرَّبِيعِ تَخَايَلَتْ بِقَعَةٍ

قوله : « تَخَايَلَتْ » . أى صارت مُخِيلَةً للنبات ، ظاهراً ذلك فيها .
أو أن يريد صارت كالخيلاق من النبات .

وقال :

كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيُحْسَبُنْ أَحْيَا نَا نُسُوعًا مَجْدُولَةً فِي التُّسُوعِ^(٣)
أَبْلَغْتَنَا مُحَمَّدًا فَحَمِلْنَا حُسْنَ ذَاكَ الْمَرُثَى وَالْمَسْمُوعِ^(٤)

وقال :

وَمَا ثَنَى مُسْتَهَامًا عَنْ صَبَابَتِهِ مِثْلُ الزَّمَاعِ وَوَجِدِ الْعُرْمِيسِ الْأَجْدِ^(٥)

(١) فى اللسان ١ / ٦٣ « أبو الهيثم : الثلاث التى بعد المحاق سمين دآدى ، لأن القمر فيها يدأدى إلى الغيوب أى يسرع . وقال الأصمى : فى لىالى الشهر ثلاث محاق ، وثلاث دآدى . والدآدى الأواخر وأنشد :

أبدى لنا غرة وجه بادي كزهره النجوم فى الدآدى »

(٢) ديوان البحترى ٢٣٧ ، ٢ / ١٢٤٩ وفى م « لا قصور لها » .

(٣) ديوانه ٤٢١ ، ٢ / ١٢٨٠ .

(٤) يقصد القائد محمد بن يحيى الوائلى .

(٥) ديوانه ٤٢٤ ، ١ / ٥٧٤ والزماع : المضاء فى الأمر والعزم عليه ، والإسراع فى المشى .

والوخد : ضرب من سير الإبل سريع . والعرمىس : الناقة الصلبة الشديدة . والأجد : الناقة القوية الموثقة الخلق ، ولا يقال للعجل : أجد .

إِلَى أَبِي نَهْشَلٍ ظَلَّتْ رَكَايِبُنَا يَحْدُنْ مِنْ بَلَدٍ نَائٍ إِلَى بَلَدٍ (١) .
إِلَى فَتَى مُشْرِقِ الْأَخْلَاقِ لَوْ سَبَكْتَ أَخْلَاقُهُ مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ لَمْ تَزِدْ
وقد جعل البحترى مكان الناقة هادنا « فرسا » فقال في مدح الشاه بن
ميكال :

فَتَنَّاسَ مَنْ لَمْ تَرْجُ رَجْعَةً وَدَّهِ وَوَصَالِهِ فَتَعَزَّ عَنْ ذِكْرَاهُ (٢)
بِمُجَنَّبِ رَحْبِ الْفُرُوجِ مُشْدَبِ نَابِي الْقَذَالِ حَدِيدَةُ أُذْنَاهُ (٣)
ضَافِي السَّبِيبِ مُقْلَصٍ لَمْ تَنْخَزِلْ مِنْهُ الْقَطَاةُ ، وَلَمْ تَخْنَهُ شَطَاهُ (٤)
صَافِي الْأَدِيمِ كَانَ غُرَّةَ وَجْهِهِ فَلَقُ الصَّبَاحِ أَنْجَابَ عَنْهُ دُجَاهُ
يَجْرِي إِذَا جَرَّتِ الْجِيَادُ عَلَى الْوَنَى قَبِذُ أُولَى جَرِيهَا أَخْرَاهُ
يُذْنِيكَ مِنْ مَلِكٍ أَغْرَّ سَمِيدَعِ يُذْنِيكَ مِنْ أَقْصَى مُنَاهُ رِضَاهُ (٥)

وقد خرج أبو تمام إلى المدح بوصف الخيل أيضا فقال :

حَدَوْنَاهَا الْوَجَى وَالْأَيْنَ حَتَّى تَجَاوَزْتَ الرُّكُوعَ إِلَى السُّجُودِ (٦)
إِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْغَمَرَاتِ قُلْنَا : خَرَجْتَ حَبَائِيسًا إِنْ لَمْ تَعُودِي

(١) في الديوان « يخذين » أبو نهشل : كنية محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي الطائي .

(٢) ديوان البحترى ٤ / ٢٤٣١ - ٢٤٣٢ طبع المعارف .

(٣) المجنب : المجنوب ، أى المقود . والفروس المشذب : الطويل القليل اللحم . التذال : معقد العذار من الفروس خلف الناصية .

(٤) السبيب : شعر ذنب الفرس . مقلص : طويل القوائم منضم البطن . والقطاة : العجز ، وما بين الوركين أو متعدد الرديف من الفرس . ونى م « شطاه » والشطى : عظم لازق بالذراع . فإذا زال قيل شطى الفرس . وقوله : لم تخنه شطاه ، كقول امرئ القيس : « سليم الشطى » .

(٥) السמידع : السيد الشريف السخي الشجاع . ولعل « مناه » محرفة عن « منك » ثم رأيتها في طبعة المعارف « منك » .

(٦) ديوان أبي تمام ١٠٥ وشرح التبريزي ٢ / ٣٥ « حدوناها » : أى جعلنا الوجى لها مثل

فَكَمْ مِنْ سُودِدٍ أَمْكَنْتَ مِنْهُ بِرُمْتِهِ عَلَى أَنْ لَمْ تَسُودِي
أَهَانِكَ لِلطَّرَادِ وَلَمْ تَهُونِي عَلَيْهِ ، وَلِلْقِيَادِ - أَبُو سَعِيدٍ^(١)

وقد جعل البحري أيضا « السفينة » مكان الناقة فقال :
وَرَمَتْ بِنَا سَمْتَ الْعِرَاقِ أَيَانِقُ سَحْمُ الْخُدُودِ لُغَامُهُنَّ الطُّحْلُبُ^(٢)
مِنْ كُلِّ طَائِرَةٍ بِخَمْسِ خَوَافِقٍ دُعَجَ كَمَا ذَنَرَ الظَّلِيمُ الدُّهْدِبُ^(٣)
يَحْمِلْنَ كُلُّ مُفَرِّقٍ فِي هِمَّةٍ فَضْلٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَضَاءُ السَّبَسَبُ^(٤)
رَكِبُوا الْفَرَاتَ إِلَى الْفَرَاتِ وَأَمَلُوا نَشْوَانَ يُبْدِرُ فِي السَّاحِ وَيُغْرِبُ^(٥)

قوله : أَيَانِقُ جمع أَيْنَقُ ، وهو جمع ناقة .

وهذا من المقلوب الذي جاء في كلامهم ؛ لأن النون من شأنها أن تتقدم
الياء ، فلو جاء على الاستقامة لكان أَيْنَقُ^(٦) وَأَنَانِقُ . وهذا مثل مَلَكٍ وَمَلَائِكَةٍ ،
وَالْأَصْلُ مَالِكٍ وَمَالِكَةٍ .

وقوله : « سَحْمُ الْخُدُودِ » . يريد سَوَادَ الْقَارِ .
وَلُغَامُهُنَّ الطُّحْلُبُ : يريد الخضرة التي تتعلق بالسفن من طوال المَكْثِ
في الماء .

وقوله : « خَمْسِ خَوَافِقٍ » . يريد أربعة مجاديف ، وسكان ، أو قائم الشراع .

وَدُعَجُ : سَوَادُ الْقَارِ أَيْضًا .

(١) أبو سعيد : محمد بن يوسف الطائي .

(٢) ديوان البحري ٦٨٢ ، ١ / ٧٣ ولغام البعير : زبدته .

(٣) في الديوان « يضيق بها » .

(٤) فيه « وأملوا جذلان » .

(٥) م « لكان أَيْنَقُ » .

وقوله : « كما دُعِرَ الظَّلِيمُ » يريد سرعة السفن . وانْبَعَاثُهَا كما يَنْبُعُ
الظلم وَيَجْفُلُ إذا فَزِعَ .

والإِهْدَابُ : السُّرْعَةُ .

وقوله : « يَحْمِلُنَ كُلُّ مُفَرِّقٍ » . أى مُتَقَسِّمٍ . فى هِمَّةٍ فَضْلٍ . أى همة
واحدة . يضيق لها الفضاءُ لِعِظَمِهَا وَسَعَتِهَا .

والْفُضْلُ : الثوب الواحد الذى يقتصر ^(١) عليه الرجل والمرأة ويبتدله
للأعمال . قال امرؤ القيس :

* لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ ^(٢) *

وأظن البحترى أراد بقوله : « فَضْلٌ » . أى همة واحدة ^(٣) . وجَّهوها ^(٤) إليك
دُونَ مَنْ سِوَاكَ ، وجعلها عظيمة على قدر المدوح . أى اتسعت الهمة فيك
وعظمت ؛ قد تقسمته وصار لا فضل فيه لغيرها .

وهذه أبيات حسان .

(١) م « يعتسر » .

(٢) بقية البيت كما فى ديوان امرئ القيس ١٣١ :

« وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل »

(٣) لقد أغرب الآمدى فى ظنه فوق وقع بعيداً عن مراد الشاعر القريب الواضح . وبيان ذلك : أن
الهمة : واحدة الهمم ، وهى ما يهيم به الإنسان من أمر ليفعله ، وهى توصف بالصغر والعظم ، فيقال :
إنه لصغير الهمة ، وإنه لعظيم الهمة بعيدها . وإن همته لزائدة . وهذا المعنى هو الذى أراغ إليه البحترى .
ففى قوله : « فضل : أى زيادة . يريد أن هذه السفن تحمل أناساً قد فرقهم فى البلاد : مطوفين فى
الآفاق بسبب ما انطوت عليه صدورهم من همم عظيمة بعيدة المدى يضيق بها الفضاء الفسيح . فقول الآمدى :
« فى همة فضل أى همة واحدة » خطأ محض ، لأن المعنى الذى قصد إثباته من كلمة « فضل » وتجشم
الاستشهاد عليه بقول امرئ القيس « لم تنتطق عن تفضل » — قد تكفل به بيت البحترى الثانى الذى يقول
فيه : إن جميع هؤلاء الذين قد فرقهم همهم وأزعجتهم عن أهلهم وأوطانهم قد ركبوا الفرات إلى الفرات الذى
يلذ له الإبداع فى السباح ويسكره الإغراب فيه .

(٤) م « وجهها إليك » .

وقد قال أبو تمام في « السفينة » والمسير فيها إلى المدوح في قصيدة أولها :
 دَنَفٌ بَكَى آيَاتِ رَبِّعٍ مُدَنَفٍ لَوْلَا نَسِيمُ تَرَابِهِ لَمْ يُعْرِفِ^(١)
 أبياتاً رديئة جداً لم أكتبها^(٢) .

والجيد النادر في وصف السفينة قول بشار يذكر مسيره إلى المهدي :
 وَعَذْرَاءٌ لَا تَجْرِي بِلَحْمٍ وَلَا دَمٍ قَلِيلَةٌ شَكْوَى الْأَيْنِ ، مُلْجَمَةُ الدَّبْرِ^(٣)
 إِذَا طَعَنْتَ فِيهَا الْقَبُولُ تَشْمَصُتْ بِفُرْسَانِهَا لَا فِي وُعُوثٍ وَلَا وَغْرِ^(٤)
 وَإِنْ قَصَدْتَ مَرَّتْ عَلَى مُتَنَصِّبٍ ذَلِيلِ الْقَرَالِشِيِّ يَفْرِي كَمَا يَفْرِي^(٥)
 تَلَاعِبُ نَيْنَانَ الْبُحُورِ وَرُبَّمَا رَأَيْتَ نُفُوسَ الْقَوْمِ مِنْ جَرِيهَا تَجْرِي^(٦)
 سَمَوْنَا إِلَى الْمَهْدِيِّ قَصْداً وَإِنَّمَا قَطَعْنَا بِهَا أَمْوَاجَ بَحْرِ إِلَى بَحْرِ^(٧)

فبلغ سيبويه قوله : « نَيْنَانَ الْبُحُورِ » فأنكر ذلك ، وزعم أن
 العرب لا تجمع النون - وهو الحوت - على نَيْنَانَ . فبلغ ذلك بشاراً ،
 فقال : وَيَحَهُ : أما يقول : حُوتٌ وحيتان ، وَغُولٌ وغيلان ، فكذلك نون

(١) شرح التبريزي ٢ / ٣٩٤ وهذه القصيدة لا توجد في ديوان أبي تمام .

(٢) أولها ص ٣٩٦ :

حملت رجاء إليك بنت حديقة غلباء لم تغلح لفحل مقرف
 نتجت وقد حوت الهنيدة وابتننت في شطرها وتبوعت في النيف
 فأتت محلى وهي حمل بناتها تسرى بقائمتى خريق حرجف
 فاعتامها ذو خبرة بفحولها ندس بجيلة حلقها متلطف

ثم يمضي في وصفها على هذا النحو في ثمانية أبيات آخر .

(٣) ديوان بشار ٣ / ٢٨٠ والأغاني ٣ / ٦٩ . والأين : الإعياء .

(٤) م « ولا دعر » والقبول : ربح الصبا وهي رخاء السفن . وتشمصت : نفرت وأسرعت في سيرها ، كما تفعل الدابة التي تنخص وتساق . والوعوث : جمع وعث وهو المكان السهل .

(٥) م « دليل » والقرا : الظهر .

(٦) م « أنكر » .

(٧) لم يرد هذا البيت في ديوانه ولا في الأغاني .

ونينان ، وتوعد سيبيويه ولدغَه فكف سيبيويه عن تتبع شعره ، واحتج بشيء
[منه] تقرباً إليه ، واستكفأفا لشره .

وللبحتري في الخروج إلى المديح بذكر الإبل غير شيء لو استقصيته ،
وأُتيت بجميع ما لأبي تمام فيه - لطال الباب . وما تركتُ لهما إلا وسطا
ليس بجيد ولا رديء .

ولا خفاء بفضل البحتري في سائر ما أوردته على أبي تمام .

وهذا وجه آخر من الخروج
و وخروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء

فمن ذلك قول^(١) أبي تمام :

لَا تُنْكِرِي عَظْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالسَّيْلَ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^(٢)
وَتَنْظُرِي خَبَبَ الرُّكَّابِ يَحُثُّهَا مُحِبِّي الْقَرِيضِ إِلَى مُمِيتِ الْمَالِ
وهذا معنى لطيف حسن .

ومنه قول البحتري :

وَلَمْ أَنْسَهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ وَنَشْرَهَا سَوَابِقَ دَمْعٍ أُعْجِلَتْ أَنْ تُنْظَمًا^(٣)
وَقَالَتْ هَلِ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ مُعَقَّبٌ رِضًا فَيَعُودَ الشَّمْلُ مِنَّا مُلَاقًا
وقوله :

قَامَتْ تُودِّعُنِي عَجَلِي وَقَدْ بَدَرْتُ سَوَابِقُ مِنْ تُوَّامِ الدَّمْعِ تُجْرِيهَا^(٤)
وَأَسْتَنْكَرْتُ ظَعْنِي عَنْهَا فَقُلْتُ لَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ أَنْضَى الْعَيْسِ مُنْضِيهَا^(٥)

وما أكثر ما يستعمل الشعراء في خروجهم^(٦) إلى المدح هذا الوجه .

(١) م « قال » .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٤٦ وشرح التبريزي ٣ / ٧٧ « الركاب ينصبا » .

(٣) ديوان البحتري ٩٤ ، ٣ / ١٩٨٢ .

(٤) ديوان البحتري ٣٦ « وقد حذرت » ، في ٤ / ٤٢١٠ كما هنا .

(٥) الذي في الديوان « أمضى العيس منضيا » .

(٦) م « خروجها » .

ومن جيد ذلك قول جرير :

رَأَيْتُ الْمُورِدِينَ ذَوِي لُقَاحٍ ^(١)	تَعَزَّتْ أُمُّ حَرْزَةَ ثُمَّ قَالَتْ
بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّيْمِ الْقَرَّاحِ ^(٢)	تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاعِيَةٌ بَيْنَهَا
أَذَاةَ اللَّوْمِ ، وَأَنْتَظِرِي آمْتِيَّاحِي	سَامَتْحُ الْبُحُورِ فَجَنَّبِيْنِي
وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ النَّجَّاحِ	فُتْقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

(١) ديوانه ٩٧ .

(٢) ساغبة : جائعة . الشيم : البارد . والقراح : الماء الذي لم يخالطه شيء يطيب به كالعسل

والمر والزيت .

وربما خرجا إلى المدح بيمين يحلقان بها

ومن ذلك قول أبي تمام :

حَلَفْتُ بِرَبِّ الْبَيْضِ تَدْمَى نُحُورُهَا وَرَبُّ الْقَنَا الْمُنَادِ وَالْمُقَصِّدِ^(١)
لَقَدْ كَفَّ سَيْفُ الصَّامِتِي مُحَمَّدٍ تَبَارِيحَ ثَارِ الصَّامِتِي مُحَمَّدٍ^(٢)

فالبيض : هي الأذم من الإبل ، يقال : بعير آدم إذا كان أبيض .

وقوله : « تباريح ثار » أراد أن سيفه كف تباريح ثاره ، أى كف ما برح به من الثار حتى أدركه .

ومن ذلك قوله :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبِيرٌ ، وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ^(٣)
مَا زِلْتُ عَنْ سَنَنِ الضَّمِيرِ ، وَلَا غَدْتُ نَفْسِي عَلَى إِلْفِ سَوَاكَ تَحُومٌ^(٤)

ومن ذلك قول البحتري :

حَلَفْتُ بِمَا حَجَّتْ قُرَيْشٌ وَحَجَّيْتُ وَحَازَ الْمُصَلَّى وَالْحَطِيمُ وَزَمَزَمٌ^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٠١ وشرح التبريزي ٢ / ٢٤ « تدمى متونها » والمناد : المنحى . والمقتصد : المتكسر .

(٢) قيل : إن الثاني هو الأول . وقيل : الأول : محمد بن يوسف هذا المدوح ، والآخر : محمد بن حميد الذي قتله بابك ، وهما جميعاً من بني الصامت .

(٣) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزي ٣ / ٢٩٠ .

(٤) ويروى « سنن الوداد » .

(٥) ديوان البحتري ٩٦ ، ٣ / ١٩٢٩ .

وَأَهْلُ مِنَى إِذْ جَاوَزُوا الْخَيْفَ مِنْ مِنَى وَهُمْ عُصَبُ شَتَى ، مُجِلٌ ، وَمُحْرِمٌ^(١)
يُهْلَوْنَ مِنْ حَيْثُ ابْتَدَا الصُّبْحُ يَرْتَقِي سَنَاهُ إِلَى حَيْثُ أَنْتَهَى اللَّيْلُ يُظْلِمُ^(٢)
لَقَدْ جَشِمَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ خُطَّةً مِنَ الْمَجْدِ لَا يَسْطِيعُهَا الْمُتَجَشِّمُ

ومن ذلك قوله :

وَشَمَائِلُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ إِنَّهَا فِي الْمَجْدِ ذَاتُ شَمَائِلٍ وَجَنَائِبٍ^(٣)
لَيَقْصُرَنَّ لَجَاجُ شَوْقٍ غَالِبٍ وَلَيَقْصِرَنَّ لَجَاجُ دَمْعٍ سَاكِبٍ^(٤)

وهما في هذا الباب متكافئان .

(١) م « عَصَبُ نَوْضَى » .

(٢) م « أَنْتَهَى اللَّيْلُ » .

(٣) ديوانه ٦٩٧ ، ١٤ / ١٥٩ طبع المعارف .

(٤) في الديوان ٦٩٧ « شَوْقٌ بِالْغِ » وفي طبعة المعارف كما هنا . وبعد البيت :

فَالْعَزْمُ يَقْتُلُ كُلَّ سَقَمٍ قَاتِلٍ وَالْبَعْدُ يَنْلُبُ كُلَّ وَجْدٍ غَالِبٍ

وربما خرجا إلى المديح بذكر الغيث ومباراته

فمن ذلك قول أبي تمام :

أَيُّهَا الْغَيْثُ حَيَّ أَهْلًا بِمَعْدَاكَ ، وَعِنْدَ السَّرَى ، وَحِينَ يُثُوبُ^(١)
لَأَبِي جَعْفَرٍ خَلَّاتِقُ تَحَكِيهِ هِنٌ قَدْ يُشْبِهُ النَّجِيبَ النَّجِيبُ

وهذا ليس بالشهي ، ولا الحلو العذب .

والجيد النادر قول البحتري :

أَقُولُ لِشَجَّاجِ الْغَمَامِ وَقَدْ سَرَى بِمُخْتَفَلِ الشُّوْبُوبِ صَابَ فَعَمَّمَا^(٢) :
أَقِلُّ وَأَكْثِرْ لَسْتَ تَبْلُغُ غَايَةَ تَبِينُ بِهَا حَتَّى تُضَارِعَ هَيْثَمًا^(٣)

وأجود من هذا وأحلى وأبلغ - قوله يمدح المتوكل :

قَدْ قُلْتُ لِلْغَيْثِ الرُّكَّامِ وَلَجٌ فِي إِبْرَاقِهِ ، وَالْحُ فِي إِرْعَادِهِ^(٤)
لَا تَعْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهًا بِنَدَى يَدَيْهِ فَلَسْتَ مِنْ أُنْدَادِهِ

ومن الجيد النادر في هذا الباب أيضا - قوله :

رِبَاعٌ تَرَدَّتْ فِي الرِّيَاضِ مَجُودَةٌ بِكُلِّ جَلِيدِ الْمَاءِ عَذْبِ الْمَوَارِدِ^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ٥٨ وشرح التبريزي ١ / ٢٩٧ .

(٢) ديوان البحتري ١٢٧ ، ٤ / ٢٠٨٨ والصناعتين ٤٥٧ وعيار الشعر ١١٦ .

(٣) في الديوان ١٢٧ « لبيت تدرك » والهيثم الغنوي : هو الممدوح .

(٤) ديوانه ٤٣ ، ٢ / ٧ ، والصناعتين ٤٥٧ والبدیع لأسامة ٢٨٨ « قلت للنيم » .

(٥) ديوانه ٥٤ ، ١ / ٦٢٤ .

إِذَا رَاوَحَتْهَا مُزْنَةٌ بَكَرَتْ لَهَا شَايِبٌ مُجْتَازٌ عَلَيْهَا وَقَاصِدٌ^(١)
كَأَنَّ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بِتِلْكَ الْبَارِقَاتِ الرُّوَاعِدِ

وقال :

سُقِيتَ رَبَّكَ بِكُلِّ نَوْءٍ جَاعِلٍ مِنْ وَبْلِهِ حَقًّا لَهَا مَعْلُومًا^(٢)
فَلَوْ أَنَّنِي أُعْطِيتُ فِيهِنَّ الْمُنَى لَسَقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا^(٣)
بِسَحَابَةٍ غَرَاءَ مُشْتَمَةٍ إِذَا كَانَ الْجَهَامُ مِنَ السَّحَابِ عَقِيمًا^(٤)

فقوله : «سُقِيتَ رَبَّكَ» - بيت ليس بالبارع لفظاً ولا معنى ، وما بعده

جيد حلو .

ولمَّا خَصَّ الْجَهَامَ لِأَنَّهُ الَّذِي قَدْ كَانَ فِيهِ مَاءٌ فَأَرَاهُ ، ومثله لا يكون عقيماً . جعله كالمرأة الوالد .

وقال [أبو تمام] في هذا المعنى أيضاً :

شَجَا فِي الْحَشَا تَرْدَادُهُ لَيْسَ يَفْتَرُ بِهِ صُمْنٌ آمَالِي وَإِنِّي لَمُفْطِرٌ^(٥)
حَلَفْتُ بِمُسْتَنِّ الْمُنَى تَسْتَرْشُهَا مَسْحَابَةٌ كَفٌّ بِالرَّغَائِبِ تُمَطِّرُ
إِذَا دَرَجَتْ فِيهِ الصَّبَا كَفَّكَتْ لَهَا وَقَامَ يُبَارِيهَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرٌ^(٦)

وهذه ألفاظ ومعان ونسج في غاية الرداعة والهجانة ، والبعد من البلاغة

والبراعة ، على ما فيها من التعقيد واتفاق المعاني .

فقوله : «حَلَفْتُ» يعني نفسه .

(١) م «مجناب عليها» .

(٢) ديوانه ٢٨٦ ، ٣ / ١٩٦٥ .

(٣) هو إبراهيم بن الحسن بن سهل الملعوح .

(٤) م «السحاب عظيماً» . والمتنم : التي تفضع اثنين في بطن واحد .

(٥) ديوان أبي تمام ١٥٩ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٤ في ملح جعفر الخياط .

(٦) م «درجت فيها» .

و «مُسْتَنُّ الْمُنَى» : المحل الذى يستنُّ فيه المنى ، أى يَطْرُدُ ، يَنْهَبُ وَيَجْبِي وَيَكْثُر . يريد محل الممدوح وساحته .

وقوله : «يَسْتَرْشَهَا . إِنَّمَا أَرَادَ يَسْتَرْشُ سَحَابَةً كَفَّ فَقَالَ : «يَسْتَرْشَهَا»

فقدم الكناية ، وجعل «سَحَابَةً كَفَّ» بدلاً من الهاء والألف .

يقول : حَلَّتْ بِمَحَلِّ تَسْتَنُّ فِيهِ الْمُنَى ، وَتَطْلُبُ رَشَاشَ سَحَابَةٍ كَفَّ .

وقوله : «إِذَا دَرَجَتْ فِيهِ الصَّبَا» . يريد فى مُسْتَنُّ الْمُنَى . كَفَّكَفَتْ لَهَا

أى للسحابة .

وكفكفت : أى دنت وقربت .

و «قَامَ يُبَارِيهَا» أى يبارى الصَّبَا بِسَحَابَةٍ كَفَّ أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَر .

وهذان البيتان لا يتصلان بالبيت الأول . وإنما كان وجه الكلام أن يقول :

شَجَا فِي الْحِشَا كَانَ تَرْدَادُهُ لَيْسَ يَفْتُرُ ، وَكَانَتْ آمَالِي بِهِ صَائِمَةً ، فَحَلَلْتُ

بِمُسْتَنِّ مُنَى مِنْ حَالِهِ وَصِفَتِهِ . حتى يتصل الكلام ببعضه ببعض .

والحذف والاختصار فى كلام العرب موجود ، ولكن ليس فى مثل هذا .

ومن هذا الباب ، وفيه بعض الغموض ، قوله :

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا أَقْوَاتَهَا لِنَصْرِفِ الْأَحْرَاسِ^(١)

فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَى لَهَا وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَاسِ

يريد أن الله تعالى ، جعل أقوات عبادته من وجود مختلفة على قدر أزمانها .

وَالْأَحْرَاسُ : الدُّهُورُ ، واحدها حَرَسٌ .

(١) ديوان أبى تمام ١٧٣ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤٦ وق م «الأجراس» .

يقول : فالأرض إنما تحيا بما تقرّ بها السماء من الغيث ، وبنو الرجاء لهم بنو العباس . أى بنو الرّجاء بنو العباس لهم ، أى لهم عِصْمَة ، كما يقال : الله لك ، أى مُعِينٌ ومُغِيثٌ .

ويجوز أن يكون أبو تمام ذهب في ذكر الأرض والغيث هاهنا^(١) وجعل بنى العباس رجاء الناس لذلك ؛ لأنّ الناس في أيام عمر بن الخطاب ، رحمة الله عليه ، احتبس عنهم المطر فأخذ عمر بضبع العباس وقال : اللهم إن هذا عم نبيك ، اللهم اسقنا غيثك . فما برح الناس حتى وافاهم المطر . فلعلّ أبا تمام ذهب إلى هذا المعنى . والله أعلم .

والبيتان رديئان نسجاً ولفظاً .

ولا محالة أن البحتري أيضاً في هذا الباب - يتقدم أبا تمام .

(١) العبارة هنا ناقصة .

وهذا وجه آخر من خروجهما إلى المدح

وهو وصف الرياح ، وتشبيهه أخلاق المدوح بها

فمن ذلك قول أبي تمام :

مِنْ فَاقِعٍ غَضُّ النَّبَاتِ كَأَنَّهُ [دُورًا] يُشَقِّقُ قَبْلُ ، ثُمَّ يُزَعْفَرُ^(١)
صُنْعُ الذِّى لَوْلَا بَدَائِعُ صُنْعِهِ مَا عَادَ أَصْفَرَ بَعْدَ إِذْ هُوَ أَخْضَرُ
خُلُقٌ أَطْلَ مِنْ الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلُقُ الْإِمَامِ وَهَذِيهِ الْمُتَيْسِّرُ

فقوله : « خُلُقٌ أَطْلَ مِنْ الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلُقُ الْإِمَامِ » - معنى صحيح .

« وَهَذِيهِ الْمُتَيْسِّرُ » . فالهدى : سَمْتُهُ وَدَلُّهُ وَشَكْلُهُ . و « الْمُتَيْسِّرُ » .

قافية رديئة جداً .

٢

ومثله قول البحتري :

وَيُزِيكَ الْأَحْبَابُ يَوْمَ تَلَاقٍ بِأَعْتِنَاقِ الْحَوْذَانِ وَالْأَقْحَوَانِ^(٢)
صَاغَ مِنْهَا الرَّبِيعُ شَكْلًا لِأَخْلَا قِ حُسَيْنٍ [ذِي] الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ^(٣)

وهذا أيضاً خُرُوجٌ ليست له قوة لفظ [و] لا حلاوة فيه ولا معنى .

(١) ديوان أبي تمام ١٥٨ وشرح التبريزي ٢ / ١٩٦ .

(٢) ديوان البحتري ٤ / ٢١٩٨ وفي اللسان ٤ / ٢١ « والحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع ، له زهرة خمراء في أصلها صفرة وورقة ملونة » وفي الديوان « باعْتِنَاقٌ » وهو تحريف .

(٣) يقصد بمطوحه : الحسين بن الحسن بن سهل .

وهذا وجه آخر من خروجهما إلى المدح

منه قول أبي تمام :

صُبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا ، صُبَّ مِنْ كَثَبٍ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمَ الرُّوعِ مُنْتَقِمًا^(١)

وهذا خروج حسن^(٢).

وقال أيضًا :

فَلْيُبْلَغِ الْفِتْيَانُ عَنِّي مَالُكَأْ أَنِّي مَتَى يَتَثَلَّمُوا أَتَهْدَمُ^(٣)
وَلَتَعْلَمَ الْأَيَّامُ أَنِّي فُتِّهَا بِأَبِي الْحُسَيْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ

قوله : « مَالُكَأْ » : جمع مَالُكَةٍ ، وهي الرسالة ، ونصبها على الحال .

وقال أبو تمام أيضًا :

وَعَاذِلِ هَاجَ لِي بِاللُّومِ مَأْرُبَةً بَاتَتْ عَلَيْهَا هُمُومُ الصِّدْرِ تَصْطَخِبُ^(٤)
لَمَّا أَطَالَ أَرْتِجَالَ الْعَذْلِ قُلْتُ لَهُ الْحَزْمُ يَثْنِي خُطُوبَ الدَّهْرِ لَا الْخُطْبُ
لَمْ يَجْتَمِعْ قَطُّ فِي مِضْرٍ وَلَا طَرْفٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَرْوَانَ وَالنُّوبُ^(٥)

قوله : « الْحَزْمُ يَثْنِي خُطُوبَ الدَّهْرِ » - ليس بواجبٍ قاطعٍ على كلِّ حال . ولو كان ذلك كذلك لما رأيت حازماً قطَّ يصيبه خطب من الدهر يكرهه . ولكنه لما كان الحزم قد يفعل ذلك صلح أن يذكره .

(١) ديوان أبي تمام ٣٠٢ وشرح التبريزي ٣ / ١٦٨ .

(٢) بل هو خروج ردي .

(٣) ديوانه ٣١٢ وشرح التبريزي ٣ / ٢٥٠ « مالكا » وانظر اللسان ١٢ / ٢٧٢ .

(٤) ديوانه ٤٧ وشرح التبريزي ١ / ٢٤٨ ويروى « هموم النفس » والمأربة : الحاجة .

(٥) م « يجتمع خط » .

وقال أبو تمام :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ أَنَا شَارِحٌ لَكَ غَائِبِي حَتَّى كَأَنَّكَ حَاضِرُهُ^(١)
 إِنِّي وَنَصْرًا وَالرُّضَا بِجَوَارِهِ كَالْبَحْرِ لَا يَبْغِي سِوَاهُ مُجَاوِرُهُ
 مَا إِنْ يَخَافُ الْخَذْلَ مِنْ أَيَّامِهِ أَحَدٌ نَيْقَنَ أَنَّ نَصْرًا نَاصِرُهُ
 قوله : « أنا شارحٌ لك غائبي » . لست أراه شرح شيئاً ، وإنما ذكر أن
 رضاه بجوار نصر كالبحر لا يبغي سواه مجاوره . وهذا خبر مُختصر ؛
 والشرح لا يكون في نصف البيت .

فأما قوله : « مَا إِنْ يَخَافُ الْخَذْلَ » فليس يتعلق بقوله : « أنا شارحٌ
 لك غائبي حَتَّى كَأَنَّكَ حَاضِرُهُ » .

وقد أخبر البحتري بخبر حسن هو أول بالشرح من أبي تمام فقال :
 وَمِنْ غَرَائِبِ مَا تَأْتِي الْخُطُوبُ بِهِ فِي أَوَّلِ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ أُوتَالِ^(٢)
 أَخْذُوثةٌ عَجَبٌ أَنْبِيكَ عَنْ خَبْرِي فِيهَا ، وَعَنْ خَبَرِ الشَّاهِ بْنِ مِيكَالِ
 فَرَزْتُ مِنْهُ حَيَاءٌ مِنْ قُصُورِي عَنْ جَزَاءِ مَا زَادَ فِي جَاهِي وَفِي مَالِي^(٣)
 لَوْلَمْ أَعُوْضُهُ شُكْرًا عَنْ تَطَوُّلِهِ إِذْ لَمْ أَقَابِلُهُ إِفْضَالًا بِإِفْضَالِ^(٤)
 وقد ذكر هذا المعنى في غير موضع . وإنما أذكره في أبوابه إذا جاءت بإذن الله .

وقال البحتري :

لَعَمْرُ أَبِي الْأَيَّامِ مَا جَارَ حُكْمُهَا عَلَيَّ ، وَلَا أَعْطَيْتُهُ نِثْيَ مِقْوَدِي^(٥)

(١) ديوان أبي تمام ١٥٦ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٠ .

(٢) ديوانه ٢ / ١٧٢١ .

(٣) م « حياء عن » .

(٤) في الديوان لم لم أعوضه . . . إذ لم أكايه . . .

(٥) ديوانه ٢٣١ ، ٢ / ٧٧٢ « ولا أعطيتها » وهي في مدح أحمد بن محمد بن المدبر . وسبق

البيت الأول في الجزء الأول ٤٢٩ ، « مقول » وهو خطأ .

وَكَيْفَ أَخَافُ الْحَادِثَاتِ وَصَرَفَهَا عَلَى وَدُونِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ^(١)

وقال :

فَإِنْ أَرَابَ صَدِيقِي فِي الْوِدَادِ فَكَمْ
يَكْفِيكَ مِنْ عُدُوِّ فِي الدَّهْرِ تَجَعُّلُهَا
أَمْسَيْتُ أَخَذَرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَمْلُهُ^(٢)
ذُخْرًا - سَمَاعُ أَبِي بَكْرٍ وَنَائِلُهُ^(٣)

وقال :

لَا أَمْدَحُ الْمَرْءَ أَقْصَى مَا يَجُودُ بِهِ
حَسْبِي بِأَحْمَدَ إِحْسَانًا يُبْلَغُنِي
نَيْلُ يُكْسِرُ مِنْ حَقَاقَتِ جُلْمُودِ
مَدَى الْغِنَى ، وَبِفِعْلِ مِنْهُ مَحْمُودِ

قوله : « وَبِفِعْلِ مِنْهُ مَحْمُودِ » . يريد معونته إياه على أموره ، وبذله

جاهه له :

ومن طريف خروج البحتري وعجيبه قوله :

إِذَا الرَّجَالُ اعْتَمَتَ أَجْوَادَهُمْ
أَذْفَعُ بِأَمْثَالِ أَبِي غَالِبٍ
فَاسْمُ إِلَى الْأَشْرَفِ مَا فَلَا شَرَفَ^(٤)
عَادِيَّةَ الْعُذْمِ أَوْ اسْتَعْفِفَ

ومن جيد ذلك ونادره أيضا قوله :

يَرْجُو الْبَخِيلُ اغْتِرَارِي أَوْ مُخَادَعَتِي
لَا تُكْسُونَ بَنِي الْفَيَاضِ مِنْ مِدْحِي
حَتَّى أَسُوقَ إِلَيْهِ الْمَدْحَ مَجَانًا
مَا بَاتَ مِنْهُ لَثِيمُ النَّاسِ عُرْيَانًا

وهذا في غاية الحسن .

(١) يقصد مدوحه : أحمد بن محمد بن المدبر .

(٢) ديوان البحتري ٩٧٠ ، ٣ / ١٨٢٩ في مدح أبي بكر الكاتب ، المعروف بجرادة .

(٣) في الديوان « الدهر » .

(٤) ديوانه ٣٤٧ ، ١ / ٥٥٧ في مدح أحمد بن عبد الوهاب . في م « ما تجود » .

(٤) ديوانه ٢٣٣ ، ٢ / ١٣٦٠ - ١٣٦١ في مدح أبي غالب بن أحمد بن محمد بن المدبر .

واعتمت : اختارت ، ومنه قول طرفة : أرى الموت يعتام الكرام ... » .

وقال :

هَلِ الشَّبَابُ مُلِمٌّ بِي فَرَاجَعَةٌ أَيَّامُهُ لِي فِي أَعْقَابِ أَيَّامِي ^(١)
لَوْ أَنَّهُ نَائِلٌ غَمْرٌ يُجَادُ بِهِ لَقَدْ تَطَلَّبْتُهُ عِنْدَ ابْنِ بَسْطَامِ

وهذا أيضًا خروج حسن طريف.

ومن جيد خروجه ^(٢) أيضًا قوله :

لِتَسْرِيَنَّ قَوَافِي الشَّعْرِ مُعْجَلَةً مَا بَيْنَ سَيْرِهِ الْمُثَلِّي وَشُرْدِي ^(٣)
جَوَازِيًا حَسَنًا مِنْ حُسْنِ أَنْعَمِهِ وَعَنْ بَوَادِيهِ فِي الْجَدْوَى وَتَوْدِي ^(٤)

ومن طريفات الخروج أيضًا قول أبي تمام :

تَدَاوَى مِنْ شَوْقِكَ الْأَقْصَى بِمَا فَعَلْتِ خَيْلُ ابْنِ يُوسُفَ وَالْأَبْطَالُ تَطَرَّدُ ^(٥)
ذَاكَ السُّرُورُ الَّذِي آلَتْ بِشَاشَتِهِ أَنْ لَا يُجَاوِرَهَا فِي مُهْجَةٍ كَمَدُ

وهذا - لعمرى - معنى فى غاية الحسن والحلاوة .

وقال أبو تمام :

تَوَاتَرَتْ نَكَبَاتُ الْعُسْرِ تَرُشِقُنِي بِكُلِّ صَائِبَةٍ عَنْ قَوْسِ عَضْبَانٍ ^(٦)
مَدَّتْ عِنَانُ رَجَائِي فَأَسْتَقَدْتُ لَهَا حَتَّى رَمَتْنِي فِي بَحْرِ ابْنِ حَسَّانٍ ^(٧)

(١) ديوان البحرى ٤ / ٢٠٩٦ من قصيدة يمدح بها أبا العباس : أحمد بن محمد بن بسطام .

(٢) م « خروجاته » .

(٣) ديوانه ٥٨٠ ، ١٠ / ٤٩٩ فى مدح الحسن بن مخلد .

(٤) فى الديوان « عن حسن » .

(٥) ديوان أبي تمام ٩٧ وشرح التبريزى ٢ / ١٢ « أى تعل عن غمك بفراق أحببك بسرورك بما

فتحت خيل محمد بن يوسف الطائى » .

(٦) ديوانه ٣٢٤ وشرح التبريزى ٣ / ٢١٢ ويرى : « نكبات الدهر » .

(٧) فى الشرح « ومت لى » .

بَحْرٌ مِنَ الْجُودِ يَرْمِي مَوْجُهُ زَبَدًا حَبَابُهُ الْوَدْقُ مَقْرُونٌ بِعِقْيَانٍ^(١)
وهذا من لفظ العوام وأشعار الصبيان .

ومن ردىء خروجه أيضاً قوله :

وَدَّعَ فُرَادَكَ تَوَدِّيعَ الْفِرَاقِ فَمَا أَرَاهُ مِنْ سَفَرٍ التَّوَدِّيعِ مُتَّصِرًا^(٢)
يُجَاهِدُ الشُّوقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْنِبُهُ جِهَادُهُ الْقَوَافِي فِي أَبِي دُلْفَا^(٣)

وقد أصلحه الناس : « مُجَاهَدَاتُ الْقَوَافِي » . وبقى ما لا يمكن إصلاحه
وهو قبيح قوله : « يَجْنِبُهُ » ، فإنها لفظة بشعة .

ومجاهدته للقوافي أيضاً معنى ردىء . وإنما كان ينبغي أن يقول :

إِنْ الشَّعْرُ يُيسَّرُ فِيهِ ، وَتَطْرُدُ قَوَافِيهِ بِمِلْحِهِ لَكثْرَةِ فِضَائِلِهِ ، وَيُنَاقِي فِيهِ
عَفْوًا ، وَلَا يَتَعَذَّرُ ، كَمَا قَالَ :

تَغَايَرَ الشُّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتِيلُ^(٤)

ومن ردىء خروجه^(٥) أيضاً وقبيحه قوله :

يَعْجَبُنْ مِنِّي أَنْ سَمَحْتُ بِمُهْجَتِي وَكَذَلِكَ أَعْجَبُ مِنْ سَمَاحَةِ جَعْفَرٍ^(٦)
مَلِكٌ إِذَا الْحَاجَاتُ لُذْنَ بِحَقْوِهِ صَافَحْنَ كَفَّ نَوَالِهِ الْمُتَيْسِّرِ

فلم عجب من سماعة جعفر؟ وإنما العجب من سماعة البخلاء ، فأما

(١) م « موجه أبدأ » وفي الديوان وشرحه « فضة زينت » .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٠١ وشرح التبريزي ٢ / ٢٦٢ .

(٣) م « الشوق طراً . . . فجاهدته » .

(٤) ديوانه ٢٢٧ .

(٥) م « خروجاته وقبيحها » .

(٦) ديوانه ٣٩٨ وفي م « أن سهرت » .

الكرماء الذين من عاداتهم البذل فما وجه التعجب من سماحتهم ؟
وليس في البيت الثاني ما يوجب التعجب ، وإنما ذكر فيه أن نواله
متيسر . وهو بيت ردىء .

ومن ردىء خروجه ^(١) أيضاً لفظاً ومعنى قوله :
يقول أناس في جبيناء عابنوا عِمارة رَحْلِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدِ ^(٢)
أَظْهَرْتَ كَنْزاً أَمْ صَبَحْتَ بِغَارَةٍ ذَوِي غِرَّةٍ حَامِيَهُمْ غَيْرُ شَاهِدِ ^(٣)
فَقُلْتُ لَهُمْ : لَا ذَا وَلَا ذَاكَ دَيْدَنِي وَلَكِنِّي أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ
وهذا من معاني العوام أن يقولوا لمن رأوا حاله قد حسنت : عَلَى مَنْ أَغْرَتْ
أَوْ أَى كَنْزٍ وَجَدْتَ ؟ وما ظننت مثل هذا يُنْظَمُ في شعر .

وقوله : « أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ » كلام كالفارغ . وإنما كان ينبغي
لمن ابتلاه الله بهذا المعنى أن يقول في جوابهم : نعم كنز خالد ، وأغار على
ندى خالد . ولكنه ، لعمرى ، بَيَّنَّ المعنى في البيت الثاني ، وعرفهم سبب
عِمارة رَحْلِهِ بِأَن قَالَ :

جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً فَخَرٌّ صَرِيحاً بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ
وهذا ، وأبيه ، معنى متناه في بَرِّهِ وَغَثَائِثِهِ وَرَكَائِهِ ، وَلَشْتِيَمَةُ الممدوح
عندى بالزنى أحسن وأجمل مِنْ جَذْبِ نَدَاهُ حَتَّى يَخْرُ صَرِيحاً !!!
ولو لم يعلمنا أن ذلك كان غُدْوَةَ السَّبْتِ كيف كان يتم بَرْدُ المعنى .

و « حَبِينَاءُ » : اسم موضع ، في غَايَةِ القُبْحِ والهِجَانَةِ . فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا

(١) م « خروجاته » .

(٢) ديوان أبي تمام ٩٥ وشرح التبريزي ٢ / ٥ في ملح خالد بن يزيد الشيباني .

(٣) و يروى « أصادفت كنزاً » .

قالوا ما قالوا له في هذا الموضع فإنه لم يك مضطراً إلى ذكره ، كما أنه لم يك مضطراً إلى ذكر غُدْوَةِ السَّبْتِ .

ومن سبيل الشاعر أن لا يذكر إلا ما حُسِّنَ من أسماء الموضع ، وأن يعتمد أسماء الموضع الغريبة المتكررة في أشعار الفصحاء ؛ ألا ترى أن «الفرزدق» أنكر على «مالك بن أسماء بن خازجة» وقد أنشده :

• جَدًّا لَيْلَتِي بِتِلْ بَوْنًا^(١) •

فقال : أفسدت أبياتك بذكر بَوْنًا ، فقال له : فني : «بَوْنًا» كان ذلك . قال : وإن كان .

ومن خروجه الرديء قوله^(٢) :

يَدُ الشَّكْوَى أَتَتْكَ عَلَى الْبَرِيدِ تُمَدُّ بِهَا الْقَصَائِدُ مِنْ نَشِيدِ^(٣)
تُقَلِّبُ بَيْنَهَا أَمَلًا جَدِيدًا تَدْرُعُ حُلَّتِي طَمَعُ جَدِيدِ
شَكُوتٌ إِلَى الزَّمَانِ نُحُولَ جِسْمِي فَأَرْشِدُنِي إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ

فقوله : «تُقَلِّبُ بَيْنَهَا» . يعني القصائد .

وقوله : «أَمَلًا جَدِيدًا تَدْرُعُ حُلَّتِي طَمَعُ جَدِيدِ»^(٤) لفظ رديء جدًا ؛ لأن معنى الطمع والأمل والرجاء معنى واحد في مقاصد الناس واستعمالهم ،

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٧٥٧ والأغاني ١٦ / ٤٠ .

(٢) م «خروجاته الرديئة» .

(٣) ديوان أبي تمام ١٣٦ وشرح التبريزي ٢ / ١٢٣ في مدح عبد الحميد بن جبريل «القصائد

بالنشيد» ويروى «تمديد القصائد» !

(٤) م «حلتى أمل» .

تقول : أنا آمل من الله تعالى الفرج ، كما تقول : أطمع وأرجو . وإنما يُنسَقُ بعضها على بعض لاختلاف اللفظ .

وتقول : قد انقطع من فلان الطمع ، وانقطع الأمل ، وانقطع الرجاء . وكذلك خاب .

فإن كان بين هذه الألفاظ فرق في أصل وضع الكلام [فقد أُجريت ^(١)] مُجْرَى واحدًا فلا فائدة إذا في قوله : « أَمَلًا جَلِيدًا تَدَرَّعَ حُلَّتِي طَمَعٍ جَلِيدٍ » .

ولو كان قال : تَدَرَّعَ حُلَّتِي عَزَمَ جَدِيدَ كان أولى بالصواب ، إن شاء الله .
قوله :

شَكَوْتُ إِلَى الزَّمَانِ نُحُولَ جِسْمِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ

لو كان عبد الحميد طبيبًا كان يكون معنى البيت مستقيمًا ؛ لأن الرجل الْمُعْتَرَّ ^(٢) الطالب الجدوى لا يشكو نحول جسمه إلى ممدوحه الذي يلتمس الفضل منه ، وإنما يشكو إليه اختلال الحال ، وقُصُورَ اليد ، فأما أن يشكو إليه نحول الجسم فإن ذلك غاية الخناعة ^(٣) والنَّدَالَة والانحطاط في المسألة .
إنه ^(٤) يخبره بشدة جوعه وأن ذلك هو الذي أذاب لحمه . وهذا لا يقوله شاعر على هذا الوجه . بل إنما يذكر الخمص بوجه ^(٥) حسن ، ولفظ معتاد . ونحول الجسم فإنما يشتكى إلى الحبيب إذا كان من غَلَّة أو عشق .

(١) زيادة لازمة .

(٢) م « المقتر » .

(٣) م « الصناعة » .

(٤) م « إنما » .

(٥) م « وجه » .

ولو كان قال : شكوت إلى الزمان قصور حال : كان أشبه من تحول
الجسم الذي قد يكون من أشياء كثيرة .

أو لو كان ذكر هجر حبيب وما لحقه من الضنى والسقم - لصلح أن
يجعل شكواه إلى الممدوح كما قال أبو نواس :
' سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاكُم لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا (١)
فقال الفضل : جعلنى قواده . وإنما أراد أبو نواس لعل الفضل يُشِيبُنِي بما
أَصِلُ بِهِ إِلَى الْجَمْعِ مَعَكُمْ .

وهذا الباب في الخروج من النسب إلى المديح مما لا خفاء بفضل
البحرئى فيه على أبى تمام .

(١) ديوان أبى نواس ٧٥ هـ « هواك » والعمدة ١ / ٢٣٥ .

وللمتأخرين خروجات طريقة حلوة نادرة

فمن ذلك قول ابن وهيب :

رُبَّمَا أَبَيْتُ مَعَانِقِي قَمَرٌ لِلْحَسَنِ فِيهِ مَخَابِلُ تَضِيحُ^(١)
 نَشَرَ الْجُمَانُ عَلَى مَحَاسِنِهِ بِدَعَاً وَأَذْهَبَ هَمُّهُ الْفَرَحُ^(٢)
 يَخْتَالُ فِي وَدْقِ الشَّبَابِ بِهِ مَرَحٌ وَدَاوُكُ أَنَّهُ مَرِحُ^(٣)
 مَا زَالَ يُلْثِمُنِي مَرَاشِفُهُ وَيُعِلُّنِي الْإِبْرِيْقُ وَالْقَدَحُ^(٤)
 حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خِطْعَتَهُ وَنَشَأَ خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ^(٥)
 وَيَدَا الصَّبَاحُ كَانَ غُرَّتُهُ وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِحُ^(٦)

وحسبك بهذا حسناً يزيد على كل ما تقدم للطائيين.

ومن المذاهب الطريفة في باب الخروج قول «بكر بن النطّاح الحنفي»

في قصيدة يمدح فيها مالكا الخزاعي :

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمُنَى لِتَرْضَى فَقَالَتْ: قُمْ فَجِئْنِي بِكَوْكَبِ^(٧)

(١) الأغاني ١٧ / ١٤٨ ومعاهد التنخيص ٢ / ٥٨ وأنوار الربيع ٣٦٩ .

(٢) في الأغاني وما بعده «نشر الجمال» .

(٣) وفيها «في حلق الشباب» .

(٤) الصناعتين ٦٣ وزهر الآداب ٢ / ٥٩٨ .

(٥) الخليفة : المأسون . والبيت في معجم الشعراء ٢٠٤ والصناعتين ٦٣ : ٤٥٥ ومعيّار الشعر

١١٤ وزهر الآداب ٢ / ٥٩٨ .

(٦) الكامل للمبرد ٢ / ٧٠٨ والعمدة ٢ / ٣٨ .

فَقُلْتُ لَهَا : هَذَا التَّعَنُّتُ كُلُّهُ كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عَنَقَاءَ مُغْرِبٍ
 فَلَوْ أَنِّي أَصْبَحْتُ فِي جُودِ خَالِدٍ وَعِزَّتِهِ مَا نَالَ ذَلِكَ مَطْلَبِي^(١)
 فَتَى شَقِيئَتُ آمَالُهُ بِسَمَاحِهِ كَمَا شَقِيئَتُ قَيْسُ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

ونحوه قول الخليل^(٢) في كلمة يمدح فيها عاصمًا الغساني :

أَقُولُ وَنَفْسِي بَيْنَ شَوْقٍ وَحَسْرَةٍ وَقَدْ شَخَصَتْ عَيْنِي، وَدَفَعِي عَلَى خَدِّي: ^(٣)
 أَرِيحِي بِقَتْلِ مَنْ تَرَكْتَ فَوَادَهُ بِلَحْظَتِهِ بَيْنَ التَّاسَفِ وَالْجَهْدِ
 فَقَالَتْ : عَذَابٌ بِالْهَوَى قَبْلَ مِيتَةٍ وَمَوْتُ إِذَا أَقْرَحْتَ قَلْبَكَ مِنْ بَعْدِي
 لَقَدْ فَطِنْتُ بِالْجُودِ فِطْنَةً عَاصِمٍ لِصُنْعِ الْآبَادِي الْغُرِّ فِي طَلَبِ الْحَمْدِ
 وهذا يسميه قوم « الاستطراد » . وهو حسن جدًا .

(١) في الكامل « في جود مالك » وهو الصواب لأن الأبيات في ملح مالك بن علي الخزاعي .

(٢) الخليل لقب للحسين بن الضحاك ، لقب به لكثرة خلاعته وبجونه .

(٣) الأبيات له في الأغاني ٢٠٣ / ٦ والكامل ٧٠٩ / ٢ .

باب المديح

أول ما أبدأ به من مدائحهما ذكر السؤدد والمجد وعلو القدر ، ثم ما يخص
الخلفاء من ذلك دون غيرهم : من ^(١) ذكر الخلافة وما يتصرف عليه القول
من معانيها.

وذكر الملك والدولة .

وذكر ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون من سواهم : من ذلك
ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم .

وذكر الآلة التي كانت للنبي ، عليه السلام ، فصارت إليهم .

وذكر الآثار بالحرم ، وذكر علو القدر وعظم الفضل .

وذكر تأييد الدين وتقوية أمره .

وذكر الرأفة والرحمة . وذكر إفاضة العدل وإقامة الحق .

وذكر سداد الرأي وحسن السياسة والتدبير والاضطلاع بالأمور والحلم

والعقل .

وذكر الجلال والجمال والبهاء والجهارة والهيبة .

وذكر كرم الأخلاق ولينها .

وذكر ما ينبغي أن يمدح به الخلفاء من الجود والكرم .

وذكر ما ينبغي أن يمدحوا به من الشجاعة واللباس .

أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها

قال أبو تمام في المعتصم :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ حِينَ يُظْلَمُ حَدِثُ عَيْنُ الْهَدَى ، وَلَهُ الْخِلَافَةُ مَحْجَرٌ^(١)
كَثُرَتْ بِهِ حَرَكَاتُهَا وَلَقَدْ تُرَى مِنْ فَتْرَةٍ وَكَأَنَّهَا تَتَفَكَّرُ^(٢)
مَا زِلْتُ أَعْلَمُ أَنَّ عَقْدَ مَرَامِهَا فِي كَفِّهِ مُذْ خُلِيتُ تَتَخَيَّرُ^(٣)

قوله : « كثرت به حركاتها » . يريد به ظهور الأمر والنهي والتدبير والسياسية .

ويريد بالفترة ما كان من إهمال هذه الأشياء . و « كأنها تتفكر » لفظ . ليس بالحلو ولا الشهي هاهنا .

وقال فيه :

فَلَاذَتْ بِحِقْوِيهِ الْخِلَافَةُ وَالْتَقَتْ عَلَى خِدْرِهَا أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ^(٤)
أَنْتَهُ مُعِدًّا قَدْ أَتَاهَا كَأَنَّهَا وَلَا شَكَّ كَانَتْ قَبْلَ ذَاكَ تُرَاسِلُهُ

فالبيت الأول جيد بالغ .

والبيت الثاني في غاية السخف والرداءة ؛ لأنه جعل الخلافة قد أنته ، وجعله قد أتاه . وكان ينبغي أن يقتصر على إتيانه إياها ، أو إتيانها إياه وهو أجود .

(١) ديوان أبي تمام ١٥٨ وشرح التبريزي ٢ / ٩٦ .

(٢) م « حركاته فلقد ترى من فكره » .

(٣) في الديوان « أن عقدة أمرها » .

(٤) ديوانه ٢٣١ وشرح التبريزي ٣ / ٢٦ .

فأما أن يجمع بين الحالين فما وجهه ؟ وكان ينبغي أن يُعلِّمنا لما توجه كل واحد إلى صاحبه : أين التقيا ؟ أفي منتصف الطريق ؟

وقصد هذا الرجل الإغراب في الألفاظ والمعاني ؛ ومن هنا فسد أكثر شعره .
وقوله ^(١) : « ولا شك » من سخيِّف الألفاظ وسفسافها ، وهي حشو ردىء ،
وليس بالبيت إليه حاجة .

والجيد النادر في هذا قول البحترى في المهدى بالله :

بَارَكَ اللهُ لِلْخَلِيفَةِ فِي الْمُدِّ لَكَ الَّذِي حَازَهُ لَهُ الْمِقْدَارُ ^(٢)
رُبَّةٌ مِنْ خِلَافَةِ اللهِ قَدْ طَا لَتْ بِهَا رِقْبَةٌ لَهُ وَأَنْتِظَارُ
طَلَبْتُهُ فَقَرًّا إِلَيْهِ وَمَا كَا نَ بِهِ سَاعَةً إِلَيْهَا أَفْتِقَارُ ^(٣)

ومثله في الجودة قوله فيه :

سَرَتْ تَتَبَعَاهُ الْخِلَافَةُ رَغْبَةً إِلَيْهِ بِأَوْفَى قَطْبِهَا وَأَعْتِمَادَهَا ^(٤)
فَمَا عَلِقَتْهُ خَبْطَ عَاشِيَةِ الدُّجَى وَلَكِنَّهَا أَخْثَارَتُهُ بَعْدَ أَرْثِيَادَهَا

فهذه هي المعاني الصحيحة ، واللفظ المستقيم ، والسبك الرصين .

وما أحسن ما قال « سَلَمُ الْخَاسِرِ » في المهدى :

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ خِلَافَةً دَفَعْتُ إِلَيْكَ زِمَامَهَا وَقِيَادَهَا

(١) م « قولك » .

(٢) ديوان البحترى ١٠٥ ، ٢ / ٨٥٣ .

(٣) م « طلبته فقر . . . ساعة إليه » .

(٤) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٥ ويرى « سعت » .

ومثل قول البحتري قول « الحطيئة » :

أنت الإمام الذى من بعد صاحبه . ألقى إليك مقاليد النهى البشر^(١)
ما آثروك بها إذ قدموك لها . لكن بك استأثروا إن كانت الأثر^(٢)

وقال « ابن هرمة » فى المنصور :

وما للناس أعطوك الخلافة عنوة ولكن من يعلله الله يستعلي

ومن ذلك فى الجودة قول البحتري :

اليوم أطلع للخلافة سعدوها وأضاء فيها بدرها المتهلل^(٣)
ليست جلالة جعفر فكانها سحر تجلله النهار المقبل^(٤)
جاءته طائعة ولم يهزرها ربح ، ولم يشهر عليها منصل^(٥)
أنى وإن كانت تقلت نحوه من قبل أن يقع الفضاء فتعقل^(٦)
حتى أتته يقودها استحقاقها ويسوقها حظ إليه مقبل^(٧)

ويروى : « ويسوقها حظ إليه مكمل » .

و« تُصنع » كانت هاهنا أحسن من « تعقل » فجاء بتعقل من أجل القافية .

والله أبو تمام فى الواثق :

إن الخلافة أصبحت حجراتها ضربت على ضخم الهوم همام^(٨)

(١) ديوان الحطيئة ٨١ « أنت الأمين » .

(٢) فى الديوان « لم يؤثروك . . . لكن لأنفسهم كانت بك الخير » .

(٣) ديوان البحتري ٢٥ « وأضاء فيه » ، ٣ / ١٧٥٤ - ١٧٥٥ .

(٤) فى الديوان ٢٥ « ليست خلافة .. تجلله النهار .. » والبيت مع سابقه فى الجزء الأول ص ٢٧٢ .

(٥) م « ولم يشهد » !

(٦) فى الديوان « وإن كان التلفت نحوه » . وفى طبعة المعارف « أنى وقد كانت تلفت نحوه » .

(٧) م « يقودها استحقاقها » !

(٨) ديوان أبي تمام ٢٧٧ « ضخم المطاء » .

ضخم الهموم: يريد ضخّم الهمّة لا الهمّ الذي يراد به الحزن. وهذا لفظ هجين في هذا الموضع.

لَا قَدَحَ فِي عُرْدِ الْخِلَافَةِ بَعْدَمَا مَتَّتْ إِلَيْكَ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامٍ^(١)
 هِيَّاتِ تِلْكَ قِلَادَةُ اللَّهِ الَّتِي مَا كَانَ يَتْرُكُهَا بِغَيْرِ نِظَامٍ
 إِرْثُ النَّبِيِّ وَجَمْرَةُ الْمَلِكِ الَّتِي لَمْ تَخْلُ مِنْ لَهَبٍ بِكُمْ وَضِرَامٍ^(٢)
 مَذْخُورَةٌ أَخْرَزَتْهَا بِحُكُومَةٍ اللَّهُ تَشْدِخُ أَرْوُسَ الْحُكَّامِ^(٣)

وقال أبو تمام في الواثق أيضا :

جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِيهِ رَبُّ قَوْلُهُ - سَبْحَانَهُ - لِلشَّيْءِ : كُنْ فَيَكُونُ^(٤)
 وَلَقَدْ رَأَيْنَاهَا لَهُ بِقُلُوبِنَا وَظُهُورُ خَطْبٍ دُونَهُ وَبُطُونُ^(٥)
 وَلِذَاكَ قِيلَ : مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ فِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ^(٦)
 وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَذْ تَرَعَرَعَ أَنَّهُ لِأَمِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينُ

قوله : « جعل الخلافة فيه ربُّ » بيت في غاية الركاكة والرداءة ؛ لأن مثل هذا إنما يقال في الأمر العجب الذي لم يكن يُقدَّر ولا يتوقع . ولا يُظَنُّ أن مثله يكون ، فيقال إذا وقع ذلك : قُدْرَةُ قَادِرٍ ، وفعلٌ من لا يعجزه أمرٌ ، ومن يقول للشَّيْءِ : كن فيكون . فأما الأمور التي لا يتعجب منها ، ولا تُستغرب ، والعاداتُ جاريةٌ بها وبما يشبهها - فلا يقال فيها

(١) م « ثبتت إليك » .

(٢) م « الملك التي » .

(٣) في الديوان « لله قملو » .

(٤) ديوان أبي تمام ٣٢٩ وشرح البريزي ٣ / ٢٢٦ .

(٥) أي كنا نقدر أنها تصير إليه بالخيال الدالة ، ويته وبينها مدة بعيدة .

(٦) م « وذلك » .

مثل هذا ، وإنما يُسَبِّحُ الله تعالى ، وتُذَكِّرُ قدرته على تكوين الأشياء
لَوْ جَاءُوا بِأَبِي الْعَبْرِ^(١) أَوْ بِجُحَا فَجَعَلُوهُ خَلِيفَةً .

فأما الواثق فما وجه تسبيح أبي تمام في أن أفضت إليه الخلافة وأبوه
خليفة وهو المعتصم ، وجده خليفة وهو الرشيد ، وجد أبيه خليفة وهو المنصور ،
وأخو جده خليفة وهو الهادي ، وأخو جد جده خليفة وهو السفاح ، وعماه
خليفتان : الأمين والمأمون ؟ فذلك ثمانية خلفاء هو تاسعهم^(٢) وقد عدد
أبو تمام منهم خمسة في البيت فقال :

يَسْمُو بِكَ السَّفَاحُ وَالْمَنْصُورُ الْمَهْدِيُّ وَالْمَعْصُومُ وَالْمَأْمُونُ^(٣)

وذكر الرشيد قبل هذا بأبيات ، وشبه الواثق به فقال :

[وَجَدُوا جَنَابَ الْمَلِكِ أَخْضَرَ] وَاجْتَلَوْا هَارُونَ فِيهِ كَأَنَّهُ هَارُونَ

فما وجه التعجب من خلافة مَنْ كانت هذه صورته ؟

وقوله : « وَلَقَدْ رَأَيْنَاهَا لَهُ بِقُلُوبِنَا » وقوله : « وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ
الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ » - فهذه كهانة عجيبة من أبي تمام في الواثق لم يفتن
لها غيره .

وعلى أن هذين البيتين جيّدان في نظمهما ولفظهما ، ولكنه وضع المعاني
في غير مواضعها .

وقوله : « لَأَمِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينٌ » يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

(١) أبو العبر : هاشمي من بني العباس . كان أديباً شاعراً ماجناً يظهر الحماسة وله فيها كتاب
اسمه : « جامع الحماقات وحارّ الرقاعات » توفي سنة ٢٥٠ هـ وترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٤٢
والأغاني ٨٩/٢٠ - ٩٣ وتاريخ بغداد ٤٠/٥ .

(٢) نقل هذا النقد ابن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦ في كتابه سر الفصاحة ٢٣٤ ثم قال :
« وهذا الذي ذكره أبو القاسم صحيح واضح » .

(٣) ديوانه ٢٢٠ .

وقد أصاب « أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة » في هذا المعنى إذ يقول
للأمين :

إِنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ تَبَيَّنَ نُورُهَا لِلنَّاطِرِينَ عَلَى جَبِينِ مُحَمَّدٍ
إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَخَلِيفَةٌ إِنْ بَيْعُهُ عُقِلَتْ وَإِنْ لَمْ تُعْقَدْ

وما أحسن ما قال « الحسين بن الضحاك^(١) الباهلي » في المأمون أيضاً :
رَأَى اللَّهُ عَبْدَهُ خَيْرَ لِدَاتِهِ فَمَلَكَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ^(٢)

وقال البحتري في المتوكل ، وزاد على الإحسان :

اللَّهُ آثَرَ بِالْخِلَافَةِ جَعْفَرًا وَرَأَاهُ نَاصِرَهَا الَّذِي لَا يُخْذَلُ^(٣)
هِيَ أَفْضَلُ الرِّبِّ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُ دُونَ الْبَرِيَّةِ ، وَهُوَ مِنْهَا أَفْضَلُ^(٤)

وقال فيه :

إِنَّ الْخِلَافَةَ لَمَّا أَهْتَزَّ مِنْبَرُهَا بِجَعْفَرٍ أُعْطِيَتْ أَقْصَى أَمَانِيهَا^(٥)
أَبْدَى التَّوَاضُّعِ لَمَّا نَالَهَا رِعَةٌ عَنْهَا ، وَنَالَتَهُ فَأَخْتَالَتْ بِهِ تَيْيَهَا^(٦)

وهذا هو المعنى الحلو ، والمدح الذي يليق بالخلفاء .

(١) م « الحسين بن أبي الضحاك » وهو خطأ .

(٢) البيت في طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦٩ وديوان المماني ٢ / ٢٠٦ والفرج بعد الشدة

١ / ٧٤ ونهاية الأرب ٣ / ٢٥٦ .

(٣) ديوانه ٢٣ .

(٤) م « أفضل الدنيا » .

(٥) ديوانه ٢٨ ، ٤ ، ١٤٢١ .

(٦) في الديوان : « نالها دعة » .

وقال في المهدى :

زَادَ فِي بَهْجَةِ الْخِلَافَةِ نُورًا فَهُوَ شَمْسٌ لِلنَّاسِ ، وَهِيَ نَهَارٌ^(١)
وَأَجَارَ الدُّنْيَا مِنَ الْحَيْفِ وَالْخَوِّ فِ فَهَلْ يَشْكُرُ الْمُجِيرَ الْمُجَارُ

وقال في المتوكل :

عَادَتْ بِحَقْوَيْكَ الْخِلَافَةَ إِنَّهَا قِسْمٌ لِأَفْضَلِ هَاشِمٍ فَلَا أَفْضَلَ^(٢)
وَمَنْعَتْ فِي ظِلِّ عِزِّكَ وَأَغْتَدَتْ فِي خَيْرِ مَنَزِلَةٍ وَأَحْصَنِ مَعْقِلِ^(٣)

أخذ قوله : « عَادَتْ بِحَقْوَيْكَ^(٤) الْخِلَافَةَ » من قول أبي تمام :

عَادَتْ بِحَقْوَيْكَ الْخِلَافَةَ وَأَلْتَقَتْ عَلَى خِدْرِهَا أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ^(٥)

وقال في المعتز :

حَامِلٌ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ مَا يَبْعُ جِزْ عَنْهُ ذُو الْأَيْدِ وَالْإِضْطِلَاعِ^(٦)
مُسْتَقِيلٌ بِالثَّقَلِ مِنْهَا رَحِيبُ الـ صَدْرِ نَهْضًا بِهَا رَحِيبُ الْبَاعِ

وقال في المتوكل :

وَقَدْ سَرَّ فِي أَنْ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ مُخَيَّمَةٌ مَا إِنْ يُخَافُ أَنْتَقَالَهَا^(٧)
لَكُمْ إِرْثُهَا وَالْحَقُّ مِنْهَا وَلَمْ يَكُنْ لِغَيْرِكُمْ إِلَّا أَسْمُهَا وَأَنْتِخَالَهَا

وقال فيه :

وَأَرَى الْخِلَافَةَ وَهِيَ أَعْظَمُ رُتْبَةٍ حَقًّا لَكُمْ وَوِرَاثَةً مَا تُنَزَّعُ^(٨)

(١) ديوانه ١٠٦ ، ٢ / ٨٥٤ في ملح المهملى بالله وفي م « شمس الناس » .

(٢) ديوانه ١٦ « بحقواك » وفي ٣ / ١٦٢٧ كما هنا .

(٣) في الديوان « وأحسن معقل » .

(٤) م « بحقويه » .

(٥) ديوانه ٢٣١ « ولأدت بحقويه » .

(٦) ديوانه ١٣٢ ، ٢ / ١٢٤٤ .

(٧) ديوانه ٢٦٦ ، ٣ / ١٦٣١ .

(٨) ديوانه ٣٤ ، ١٣١١ .

أَعْطَاكُمْوهَا اللَّهُ عَنْ عِلْمِ بِكُمْ وَاللَّهُ يَعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ

وقال في المعتز :

أَغْرُ مِنْ الْأَمْلَاقِ إِمَامًا رَأَيْتُهُ رَأَيْتَ أَبَا إِسْحَاقَ وَالْقَرَمَ جَعْفَرًا (١)
تَقَدَّمَ فِي حَقِّ الْخِلَافَةِ سَهْمُهُ إِذَا رُدَّ عَنْهَا غَيْرُهُ فَتَأَخَّرَا (٢)
وَيُضْبَحُ مَعْرُوفًا لَهُ الْفَضْلُ دُونَهُمْ وَمَا يَتَدَعَاهُ الْأَبَاعِدُ مُنْكَرًا (٣)

وقال في المتوكل :

فَضْلُ الْخَلَائِفِ بِالْخِلَافَةِ وَاقِفُ فِي الرُّتْبَةِ الْعُلْيَا ، وَفَضْلُكَ أَفْضَلُ (٤)
أَوْفَيْتَ عَاشِرَهُمْ فَإِنْ نُسِبُوا إِلَى كَرَمٍ وَإِحْسَانٍ فَأَنْتَ الْأَوَّلُ (٥)

وهذا غاية في مدح الخلفاء .

وقال في المتوكل أيضا بفضلِهِ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، وَأَحْسَنَ كُلِّ الْإِحْسَانِ :

وَمَا الْخُلَفَاءُ لَوْ جَارَوْكَ يَوْمًا بِمُعْتَلِقِكَ رَأْيًا وَأَعْتَزَّامًا (٦)
أَلَسْتُ أَعَمَّهُمْ جُودًا وَأَزَكَا هُمْ عُدَا وَأَمْضَاهُمْ حُسَامًا ؟
وَلَوْ جُمِعَ الْأَئِمَّةُ فِي مَقَامٍ تَكُونُ بِهِ لَكُنْتُ لَهُمْ إِمَامًا

ولست أعرف لأبي تمام في ذكر الخلافة غير ما قدمته .

(١) ديوانه ٧٦٣ ، ٩٣٢ وأبو إسحاق : المعتصم ، وجعفر : المتوكل .

(٢) في الديوان « حق الإمامة . . . رد فيها » .

(٣) وفيه « يتدعاه » .

(٤) ديوانه ٢٦ ، ٣ / ١٧٥٧ .

(٥) في الديوان « ألفت عاشقهم فإن تدبوا » ! وفي طبعة المعارف « عاشقهم فإن تدبوا » .

(٦) ديوانه ٣٠ ، ٣ / ٢٠١٠ وفي م « بمعتليك » .

ومن مدح الخلفاء ذكر الملك والدولة

قال أبو تمام في المعتصم :

بِالْقَائِمِ الثَّامِنِ الْمُسْتَخْلِفِ أَطَّادَتْ قَوَاعِدُ الْمُلْكِ مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ^(١)
بِيَمْنٍ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ لَا أَوْدُ بِالْمُلْكِ مَذْ ضَمَّ قُطْرَيْنِهِ ، وَلَا خَلَلُ^(٢)

قوله : « مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ » . والطُّوْلُ : الحَبْلُ ، ولا وجه له هاهنا ، وليس يريد الطول بمعنى الزمان من قولهم : طَالَ طِيْلُكَ وطَوْلُكَ وطَوَالُكَ ؛ لأن ذلك يكون اطَّادَتْ قواعد الملك ممتدًّا أزمانه ، ولا يصلح في الحال هاهنا ، لأن الفعل وهو « أَطَّادَتْ » لا يكون عاملا فيها ؛ لا تقول : قد استقر البناء طويلا زمانه ؛ لأن استقراره ليس هو من طول مدته في شيء ، وإنما تقول : قد استقر البناء جَيِّدًا عمله ، ومُتَقَدِّمًا أساسه ، أو وَثِيقًا صناعته ، أو أن تقول : طويلا شرفه أو علوه . وإلى هذا أذهب كأنه أراد وَأَطَّادَتْ قواعد الملك مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ أي رسا أصله ، وعلا فرعه ، كما قال البحري في المعتر بالله :

بِكَ أَشْتَدَّ عَظْمُ الْمُلْكِ فِيهِمْ فَأَضْبَحَتْ تَقِرُّ رَوَاسِيهِ وَتَعْلُو مَرَاتِبُهُ^(٣)

فجعل موضع تعلو مراتبه : « مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ » ، وهذا غير حسن ولا لائق . بلى ، لو قال : « فَلْيُمددْ لَهُ الطُّوْلُ » على الدعاء كان سائغا ، إِلَّا أَنَّ « الطول » ها هنا على كل حال غير جيد ؛ لأنها لفظة مشتركة^(٤) .

(١) ديوان أبي تمام ٢٢٧ « اعتدلت » ومعنى « اطَّادَتْ » : ثبتت .

(٢) ويروى « بالدين مذ » .

(٣) ديوان البحري ١٣٧ ، ١ / ٢١٨ .

(٤) م « سائغا لا أن » .

وقال أبو تمام في نحوه :

بِيَمْنِ أَبِي إِسْحَقَ طَالَتْ يَدُ الْهُدَى وَقَامَتْ قَنَاةُ الْمُلْكِ ، وَأَشْتَدُّ كَاهِلُهُ ^(١)
وهذا بيت جيد . وقد قال قبله : ... ؟ « وَأَضْحَى الْمُلْكُ قَدْ شُقَّ
بَازِلُهُ » ^(٢)

وكان أحدهما يغنى عن الآخر .

وقال البحتري في المعتر:

أَقَامَ قَنَاةُ الْمُلْكِ بَعْدَ أَغْوِجَاجِهَا وَأَرَبَى عَلَى شَغْبِ الْعَنُوشِ الْمُشَاغِبِ ^(٣)
وقال البحتري :

مَلِكٌ حَصَّنَتْ عَزِيمَتُهُ الْمُدَّ لَكَ فَأَضَحَتْ لَهُ مُعَانًا وَرَدًا ^(٤)

وقال في تعظيم الملك ، في التوكل :

مُلْكٌ كَمُلْكَ سُلَيْمَانَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الْبَرِيَّةُ قَاصِبِيهَا وَدَانِيهَا ^(٥)

وأجود من هذا قول أبي تمام في المأمون :

فِي دَوْلَةِ لَحْظِ الزَّمَانِ شُعَاعُهَا فَارْتَدَّ مُنْقَلِبًا بِعَيْنِي أَرْمَدِ ^(٦)

(١) ديوان أبي تمام ٢٣٢ .

(٢) بقیته : « وقام فقام العدل في كل بلدة خطيا » .

(٣) ديوان البحتري ١٥٣ ، ١٠٩ / ١ « قناة الدين » .

(٤) ديوانه ١٢٨ / ١ مصر ، ٢١ / ١ بيروت « معاناً ورداً » وفي طبعة المعارف ٧١٢ / ٢
« معاناً ورداً » المعان : المنزل ، والمكان ، والحسن والرد : العود والناصر .

(٥) ديوان البحتري ٣٧ ، ٢٤١١ / ٤ .

(٦) ديوان أبي تمام ١١٢ وشرح التبريزي ٤٨ / ٢ وقيله :

فانتاش مصر من التيا والي بتجاوز وتطف وتغمد

انتاش : تناولها وخلصها . يقول : هذه دولة جيدة ناقلة ، أراد الزمان غلبتها ، وأن ينظر إليها

فأعشاء شعاعها ، فارتيه ردا » .

مَنْ كَانَ مَوْلِدُهُ تَقَدَّمَ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا فَكَأَنَّهُ لَمْ يُولَدْ^(١)

وهذا من أجود ما يقال في مدح دولة وأبلغه .

* * *

فأبو تمام في هذا الباب - على إيساعته في الأبيات المتقدمة - أشعر من
البحثرى .

(١) قال التبريزى : « أى من لم يأخذ بالحظ من هذه اللولة ، إنما أولا وإما آخراً فكأنه لم يولد » .

مما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون غيرهم
ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم : والمعرفة لحقهم

فمن ذلك قول البحتري في المتوكل .

مُخَالِفٌ أَمْرُكُمْ لِلَّهِ عَاصٍ وَمُنْكَرٌ حَقِّكُمْ لَاقٍ أَثَامًا^(١)
وَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ وَلَا يَتَكَبَّرْ وَلَوْ صَاحِبًا

وفيه قوله :

نُصَلِّي وَإِتِمَامُ الصَّلَاةِ أَعْتِقَادُنَا بِأَنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُ إِمَامٍ^(٢)

وفيه قوله :

فَضَّلَ اللَّهُ جَعْفَرًا بِخِصَالٍ جَعَلْتَ حَبَّةً عَلَى النَّاسِ فَرَضًا^(٣)

وفي المعتز بالله قوله :

مَنْ أَبِي حُبُّكُمْ فَلَيْسَ مِنَ الْأَهِلِّ وَلَوْ صَامَ أَلْفَ عَامٍ وَصَلَّى^(٤)

وقال فيه :

قَضَى اللَّهُ لِلْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ أَنَّهُ هُوَ الْقَائِمُ الْعَدْلُ الرَّشِيدُ الْمُوَفَّقُ^(٥)
مَحَبَّتُهُ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ وَعَصِيَانُهُ سُخْطٌ مِنَ اللَّهِ مُوَبِّقٌ

(١) ديوانه ٢٠١٠/٣٤٣٠ - ٢٠١١ .

(٢) ديوانه ٢٠٠٣/٣٤١٢ .

(٣) ديوانه ١٢١٦/٢ والصناعتين ٦٣ وفيهما « بخلاف » .

(٤) ديوانه ١٥٦ « أبي حبيب » وفي طبعة المعارف ١٦٥٧/٢ كما هنا .

(٥) ديوانه ١٤٩ ، ٢٠٣٦/٣ وفي م « بالمعز » .

وقوله في المهدى^(١) :

أَقَرَّتْ لَهُ بِالْفَضْلِ أُمَّةٌ أَحْمَدُ . فَلَدَانِ لَهُ مُتَوَجِّهَةٌ وَقَوِيْمُهُ^(٢)
وَلَوْ جَحَدْتُهُ ذَلِكَ الْحَقُّ لَمْ تَكُنْ لِتَبْرَحَ إِلَّا وَالنُّجُومُ رُجُومُهُ

ولست أعرف لأبي تمام في هذه المعاني شيئاً .

(١) م « في المهتلى » وهو تحريف .

(٢) ديوانه ١٠٨ ، ٣٠ / ٢٠٢٤ .

ذكر الآلة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فصارت إليهم

قال البحتري في المتوكل :

عليك ثيابُ المصطفى ووقارُهُ وأنتَ بهِ أُولَى إِذَا حَصَّحَصَ الْأَمْرُ^(١)
عِمَامَتُهُ ، وَسَيْفُهُ . وَرِدَاؤُهُ وَسِيَّمَاهُ . وَالْهَدْيُ الْمُشَاكِلُ : وَالنَّجْرُ

وقال فيه :

يَتَوَلَّى النَّبِيُّ مَا تَتَوَلَّى هـ وَيَرْضَى مِنْ سِيرَةٍ مَا تَسِيرُ^(٢)
حُزَّتْ مِيرَاثُهُ بِحَقِّ مُبِينٍ كُلُّ حَقٍّ سِوَاهُ إِنْكَ وَزُورُ
فَلَكَ السَّيْفُ ، وَالْعِمَامَةُ ، وَالْخَا تَمُّ : وَالْبُرْدُ ، وَالْعَصَا ، وَالسَّرِيرُ

وقال في المهدى بالله :

إِمَامٌ إِذَا أَمْضَى الْأُمُورَ تَتَابَعَتْ عَلَى سَنَنِ مِنْ قَصْدِهَا وَسَدَادِهَا^(٣)
مَتَى يَتَعَمَّمُ بِالسُّحَابِ ثَلَثٌ عَلَى كَفِيٍّ لَهَا مُخْتَارِثُ أَسْوَدَادِهَا^(٤)
وَإِنْ يَتَقَلَّدُ ذَا الْفِقَارِ يُضَفُّ إِلَى شُجَاعٍ قُرَيْشٍ فِي الْوَعَى ، وَجَوَادِهَا

وقال في المعتر :

وَقَدْ تَرَكَ الْعَبَّاسُ عِنْدَكَ وَابْنَهُ عَلَا طُلْنَ مَرَمَى النَّجْمِ حَتَّى تَحْصِرَا^(٥)
هُمَا وَرَثَاكَ ذَا الْفِقَارِ وَصِيرَا إِلَيْكَ الْقَضِيبَ وَالرَّدَاءَ الْمُحْبِرَا

(١) ديوان البحتري، ٧٥٩، ٢ / ٩٩٣ .

(٢) ديوانه ٧٦٦، ٢ / ٩٠٢ « ماتتولاه » و « يرضى من سيره » .

(٣) الأبيات في ديوانه ١١٠، ٢ / ٦٧٥ - ٦٧٦ ومن العجيب أن الأول منها ورد في الديوان

٢٨ ضمن قصيدة يملح المتوكل .

(٤) م « لما مختار إرث » .

(٥) ديوانه ٧٦٤، ٢ / ٩٢٤ .

وَأَيُّ سَنَاءٍ لَسْتَ أَهْلًا لِفَضْلِهِ وَأَوْلَى بِهِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ وَأَجْدَرًا
وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ أَشَقَى الْحَجِيجَ عَلَى الظَّمَا وَنَاشَدَ فِي الْمَحَلِّ السُّحَابَ فَأَمْطَرَا

وقال أبو تمام في نحو هذا يمدح الواصل :

قَوْمٌ غَدَا الْمِيرَاثُ مَضْرُوبًا لَهُمْ سُورٌ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ حَصِينٌ^(١)
فِيهِمْ سَكِينَةٌ رَبِّهِمْ وَكِتَابُهُ وَإِمَامَتَاهُ وَأَسْمُهُ الْمَخْزُونُ

فالسكينة وزنها فَعِيلَةٌ ، من السكون وهو الوقار . وهذه لفظة لا تلائم البيت كل الملائمة ؛ لأنه لا وجه لأن يقول فيهم : وَقَارُ رَبِّهِمْ ، لا سيما وقد قال : كِتَابُهُ وَإِمَامَتَاهُ وَأَسْمُهُ الْمَخْزُونُ . فالوقار ليس من هذه الأشياء في شيء^(٢) .

والسكينة التي في قوله عز وجل : ﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٣) ، وقد قيل في تفسيرها : إنها حيوان له وجه مثل وجه الإنسان . وقيل : لها رأس مثل رأس الهرة وله جناحان . وقيل : بل هي ريح هفافة . وقيل : هي شيء من أمر الله عز وجل^(٤) - فإن كان هذه أراد فما كان ينبغي أن يدعى للقوم^(٥) مالا يدعونه لأنفسهم .

وقوله : « وَإِمَامَتَاهُ » يعني النبوة والخلافة .

« واسمه المخزون » يعني اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به جل وعز أجاب .

(١) ديوان أبي تمام ٣٣٠ وشرح التبريزي ٣ / ٢٢٧ .

(٢) م « في الشيء » .

(٣) سورة البقرة : ٢٤٨ .

(٤) راجع اختلاف أهل التأويل في معنى السكينة ، في تفسير الطبري ٥ / ٣٢٦ - ٣٣٠

طبع دار المعارف . وقال أبو جعفر الطبري : أن أول الأقوال بالحق ما قاله عطاء بن أبي رباح : من الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي يعرفونها .

(٥) م « القوم » .

ومن المجد والشرف في مدح الخلفاء ذكر الآثار بالحرم

نحو قول البحترى في المعتر :

لَكُمْ زَمَزَمٌ وَأَفْنِيَّةُ الْكَعَّةِ بَيْتُ وَالْحِجْرُ وَالصَّنْفَاءُ وَالْمُصَلَّى^(١)

وقوله في المتوكل :

نَعُدُّ لَكَ السَّقَايَةَ وَالْمُصَلَّى وَأَرْكَانَ الْبَنِيَّةِ وَالْمَقَامَا^(٢)
مَكَارِمُ قَدْ وَزَنْتَ بِهَا ثَبِيرًا فَلَمْ يَرْجَحْ ، وَطَلَّتْ بِهَا شِمَامَا^(٣)

وقوله في المتوكل :

لَكُمْ كُلُّ بَطْحَاءٍ بِمَكَّةَ إِذْ غَدَا لِغَيْرِكُمْ ظُهُرَانُهَا وَجِبَالُهَا^(٤)
وَأَنْتُمْ بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ يَمِينُ قُرَيْشٍ إِذْ مَوَاكُمُ شِمَالُهَا^(٥)

وقال فيه :

شَرَفًا بَنَى الْعَبَّاسُ إِنَّ أَبَاكُمْ عَمُّ النَّبِيِّ وَعِصْمَةُ الْمُتَفَرِّقِ^(٦)
إِنَّ الْفَضِيلَةَ تَلَدَى أَسْتَشْقَى بِهِ عُمَرُ وَشَفْعُ إِذْ غَدَا يَسْتَشْفَعُ
مَنْ ذَا يُسَاجِلُكُمْ وَحَوْضُ مُحَمَّدٍ بِسِقَايَةِ الْعَبَّاسِ فِيكُمْ يَشْفَعُ

(١) ديوان البحترى ١٥٦ ، ٢ / ١٦٥٧ « لم » .

(٢) ديوانه ٣٠ ، ٣ / ٢٠١٠ « ثبيراً فلم تنقص » .

(٣) م « قد ورثت . . . فلم ترجح » وشام : جبل بالعالية .

(٤) ديوانه ٢٦٦ ، ٣ / ١٦٣١

(٥) في الديوان « وأنتم بنى العباس عم محمد » .

(٦) ديوانه ٢٤ ، ٢ / ١٣١١ .

وقال في المعتز :

إِمَامٌ هُدًى تَأْوِي بِهِ مَكْرُمَاتُهُ إِلَى مَرْتَعٍ مِنْهُ بَطْنُ مَكَّةَ أَفْيَحُ (١)
 لَهُ شَرَفُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَفَخْرُهُ وَزَمَزَمَ وَالرُّكْنِ الْعَتِيقِ الْمُمَسَّحِ
 أَرَادَ شَرَفَ زَمَزَمَ .

(١) ديوانه ١٣٢ ، ١٠ / ١٥٢ - ١٥٢ ، إلى مربع .

ومن باب السؤدد والشرف ذكر علو القدر وعظيم الفضل

قال أبو تمام :

اللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ فَتَعَثَّرَتْ فِي كُنْهِهِ الْأَوْهَامُ^(١)
مَنْ لَا يُحِيطُ الْوَاصِفُونَ بِقَدْرِهِ حَتَّى يَقُولُوا قَدْرُهُ إِلَهَامُ

قوله : « الله أكبر » . يقول فيما أظنه عند قدوم المأمون من خراسان ،

أي الله أكبر من كل أحد ، قد جاء أكبر من جرت فتعثرت في كنهه الأوهام .

وكنه الشيء : غاية صفته .

وقوله : « حَتَّى يَقُولُوا قَدْرُهُ إِلَهَامٌ » من جنونه ؛ لأن الإلهام هو ما يلقيه الله ، عز وجل ، في قلب الإنسان حتى يعرفه بغير تعرف ، ويعلمه من غير تعلم ، فيقول : لا يحاط بقدره إلا أن يكون ذلك إلهاماً من الله ، جل وعز ، فيعرف .

وقَدْرُ كُلِّ شَيْءٍ : هو مَبْلَغُهُ ، تقول : سرنا قَدْرَ مِيلٍ ، وقدر فرسخٍ ، وأخذت منه قدر عشرين درهماً ، أي مبلغ عشرين .

وإنما سمع الناس يقولون ، هذا أمر لا يُقَدَّرُ قدره ، وسمع قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾^(٢) ، قيل في التفسير : ما عرفوه حق معرفته . فلراد أن يَنْحُوَ بِقَدْرِ المأمون هذا التَّحَوُّ فأنخرجه بهذه العبارة المُسْتَكْرَهة . يريد أن قَدْرَهُ لا يُعرف إلا بالإلهام من الله جلَّ جلاله .

(١) ديوان أبي تمام ٢٧٩ ز شرح التبريزي ١٥٣ / ٢ وقد سبق الأول .

(٢) سورة الزمر ٦٧ .

وقد كان يكفي من هذا العويص الذي جاء به أن يقول كما قال البحتري
في المتوكل :

وَأَنْتَ - أَمِينَ اللَّهِ - بِالْمَوْضِعِ الَّذِي أَبَى اللَّهُ أَنْ يَسْمُوَ إِلَى قَدْرِهِ قَدْرٌ^(١)

فجعل قدره فوق [قدر] كل ذي قدر . ومثل هذا لا يقال إلا لخليفة أو
لأفضل الناس من أهل بيت النبوة .

وقد أفرط البحتري في مدح إبراهيم بن المديني : وإن كان لم يُصرح في
تفضيل قدره ، وذلك قوله :

دَنَوْتُ تَوَاضِعًا ، وَعَلَوْتُ قَدْرًا فَذِمَّانَاكَ أَنْجِدَارٌ وَأَرْتِفَاعٌ^(٢)
كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى وَيَدْنُو الضُّوءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ

وما قيل في التواضع ألطف من هذا ولا أحسن . ولو مدح خليفة بالتواضع
لا وجد شيئاً يليق به غير هذا الوصف أو معناه .

وقال أبو تمام في المعتصم مادة (٣) فضل على فضله كل أحد من الناس .
إِلَى قُطْبِ الدُّنْيَا الَّذِي لَوْ بِفَضْلِهِ مَدَحْتُ بَنِي الدُّنْيَا كَفَتَتْهُمْ فَضَائِلُهُ^(٣)

وهذا تفضيل في غاية الاستقصاء والجودة والحسن والصحة ، ولا يقال
مثله إلا لخليفة من أفضل الخلفاء ؛ لقوله : مدحت بني الدنيا .

(١) ديوانه ٤٥٦ ، ٢ / ٩٩٢ .

(٢) ديوانه ٢٢٨ ، ٢ / ١٢٤٧ « وبعثت قرا فشأنك » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٣٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٥ .

ومثله في الجودة . بل يزيد عليه - قول البحتري في المتوكل :

يا بْنَ عَمِّ النَّبِيِّ حَقًّا ، ويا أَرْكَى قَرِيْشٍ نَفْسًا وَدِينًا وَعِرْضًا^(١)
بِئْتِ بِالْفَضْلِ وَالْعُلُوِّ فَأَصْبَحَتْ سَمَاءً وَأَصْبَحَ النَّاسُ أَرْضًا

ولو قال قائل مثل هذا لغير خليفة لكان قد تجشم أعظم الخطأ إذ ليس
أحد من الناس يطالبه بأن يمدحه هذا المدح ، ولا أن يفضله هذا التفضيل .

وقال البحتري أيضًا في المهدي^(٢) :

أَقَرْتُ لَهُ بِالْفَضْلِ أُمَّةٌ أَحْمَدُ فَدَانَ لَهُ مُعْجُزُهَا وَقَوِيْمُهَا^(٣)

والتفضيلُ الحسنُ الذي لا غُلُوَّ فيه وكأنَّ قائله قد غلا - قولُ البحتري
أيضًا في أبي ليلى الحارث بن عبد العزيز بن دُلْف :

يَبِينُ بِالْفَضْلِ أَقْوَامٌ فِيْفَضْلِهِمْ مُوَحَّدٌ بِغَرِيبِ الدُّكْرِ مُنْفَرِدٌ^(٤)
تَوَحَّدَ الْقَمَرُ السَّارِي بِشَهْرَتِهِ وَأَنْجَمُ اللَّيْلِ نَشْرٌ حَوْلَهُ بَدَدٌ

ومثله في الحسن قوله في الفتح :

وَلَمَّا جَرَى فِي الْمَجْدِ وَالْقَوْمُ خَلْفَهُ تَغَوَّلَ أَقْصَى جُهْدِهِمْ وَهُوَ وَادِعٌ^(٥)
وَهَلْ يَتَكَافَا النَّاسُ شَتَّى خِلَالِهِمْ وَمَا تَتَكَافَا فِي الْيَدَيْنِ الْأَصَابِعُ؟

(١) ديوان البحتري ٢٢ / ٢٤ / ١٢١٦ وفي م «حقا وياركن قريش» .

(٢) م «المهتلى» وهو خطأ .

(٣) ديوانه ١٠٨ / ٣٤ / ٢٠٢٤ وقد سبق هذا البيت ص ٣٤٤ .

(٤) ديوانه ٧٧٤ ورواية شطر البيت الأول فيه «تنازع المجد أجماد قفاهم» . وطبعة المآثر ١٤٦/٢ .

(٥) ديوانه ٧٢ / ٢٤ / ١٣٠٣ ، «جرى المجد» .

وهذا كله عجيب في معانيه . ولكنهما في معانيهما حثوا على قول معن

ابن أوس :

وَمَا بَلَغْتَ كَفُّ أَمْرِي مُتَطَاوِلِ يَدَ الْمَجْدِ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلُ^(١)
وما بلغ المهدون في القولِ مِدْحَةً ولو أَكْثَرُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ^(٢)

(١) في ديوانه ١٢ « من المجد » والبيت في ملح سعيد بن العاص .

(٢) م « بلغ للمهدى » وفي ديوانه : « لا يبدون نيموك » .

ومن باب المجد والسؤدد

قول أبي تمام في المأمون :

هَدَمْتُ مَسَاعِيهِ الْمَسَاعِي وَأَبْتَنَنْتُ خِطَطَ الْمَكَارِمِ فِي عِرَاضِ الْفَرْقِدِ^(١)
سَبَقْتُ خُطَى الْأَيَّامِ عُمرِيَّاتُهَا وَمَضَتْ فَصَارَتْ مُسْنَدًا لِلْمُسْنَدِ
مَا زَالَ يَمْتَحِقُ الْعَلَا وَيَرُوضُهَا حَتَّى اتَّقَتْهُ بِكِيْمِيَاءِ السُّؤْدُدِ^(٢)

قوله : « سَبَقْتُ خُطَى الْأَيَّامِ » أى طاولت الدهر في البقاء ، فجعل مطاولتها للدهر سيرا مع الدهر ، فلذلك قال : « سَبَقْتُ خُطَى الْأَيَّامِ » « عُمرِيَّاتُهَا » : واحدها عُمرِيَّة ، منسوبة إلى العُمر .

وقوله : « مَضَتْ فَصَارَتْ مُسْنَدًا لِلْمُسْنَدِ » ، فالمسند : الدهر ، أى صارت دَهْرًا لِلدَّهْرِ .

وهذا من كلام أهل الوَسْوَاسِ وَالْخَطَرَاتِ وَأَصْحَابِ السُّؤْدَاءِ .

وقوله : « بِكِيْمِيَاءِ السُّؤْدُدِ » مما أنكره عليه .

وقد أتى به « بَكْرُ بْنُ النُّطَاحِ » في موضعه فقال :

مَدَحُ ابْنِ عَيْسَى قَاسِمٍ فَاشْدُدْ بِهِ كِلْتَا يَدَيْكَ الْكِيْمِيَاءِ الْأَعْظَمُ^(٣)
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الدَّهْرِ إِلَّا دِرْهَمٌ وَمَدَحْتُهُ لِأَتَاكَ ذَاكَ الدَّرْهَمُ

(١) ديوان أبي تمام ١١٢ وشرح التبريزي ٢ / ٥٠ وفي م « في عراض الفدفة » .

(٢) م « ما زال يمتحق » .

(٣) م « عيسى قاسى » ! والقاسم بن عيسى : هو أبو دلف العجلي ، أمير الكرخ ، المتوفى سنة ٢٢٦ هـ وترجمته في تاريخ بغداد ١٢ / ٤٧٦ والأغاني ٧ / ٢٤٨ تلج دار الكتب وانظر أخباره مع بكر بن النطاح في الأغاني ١٧ / ١٥٣ طبع بولاق .

وقال البحتري في المَهْتَدَى :

وَلِلْمُهْتَدَى بِاللَّهِ مَجْدٌ لَوْ ارْتَقَتْ
إِلَيْهِ النُّجُومُ رِفْعَةً مَا تَهَدَّتْ^(١)
وهذا أبلغ من قول أبي تمام : « وَأَبْتَنَنْتَ خِطْطُ الْمَكَارِمِ فِي عِرَاضِ الْفَرْقَدِ »^(٢) .

ولهما في السؤدد والمجد والشرف في مدح سائر الناس ما أذكره مِنْ بَعْدُ فِي
تأييد الدين وتقوية أمره .

وواجب أن يمدح الخليفة بهذا المعنى .

قال أبو تمام في مدح المعتصم :

بِمُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ قَدْ عُصِمَتْ بِهِ
عُرَا الدِّينِ وَالْتَفَّتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ^(٣)
وهذا كان يصلح أن يقال لمن له نباهة وديانة وقولٌ بحق . ولكن خصصه
بالخليفة قوله : « وَالْتَفَّتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ »

وقال في الواصل :

بِهَارُونَ عَزَّ الدِّينُ وَأَشَدَّ رُكْنُهُ
وَدَانَتْ دَوَانِيهِ وَقُرْبَ شَاسِعُهُ^(٤)

وقال البحتري في المتوكل :

خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قِيَمَ الدُّهُ
يَا سَدَادًا ، وَقِيَمَ الدِّينِ رُشْدًا^(٥)

(١) ديوان البحتري ٧٥٣ « مجد لو ارتقت » مداد النجوم رفعة « وفي م « رقعة » وطبعة المعارف ١ / ٣٧٠ .

(٢) م « الفدند » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٣١ وشرح التبريزي ٢ / ٢٦ .

(٤) م « يهزون عز . . . وقرى شاسعة » .

(٥) ديوان البحتري ٢٠ ، ٢ / ٧١٢ .

فانخص هذا القول بالخليفة ؛ لأنه جعله قيماً على الدين والدنيا ،
ولا يجوز أن يقال هذا لغير خليفة إلا أن يكون نائباً عنه .

وقال مثل ذلك في المُعْتَزِّ بالله :

لَقَدْ حَمَلَ الْخِلَافَةَ مُسْتَقِيلٌ بِهَا وَبِحَقِّهِ فِيهَا الْمُبِينُ^(١)
يُسَوِّسُ الدِّينَ وَالْدُنْيَا بِرَأْيٍ رِضًا لِلَّهِ فِي دُنْيَا وَدِينٍ

وقال عبد الله بن السَّمْطِ بن مروان في المأمون :

أَضْحَى إِمَامُ الْهُدَى الْمَأْمُونُ مُشْتَغِلاً بِالدِّينِ وَالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا مَشَاغِلُ^(٢)
فَلَمْ يَهْشَ لَهُ ، فَشَكِيَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا زِدْتَ عَلَى أَنْ جَعَلْتَهُ
عَجُوزاً فِي مَحْرَابِهَا وَمَعَهَا سَبِخَتُهَا .

فألا قلت كما قال جرير في عمر بن عبد العزيز^(٣) :

فَلَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبُهُ وَلَا عَرَضُ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاغِلُهُ^(٤)

وقال ابن هرمة :

فَرَعْتُ لِدِينِ اللَّهِ تَرْفَعُ وَهَيْبَهُ وَمَا بِكَ عَنْ كَسْبِ الْمَحَامِدِ مِنْ شُغْلٍ
فَحَدًّا حَذَوْ قَوْلِ جَرِيرٍ .

وقال البحتري أيضاً في المتوكل مما لا يقال إلا لخليفة إلا أن يفرط

مفرط. فيقوله لغيره :

(١) ديوان البحتري ١٣٨ ، ٤ ، ٢٢٦٧ .

(٢) سر الفصاحة ٢٤٨ والصناعتين ١١٩ .

(٣) في ديوان جرير ٤٣٤ « وقال يملح عبد العزيز بن الوليد » .

(٤) في الديوان ٤٣٥ « من الدنيا » .

حَلَفْتُ بِمَنْ أَدْعُوهُ رَبًّا وَمَنْ لَهُ صَلَاتِي، وَنُسْكِي خَالِصًا، وَصِيَامِي^(١)
لَقَدْ حُطَّتْ دِينَ اللَّهِ خَيْرَ حِيَاظَةٍ وَقُمْتُ بِأَمْرِ اللَّهِ خَيْرَ قِيَامٍ

وقال البحترى فى المتوكل :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْظَا لَكَ الْمَحَلَّ الرَّفِيعَ مِنْ سُلْطَانِهِ^(٢)
جَعَلَ الدِّينَ فِي ضَمَانِكَ وَالذُّدَّ يَا فَعِشْ سَالِمًا لَنَا فِي ضَمَانِهِ
وهذا لا يكون إلا لخليفة .

وقال فى الْمُعْتَزُّ بِاللَّهِ :

مَا زَالَ يَكْلَأُ دِينَنَا وَيَحُوطُهُ بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْوَشِيجِ الدُّبْلِ^(٣)
وهذا يصلح أن يقال لبعض ولاة الثغور وغيرهم من الولاة ولا يخص الخليفة .
وليس ذلك بعيب فى مدح الخلفاء ، ولكن إذا كان مما يخص الخليفة
دون غيره كان ذلك أمدح له .

والعيب على الشاعر أن يمدح غير الخليفة بما لا يستحقه إلا الخليفة .

وقال فى المهتلى بالله مما يختص بالخليفة :

هَنَّتَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاهِبُ مِنْ اللَّهِ مَشْكُورٌ لَدَيْكَ جَسِيمُهَا^(٤)
وَتَأْيِيدُ دِينَ اللَّهِ إِذْ رُدَّ أَمْرُهُ إِلَيْكَ فَرَوَى فِي الْأُمُورِ عَلِيمُهَا
فخصَّصه قوله : « وتأييدُ دين الله إذ رُدَّ أمره إليك » .

(١) ديوان البحترى ١٢ ، ٣ / ٢٠٠٣ وما أسخف قوله : « حلفت بمن أدعوه ربًّا ! ! » !

(٢) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢١٧٠ « المحل الجليل » .

(٣) ديوانه ١ / ١٦ طبع بيروت ، ٢ / ١٥٥ طبع مصر ، ٣ / ١٦٢٦ طبع المعارف وزواية

الشرط الأول فيها « بكرت جياذك والفوارس فوقها »

والمشرقية : السيوف المنسوبة إلى مشارف اليمن ، والوشيج : الحشب الذى تصنع منه الرماح . وذبل :

مفردها ذابل وهو الدقيق الملتصق الليط .

(٤) ديوانه ١٠٨ .

وقال أبو تمام في تقوية الإسلام :

أَمْسَى بِكَ الْإِسْلَامُ بَدْرًا بَعْدَمَا مُحِجَّتْ بِشَاشَتُهُ مُحَاقَ هِلَالٍ^(١)
 أَكْمَلْتُ مِنْهُ كُلَّ نَقْصٍ بَعْدَمَا نَقَصَتْهُ أَيْدِي الْكُفْرِ بَعْدَ كَمَالٍ^(٢)
 أَلْبَسَتْهُ أَيَّامُكَ الْغُرَّ الَّتِي أَيَّامُ غَيْرِكَ عِنْدَهُنَّ لَيَالٍ

إنما قال : « أمسى » ولم يقل : « أضحى » من أجل قوله : « بَدْرًا » ؛
 لأنَّ البدر لا ضوء له في الضحى .

وهذا يصلح أن يقال لوزير ولوالى الثغور ، وإن كان في غاية الجودة .

وقال البحتري في المتوكل :

يَا كَالِيَّ الْإِسْلَامِ فِي غَفَلَاتِهِ وَمُقِيمَ نَهْجِي حُجَّةً وَجِهَادِهِ^(٣)

وقال أبو تمام في مديح محمد بن عبد الملك :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ عَزَّتْ بِدَوْلَتِهِ دَعَائِمُ الدِّينِ فَلْيَعَزِّزْ بِهِ الْأَدَبُ^(٤)

ودعائم الدين قد توصف بأنها ثبتت ، وتمكّنت ، وأقامت ، وتوطّدت ،
 فهذا هو اللفظ المستعمل فيها ، ألا ترى أنها إذا وُصفت بضد هذا الوصف
 قيل : وهت ، وسقطت ، وخرّت . ولا يقال : ذلّت . وإنما قال : « عَزَّتْ » من
 أجل قوله : « فليعزز به الأدب » . وهذا وإن لم يكن خطأ فليس بالجيد ؛
 لأنّه لفظ موضوع في غير موضعه .

(١) ديوان أبي تمام ٢٦٥ وشرح التبريزي ٣ / ١٤٤ .

(٢) في الديوان « منه بعد نقص كل ما » .

(٣) ديوانه ٤٣ ، ٢ / ٧٠٤ والكالي : الراعى والحافظ ، والنهج : الطريق .

(٤) ديوان أبي تمام ٥٠ وشرح التبريزي ١٥ / ٢٦٣ ويرى : « بك الأذهب » .

وقال أبو تمام في إسحاق بن إبراهيم المصعبي :
 تَرْضَى السُّيُوفُ بِهِ فِي الرُّوْعِ مُتَّصِرًا وَيَغْضَبُ الدِّينُ وَالْدُّنْيَا إِذَا غَضِبَا^(١)

وهذا مدح لا يليق إلا بأفضل الخلفاء ، وسبيل الشاعر أن يتفقد مثل
 هذا ؛ فقد جرت به على قوم من الشعراء سَلَكُوا دُونَ هذا المسلك - مَكَارِهِ ،
 وكان الحرمان أحسن أحوالهم التي عادوا بها .

ونحو هذا قوله في محمد بن يوسف :
 حَيَاتُكَ لِلدُّنْيَا حَيَاةٌ ظَلِيلَةٌ وَفَقْدُكَ لِلدُّنْيَا فَنَاءٌ مُوَاشِكٌ^(٢)
 وهذا عموم ؛ لذكره الدنيا . ولا يصلح أن يكون إلا لخليفة ، أو من
 ينفذ في أكثر بلاد الله أمره .

وهذا متجاوز لقدر محمد بن يوسف ، وفي الممادح التي تُرَضَى
 المملُوحين مُتَّسَعٌ .

وهو في هذا الباب أشعر من البحتري .

(١) ديوان أبي تمام ٢١ وشرح التبريزي ١ / ٢٤١ .

(٢) ديوانه ٢٢٦ وشرح التبريزي ٢ / ٤٦٧ .

ومما يجب في مدح الخلفاء ، كانت تلك حالهم
أولم تكن ، ذِكرُ التَّقَى والورع

قال أبو تمام في المأمون :

يَتَجَنَّبُ الْأَثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ أَثَامٌ^(١)

هذا وصف لطاعة الله حَسَنٌ مُسْتَقْصَى . ولكنه أَلَمْ بمعنى قول أبي العتاهية :

يَعْتَدُ بِإِحْسَانٍ كُلُّ مُحْسِنٍ إِلَيْهِ بَعْدَ إِسَاءَةٍ كَانَ مِنْهُ^(٢)

وعكس أبو تمام المعنى :

لَمْ تَنْتَقِصْنِي إِذْ أَسَأْتُ ، وَزِدْتَنِي حَتَّى كَأَنَّ إِسَاءَتِي إِحْسَانِي

بيت أبي تمام هذا من بيت أبي العتاهية^(٣) .

وقال البحتري في المهتدى بالله :

مُزَايِدُ نَفْسٍ فِي تَقَى اللَّهِ لَمْ تَدَعْ لَهُ غَايَةَ فِي جِدِّهَا وَأَجْتَهَادِهَا^(٤)

وما نَقَلْتُ مِنْهُ الْخِلَافَةَ شَيْعَةً وَقَدْ مَكَّنْتُهُ عُنُودَ مِنْ قِيَادِهَا^(٥)

وَلَا مَالَتِ الدُّنْيَا بِهِ حِينَ أَشْرَقَتْ لَهُ فِي تَنَاهَى حُسْنِهَا وَأَحْتِشَادِهَا

(١) ديوان أبي تمام ٢٨٠ وشرح التبريزي ٢ / ١٥٣ وفي م « حسناتها » .

(٢) م « وهذا بيت أبي تمام من » .

(٣) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٦ . وفي م « لم يدع » .

(٤) ل « نقلت » وفي الديوان « أمكته » .

وقال في المعتمد :-

مَلِكٌ تُحْيِيهِ الْمَلُوكُ وَدُونَهُ مِيمًا تُتَقَى وَتُخْشَعُ الزُّهَادُ^(١)
مُتَهَجِّدٌ يُخْفِي الصَّلَاةَ وَقَدْ أَبَى إِخْفَاءَهَا أَثَرُ السُّجُودِ الْبَادِي^(٢)

وقال في المهدي^(٣) :

فَضَلَ الْأَنَامَ أَرْوَمَةً مَحْمُودَةً وَتَقَى وَأَنْعَمَ فِي الْأَنَامِ وَأَفْضَلًا^(٤)

وقال في المعتز بالله :

يَتَقَبَّلُ الْمُعْتَزُ فَضْلَ جُلُودِهِ بِخِلَالِ مَحْمُودِ الْخِلَالِ مُوَفَّقٍ^(٥)
وَيَظَلُّ يُخْشَى فِي الْإِلَهِ وَيُتَّقَى فِيهِ كَمَا يَخْشَى الْإِلَهِ وَيَتَّقَى^(٦)

* * *

ومع وصف الخليفة بالتقى والورع يجب أن يوصف بالرافة والرحمة .

قال أبو تمام في المعتصم :

رَحَى اللَّهُ فِيهِ لِلرَّعِيَةِ رَافَةً تَزَايِلُهُ الدُّنْيَا ، وَلَيْسَتْ تَزَايِلُهُ^(٧)
فَأَضْحَى وَقَدْ فَاضَتْ إِلَيْهِ قُلُوبُهُمْ وَرَحْمَتُهُ فِيهِمْ تَفِيضٌ ، وَنَائِلُهُ^(٨)

فقوله : « فاضت إليه قلوبهم » ليس بالجميل ؛ لأن هذه لفظة غير مستعملة في مثل هذا . وإنما قال ذلك من أجل قوله : « وَرَحْمَتُهُ فِيهِمْ تَفِيضٌ » .

(١) ديوان البحري ١٦٣ ، ٢ / ٧٣٢ وفي م « تحيته » .

(٢) م « وقد أتى » .

(٣) في ديوانه ١٤٣ ، ٣ / ١٦٥٣ « وقال يمدح المعتز بالله » .

(٤) في الديوان : « أرومة مذكورة » .

(٥) ديوانه ٦٢٥ ، ٢ / ١٤٨١ .

(٦) م « كما تخشى الإله وتتقَى » .

(٧) ديوان أبي تمام ٢٣١ وشرح التبريزي ٢ / ٢٦ .

(٨) في الديوان وشرحه « فأضحوا » .

وقال في الواثق :

فَغَلَّوْا وَقَدْ وَثِقُوا بِرَأْفَةِ وَاثِقٍ بِاللَّهِ طَائِرُهُ لَهُمْ مَيْمُونٌ^(١)

وقال البحتري في المتوكل :

يُحِبُّهُ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ أَنَّهُ يُلَبِّبُ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ وَيُحَافِي^(٢)
وَأَنَّ لَهُ عَطْفًا عَلَيْهِمْ وَرَأْفَةً وَفَضْلَ أَيَادٍ بِالْعَطَاءِ جِسَامٍ^(٣)

وليس لأحدهما فضل في هذا الباب على صاحبه .

(١) ديوان أبي تمام ٣٢٩ وشرح التبريزي ٢ / ٣٢٥ .

(٢) ديوان البحتري ١١ « عن أطرافها » .

(٣) م « عطفًا عليه » وفي الديوان « عليها ورقة » .

ما قالاه في الجمال ، والجلال ، والهيبة ، والبهاء ، والجهارة

قال أبو تمام :

إِنَّا غَدَوْنَا وَاثِقَيْنِ بِوَائِقٍ بِاللَّهِ شَمْسٍ ضُحَى وَبَدْرٍ تَمَامٍ^(١)

ثم قال بعد في القصيدة :

مَا أَحْسَبُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ إِذَا بَدَا بَدْرًا بِأَضْوَاءٍ مِنْكَ فِي الْأَوْهَامِ^(٢)

قوله : « في الأوهام » قد عيبَ به ، وقيل لم يجعله مضيئاً في العين ، وجعله مضيئاً في الأوهام . والذي ذهب إليه أبو تمام معنى صحيح ؛ لأن وجه الإنسان لا يكون أضواءً من البدر ، فجعله أضواءً منه في الصدور وفي النفوس ، يريد الجلال والهيبة .

وأجود من هذا قول محمد بن وهيب :

تَعْظُمُهُ الْأَوْهَامُ قَبْلَ عِيَانِهِ وَيَصْدُرُّ عَنْهُ الطَّرْفُ وَالطَّرْفُ حَاسِرٌ

وأحسن من قول ابن^(٣) وهيب قول الأخوص :

تَرَاهُمْ خُضِعَ الْأَبْصَارُ هَيْبَتَهُ كَمَا اسْتَكَانَ لِضَوْءِ الشَّارِقِ الرَّمْدُ

وقال أبو تمام في خالد بن يزيد بن مزيد :

كَالْبَدْرِ حُسْنًا : وَقَدْ يُعَاوَدُهُ عُيُوسُ لَيْثِ الْعَرِينِ فِي عَبْدِيهِ^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ٢٧٦ وشرح التبريزي ٣ / ٢٠٤ ويروى « إنا رحلنا » .

(٢) في الديوان وشرحه « ما أحسب القمر » .

(٣) م « أبي وهيب » وهو خطأ .

(٤) ديوان أبي تمام ٩٤ وشرح التبريزي ١ / ٤٤٦ في عبده : أي أنف .

كَالسِّيفِ يُعْطِيكَ مِنْ عَيْنَيْكَ مِنْ فِرْنْدِهِ تَارَةً وَمِنْ رَبْدَةٍ^(١)
وهذا غاية في حسنه وصحته وبراعته .

وقال في جعفر الخياط :

فَتَى فِي يَدَيْهِ الْبَاسُ يَضْحَكُ وَالنَّدَى فِي سَرْجِهِ بَدْرٌ وَلَيْثٌ غَضَنْفَرُ^(٢)

وهذا مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

تَمْضِي الْمَنَايَا كَمَا تَمْضِي أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ فِي سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامًا^(٣)

وقد أحسن محمد بن وهيب كل الإحسان في قوله :

وَكَأَنَّ ضَوْءَ جَبِينِهِ قَمَرٌ وَ[كَأَنَّ] سَائِرَ خَلْقِهِ أَسَدٌ

وقال أبو تمام في خالد بن يزيد بن مزيد :

وَقَدْ كَانَ مِمَّا يُضِيءُ السَّرِيْرُ وَالْبَهْوُ يَمْلُؤُهُ بِالْبَهَاءِ^(٤)
مَضَى خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ [بْن] مَرْ يَدِ قَمَرٍ اللَّيْلِ شَمْسُ الضُّحَاءِ
وهذا يَمَرُّ في « المراثي » .

وقال البحتري في المهتدي بالله :

زَادَ فِي بَهْجَةِ الْخِلَافَةِ نُورًا فَهُوَ شَمْسُ النَّهَارِ وَهِيَ نَهَارُ^(٥)
طَلَعَتْ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَوَجْهَهُ خَشَعَتْ دُونَ ضَوْئِهِ الْأَبْصَارُ

(١) الربد : جمع ربدة ، وهي كالكلف فيه .

(٢) ديوان أبي تمام ١٥٩ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٥ « من يديه » .

(٣) ديوان مسلم بن الوليد ٣٩ « أي أسننه والمنايا سواء ، تفعل أسننه ما تفعل المنايا ، كأن في سرجه بدرًا في فخامة الخلق وحسن المنظر ، وليثا في الشجاعة . وصفه بالنجدة » .

(٤) ديوان أبي تمام ٣٤٨ .

(٥) ديوان البحتري ١٠٦ و ٢ / ٨٥٤ .

ذَكَرُوا الْهُدَىٰ مِنْ أَبِيكَ وَقَالُوا
وَعَلَيْهِمْ سَكِينَةٌ لِّكَ إِلَّا
بُهِتُوا حَيْرَةً وَصَمْتًا فَلَوْ قِيدَ
وَقَلِيلٌ إِنْ أَكْبَرُوكَ لَكَ الْهَيْهَاتَ
هُوَ ذَاكَ السَّيِّمُ وَذَاكَ النَّجَّارُ^(١)
مَدَّ أَيْدِي يَوْمًا بِهَا وَيُشَارُ
لَ : أَحْيِرُوا مَقَالَةً مَا أَحَارُوا^(٢)
بَةً مِّن رَّاكَ وَالْإِكْبَارُ

وقال في المتوكل لما خرج لصلاة العبد :

وَأَفْتَنَ فِيكَ النَّاطِرُونَ : فَأِضْبَعْ
يَجِدُونَ رَوْيَتَكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النَّبِيَّ فَهَلَّلُوا
حَتَّى أَنْتَهَيْتَ إِلَى الْمُصَلَّى لَا بَسًا
وَمَشَيْتَ مِشْيَةً خَاشِعٍ مُّتَوَاضِعٍ
وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا
يَوْمًا إِلَيْكَ بِهَا ، وَعَيْنٌ تَنْظُرُ^(٣)
مِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصُّفُوفِ وَكَبَّرُوا
نُورَ الْهُدَىٰ يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُظْهِرُ
لِلَّهِ لَا يَزْهَوُ ، وَلَا يَتَكَبَّرُ^(٤)
فِي وَسْعِهِ لَمْضَىٰ إِلَيْكَ الْمَنِيرُ^(٥)

وقال فيه لما دخل عليه وفد الروم :

وَرَأَيْتَ وَفْدَ الرُّومِ بَعْدَ عِنَادِهِمْ
لَحْظُوكَ أَوَّلَ لَحْظَةٍ فَاسْتَصَغَرُوا
وَرَأَوْكَ وَضَّاحَ الْجَبِينِ كَمَا يُرَى
عَرَفُوا فَضَائِلَكَ الَّتِي لَا تُجْهَلُ^(٦)
مَنْ كَانَ يُعْظَمُ فِيهِمْ وَيُبَجَّلُ
قَمَرُ السَّمَاءِ السَّعْدِ سَاعَةً يَكْمُلُ^(٧)

(١) في الديوان « هي تلك السيما » .

(٢) م « أحيروا مقالة ما أجاروا » .

(٣) ديوانه ١٨ « ورننا إليك الناظرون » ، ٢ / ١٠٧٥ .

(٤) في الديوان « لا يزهي » .

(٥) وفيه : « فلو . . . غير ما في وسعه لسي » .

(٦) ديوانه ٢٤ ، ٣ / ١٦٠١ .

(٧) في الديوان « قمر السماء الهم ليله يكل » .

نَظَرُوا إِلَيْكَ فَقَدَّسُوا . وَلَوْ أَنَّهُمْ
 حَضَرُوا السَّمَاءَ فَكُلَّمَا رَأَوْا الْقِرَى
 تَهَوَّى أَكْفُهُمْ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ
 مَتَحِيرِينَ فَبَاهَتْ مُتَعَجِّبٌ
 وَيَوَدُّ قَوْمَهُمُ الْأَوَّلَى بَعَثُوهُمْ
 قَدْ نَافَسَ الْغَيْبَ الْحُضُورَ عَلَى الَّذِي
 نَطَقُوا الْفَصِيحَ لَكَبَرُوا وَلَهَلُّوا
 مَالَتْ بِأَيْدِيهِمْ عُقُورٌ ذُهَلُ
 فَتَجَوَّرَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وَتَعْدِلُ^(١)
 مِمَّا يَرَى . أَوْ نَاطِرٌ مُتَأَمِّلٌ^(٢)
 لَوْ ضَمَّهُمْ بِالْأَمْسِ ذَاكَ الْمَحْفِلُ^(٣)
 شَهِدُوا ، وَقَدْ حُسِدَ الرَّسُولَ الْمُرْسَلُ

قوله : « بَاهَتْ » . من بَهَتْ يَبْهَتْ وقد قيلت ، وهى رديئة ، والجيد
 بَهَتْ يَبْهَتْ .

وقال فى المعتز :

يُبْهَتْ الْوَفْدُ فِي أَسْرَةٍ وَجْهِ سَاطِعِ الضُّوءِ ، مُسْتَنِيرِ الشُّعَاعِ^(٤)

وقال فيه :

إِذَا نَظَرَ الْوَفْدُ إِلَيْهِ قَالُوا : أَبَدُّ اللَّيْلِ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ؟^(٥)

وأجود من هذا قول ابن هرمة :

لَا يَرْفَعُونَ إِلَيْهِ الطَّرْفَ خَشْيَتَهُ لَا خَوْفَ بَأْسٍ وَلَكِنْ خَوْفَ إِجْلَالِ

وأجود من هذا قول طريح الثَّقَفِي :

يَعْرِوهُمْ أَفْكُلُ لَدَيْكَ كَمَا قَفَقَفَ تَحْتَ الدُّجْنَةِ الصَّرْدُ^(٦)
 لَا خَوْفَ ظُلْمٍ ، وَلَا قِلَى خُلُقٍ لَكِنْ جَلَالُ كَسَاكَةِ الصَّمَدِ

(١) وفيه « فتحييد عن » .

(٢) فى الديوان « متحIRON . . . مما رأى » .

(٣) وفيه « وبود قومهم الأولى بعثوا بهم » .

(٤) ديوانه ١٣٢ ، ٢ / ١٢٤٤ .

(٥) ديوانه ٧٧٩ ، ٢ / ٩٣٨ .

(٦) فى اللسان ١٤ / ٤٥ « الأفكل على أفعل : رعدة تملو الإنسان ولا فعل له » . وقفقت :

أرعد من البرد ، والدجنة : الظلمة . الصرر : الذى أرعده البرد .

[وأصل] الباب كله قول الحزين الكِنَانِي :

يُغْضِي حِيَاءً ، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ^(١)

* * *

وقال في المَتَوَكَّل :

الْيَوْمَ أَطْلَعَ لِلْخَلَاقَةِ سَعْدُهَا وَأَضَاءَ فِيهَا بَدْرُهَا الْمُتَهَلِّلُ^(٢)

لَبَسَتْ جَلَالَتهُ جَعْفَرُ فَكَأَنَّهَا سَحَرُ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ الْمُقْبِلُ^(٣)

وقال في المعتز ويذكر الزَّو^(٤) :

وَلَمْ أَرْ كَالْمُعْتَزِّ إِذْ رَاحَ مُوفِيًّا عَلَيْهِ بوجه لاح في الرُّوْنَقِ النَّضِيرِ^(٥)

مَلِيًّا بَأَنَّ يَجْلُو الظَّلَامَ بِغُرَّةِ تَخَاضَعُ إِكْبَارًا لَهَا غُرَّةُ الْفَجْرِ

إِذَا أَهْتَزَّ غَبَّ الْأَرِيحِيَّةِ وَالنَّدَى وَأَسْفَرَ فِي ضَوْءِ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ^(٦)

(١) الوساطة ٢٩٦ والأغاني ١٤ / ٧٥ وغير منسوب في الكامل ١ / ٣٩٩ .

(٢) ديوان البحري ٢٥ ، ٣ / ١٧٥٤ وانظر ص ٣٢٤ من هذا الجزء .

(٣) في الديوان « يجلله » .

(٤) في اللسان ١٩ / ٨٥ « الزو : القرينان من السفن » ثم قال في صفحة ٨٧ « الجوهري :

وزو : اسم جبل بالعراق . قال ابن بري : ليس بالعراق جبل يسمى زوا ، وإنما هو سمع في شعر البحري

قوله يلمح المعتز بالله حين جمع مركبين وشحنهما بالخطب وأوقد فيهما نارا ، ويسمى ذلك بالعراق زوا في

عيد الفرس يسمى الصديق فقال : « ولا جبلا كالزو » وقال الفيروزابادي في القاموس ٤ / ٣٣٩ « والزو

كالتو : سفينة عملها المتوكل ، لا جبل ، وهم الجوهري ، وإنما غره قول البحري :

ولا جبلا كالزو يقف تارة وينقاد إما قدته بزمام

والبيت في ديوانه ١ / ١١ .

(٥) ديوانه ١٥٢ ، ٢ / ١٠٥٣ عليه : أي على الزو الذي ذكره قبل ذلك :

تعجبت من فرعون إذ ظن أنه إله لأن النيل من تحته يجري

ولو بصرت عيناه بالزو لازدري حقير الذي نالت يده من الأمر

إذا لرأى قصرأ على ظهر بلعة روح ويغدو فوق أمواجهما يجري

تصاد الوحوش في حفاقي طريقه وتستزل الطير العوالي على قصر

(٦) في الديوان « تحت الأريحية » .

وَقَابَلَهُ بَذْرُ السَّمَاءِ بِحُسْنِهِ فَبَذَرُ عَلَى بَذْرِ . وَبَحْرُ عَلَى بَحْرِ
رَأَيْتُ بِهِاءَ الْمَلِكِ مُجْتَمِعًا لَهُ وَدِيْبَاجَةَ الدُّنْيَا وَمَكْرُمَةَ الدَّهْرِ

وقال فيه :

مَلِكٌ يَمَلَأُ الْعُيُونَ بِهَِاءً حِينَ يَبْدُو فِي تَاجِهِ الْمَعْقُودُ^(١)

والخلفاء وملوك الإسلام لا يلبسون التيجان ، وأظنها كانت يتخذها الأحداث منهم فيلبسونها في خلواتهم ، ومع نسائهم : ومن لا يَحْتَشِمُونَهُ مِنْ نُدَمَائِهِمْ . فأما القلائس المَعْمَةُ التي تُرْصَعُ بالجواهر فلا شك فيها . وَمَنْ ذَكَرَ تيجَانَ الخلفاء من الشعراء فلعله رأى على رؤوسهم هذا الجنس ، فقد قال البحتري أيضاً في المهندي يبنى عنه لُبْسُ التَّاجِ :

لَسَجَادَةُ السُّجَّادِ أَحْسَنُ مَنْظَرًا مِنْ التَّاجِ فِي أَحْجَارِهِ وَأَتْقَادِهَا^(٢)

وقال في المعتز :

كَأَنَّمَا التَّاجُ إِذَا مَا عَلَا غُرَّتُهُ بِالْذُّورِ الزُّهْرِ^(٣)
[كَوَاكِبُ الْفَكَّةِ فِي أَفْقِهَا دَنَتْ فَحَفَّتْ غُرَّةَ الْبَذْرِ]^(٤)

وقد تقدم من إنكار عبد الملك بن مروان على ابن الرقيات قوله :

* يَغْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ *

(١) ديوان البحتري ١٥٨ ، ٢ / ٧٢٩ « تملأ »

(٢) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٧ .

(٣) ديوانه ٦٣٠ ، ٢ / ١٠١١ .

(٤) زيادة لازمة ، وجاء في السان ١٢ / ٣٦٥ « والفكة : نجوم مستديرة بحيال بنات نعش .

خلف السماك الراح » .

فأما الجلال ، والبهاء ، والهيبة ، وسائر ما مضى من ذلك في هذا الباب - فإنه واجب في مدح الخلفاء والملوك والعظماء ؛ لأنه من الأوصاف التي تخصهم ، ويحسن موقع ذكرها عندهم .

وكذلك جمال الوجه وحسنه مما يجب المدح به ؛ فإن الوجه الجميل يزيد في الهيبة . وَيَتَيَمَّنُ به العرب ؛ لأنه يدلُّ على الخصال المحمودة ، كما أنَّ قبح الوجه والدَّامَةِ يسقط الهيبة . ويدل على الخصال المذمومة ، وذلك ما تكرهه العرب : وتتشاءم به ؛ لأنَّ أول ما تلقاه من الإنسان وتعاينه - وجهه .

ألا ترى إلى قول البحتري :

أَغْرَ كَبَارِقِ الْغَيْثِ الْمُرَجَّى يُحَبِّبُ فِي الْأَبَاعِدِ وَالْأَدَانِي (١)
تَخَاضَعَتِ الْوُجُوهُ لِحُسْنِ وَجْهِهِ يَدُلُّ عَلَى خَلَائِقِهِ الْحَسَانِ

وقال في مثل ذلك :

حَسَنُ الْوَجْهِ وَالرُّوَاءِ وَكَمْ دَلَّ عَلَى سُودَدِ الشَّرِيفِ رَوَاؤُهُ (٢)
مَاءُ وَجْهِهِ إِذَا تَبَلَّجَ أُعْطِيَ كَ أَمَانًا مِنْ نَبْوَةِ الدَّهْرِ مَأْوُهُ
يَتَعَالَى ضِيَاؤُهُ فَيُجَلِّي طُخْيَةَ الْحَادِثِ الْمُضِبِّ ضِيَاؤُهُ (٣)

وقد غلط بعض المتأخرين في هذا الباب ممن ألف في «نقد الشعر» كتاباً - غلطاً فاحشاً (٤) . فذكر أن المدح بالحسن والجمال ، والذم بالقبح والدَّامَةِ ليس بمدح على الحقيقة . ولازم على الصحة ، وخطأ كل من يمدح

(١) ديوان البحتري ١٤٥ ، ٤ / ٢٢٧٧ .

(٢) ديوانه ٥٢٨ «حسن العقل» ١ ، ٣٠ .

(٣) في الديوان «يتجلى ضياؤه . . . ظلمة الحادث» وهي بمعنى . والمضرب : الذي غشيه الضباب

(٤) يقصد فدامة بن جعفر الكاتب ، مؤلف كتاب نقد الشعر .

بهذا أو يَدُمُّ بذاك ، فعَدَلَ بهذا المعنى عن مذاهب الأمم كلها عربيها وعجميها ، وأسقط أكثر مدح العرب وهجائها . وقد بينت قبح غلطه في هذا نبينا شافيا مستقصي في كتاب منفرد^(١) .

* * *

وقال البحتري يمدح المعتز ويذكر ابنه عبد الله :

عَلَيْهِ مِنَ الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ بِهِجَةً أَضَاءَتْ فَلَوَيْسَرِي بِهَا الرُّكْبُ لَا هَتْدَى^(٢)
يَرُوقُ الْعُيُونُ النَّاطِرَاتِ بِطَلْعَةٍ مِنَ الْحُسْنِ لَوْ أَفَى بِهَا الْبَدْرُ مَا عَدَا^(٣)
تَأْمَلْ أَمِينَ اللَّهِ فَرَطَ جَلَالَةٍ رَائِعَةٍ تَبْدُو عَلَيْهِ إِذَا بَدَا

وقد تصرف البحتري في المدح بالجمال والهيبة والجلال - تصرفا كثيرا

في غير مدح الخلفاء ، فقال في الفضل بن إسماعيل الهاشمي :

لَا تَطْلُبَنَّ لَهُ الشُّبَيْهَ فَإِنَّهُ قَمَرُ التَّأْمَلِ ، مُزْنَةُ التَّأْمِيلِ^(٤)

وقال في الفتح بن خاقان :

تَكْشَفُ اللَّيْلُ مِنَ الْأَلَاءِ غُرَّتِهِ عَنْ بَدْرِ دَاجِيَةٍ أَوْ شَمْسٍ إِصْبَاحِ^(٥)

وقال يمدحه :

وَيُبْتَلِرُ الرَّاعُونَ مِنْهُ إِذَا بَدَا سَنَا قَمَرٍ مِنْ سُدَّةِ الْمَلِكِ مُطْلَعِ^(٦)

(١) اسمه « تبيين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر » ، وقد ألفه لأبي الفضل : محمد بن الحسين ابن العميد ، وقد قرأه عليه ، وكتب خطه ، في ستة وخمسين وثلاثمائة . ما في معجم الأدباء ٨ / ٧٦ .

(٢) ديوان البحتري ١٢٤ ، ٢ / ٦٧١ .

(٣) هذا اليب وما يليه ، ليسا في طبعي الديوان . وهما في طبعة المعارف .

(٤) ديوانه ٦١١ ، ٣ / ١٦٦٣ .

(٥) ديوانه ٥٨ « داجية أو ضوء » ، ١ / ٤٤٣ .

(٦) ديوانه ٩٠ ، ٢ / ١٢٣٩ .

يَقُومُونَ مِنْ بَعْدِ إِذَا بَصُرُوا بِهِ وَيُذْعُونَ بِالْأَسْمَاءِ مَشْنَى وَمَوْحَدًا إِذَا سَارَ كُفَّ اللَّحْظُ عَنْ كُلِّ مُبْصِرٍ فَلَسْتَ تَرَى إِلَّا إِفَاضَةً شَاخِصٍ لِأَبْلَجٍ مِنْ نُورِ الْجَلَالَةِ أَرْوَعٍ^(١) إِذَا حَضَرُوا بَابَ الرُّوَاقِ الْمُرْفَعِ^(٢) سِوَاهُ ، وَغَضَّ الصَّوْتُ عَنْ كُلِّ مَسْمَعٍ^(٣) إِلَيْهِ بَعَيْنٍ ، أَوْ مُشِيرٍ بِإِصْبَعٍ

الإِفاضة : الدَّفْعُ ، يرد - أنه يدفع ببصره إليه ، وَيَنْحُو بِهِ نَحْوَهُ .
والإِفاضة في الكلام أن يدفعوا أيضًا القول ، ويبعثوا الكلام . وهذه هيبةٌ وجلالٌ ما وراءهما غاية . وكان المتوكل أولى بهذا الوصف من الفتح وإن كان الفتح أَوْقَرَ وَأَهْيَبَ .

وقال البحتري في دخوله إلى الفتح :

وَلَا حَضَرْنَا سُدَّةَ الْإِذْنِ أَخْرَتُ . رِجَالٌ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا دَاخِلُهُ^(٤) فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إِلَى ذِي مَهَابَةٍ أَقَابِلُ بَدْرَ الْأَفْقِ حِينَ أَقَابِلُهُ فَسَلَّمْتُ وَأَعْتَاكَتُ جَنَانِي هَيْبَةً تَنَازَعُنِي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وَأَنْشَنِي إِلَى بِيْشِرٍ أَنْسَتَنِي مَخَايِلُهُ دَنَوْتُ فَقَبِلْتُ النَّدَى فِي يَدِ أَمْرِي جَمِيلٍ مُحْيَاهُ ، سِبَاطِ أَنْامِلُهُ^(٥) صَفَتْ مِثْلَمَا تَصْفُو الْمُدَامُ خِلَالَهُ وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهُ^(٦)

هكذا لعمرى تمدح الملوك .

(١) في م والديوان « لأبلج موفور الجلالة » .

(٢) م « إذا أحضر في باب » .

(٣) في الديوان « عن كل منظر » .

(٤) ديوانه ٥٢ ، ٣ / ١٦١٣ .

(٥) م « فقبلت الندى » .

(٦) م « المدام جلالة » .

وقال فيه :

مَهَيْبٌ تُعْظِمُ الْعُلَمَاءُ مِنْهُ جَلَالَةَ أَرْوَاحِ وَارِي الزُّنَادِ^(١)
يُؤَدُّونَ التَّحِيَّةَ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى قَمَرٍ مِنَ الْإِيوَانِ بَادٍ
قِيَامٌ فِي الْمَرَاتِبِ أَوْ قُعُودٌ سُكُونٌ مِنْ أَنَاةٍ وَأَتُّادٍ
فَلَيْسَ اللَّحْظُ بِالْمَكْرُورِ شَرًّا إِلَيْهِ ، وَلَا الْحَدِيثُ بِمُسْتَعَادٍ^(٢)

وقال فيه أيضاً لما دخلت إليه بنو تغلب بعدما أَصْلَحَ بينهم حتى سكنت
حَرْبَهُمْ . يقول ذلك في قصيدته المنصفة :

تَرَاخَوْكَ مِنْ أَقْصَى السَّمَاءِ قَقْصَرُوا خَطَاهُمْ وَقَدْ جَاوَزُوا السُّنُورَ وَهُمْ عُجَلُ^(٣)
إِذَا قَلَّبُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ وَمَالُوا بِلَحْظٍ خِلْتِ أَنَّهُمْ قُبُلُ^(٤)

وهذا من فاخر المدح ، ومُصِيب الوصف .

وفي اقتصاص مثل هذه الأحوال التي تشاهد يظهر^(٥) حِلَقُ الشاعر وبراعته .

والله الموفق .

(١) ديوانه ٦٩٨ طبع بيروت ، ١ / ١٣٩ طبع مصر ، ٢ / ٧٢٦ طبع دار المعارف « تعظم
العلماء منه » وفي طبعة المعارف « يعظم » .

(٢) ديوانه ٧٢٦ / ٢ « بالمكروه شرراً » .

(٣) ديوانه ٦١ / ١ طبع بيروت ، ٢ / ١٦٥ طبع مصر ، ٣ / ١٦١٩ - ١٦٢٠ طبع المعارف
م « تراؤل » وهو تحريف .

(٤) م في الديوان « إذا نكسوا » .

(٥) م « فيظهر » وهو تحريف .

فهرس الموضوعات

الصفحة	
٥٨ — ٥	ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين
٥	ما قالاه في البكاء على الظاعنين
٧	ما لأبى تمام في البكاء على النساء المفارقات
١٠	من ابتداء آتهما في معان شتى من باب الفراق
٢٠	ما جاء عنهما من ذلك في وسط الكلام
٢٠	البكاء على الظاعنين
٢٨	بكاء النساء المفارقات
٤١	ما ذكره من استيلاء النوى على الأحباب المفارقين
٤٤	ذكر الأنفاس والحرق والزفرات عند الفراق
٤٨	زوال الصبر وقلة التجلد.
٥١	ما قالاه في قتل الفراق للمفارق وسفك دمه
	ما قالاه في الغزل من أوصاف النساء ونعوتهن وشدة الشوق والتذكر
٥٩	والوجد والغرام
٥٩	ذكر ابتداء آتهما بتشبيه النساء بالطباء والبقر
٦٤	ابتداء آتهما بذكر الثغور
٦٦	ابتداء آتهما بذكر البكاء والدموع
٦٩	ابتداء آتهما بذكر السهر وطول الليل
٧١	باب آخر من الابتداءات
٧٥	ابتداءات البحري في ذكر العيون
٧٩	من ابتداءات البحري في التشوق
٨١	ابتداءات البحري في معان شتى
٨٣	ما جاء عنهما من أوصاف الغزل في وسط الكلام

ذكر ما قالاه في البهجة وحسن الوجوه وتشبيه النساء بالشموس

والبذور والنجوم وغير ذلك ٨٣

ما قالاه في وصف الثغور ١٠٥

ما قالاه في وصف القدور والخصور والأخصاف وثقل الأرداف

وحسن المشي ١١٠

* * *

ما قالاه في شدة الحب والوجد والتشوق والغرام والحزن وانتجاز المواعيد

وإخلافها ونحو ذلك ١٢١

في الحزن والوجد ١٢١

في الشوق والصبابة ١٢٣

ما قبل في ائتلاف المحبين ١٣٨

باب في نوح الحمام ١٤٢ - ١٥٧

باب في وصفهما للأيام التي خلت والأزمان التي حمداها والتذكر

لها ، والآسى عليها ، ويتصل بذلك شيء من ذكر النساء

وأوصافهن ١٥٨

ابتدأتها في هذا الباب ١٥٨

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من هذا الباب ١٥٩

* * *

ما جاء عنهما في طروق الخيال ١٦٧ - ١٨٩

* * *

ما قالاه في الشيب والشباب ووصف الكبير والعزوف عن الصبا ١٩٠

ما لهما من الابتدآت في ذلك ١٩٠

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب ووصف

الشيب وذمه ١٩٦

كره النساء للمشيب ٢٠٢

الصفحة

٢١٢	نزول الشيب قبل حينه
٢٢١	البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا
٢٢٦	الاعتذار من الشيب
٢٢٧	مدح الشيب والتعزى عنه
٢٣٠	ذكر الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال

* * *

باب في ذكر الزمان وظلمه واعوجاجه وتعذر الرزق على ذوى الخزم
والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز ، وفي التعزى والصبر
والقناعة ، وما قالاه في ضد ذلك من بعد الهمة والنهوض في
طلب الرزق ، والسير على الإبل وقطع الفيافي ، وفي مواعظ

٢٢٣	وآداب
٢٢٣	ما جاء عنهما من الابتدآت في ذلك
٢٣٥	ما قالاه من هذه المعاني في وسط الكلام
٢٣٥	في ذم الزمان ومجاهدته والصبر على نوبه
٢٤٣	في المواعظ والآداب
٢٤٤	في الصبر والقناعة
	ذم ذوى الغنى على البخل وذكر مساعدة الدهر لذوى الجهل
٢٥٣	وتحامله على أهل الفضل والعقل
٢٦٣	ما قالاه في طلب الرزق والنهوض إليه
٢٧٤ - ٢٨٦	ما ذكر فيه سرى الإبل
٢٨٧	باب الشحوب والتغير من الأسفار

* * *

٢٩١	أبواب خروجهما من النسيب إلى المديح
٣١١	خروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء
٣١٣	خروجهما إلى المدح باليمين

الصفحة

٣١٥	خروجهما إلى المديح بذكر الغيث ومباراته
٣١٩	خروجهما إلى المدح بوصف الرياح وتشبيه أخلاق المدوح بها
٣٢٠	وجه آخر من خروجهما إلى المدح
٣٢٩	خروجات المتأخرين الظريقة الحلوة النادرة
* * *	
٣٣١	باب المديح
٣٣٢	أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها
٣٤٠	ذكر الملك والدولة
	ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون غيرهم من ذكر طاعتهم
٣٤٣	والمحبة لهم . والمعرفة لحقهم
٣٤٥	ذكر الآلة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم . فصارت إليهم
٣٤٧	من المجد والشرف في مدح الخلفاء ذكر الآثار بالحرم
٣٤٩	من باب السؤدد والشرف : ذكر علو القدر وعظيم الفضل
٣٥٣	من باب المجد والسؤدد
	ومما يجب في مدح الخلفاء ، كانت تلك حالهم أو لم تكن . ذكر
٣٥٩	التقى والورع
٣٦٢ — ٣٧١	ما قاله في الجمال والجلال والهيبة والبهاء والجهارة

١٩٩٤/٣٦٢٨	رقم الإيداع
ISBN 977-02-4484-8	الترقيم الدولي

١/٩٤/٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.٠)



Dhakhā'ir Al-'Arab

25

Al-Mowāzana

Bayna Shi'r Abī Tammām Wa-L-Bohtori

Par

Abī-L- Qasim Al-Hassan ibn Bishr AL-Āmidī

(370 de l'Hégire)

Edition Critique

Par

As-Sayyid Ahmad Saqr

٧٤٧٢



DAR AL-MAAREF

